



ISSN2518-0606

الاطروحة

علمية محكمة

صدرت لأول مرة في آب عام ٢٠٠٢

تصدر عن دار الاطروحة للنشر العلمي www.alutroha.com

للعلم الإنساني

- انسيابية اللغة ورقتها في ديوان (الجداول) لإيليا أبي ماضي
- السياسات اللغوية وأثرها في التنمية البشرية
- ترتيب النزول وأثره في تفسير القرآن الكريم
- فلسفة الدين بين الحقيقة والحجاز
- الواقع السياسي للأمة من خلال فقه الأولويات : طاعة ولي الأمر أنموذجا
- حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣ في الصحافة السويدية
- رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية
- برنامج مقترح لتنمية المهارات الجغرافية لدى معلمي مادة الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية



ISSN2518-0606

Al-utroha الاطروحة

علمية محكمة

صدرت لأول مرة في آب عام ٢٠٠٢

تصدر عن دار الاطروحة للنشر العلمي

www.alutroha.com

صاحب الامتياز / المشرف العام

إبراهيم زيدان**معتمة من قبل**

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة سامراء
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة ميسان
وزارة التربية / الكلية التربوية المفتوحة
وزارة التخطيط
وزارة الكهرباء
جامعة غرب كردفان السودانية
جامعة افرقيا للعلوم الانسانية والتطبيقية الليبية
الجامعة الليبية الكندية للعلوم الحديثة
جامعة الاستقلال الفلسطينية
جامعة القدس المفتوحة
جامعة الزهراء (س) الايرانية
كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الاسلامية الجامعة
كلية الحكمة الجامعة
كلية شط العرب الجامعة
كلية المعارف الجامعة
مركز البحوث التربوية والنفسية / جامعة بغداد

المستشار القانوني

احمد عاصي ابراهيم

العلاقات الخارجية

اشواق جميل الاغا

العلاقات العامة

محمد الصادق ابراهيم**محمد اسماعيل**

الاشراف العام

د. احلام شهيد علي**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

رئيس التحرير

د. محمد جواد حبيب البدراني**جامعة البصرة**

هيئة التحرير

د. امير طالب التميمي / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
د. حسين علون ابراهيم / جامعة سامراء
د. رعد مفيد احمد / الجامعة المستنصرية
د. رجاء عجيل الحسنواي / جامعة كربلاء
د. حنان عزيز عبد الحسين / جامعة بغداد
د. ولاء جودت الجاف / جامعة كويّة
د. ماجد رحيمة جبر الحلبي / جامعة ميسان
د. سهام حسن جواد السامرائي / جامعة سامراء
د. حيدر ابراهيم محمد / كلية الامام الكاظم (ع)
د. عبد الستار جبر عداي / كلية الامام الكاظم (ع)
د. مرتضى جبار كاظم / كلية الامام الكاظم (ع)
د. عبد العزيز خضر الجاسم / جامعة الانبار
د. محمد حسين علي السويطي / جامعة واسط
د. رضا كامل عبد الله الموسوي / بيت الحكمة
د. هاني فاضل الشاوي / كلية شط العرب الجامعة
د. خلود مصطفى خماس / كلية الحكمة الجامعة

رقم الايداع في دار الكتب والموثائق ببغداد (٢١٧٧) لسنة ٢٠١٦

تعنون المراسلات باسم السيد المشرف العام :

العراق/ بغداد / مكتب بريد بغداد الجديدة/ ص.ب (٢٠٢١٦) E-mail: al.utroha.magazin@gmail.comrju@alutroha.com

موبايل: 00964-7902714258/00964-7713965458/00964-7804765560

الهيئة الاستشارية العلمية

- أ.د. محسن عبد علي الفريجي / مستشار وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
أ.د. موسى جاسم محمد الحميش / رئيس جامعة سامراء
أ.م.د. علي عبد العزيز الشاوي / رئيس جامعة ميسان
أ.د. محمد جعفر جواد / وزارة التربية / عميد الكلية التربوية المفتوحة
أ.د. سيد علي فضل المولى / رئيس جامعة غرب كردفان السودانية
أ.د. المبروك مفتاح ابو شينة / رئيس جامعة افريقيا للعلوم الانسانية والتطبيقية الليبية
أ.د. عبد السلام عصمان بيت المال / رئيس الجامعة الليبية الكندية للعلوم الحديثة
أ.د. انيسة خزعلي / رئيسة جامعة الزهراء (س) الايرانية
أ.د. وائل ابو صالح / عميد البحث العلمي والدراسات العليا / جامعة الاستقلال الفلسطينية
أ.د. محمد ثناء الله الندوي / جامعة عليكرة الهندية
أ.د. قاسم حسن عباس السامرائي / عميد كلية الاثار / جامعة سامراء
أ.د. محمود المشهداني / عميد كلية الحكمة الجامعة
أ.م.د. عامر جميل عبد الحسين / عميد كلية شط العرب الجامعة
أ.د. محمد عبد الرحمن يونس / نائب رئيس جامعة ابن رشد / هولندا
أ.د. احمد اسماعيل حسين / عميد كلية الاعلام / جامعة غرب كردفان السودانية
أ.د. صالح سعيد دقيبين / عميد كلية التربية العجليات / جامعة الزاوية الليبية
أ.د. النوري محمد علي سليمان / عميد كلية الاداب والعلوم قصر خيار / جامعة المرقب الليبية
أ.د. صالح علي مسعود / عميد مدرسة الاعلام والفنون / الاكاديمية الليبية
أ.د. ابو بكر مبروك الغزالي / عميد كلية الاعلام / جامعة بنغازي الليبية
أ.د. عابدين الدردير الشريف / جامعة الزيتونة الليبية
أ.د. عدنان حسين عبد الله عياش / جامعة القدس المفتوحة
أ.د. مهند سامي العلواني / جامعة الزاوية الليبية
أ.د. زهيرة حسين بولفوس / جامعة الاخوة منتوري قسنطينة ١ الجزائرية
أ.د. غزلان عبد الكريم هاشمي / جامعة محمد الشريف مساعدي الجزائرية
أ.د. امانى عبد المقصود عبد الوهاب / جامعة المنوفية
أ.د. عطا الله رجا الحجايا / الجامعة الاردنية
أ.د. قاسم المحبشي / جامعة عدن
أ.د. نادية ابو زاهر / جامعة الاستقلال الفلسطينية
أ.د. حسن السلواوي / جامعة القدس المفتوحة
أ.د. البسيوني عبد الله جاد / جامعة الزقازيق
أ.م.د. سناء كامل احمد الشعلان / الجامعة الاردنية

مجلة الاطروحة العلمية المحكمة

نبذة تاريخية :

تصدر المجلة في بغداد عن (دار الاطروحة للنشر العلمي) بموافقة واشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وقد استأنفت اصدارها في آب عام ٢٠١٦ بعد توقفها عام ٢٠٠٣، وقد صدرت منها ستة اعداد ما بين عامي ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ حين كانت تصدر بصيغة ملحق لمجلة (كلية المعلمين) بالجامعة المستنصرية، ثم حصلت موافقة معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي (الاستاذ الدكتور عبد ذياب العجيلي) في عام ٢٠٠٩ على استئناف اصدارها مجلة مستقلة بإشراف الوزارة، ثم تم تجديد الموافقة في زمن وزير التعليم العالي والبحث العلمي (الاستاذ علي الاديب)، فصدر عددها الاستثنائي الاول في آب عام ٢٠١٦ بعد اكمال اجراءات تسجيلها لدى المركز الدولي لتسجيل الدوريات فحصلت على التصنيف الدولي (ISSN2518-0606)، كما اعتمدت من قبل وزارات التربية والكهرباء والتخطيط ، ولدار الاطروحة للنشر العلمي ومجلتها موقع الكتروني (www.alutroha.com).

- تصدر المجلة حاليا بخمس طبعات متخصصة محكمة في العلوم التالية :

- ١ - العلوم الانسانية
- ٢ - العلوم الصرفة
- ٣ - العلوم التطبيقية
- ٤ - العلوم الهندسية والتكنولوجيا
- ٥ - علوم الرياضة

- تستعد المجلة لإصدار طبعات متخصصة محكمة في المجالات العلمية التالية :

- ١ - العلوم الطبية والصيدلانية
- ٢ - العلوم التربوية والنفسية
- ٣ - العلوم الزراعية والبيطرية
- ٤ - العلوم السياسية
- ٥ - الاعلام والعلاقات العامة
- ٦ - العلوم الادارية والاقتصادية
- ٧ - العلوم السياحية والآثار والتراث
- ٨ - علوم اللغات وآدابها
- ٩ - الدراسات التاريخية
- ١٠ - الدراسات القانونية
- ١١ - الدراسات الدينية وعلوم القرآن
- ١٢ - الدراسات الفلسفية
- ١٣ - العلوم الجغرافية
- ١٤ - تكنولوجيا الاتصالات والمعلوماتية
- ١٥ - العلوم البيئية

اهداف المجلة :

- تسعى الى خدمة البحث العلمي وتنميته لدى اعضاء الهيئات التدريسية وطلاب الدراسات العليا من دون تمييز في الجنسية او العرق او الدين او الطائفة او القومية .
- تسعى الى حفظ الحقوق العلمية والفكرية والثقافية للباحثين من خلال نشرها وتوثيقها .

شروط النشر

-تنشر المجلة البحوث العلمية في المجالات المعرفية المتعلقة بجميع العلوم في طبعاتها المتخصصة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميا باللغتين العربية والانكليزية على ان تكون مطبوعة بنظام (Word2010) ولم يسبق نشرها، وفي حالة قبوله يجب الا ينشر في اية دورية من دون اذن كتابي من رئيس تحرير الطبعة المتخصصة .

-يجب الا يزيد البحث في جميع الاحوال عن (٢٠) عشرين صفحة بضمنها المراجع والحواشي والجداول والاشكال والملاحق، ويكون نوع الحرف المستخدم (ايريال-Arial) حجم الحرف للبحث (١٤) وللعنوان الرئيس ٢٤ بولد ولاسم الباحث ١٦ بولد ولاسم الكلية والجامعة ١٤ بولد، وتكون الهوامش والمصادر في نهاية البحث لأسباب تتعلق بالتصميم بحجم ١٢ بولد، وفي حال زيادة البحث عن عدد الصفحات المقررة يتحمل الباحث / الباحثة فرقا في الاجور عن كل صفحة زيادة بمبلغ خمسة آلاف دينار، اما الصفحة الملونة فتكونا جورها بعشرة الاف دينار للعراقيين، وللعرب والاجانب بعشرة دولارات.

- تنشر البحوث الانسانية باللغة العربية مع ملخص بالانكليزية، او الانكليزية مع ملخص بالعربية .

- تنشر البحوث العلمية باللغة الانكليزية فقط مع ترجمة للعنوان الرئيس واسم الباحث ولقبه العلمي واسم الكلية والجامعة بالعربية .

- يكتب عنوان البحث بالانكليزية ايضا ان كان البحث بالعربية .

- تكون الخلاصات مطبوعة باللغة الانكليزية فضلا عن وجودها باللغة العربية في البحوث الانسانية، و باللغة العربية فضلا عن وجودها بالانكليزية بالنسبة للبحوث العلمية .

-يتعهد الباحث (خطيا) بان بحثه من نتاجه العلمي والفكري وهو خاضع لمعايير الأمانة العلمية وضوابط الاقتباس ولم يستله كليا او جزئيا من بحث او رسالة او أطروحة علمية او أي نتاج فكري او علمي لباحث اخر ولم يسبق نشره في مجلة اخرى وفي حال ثبوت العكس يتحمل جميع التبعات القانونية والفكرية كافة ويحظر التعامل معه ويتم ابلاغ المؤسسة او الجامعة التي يعمل فيها رسميا ويذكر في التعهد الذي يقدمه للمجلة اسمه الكامل ولقبه العلمي واسم الكلية اوالمعهد والجامعة اوالمؤسسة التي يعمل فيها مع رقم هاتفه النقال.

- ترسل البحوث على البريد الالكتروني للمجلة:

rju@alutroha.com

al.utroha.magazin@gmail.com

- اجور النشر :

- ١ - بحث الاستاذ :
 - أ - للعراقيين : ١٠٠ الف دينار + اشتراك بنسختين
 - ب - للعرب والاجانب : ١٥٠ دولارا
- ٢ - بحث الترقية العلمية:
 - للعراقيين: ١٢٥ الف دينار + اجور الاشتراك بأربع نسخ ان كان لباحث واحد، وان كان البحث مشتركا يكون الاشتراك بنسختين.
 - للعرب والاجانب: ٢٠٠ دولار او ما يعادلها باليورو
- ٣ - اجور نشر (بحث مستل) لطالب الدراسات العليا لغاية ١٠ صفحات
 - أ - للعراقيين : ٧٥ الف دينار + اشتراك بنسختين
 - ب - للعرب والاجانب : ٧٥ دولارا

- تسديد الاجور :

- يكون التسديد لمن هو خارج العراق بحوالة بنظام (Western Union) باسم المشرف العام : (IBRAHIM ZAIDAN KHALAF).
- يكون التسديد بحوالة لمن هو في بغداد او خارجها باسم المشرف العام (ابراهيم زيدان خلف)، اونقدا من خلال مراجعة مقر المجلة في بغداد / بغداد الجديدة / مجمع سر من رأى (الطابق الارضي) / مجاور شركة الطيف للتحويل المالي/مقابل مطعم النعمان .

ملاحظة : يتحمل الباحث رسوم الحوالة .

ملاحظات مهمة جداً

- تخضع البحوث للاستلال
- يحال البحث الى محكمين اثنين وفي حال الاختلاف في الرأي يحال الى استاذ محكم ثالث لإبداء الرأي بشأن صلاحيته للنشر، ويعاد البحث الى الباحث للعمل بملاحظات الاستاذ المحكم ليكون صالحا للنشر .
- تعاد الاجور للباحث في حال رفض الاساتذة المحكمين للبحث .

للتواصل معنا على هواتفنا ايضا (فايبر وواتس اب ايضا)

٠٠٩٦٤٧٧١٣٩٦٥٤٥٨

٠٠٩٦٤٧٩٠٢٧١٤٢٥٨

او زيارة مقرنا في بغداد الجديدة / مجمع سر من رأى (الطابق الارضي) /

مجاور شركة الطيف للتحويل المالي / مقابل مطعم النعمان .

فهرست العدد

ت	البحوث	الصفحة
١ -	النزعة الإنسانية في شعر نازك الملائكة	١١
٢ -	السياسات اللغوية وأثرها في التنمية البشرية	٢٥
٣ -	انسيابية اللغة ورقتها في ديوان (الجداول) لإيليا أبي ماضي	٧٥
٤ -	جمال المبالغة الممزوجة بالتشبيه والمجاز والكنية في تخاميس النودهي	١٠٧
٥ -	النقد الغربي وأثره في النقد العربي المعاصر - غالي شكري أنموذجاً	١٣١
٦ -	ترتيب النُّزول وأثره في تفسير القرآن الكريم	١٤٧
٧ -	فلسفة الدين بين الحقيقة والمجاز	١٧١
٨ -	الفصل بين الإيمان والإلحاد	١٩٣
٩ -	النار الإسلامية في جحيم دانتي - دراسة وصفية مقارنة في الكوميديا الإلهية لدانتي	٢١٧
١٠ -	الواقع السياسي للأمة من خلال فقه الأولويات : طاعة ولي الأمر أنموذجاً	٢٣٥
١١ -	ملامح من عادات وتقاليد العرب قبل الإسلام	٢٥٩
١٢ -	الصحفي المحترف والمصادر الجديدة للأخبار "دراسة في الخدمات وآليات التحقق من المحتوى تويتر أنموذجاً"	٢٧٩
١٣ -	حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣ في الصحافة السويدية	٢٩٩
١٤ -	رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية	٣٢٣

٣٦٣	م.د. عبد الله فرحان عبد الله م.د. محمد مجيد عزيز	١٥ - أثر استخدام استراتيجيات الذكاءات المتعددة في تنمية المهارات الجغرافية لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي
٣٨٥	م.د. عبد الله فرحان عبد الله	١٦ - برنامج مقترح لتنمية المهارات الجغرافية لدى معلمي مادة الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية

النزعة الإنسانية في شعر نازك الملائكة

ا.م.د. معراج أحمد معراج الندوي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عالية- كولكاتا- الهند

الملخص:

يستهدف هذا البحث إبراز النزعة الإنسانية في شعر نازك الملائكة. كانت نازك الملائكة من رواد التطور الشعري لأنها شاعرة الإبداع والتجديد وناقدة في قضايا الشعر العربي. تتحدث في شعرها عن موضع الإنسان في الكون وعن سر وجوده وعن عجزه وعن معرفة الكون الغامض وألغازه وتعبّر عن أحاسيسها وعواطفها وخلجاتها النفسية التي تتكون مرآة لآرائها وأفكارها. يتميز شعرها بالحساسية المفرطة وبالألم الحاد كما يمثل شعر المرأة الشرقية التي كانت تحلم أن تحقق أحلامها في بداية عمرها عن غد موعود ولكنها رأت في الحياة الحقيقية الصرامة والتزمت والقيود. فحصرت نفسها في قوقعة الدموع، ولا شيء غير الدموع. إن شعر نازك الملائكة يعبر من حيث المبنى والمعنى عن الكبت النفسي والتمرد. ولم يكن ذلك غريباً لفتاة عربية شرقية نشأت في بيئة محافظة ثم انطلقت إلى آفاق العالم الرحيب. لقد تجلّت النزعة الإنسانية في شعر نازك الملائكة منذ عهد مبكر وامسكت من روح الإنسان الذي يحب لغيره ما يحب لنفسه. فالشاعرة في حبها للوطن ودعوتها إلى الوحدة العربية والثورة على الاستعمار والصهيونية دائماً تدعو إلى النزعة الإنسانية. كانت لنازك الملائكة رسالة تدفعها إلى السمو بالإنسانية إلى أرفع مكان تستهلها بحيث لا يكون لها من هدف إلا الحرية والعدل.

الكلمات الافتتاحية:

مدخل: لقد كان للشاعرة نازك الملائكة دور ريادي في تطوير القصيدة العربية في الفكرة والبناء، قدمت فناً إبداعياً في الشعر، عبّرت عن جراتها في اختراق جدار القصيدة العربية المغلق، ومكّنت الجيل التي وعت مدرستها الجديدة من التعامل بجرأة مع الأفكار التطويرية للقصيدة الحديثة. ظهرت كمبدعة في مجال الشعر واستطاعت أن تبلغ الرومانسية إلى ذروتها في العراق. ولا شك أن الشاعرة من الأوائل الذين دعوا إلى نظم بالطريقة الجديدة. اشتهرت نازك الملائكة في عالم الشعر لأنها امرأة،

وقد كثر عدد الشعراء من الرجال، ولعلها وطأت بعملها الشعري لنهضة شعرية نسائية. ولا يختلف اثنان في أن نازك الملائكة هي الرائدة الحقيقية لنوع من الشعر الحديث اطلقت عليه "الشعر الحر". برزت هذه الشاعرة ككوب لامع وبلبل غريد في جبين الشعر النسوي العراقي في العصر الحديث.

مولدها ونشأتها: ولدت نازك صادق جعفر الملائكة في ٢٣ من اغسطس عام ١٩٢٣م^(١) في محلة "العاقولية" ببغداد ونشأت وترعرعت في بيت علم وأدب تحت رعاية أمها الشاعرة "سلمى عبد الرزاق" وأبيها الأديب الباحث "صادق الملائكة" فتربّت في بيئة هيأت لها أسباب الثقافة والعلم. اختار أبوها صادق جعفر اسم "نازك" لأبنته معناه لطيف ورقيق وطيب الخلق. انتشر هذا الاسم في العشرينات والثلاثينات بالعراق. وكذلك اطلق هذا اللقب على عائلة نازك الملائكة سكان المحلة مستوحين هذا اللقب من دماثة أخلاقها وهذونها وسكونها وانتظام علاقاتها مع الجار والناس وحسن معشرها وغير ذلك من الأوصاف التي تتصف بها الملائكة حيث كان سكان المحلة يقولون بما عليه هذه العائلة من جمع هذه الصفات فيقولون عنهم هؤلاء "ملائكة" وليسوا بشراً.^(٢) وأكملت نازك دراستها الابتدائية والثانوية في مدرسة الكرادة للبنات ثم انتقلت إلى دار المعلمين العالية ببغداد. تخرّجت في عام ١٩٤٤م بدرجة امتياز. أحببت الشاعرة الموسيقى من خلال الشعر حيث شعرت أنّ الشعر موسيقى، وإنّ الموسيقى هي جناح الشعر الذي يحلّق به في فضاءات الجمال الحسي ولذا قررت دراسة آلة العود حيث التحقت بمعهد الفنون الجميلة، وتحت إشراف وتدريس الأستاذ الشريف محي الدين حيدر لكنّها لم تستمرّ لأسباب مختلفة. ثم التحقت بمعهد الفنون الجميلة وتخرّجت في قسم الموسيقى عام ١٩٤٩م. وفي نفس العام بدأت دراسة اللغة الفرنسية مع أخيها الصغير أولاً ثم واصلت دراستها دون مساعدة أي استاذ لعدة سنوات. دخلت المعهد العراقي عام ١٩٥٣م وقرأت خلال اقامتها هناك موباسان وموليير والفونس دوديه. وفي عام ١٩٥٦م حصلت على شهادة الماجستير في الأدب المقارن من جامعة "وسكونسن" في أمريكا. وبعد عودتها من الولايات المتحدة حضرت مؤتمر الأدباء العرب في بلودان بدمشق عام ١٩٥٨م. وفي هذه الأثناء كانت ثورة تموز في العراق التي تركت أثراً كبيراً في قلبها. بدأت حياتها المهنية كمدرسة في دار المعلمين العالية في بغداد ومنها انتقلت إلى جامعة البصرة ثم جامعة الكويت. قدمت نازك استقالتها من جامعة الكويت عام ١٩٨٢م بعد أن منحت إجازة خاصة وراتباً لمدة سنة كاملة تقديراً لمكانتها الشعرية. وفي عام ١٩٩٢م قررت جامعة

البصرة منحها شهادة الدكتوراه تقديراً واعترافاً بانجازاتها الشعرية والأدبية ولعملها في جامعة البصرة. توفيت نازك الملائكة في ٢٠ من يونيو عام ٢٠٠٧م. آثارها الشعرية:

١. "عاشقة الليل" عام ١٩٤٦م
٢. "شظايا ورماد" عام ١٩٤٩م
٣. "قرارة الموجة" عام ١٩٥٧م
٤. "شجرة القمر" عام ١٩٦٨م
٥. "يغير ألوانه البحر" عام ١٩٧٠م
٦. "مأساة الحياة وأغنية للإنسان" عام ١٩٧٧م
٧. "الصلاة والثورة" عام ١٩٧٨م

نازك الملائكة ومسيرتها الشعرية: بدأت الشاعرة نازك الملائكة كتابة "مأساة الحياة" و"أغنية للإنسان" عام ١٩٤٥م فبدأت كتابة الصورة الأولى عام ١٩٤٥م إلى عام ١٩٤٦م والصورة الثانية التي أعطاها عنواناً "أغنية للإنسان" عام ١٩٥٠م والصورة الثالثة عام ١٩٦٥م أي بعد خمسة عشر عاماً. واختارت لهذه المطولة "البحر الخفيف" الذي رأيته من المرونة بمكان وكأنه يجري بين يدي الشاعر كما يجري نهر عريض في أرض منبسطة. بلغت الصورة الأولى من المطولة "مأساة الحياة" ألفاً ومائتي بيت من الشعر، انتهت عند نازك في ستة أشهر عام ١٩٤٦م. كان موضوع هذه المطولة فلسفياً يدور حول الحياة والموت وما وراءهما من أسرار ورموز. وقد أفردت جزءاً من هذه القصيدة لبث شكواها من صروف الدهر حيال المآسي التي خلفتها الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م ودعوتها إلى الأمن والسلام ونددت في هذا الجزء من المطولة بتجارب الحروب وقتلة البشر. وفي نفس الجزء انتقلت إلى الحديث عن السعادة، وعما إذا كان لها وجود في هذه الدنيا قائلة: "بحثت عن السعادة لدى الأغنياء، لعلني ألقاها في قصورهم، وحياتهم المترفة الناعمة فلم أجد، لأن الغني لا يستطيع أن يدفع وحشة القبر والأكفان بأمواله".^(٣) ف قالت نازك الملائكة عن رحلتها إلى عالم الأغنياء بحثاً عن السعادة:

سرتُ بين القصور وحدي طويلاً	أسأل العابرين أين الطروب؟
فإذا فتنة القصور سـتـارٌ	خادع خلقه الأسى والشحوبُ
لم أجد في القصور إلا قلوباً	حائراتٍ وعالماً محزوناً
ليس إلا قوم يضيّقون بالأبـ	ام ضيق الجوع والبائسينا
ليس ينجيهم الغنى من يد الأشـ	جان ليست تنجيهم الكبرياءُ

ليس يعفو الممات عنهم فهم حُرْ
كم وراء القصور مُقَلِّ تَبْ—
نَّ وصمت وحيرة وكباء
كي وتشكو قساوة المقدور
رَ بكوخ على ضفاف الغدير
كم قلوبٍ تودُّ أن تبدّل القص—

انبهرت هذه الشاعرة إلى حدٍّ ما بالقصائد الطويلة، ذات المساحة التصويرية الواسعة التي وجدت فيها متنسعاً رحباً لإفراغ شحنات النفس من الألم والحزن والتشاؤم. وجدت أنّ حالتها النفسية ونظرتها إلى الحياة، هي الموضوع والمادة الجاهزة لهذه المطوّلة. فكانت مطوّلة "مأساة الحياة" و "أغنية للإنسان" هي باكورة إبداع الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة التي تعتبر افتتاحية حياتها الشعرية المنظمة.

نازك الملائكة وإبداعاتها في الشعر: بدأت الشاعرة نازك الملائكة حياتها الشعرية في بداية الأربعينيات. لم تنظم الشعر ولكنها كانت تكثر من قراءة الأدب. وكانت أول قصيدة كتبتها هي قصيدة "عاشقة الليل" عام ١٩٤٥م التي اتخذتها عنواناً لمجموعتها الشعرية "عاشقة الليل" ويذكر آخرون أنّ أول قصيدة كتبتها نازك هي "الكوليرا" عام ١٩٤٥م.^(٤) تطلّعت نازك الملائكة إلى الحادثة منذ أن كتبت الشعر نثراً. ثم أدركت أنّ الحياة المرّة هذه تحتاج إلى من يحلّل جزئيات حال الإنسان فيها على مدى اليوم، ويبحث عن السعادة ويصل إليها بكل السبل والوسائل. فكانت القصيدة عندها مفتاح الولوج لهذا العالم الشاسع من المأساة الذي تضيق فيه آفاق الشاعر بين شطري القصيدة القديمة وتنفجر روحه الثائرة في حشدي الصدر والعجز قبل الوصول إلى القافية. فانطلقت الشاعرة نازك من سعة الأفكار التي تعجّ في عقلها وضميرها لكي تؤسس لنقطة نوعية في مسيرة الشعر العربي دون الإخلال بقواعد اللغة الشعرية الأصيلة. وحين صدرت مجموعتها الشعرية الثانية "شظايا ورماد" عام ١٩٤٩م انطلقت معها وبها توجّهات نازك الملائكة نحو عالم الحادثة الذي دعت إليه الشاعرة الكبيرة عبر تبنيها لحركة الشعر الحرّ ودعوة تحرير القصيدة من قيود الوزن والقافية. درست الشاعرة نازك الشعر العربي بمختلف عصوره، ولم تبتعد عنه ولكنها وبسبب تأثرها بأفكار شوبنهاور والتشاؤمية وانغماسها فيها في نظرتها للحياة، أحسّت بثقل قيد القصيدة القديمة في التعبير عن هذه الحياة المأساوية والخروج من ضيقها الذي تتكسر همومها في الصدر وعدم سعتها لرسم الصورة المناسبة للمأساة. فاعتبرت أنّ الشعر العربي لم يقف بعد على قدميه، وأنه لم يتحرر بعد من أسر القواعد التي وضعها الأسلاف في الجاهلية وصدر الإسلام. فالقصيدة حتى نهاية الأربعينيات ظلت مقيدة بسلاسل الأوزان القديمة وقرقعة الألفاظ الميتة.

القافية عند نازك الملائكة: إنّ القافية من وجهة نظر الشاعرة نازك تضيف على القصيدة لوناً من ألوان الرنابة يملئه المتلقي لأنّ أذنه تتعوّد على ضرباته وموسيقاه فلا تحسّ بالجديد وأنها خنفت أحاسيساً كثيرة وأعدمت معاني لا حصر لها في دواخل شعراء التزموا بها. وبضوء هذا التشخيص الذي طرحته الراحلة في كتابها "قضايا الشعر المعاصر". فإنّ الشعراء المعاصرين تمسّكوا بهذا الرأي وخرجوا على القافية واستخدموا نظام الرباعية وأشباهها الذي أصبح اليوم أمراً مقبولاً لا يولد اعتراضاً على القصيدة الحديثة. ومثال ذلك قصيدتي "الكوليرا" و "غرباء" اللتين استخدمت فيهما الشاعرة نظام المقطوعة. نأخذ هذا المقطع من قصيدتها "الكوليرا":

سكن الليل

إصغ إلى وقع صدى الأثا
في عمق الظلمة،

تحت الصمت على الأمواج
صرخات تعلو تضطرب

حزن يتدفق يلتهب

يتعثر في صدى الاهات

الصورة الشعرية في هذا البيت "كامل التفعيلة" هي صورة معتمدة عند نازك الملائكة جنى عليها نطاق الشطرين جنائية كبيرة. ما الذي جرى إذن، لقد تم إلصاق كلمة ظلام من أجل إكمال تفعيلات المتقارب، ثم تحويل في النص الثاني وهو "وأدركت ما هي، أي فراغ ثقيل" فأصبح "وأدركتها كالفراغ الثقيل" وبذلك ضيقت الشاعرة على مساحة رؤاها داخل ثماني تفعيلات مما جعل الصورة الشعرية عندها تنكمش. هذا الأسلوب الجديد، هو أرضية الحادثة في الشعر العربي الذي دعت إليه الشاعرة نازك الملائكة وهو ليس خروجاً على بحور الخليل بل هو تعديل اقتضاءً لتطوير المعاني والأساليب.

الحب في شعر نازك الملائكة: الحب من المضامين الرئيسية في شعر نازك كما يسود هذا الموضوع الشعر الإنساني منذ أقدم العصور. الحب عند نازك الملائكة عامل من العوامل التي تحجب الملكات الروحية للإنسان، وتضع حدوداً وعوائق. فكانت الشاعرة تعتبر نفسها كأنها تفوق كثيراً هذه الأمور التي تنعكس في رأيها سلباً على المزايا الروحية السامية للإنسان. وتوجد هذه الفكرة جلياً في العديد من قصائدها ولا سيما في قصيدتها "مدينة الحب" إذ تقول:

عد ، لم يزل قلبي نشيدا حالما

عد ، فالكأبة أغرقت بظلامها

عد، لا تدع نفسي يعذبها الأسى

عد، فالـحياة- إذا رجعت-

يشدو بحبك لحنه المفتون

روحي، فليلي أدمع وشجون

ويعض فيها خافق محزون

أشعة ومشاعر سحرية وفتون

التشاؤم في شعر نازك الملائكة: إن الشاعرة نازك الملائكة كانت تميل في مرحلتها الإبداعية المبكرة إلى الإلحاد حيث نازك قد واجهت في ربيع حياتها ظروفًا صعبة وتعترف الشاعرة بكل صراحة أن هناك إلحاداً في بعض مراحل حياتها افضى إلى الحزن والقلق والحيرة. إن التشاؤم في شعر نازك ليس إلا سمة وميزة للحركة الرومانسية. إن نازك ذات حساسية شديدة ومرهفة الحس. فهي تتأثر بالأحداث العامة البسيطة وتحمل عاطفة حساسة رقيقة. وفي قصيدتها "السفينة النائية" تقول إن الحياة في نظرها مثل بحر عميق لا يوجد أي ملامح يهدها ومزقت الرياح شراعها وأقلعتها وأنها يئست من بلوغ شاطئ الحياة ولا تعرف طريق الرجوع لكنها تسير إلى عالم المجهول. وقد عبرت هذه الأفكار والمشاعر بأحسن تعبير. وفي قصيدة عنوانها "الفيضان" بكاء على مصير القرى البائسة التي غمرتها المياه، يرتفع صوت التشاؤم مردداً أن الحزن سنة الحياة. يعارضه صوت الأمل بنضوب الدموع وعودة الصفاء في حين يقف الشاعر مفتوناً بمشاهد الخراب ويرى في روعة الطبيعة وطغيان النهر مادة لشعره.^(٥) فهي تصور النهر عاشقاً يلف يديه حول أكتاف المدينة. فتقول:

ساكبا من شفثيه

قبلا طينة عزت مراعيانا الحزينة

ذلك العاشق، أنا قد عرفناه قديما

أنه لا ينتهي من زحفه حول ربانا

وله نحن بنينا، وله شدنا قرانا

أنه زائرنا المألوف، مازال كريما

كل عام ينزل الوادي ويأتي للقانا

ثم تقول:

إنه الآن إله

أو لم تغسل مبانينا عليه قدميها

أنه يعلو ويلقي كنزه بين يديها

أنه يمنحنا الطين وموتا لا نراه

من لنا الآن سواه؟^(٦)

ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة: سيطرت نغمة الحزن على الشعر العربي المعاصر حيث صار الحزن عاملا رئيسيا في معظم ما يكتبه الشعراء المعاصرون. فقد كان الشاعر القديم ينظر وجها واحدا في وقت واحد. فإذا رأى الوجه المطرب طرب وإذا رأى الوجه المحزن حزن. أما الشاعر المعاصر فقد اتسع أفق رؤيته وتلونت الحياة أمامه بألوان مختلفة. فإنه يرى الجانب الناصح للحياة والجانب القاتم في وقت واحد.^(٧) وقد وصفت الشاعرة نفسها الحزينة في مقالة لها: "الشعر في حياتي"

فقالَت عن حزنِها: أما أسباب الحزن الذي يغلف "عاشقة الليل" فهي متعددة. وأحدها ضيقي بفكرة الموت الذي ينتهي إليه البشر كلهم. وكنت لا أطيق ذلك مطلقاً وارفضه رفضاً كلياً. والسبب الثاني لأحزاني ضيقي بالاستعمار البريطاني وكرهي للحكومة العراقية التي يمثلها نوري السعيد وعبد الإله. والسبب الثالث لأحزاني هو موضع المرأة في المجتمع العربي وفقدانها للثقافة والحرية. والسبب الرابع لكآبتي هو عذابي واحتقاري للجنس والزواج اعتقادي بأن الحب يندس روح الإنسان لما وراءه من حسية وهي فكرة تتجلى في قصيدتي "مدينة الحب" في "عاشقة الليل"^(٨) تقول:

أعبر عما تحس حياتي	وأرسم إحساس روعي الغريب
فأبكي إذا صدمتني السنين	بخنجرها الأبدى الرهيب
وأضحك مما قضاه الزمان	على الهيكل الآدمي العجيب
وأغضب حين يداس الشعور	ويسخر من فوران اللهب ^(٩)

فكرة الموت في شعر نازك الملائكة: شغلت قضية الموت تفكير الإنسان منذ القدم. حاول الفلاسفة والمفكرون أن يصلوا إلى حقيقته فذهبت الفلسفة الوجودية أن الموت تصالح الروح مع ذاتها. كانت الشاعرة نازك الملائكة دائماً تفكر في الموت وفلسفته. إن نازك كانت تنظر إلى الموت على أنه كارثة، وهكذا فإنّ الشاعرة الكبيرة التي تلفقها الموت بعد مسيرة طويلة من العمر، قد قالت: "وذلك هو الشعور الذي رافقتني من أقصى أقاصي صباي إلى سن متأخرة".

وإذا تأملنا آراءها وشعرها فيبدو لنا أن مشكلة الموت هي إحدى المشكلات التي قادت الشاعرة إلى فكرة العدم في ريعان شبابها وهي التي دفعتها بنظم مطولتها: "مأساة الحياة" التي توضح تشاؤماً مطلقاً لديها وشعورها الحاد بالظلم والعدم مبعثه الخوف من الموت.

هكذا الموت غالب أبد الده	ر ونحن الصرعى عن الضعاف الحيارى
وله النصر والفخر علينا	فاندبوا مادعوتموه انتصاراً ^(١٠)

وتغلب على ديوانها فكرة الموت وما يرتبط بها من أحاسيس الخوف والتشاؤم والكآبة. ويبدو أن الشاعرة استوحت موضوع الموت ليس من واقعها الاجتماعي والنفسي وإنما من قراءتها في الشعر الرومانسي ومن قناعتها بوجود علاقة وثيقة بين الشعر والموت. ولقد تجسد الموت أمام عينيها بشكله الواقعي المعروف. فمأساة الإنسان لا بد أن تنتهي بالموت.^(١١)

قضية المرأة في شعر نازك الملائكة: كان القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو الزمن الذي ذاقت فيه المرأة العربية مرارة الحياة وواجهت مشاكلها الاجتماعية مواجهة صعبة. فقد كانت محجبة لا يؤذن لها بالخروج من البيت إلا في ساعات النهار. بدأت الدعوة إلى تعليم المرأة في مصر والشام منذ أواخر القرن الماضي بل أسست بعض المدارس للبنات. وكانت المرأة العراقية أكثر تخلفاً من المرأة المصرية. وفي هذه الفترة من التاريخ. ظهر عدد كبير من المثقفين الذين تأثروا بالحضارة الغربية وثقافتها. فدعا البعض إلى إنصاف المرأة العربية ودعم حقوقها المسلوقة في التعليم والعمل والمشاركة الاجتماعية. بدأت النهضة النسائية الحديثة في العالم العربي خطواتها الأولى في أواخر عهد إسماعيل حيث فتح باب التعليم أمام المرأة المصرية فارتقت المرأة العربية في صعودها إلى طريق التقدم الحضاري والتحرر الفكري. ولا غرو في أن العلم هو النور الهادي يؤدي الإنسان إلى السعادة والحرية والكمال. فالعلم هو طريق الوعي والاستنارة واليقظة لحقوق المرأة العربية والتعليم في حياة الإنسان فهو حجر أساسي لحياته المدنية والثقافية. تمتاز الشاعرة نازك الملائكة بفضل التقدم والمبادرة بين الشاعرات المعاصرات للقرن العشرين فيما يتعلق بالتساوي بين الجنسين والدعوة إلى تحرير المرأة العراقية والدفاع عن قضية المرأة وإعطاء حقوقها الكاملة في كل مجال من مجالات الحياة. وفي قصيدتها " الناشئة في الشارع" رسمت الشاعرة للفتاة صورة رهيبة تبعث في كل نفس ما تبعث من أسى وحزن. وهي تقول:

إحدى عشرة كانت حزنا لا ينطفئ	والطفلة جوع أزلي، تعب، ظمأ
ولمن تشكو؟ لا أحد ينصت أو يعني	البشرية لفظ لا يسكنه معنى
والناس قناع مصطنع اللون كذوب	خلف وداعته اختبأ الحقد المشوب
والمجتمع البشري صريع رؤى وكؤوس والرحمة تبقى لفظاً يقرأ في القاموس	ونيام في الشارع يبقون بلا مأوى
لا حمى تشفع عند الناس ولا شكوى	هذا الظلم المتوحش باسم المدنية،
باسم الإحساس، فوا خجل الإنسانية ^(١٢)	

وفي هذه القصيدة عبرت نازك الملائكة عن حالة المرأة الاجتماعية بأسلوب يمتاز بالجمالية الفنية وقوة التعبير ووضوح الصورة الشعرية مما يدل على أن للشاعرة قدرة على التعبير الشعري وعلى التوافق والالتحام بين الألفاظ والمعاني.

النزعة الوطنية في شعر نازك الملائكة: شهدت بداية العشرين الاضطهاد الاستعماري والغزو البريطاني على صعيد الوطن العربي بالجملة ولم يكن العراق والشعب العراقي من المستثنيات. وكان من الطبيعي أن تتأثر الشاعرة نازك الملائكة

بالأحداث الهامة الوطنية وفي مقدمتها قضية فلسطين ومشاكل الشعب الفلسطيني الذي كان يعاني من التشرد والحرمان. وفي هذه الفترة من الزمن تصاعدت في العالم العربي حركة التحرير الوطني ضد الاستعمار البريطاني هادفة إلى تحقيق الحرية وتخليص الأمة العربية من براثن الاستعمار بكل أنواعها وأشكالها. وكان العراق أيضا يمر بحركة شعبية بتمرد والثورة على الوضع السياسي حيث شنت طبقة من المثقفين حملتها الواسعة ضد النزاع الاستعماري. أثارت هذه الأحداث والحركات عاطفة الشاعرة من قلبها. لقد كان حب الوطن عند نازك الملائكة فطريا وإن كان نصيبه من شعرها في بداية الأمر قليلا. يتواصل التدفق العاطفي لدى نازك ويتطور مفهوم الحب. فيتمازج حب البشر بحب الوطن ليتربع حب الوطن على عرش قلبها وشعرها. أخذت نازك الملائكة تنظم القصائد الوطنية الحماسية وتشير إلى هذه الفترة قائلة: "وكننت أتفجر حماسة لتلك الثورة ونظمت حولها القصائد المتحمسة التي لم أنشر منها أي شيء ، فسرعان ما انتصر الحكم البولييسي في العراق ودخل عبد الإله على دبابات الجيش البريطاني ونصبت المشانق للأحرار، ولم يعد في العراق من يستطيع التنفس، ولكننا أنا وأمي استمررنا ننظم القصائد الثائرة سرا، نطويها في دفاترنا الحزينة." (١٣)

تقول نازك الملائكة القومية هي الحياة. بذلك تسبغ أن نعيش من دونها، ولأن المجتمعات لا تقوم على شيء غيرها. ونحن في ذلك شبیهون بالأشجار التي تبحث عن مصلحتها فتأخذ من الدفء والضوء والألوان ما يعينها على النمو والحياة، وكذلك تبحث الإنسانية فينا عن مصلحتها وضمان سعادتها فتجدها في الشعور القومي." (١٤)

ومن القصائد الوطنية قصيدتها "الصوص" وهي تعني بالصوص أولئك المستعمرين الذين يحتلون بعض البلدان العربية والذين ينهبون ثروات الأرض العربية. وقد ثبت أولئك اللصوص أقدامهم في أكثر الدول العربية ويسرقون مواردها الطبيعية. وفي هذه القصيدة تنبه الشاعرة الأمة العربية إلى ضرورة الحذر من أولئك اللصوص الذين ينتهزون هذه الفرص وينتحلون شتى الأسباب لدخول الوطن العربي تحت أي ستار. وليس هدفهم إلا امتصاص دماء العرب وسرقه مواردهم الطبيعية. وهي تقول:

انه الليل، كل الحدود غرقت في مدى غيبه
بدياجيه لف الوجود أيها العربي انتبه
رحبات المدى النائيات بخطى الأعداء
من وراء ضعاف الفرات والخليج إلى صنعاء
ولصوص هناك كثار كلهم جشع وخداع
اقبلوا من وراء البحار يسرقون طعام الجياع (١٥)

وفي إطار حسها القومي تعبر نازك الملائكة اهتماما بالغاً بقضايا العرب وهي قضية فلسطين. فالشاعرة تعتقد أن العرب لا تعني شيئاً بدون الاستقلال التام ولا يمكن تحقيق هذا الهدف النبيل إلا بالإدارة العربية والصمود القومي ضد الاستعمار. والجدير بالذكر أن صوت الشاعرة في شعرها الوطني كان بعيداً خلاف عاداتها عن الرمز والابهام.

النزعة الرمزية في شعر نازك الملائكة: ظهرت الرمزية كمذهب واع في النصف الأخير من القرن التاسع عشر فإنها كانت قائمة في متن الفنون منذ عهدها الأقدم وبخاصة في الصلوات والمزامير. افترضت الرومانسية على الواقع وحملتة ثقلها ونسبت إليها ما لا حقيقة له. وأما الرمزية فإنها احترمت الواقع الخارجي وأبقت له حقيقة الحسية الخارجية القاصرة وتأملت في باطنه واطلعت منه على حقائق هي الأعمق وليست حقائق وهمية مرتجلة. إن الاتجاه الرمزي شعر يتصل بخصائص النفس الإنسانية ويصعب للعقل الواعي إدراك حقائقه التفصيلية. وهو شعر امتاز بالموسيقى والجمال. فالرمزية بأشكالها المختلفة أعنت الأدب الرومانسي عموماً إذ يميل الرومانسيون إلى استخدام الإشارة في اللغة وتجسيد الصور المستوحاة من عالم الأحلام. تحولت نازك الملائكة من شاعرة رومانسية إلى شاعرة رمزية وانتقلت من التعبير المباشر عن التجربة إلى التعبير الرمزي، والتعبير الرمزي لا ينضج من الناحية الفنية إلا في "قرارة الموجه". والواقع أن الرمزية عند نازك الملائكة مرتبطة بالرومانسية. فالرموز تتيح لها تحقيق الذات والتعبير بشكل غير المباشر عن تيرمها بمعطيات الحياة التي تعيشها. استلهمت الشاعرة كثيراً من الرموز والحكايات الأسطورية في شعرها. ولم تكن نازك شاعرة رمزية بالمعنى الذي دعا إليه رواد المذهب الرمزي وإنما هي شاعرة رومانسية استخدمت الرمز للتعبير عن مكوناتها الداخلية. فالرمزية التي امتاز بها شعر نازك ليست من ذلك النوع المغرق في الإبهام أو في التعمية والالغاز.^(١٦) وهي تقول:

على قمة من جبال الشمال كساها
وغلفها افق مخملي وجود مغبر
وترسو الفراشات عند ذراها لتفضي المساء
وعند ينابيعها تستحم نجوم السماء
هنالك كان يعيش غلام بعيد الخيال
إذا جاع يأكل ضوء النجوم ولون الجبال
ويشرب عطر الصنوبر والياسمين الخضل
ويملاً أفكاره من شذى الزنبق المنفعل
وكان غلاماً غريب الرؤى غامض الذكريات

وكان يطارد عطر الربى وصدى الأغنيات
وكانت خلاصة أحلامه أن يصيد القمر
ويودعه قفصا من ندى وشذى زهر

هذه القصيدة رمزية في بنائها ومشحونة بالأجواء والصور الرومانسية لأنها تتحدث عن طفل يسرق القمر ليزرعه في بيته، والقمر والطفولة رمزان شاخصان من رموز الشعر الرومانسي.

النزعة الرومانسية في شعر نازك الملائكة: إن النزعة الرومانسية بدأت تلتبس طريقها في العصر الحديث عن طريق شعراء "الديوان" المعروفين بنزعتهم الوجدانية وثورتهم ضد عمود الشعر. ازدهرت الرومانسية عند شعراء المهجر و شعراء أبولو. وكان في طبيعة هؤلاء الشعراء على محمود طه و إبراهيم ناجي وصالح جودت وجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي والياس أبو شبكة وفدوى طوقان وغيرهم. ومن خصائص الشعر الرومانسي هي الهروب من قسوة الحياة وصخب المدينة إلى أحضان الطبيعة. تأثرت نازك بالمدرسة الرومانسية. ولا شك في أن الرومانسية نازك طبيعية بصفتها امرأة شرقية عربية عراقية، مثقفة مفرطة الحساسية. وبالإضافة إلى ذلك قرأت نازك شعر إيليا أبو ماضي و ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران ونسيب عريضة ورشيد أيوب فأعجبت بهم إعجابا كثيرا وتأثرت بشعرهم. فالشاعرة نازك الملائكة حاولت لثم الطبيعة بلمسات شعرية كما تقول: أحب الطبيعة ، أحب النخيل، أحب الجبال. وقد ظهر حبها للطبيعة في كثير من قصائدها ولكن هذا الحب لم يتجسد في وصف الطبيعة بجذائل نخيلها أو شموخ جبالها وإنما باللجوء إلى الطبيعة^(١٧) إن نازك الملائكة هي شاعرة رومانسية. تعبر عن وحدتها وعن قلقها النفسي العميق في ليل هذه الوحدة المظلمة البهيمية تعبيرا رائعا للغاية. وهي تقول: إن طريقها في الحياة مملوءة بالمجهول الذي لا تعرف سره وتعبير عن ثورتها علة وحدتها في هذا الجو المملوء بأعمق المشاعر بالغربة والوحشة. وهي تقول:

ارجع فالليل تثير مخاوفه قلقي وأنا وحدي والنجم بعيدا في الأفق
يخدعني أمل في فجر لم ينبثق وصبابة دمع باردة لم تحترق

وتقول:

دربي حاولت صدق أن ارفع أستاره
أنكرت الدرب كأن لم اعرف أحجاره
تصخب في عتمته أشباح ثرثرة
يوما بالأمس ولم استكشف أسرار^(١٨)

وفي العديد من قصائدها كانت الشاعرة تبحث عن المجهول وتقر من الواقع. وهذا لا يعني أن شعرها كان ملجأها إلى الرومانسية بل هو التفكير إلى العالم الداخلي للنفس الإنسانية بكل ما يحمل من أحزان وأفراح. ومن خلال هذه النزعة الرومانسية تمكنت

الشاعرة أن تصوغ أحلامها الدفينة. شاعت النزعة الرومانسية في شعرها استجابة لحركات التجديد في الشعر العربي الحديث. وهي تقول:

النزعة الإنسانية في شعر نازك الملائكة: إن مصطلح النزعة الإنسانية قد وضعه "الإنسانيون" في عصر النهضة الأوروبية في القرن الرابع عشر. ومنذ ذلك الوقت ما زال هذا المصطلح ينطوي على معان عديدة ومدلولات مختلفة. ولا يخلو أدبنا العربي الحديث من هذه النزعة الإنسانية. ففي قصائد حافظ إبراهيم التي شن فيها الحملة على الاستعمار البريطاني وتغنى بمصر، وغنى حقوقها نزعة إنسانية مشتقة من العاطفة الإنسانية الأصلية، عاطفة القومية وحب الاستقلال القومي وكذلك قصائد خليل مطران لا تخلو من نزعة إنسانية. ونجد لمسات قوية وحارة في شعر أحمد شوقي وسواء من بقية شعرائنا المعاصرين. إن قصص المنفلوطي تصور تصويراً رائعاً لأحزان الطبقات البائسة للمجتمع وهذا أيضاً لون من النزعة الإنسانية. وعندما سئلت الشاعرة نازك الملائكة عن النزعة الإنسانية فأجابت بطرح سؤال وهو: ما هو المقصود بالنزعة الإنسانية قبل كل شيء؟ أو ليس الأدب كله محصولاً إنسانياً يعالج أحاسيس الإنسان وأفكاره وانفعالاته وأحداث حياته؟ وهل كان محض صدفة أن الأوربيين يطلقون لفظ "الإنسانيات" على الأدب إجمالاً تمييزاً لها عن الدراسات العلمية؟ هذه الأسئلة يتغافل السؤال عنها حين يتضمن معناه العام أن الإنسانية نزعة صغيرة تقوى وتضعف ونستطيع نحن التدخل في تقويتها وإضعافها. إن الأدب ينبع مباشرة من حياتنا الإنسانية. فإذا أردنا علاجاً وضعف النزعة الإنسانية لا بد أن يكون نتيجة لضعف مقابل في إنسانية الناس.^(١٩) إن الأدب الإنساني يولد من صميم الحياة وظروفها ومشاكلها والمفهوم بالنزعة الإنسانية في الأدب هو أن يتناول الأديب والشاعر موضوعات لها صلة بمشاكل الحياة وآلامها وأحزانها بما يؤكد على ضرورة إزالة مظاهر المعاناة البشرية ويناشد المجتمع لإقامة العدل الاجتماعي والحق بما يضمن الخير للمجتمع. عالجت نازك الملائكة موضوعات اجتماعية في قصائد عديدة. والجدير بالذكر أن الشاعرة معجبة بالأدب المهجري حيث تتجلى فيه النزعة الإنسانية بكل وضوح وصراحة. قد تأثرت الشاعرة أيضاً بالشعر الوجداني خاصة بقائد توماس غري و وردزورث وشيلي وبايرون. فقصيدتها "مرثية في مقبرة ريفية" تعد مفتاحاً لفهم الحزن الدائم والألم المتدفق والمشاعر الثائرة والعطف على الإنسانية.^(٢٠) وكذلك نجد في قصيدتها "مرثية غريق" لوحة إنسانية رسمتها ريشة نازك الملائكة بألوان تفجرت من نفسها الحساسة وموهبتها الرفيعة. فكان المساء يقترب ويخيم والضياء يخبو والقطيع يعود ولم يبق سوى موج النهر يدوي ويروي أسرار الحياة في هذا الجو

الذي يبعث في النفس الطمأنينة والهدوء وترثي فيها غريقا رأته وطفا تائها تحت دجى الليل الحزين". تطلب الشاعرة من رياح الليل أن تهدأ ولا تقلق جسمه. وتزهر إنسانية الشاعرة، وتتسع شكواها مما يحيق بالإنسان من مأس و آلام وتنتهي إليه صورة قائمة تعبر عن مصير الإنسان فكل شيء مصيره إلى الزوال والفناء ولا أمل للإنسان في هذا الوجود. فالنزعة الإنسانية النزعة السائدة في شعرها. وهي تقول:

أه يا شاعرتي، هذا غريق فاحزني للجسد البالي الممزق
راقداً، تحت الدياجي، لا يفيق والسنا من حوله جفن مؤرق
يا رياح الليل رفقا بالرفات واهدأي، لا تقلقي جسم الغريق
حسبه ما مزقت أيدي الحياة فليكن منك له قلب صديق^(٢١)

ملخص البحث: إن دراسة شعر نازك الملائكة تدفعنا إلى التفكير بأن الشاعرة تبحث عن عوالم بعيدة مع أنها تعيش بين أهلها وفي بلدها. فكانت تعيش في عالم خاص بها ينهض على اليأس والألم وحده والغربة والعيش مع ذكريات الماضي. نلاحظ في ديوانها الأول "عاشقة الليل" التمرد الحزين بإطار من الرومانسية المحضة. وهي محافظة بذلك على الأشكال القديمة معتمدة على الشعر الحر. انتقلت من التعبير المباشر إلى التعبير الرمزي يوحي الحالة النفسية إحياء رمزيا. يتصف شعرها بالحساسية الزائدة وبالألم الحاد. ففي شعرها نجد الحزن والألم فكانها في مآتم دائم ولم يتطور الحزن عندها إلى أشكال فنية مبدعة، كان تخلع إحساسها بالألم على الآخرين فتصور بؤسهم ومشكلات حياتهم ومآسِيهم الكثيرة. ترك الحزن أثرا بعيدا في قلبها. فإن بواعث الكآبة التي تتجلى في شعرها ليست في الحرمان ولا في الحب الضائع ولا في فكرة الموت وإنما الحزن الذي نشأ في الحياة والموت من جهة والتأمل في الأحوال الإنسانية من جهة ثانية ثم انتقلت هذه التأملات إلى صعيد الحس فتركت في قلبها جروحا لا تندمل. فتحت الشاعرة عيونها إلى الآفاق الوسيعة الإنسانية. وكانت شديدة الحساسية إزاء تموجات العالم الفكرية بصورة عامة. وهذا التألم والحزن كان الباعث على تشاؤم الشاعرة إذ أن المها ليس ألما ذاتيا أو شخصا بل كان الما للإنسانية. نازك الملائكة شاعرة تحس بالآلام الإنسان وتشعر بما حولها من ظلم وجور. وهي تشهد مآسي الحروب وانطلاقة الأقطار العربية وثورتها على الظلم والاستعمار. آلت الشاعرة على نفسها أن تبكي على شجن العالم، وليس أمامها غير البكاء. وهي الشاعرة الحساسة والرقيقة التي لا تملك من وسائل تغيير أوضاع الإنسانية إلا الشعر. اتصلت نازك في شعرها بالحياة وعالجت قضايا الإنسانية ودافعت عن الطبقات

المحرومة في المجتمع. لقد تجلت النزعة الإنسانية في شعر نازك الملائكة منذ عهد مبكر. تظهر هذه النزعة الإنسانية في ديوانها الأول، ولو أن دواوينها الأخيرة تتسم بالنزعة القومية والوطنية ولكنها تنطلق من روح الإنسان الذي يحب لغيره وما يحب لنفسه. فالشاعرة في حبها للوطن ودعوتها إلى الوحدة العربية والثورة على الاستعمار والصهيونية دائماً تدعو إلى النزعة الإنسانية لأن القومية الحقّة والوطنية الصادقة تستهدف الحياة الحرة الكريمة. وكانت الحرب أول مظهر من مظاهر نزعتها الإنسانية. وكانت لنازك رسالة تدفعها إلى السمو بالإنسانية إلى أرفع مكان بحيث لا يكون لها هدف سوى الحرية والعدل كما تؤمن نازك الملائكة بالتقدم والإنسانية والحب والسلام.

الهوامش:

- ١- فرحانة صديقي: نازك الملائكة وأثارها الأدبية والشعرية، ص، ٤٢
- ٢- نفس المصدر، ص، ٢١
- ٣- عبد الرضا علي: نازك الملائكة - دراسات ومختارات، ص، ٢٨ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٥٧م
- ٤- نازك الملائكة: الشعر في حياتي: مجلة العربية للثقافة، مارس ١٩٨٣م ص ١٨٩
- ٥- قصيدة: خائفة من ديوان: "قرارة الموجة" ص، ٣٩٨
- ٦- نفس المصدر، ص، ٣٥٧
- ٧- د. شرارة: صفحات من حياة نازك الملائكة، ص: ١٢٣
- ٨- ديوان عاشقة الليل، ج، ١، ص، ٤٩
- ٩- قصيدة أنشودة السلام، ديوان مأساة الحياة ج ١، ص، ٥٤
- ١٠- ديوان مأساة الحياة ج ١، ص، ٤٥
- ١١- روز غريب: نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص: ١٤٠
- ١٢- قصيدة "نائمة في الشارع" ديوان قرارة الموجة، ص
- ١٣- فرحانة صديقي: نازك الملائكة وأثارها الأدبية والشعرية ص ١٨٤
- ١٤- نقد الفكر القومي: الياس مرقص دار الطليعة، بيروت عن نازك الملائكة الموجة القلقة لمجد أحمد السامرائي، ص ٧١
- ١٥- قصيدة: نغمات مرتعشة: عاشقة الليل: ص ٥٣٠
- ١٦- سلمان إبراهيم: تأثير المذهب الرومانسي في شعر نازك الملائكة، مجلة الأقلام ص ٦٥: ١٩٨١ العدد، ٣٤
- ١٧- أحمد مطلوب: الإنسانية في شعر نازك، مجلة الأقلام ص ٣٧، ع، ٥،
- ١٨- قصيدة: خائفة من ديوان: "قرارة الموجة" ص، ٣٩٨
- ١٩- أحمد مطلوب: الإنسانية في شعر نازك، مجلة الأقلام ص ٣٧، ع، ٥، ١٩٦٠
- ٢٠- سلمان حسن إبراهيم: تأثير المذهب الرومانسي في شعر نازك الملائكة مجلة الأقلام ص ٣٧
- ٢١ - قصيدة مراثية غريب: عاشقة الليل، ص ٥٠٧ ج، ١ سنة ١٩٤٥

السياسات اللغوية وأثرها في التنمية البشرية

The Linguistic Policies and Their Impact on Human Development

م.م. عذاب مطير الخزعلي

Athab muteir AL-Khazali

جامعة كربلاء - كلية التربية - قسم اللغة العربية

University of Karbala – Faculty of Education

Department of Arabic language

ملخص

يغلبُ على هذه الدراسة بعدان أساسيان هما (تنمية اللُّغة) و (لغة التنمية) ؛ لأننا لا يمكنُ أنْ نتصورَ تحقيقَ التنميةِ البشريةِ الشاملةِ دون اللجوءِ إلى التنميةِ اللغويةِ الشاملةِ. ومن ضمن مباحث و إجراءاتِ التنميةِ اللغويةِ التطرقُ للسياساتِ اللغويةِ ، والتخطيطِ اللغويِّ اللذين تنضوي تحتهما التدابيرُ اللازمةُ لعلاجِ التعددِ اللغويِّ وترشيدهِ الازدواجيةِ اللغويةِ، واختيارِ اللُّغةِ الملائمةِ للتربيةِ ، والتعليمِ والاعلامِ داخل الوطنِ حتى تكون هذه اللُّغةُ أداةً مثلى ورئيسةً لإنتاجِ المعرفةِ وترويجها ، ووسيلةً للتنميةِ وأداتها ، ولا سيما في عالم (مجتمع المعرفة)، ولا تنظرُ هذه الدراسةُ إلى تنميةِ اللُّغةِ العربيةِ بوصفها عمليةً لفظيةً خالصةً ، وإنما تنظرُ إليها بوصفها جزءاً رئيسياً وأساسياً من التنميةِ البشريةِ الشاملةِ ، الهادفةِ إلى توسيعِ مداركِ الإنسانِ ، ومعارفه ، وقدراته ، وترقيةِ صحتهِ ؛ ليعيشَ عمراً مديداً طيباً ، مع زيادةِ دخله لتحسينِ ظروفِ عيشه وحياته عامة .

Abstract

Dominated by this study are essential dimensions (language) and development (development) language; for we can not imagine achieving comprehensive human development without resorting to comprehensive linguistic development. Among Detectives and linguistic development procedures linguistic policies addressed, linguistic and planning who fall below them necessary for the treatment of multilingualism and the rationalization of bilingualism measures, and the selection of appropriate education language, education and the media within the home so that language be an optimal tool and president of knowledge production and promotion, and a means for development and its tool, especially in a world (knowledge society), this study does not look at the development of the Arabic language as a purely verbal process, but look at it as part of Prime basisOf overall human development, aiming to expand human perceptions , and knowledge , and abilities, and upgrade health ; to live a good long life , with the increase in income to improve living conditions and public life .

المقدمة

لاشك لناظر في أحوال الأمم المتطورة ذات الخطوات العملاقة على مختلف المستويات، ومن أبرز تلك المستويات إفادة هذه الأمم من آخر ما توصل اليه البحث اللساني فقد أدخلوا الدراسات اللسانية ولاسيما اللسانيات الاجتماعية منها في أغلب أهدافهم التنموية ، إذ أشار علماء الأنثروبولوجي ، وعلماء اللسانيات الى أنّ اللسانيات بسبب توجهها العلمي ستصبح جسراً تعبره كل العلوم الانسانية الأخرى . وهذا البحث محاولة متواضعة لتحفيز الدارسين على مختلف اختصاصاتهم لربط اللغة العربية التي فطرنا الله عليها ، ونشأنا على قرع أجراسها، ربطها مع توجهات التنمية البشرية، ولاسيما إذا علمنا أن العلماء يصنفون دول العالم على صنفين ، الصنف الأول الدول ذات التنمية البشرية العالية ، والصنف الثاني الدول ذات التنمية البشرية المتدنية، ومعيّارهم في ذلك هو أنّ المجموعة الأولى هي الدول التي تدرس العلوم بلغتها القومية، والثانية هي الدول التي لا تدرس العلوم بلغاتها القومية . وقد جاء البحث على

ثلاثة مطالب مع تفرعاتها ، مسبقة بمقدمة ، وملحقة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج مشفوعة بالمصادر والمراجع وهوامش البحث .

المطلب الأول : السياسات اللغوية (نظرة تعريفية) .

أولاً : وصف مصطلح (السياسة اللغوية) :

مصطلح ، مركب ، وصفي ، بسيط ، وهو وصفي ؛ لأنه غير اضافي نحو : " علم السياسة " وهو بسيط ؛ لأنه غير موسع نحو " علم السياسة اللغوية " وهو يقابل في الإنجليزية بـ "language policy"^(١). وبما أن السياسة في أصل التداول العربي تدرس حول معاني الرعاية، والمصلحة، والارشاد في العاجل والآجل ، فهذا يعني أن السياسة اللغوية من منظور عربي خالص هي رعاية، وحفظ شؤون، ومستقبل الناس، بوساطة تدبير وحفظ لغتهم التي فطروا عليها، ويتم هذا عن طريق التعامل الرسمي الحكومي المنظم^(٢).

ثانياً : السياسة اللغوية عند الدارسين العرب :

ذكر الدكتور (أسعد عباس كاظم) إن السياسة اللغوية تعني "تدخل الإنسان في الأوضاع اللغوية، وترتبط هذه السياسة ارتباطاً مباشراً بالدولة، إذ إنها تمثل الإطار القانوني الذي يهدف إلى ضبط منزلة لغة ما في دولة من الدول"^(٣).

وما تؤشره الدراسة على هذا التعريف أنه لم يتطرق إلى ضبط المتن بل ركز على ضبط المنزلة فقط .

ورأى الدكتور (خليفة ابو بكر الاسود) أن السياسة اللغوية هي : "تدخل السياسيين والزعماء ، وقادة الحركات القومية و كافة المهتمين بالأمور اللغوية، في التأثير على استعمالات الآخرين للغة المتداولة في المجتمع ، وفي تحديد الوظائف التي تؤديها تلك اللغة ، بما يخدم غاياتهم و أهدافهم السياسية"^(٤). ويظهر أن هذا التعريف ينطلق من ايديولوجية معينة ، كما أنه فتح الباب على مصراعيه للتدخل في الشؤون اللغوية ، في حين نرى أن التعريفات الأخرى حصرت هذا الشأن بيد الدولة وهو الفعل السليم .

وعدّ الدكتور (سعد بن هادي القحطاني) السياسة اللغوية مكوناً رئيساً من عملية التخطيط اللغوي ، وأنها جملة القرارات المتخذة التي تهدف إلى اصلاح الوضع اللغوي المراد اصلاحه^(٥). على أن تتضمن الشروط الاتية :

١- أن تكون واضحة ومحددة .

بمعنى أنها تخضع إلى كيفية متفق عليها بين المختصين ، ولابدّ من ان تبني على تحديد اللّغة المستعملة فعلياً، تحديداً دقيقاً بحيث يمكن بوساطته معرفة السمات اللّغوية السائدة، والمفردات الأكثر تداولاً والنظم الاجتماعية الأكثر تأثيراً في اللّغة^(٦).

٢- أن تكون شاملة .

أي عند وضع السّياسة اللّغوية ، لابدّ من أن تشمل كل القضايا المؤثرة في اللّغة ، كالتغيرات الاجتماعية ، والتمازج السكاني ، والاستقرار السياسي^(٧).

٣- تنفيذ السّياسة اللّغوية .

يتطلب هذا الأمر وجود مؤسسة أو لجنة عليا مختصة تقف خلف هذا المجهود المهم ، وكذلك يتطلب تنفيذ ، ومتابعة رقابية ، وتنسيق مع كل الاجهزة ذات العلاقة.

٤- التقويم المستمر

على أن يتم التقويم في كل مراحل السّياسة اللّغوية من أجل متابعة المستجدات ومواكبتها ، وتلافي السلبيات ويشمل النقاط الثلاث أعلاه^(٨).

وربط الدكتور (عبد السلام المسدي) "بين دعم مكانة اللّغة العربية ، وبين السّياسة اللّغوية والتخطيط اللّغوي ، وهو يرى أن السّياسة اللّغوية تدخل الدولة الارادي والواعي ، عبر التشريعات والقوانين ، والإجراءات لضبط مكانة لغة من اللغات"^(٩).

ويعرف الدكتور (علي القاسمي) السياسة اللغوية بأنها : " نشاط تضطلع به الدولة ، وتنتج عنه خطة تصادق عليها مجالسها التشريعية ، ويتم بموجبها ترتيب المشهد اللساني في البلاد ، خاصة اختيار (اللّغة الرسمية) و يُنص على السّياسة اللّغوية للدولة في دستورها أو قوانينها ، أو انظمتها. و أحياناً لا توجد نصوص قانونية متعلقة بالسّياسة اللّغوية ، فنُسَنَّف تلك السّياسة من الممارسات الفعلية "^(١٠).

وهذا التعريف أقرب إلى التخطيط اللّغوي من السّياسة اللّغوية ، كما أن مفردة (نشاط) تشير دلاليّاً إلى الأمر المستحب دون الواجب ، و يفضل استعمال مفردة (تدابير أو تدخل) أو أنها (تعامل رسمي) وغير ذلك. ومن الواضح أن التخطيط

اللغوي مرحلة متقدمة على السياسة اللغوية فالعاقِل يخطط ثم يقرر، و يعمل ، ويمكن لنا ببساطة إيضاح الفارق بين السياسة اللغوية ، و التخطيط اللغوي ، بالترتيب الاتي: لتكن (١) الوضع السوسiolساني الأولي المراد اصلاحه بعد التحليل و الدراسة ، وليكن (٢) الوضع الذي نروم بلوغه ، إن تحديد الاختلافات بين (١) و (٢) يمثل حقل تدخل السياسة اللغوية، و إن مشكلة معرفة كيفية الانتقال من (١) إلى (٢) هي مجال التخطيط اللغوي ^(١١) ويبدو أنَّ الدكتور علي القاسمي لا يرى فرقاً بين السياسة اللغوية ، و التخطيط اللغوي بدليل قوله: " تعرف السياسة اللغوية (التي تسمى أحياناً بالتخطيط اللغوي" ^(١٢) وهو أمر يحتاج إلى بيان الفرق بينهما – كما فعلنا - باعتبار أن السياسة اللغوية تمثل تدخل الدولة ،ومصادقة السلطة التشريعية فهو شأن سياسي، لا فنيّ بخلاف التخطيط اللغوي الذي يغلب عليه الجانب الفني ، والعلمي التخصصي وينسب إلى المختصين من علماء اللسانيات الاجتماعية وغيرهم على ما فصلّ في مضانه .

ويرى الباحث (المصطفى تاج الدين) أن مصطلح "السياسة اللغوية يشير إلى التعامل الرسمي لأجهزة الدولة مع اللغة ، أو اللغات المستعملة داخل كيان سياسي معين يتمثل بالدولة" ^(١٣) .

في حين يحدّد الدكتور (نعمة دهش) السياسة اللغوية بقوله : "ونقصد بـ(السياسة اللغوية): تلك التدابير التي يُتخذها بلدٌ من البلدان إزاء لغته، وتخضع السياسة اللغوية لبلدٍ ما للتخطيط، أو الخطط المرسومة من فعالياتٍ متعدّدة من أبناء هذا البلد، ومن الناطقين بهذه اللغة المخطّط لها" ^(١٤). والتعريف يحتوي على جمل مكررة هي (بلدٌ من البلدان) و(لبلدٍ ما) والتكرار في تعريف موجز يعدّ خلاً .

وكان الأجدر صياغته بصورة أخرى هي : " السياسة اللغوية هي التدابير التي يتخذها سياسيو البلد ازاء الوضع اللغوي المراد تحقيقه، بالاستناد إلى آراء وإجراءات المخططين اللغويين " لأنّ التعريف الأول لم يحدد المسؤول عن السياسة اللغوية بل جعله عامة فضفاضة وخاطب فيه البلد دون قائد أو مسؤولي البلد الذين بيدهم زمام المبادرة ومن ثم قوله (ازاء لغته) تعبير تعوزه الدقة ،ولعلّ اختيار مصطلح (الوضع اللغوي) بدلا عن قوله (ازاء لغته) أصح ؛ لأنّ اللغة كما يجمع اللسانيون في كل بلدان العالم ، تعيش وضع التعدّد اللغوي ،ولذا احتيج إلى السياسة و التخطيط بغية تحديد اللغة الوطنية المشتركة واللغة الاجنبية الرديفة المعترف بها .

ويقترح تعريف الدكتور (هيثم سرحان) للسياسة اللغوية لما تناولته الدراسة حول السياسات اللغوية وأثرها في التنمية البشرية حيث يرى أنها " جملة البصائر والتدابير، التي توظف اللغة في خلق مناخات التقدم، والتنمية، والديمقراطية " (١٥) فالبصائر جمع بصيرة ، وهي تطلق على قوة القلب المدركة في قبالة البصر المادي ويجمع على أبصار (١٦)، وهو تعبير دقيق، وواع، عن أهمية السياسة اللغوية بوصفها بصائر تنير درب المجتمع وتنميته وتقدمه ، وهذا يقودنا إلى ادراك أن السياسات اللغوية هي ارادة الدولة بمختلف قطاعاتها في توظيف اللغة ، و جعلها أداة أساسية في بناء الوطن، وتنمية أهله ، وتنفيذ برامج الاصلاح الشاملة حتى تكون السياسة اللغوية ارادة الدولة في وضع برامج اللغة،ضمن نظرية اجتماعية عامة .

ثالثاً : السياسة اللغوية عند الغرب :

ذهب (ألجين) إلى أنّ السياسة اللغوية تعني المواقف الرسمية التي تتخذها الحكومات تجاه استعمال اللغة ورعايتها ، سواء كانت هذه المواقف مدعومة بالفعل كإقرار القوانين أو تمويل البرامج ، أم كانت مدعومة بالقوة وذلك عن طريق الخطب و المقالات و التوصيات و القرارات المنمقة على الورق فقط (١٧).

ولم يذكر (برتيل مالبرج) مصطلح السياسة اللغوية نصاً وإنما عبر عنه بمصطلح (جلوسو بوليتك) ، (Glosopolitica) وكان يقصد به مجموعة الإجراءات التي تتخذها السلطات بهدف تنظيم وترتيب استعمال ونشر الصيغ اللغوية المرغوب فيها على أن تكون هذه الإجراءات تحت مظلة النظام التشريعي أو الاستشاري. وعدّ مالبرج كل أنواع التدخل من جانب السلطة الرسمية في سلوك المواطنين اللغوي يدخل ضمن السياسة اللغوية للبلد (١٨) . وتنقسم السياسة اللغوية عنده على قسمين هما :

١- الحفاظ على لغة المستعمر (ولاسيما الإنجليزية والفرنسية) بوصفها لغة جيدة للإدارة والقيادة ، والثقافة، والتعليم ، والتنمية .. الخ مع الحفاظ على مكانة خجولة للغة الاصلية .

٢- اختيار لغة البلاد مع تطويرها بوساطة التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية بما يجعلها تؤدي وظيفتها التنموية ، والتطويرية في كل الأنشطة الموجودة على أرض الواقع وتحل محل لغة المستعمر.

وقد وقع (مالبرج) في مغالطة واضحة ؛ لأنه علق بعد ذلك على القسم الأول وعدّ احلال لغة المستعمر محل لغة المواطنين الاصليين ، أداة فاعلة في التنمية المجتمعية ،

والعجيب أنه يقول : " ... والفائدة المحصلة من وراء الخيار الأول تكمن في أنه بهذه الصورة يصبح من الممكن الحصول على لغة وطنية تتوافق فعلا مع مختلف المتطلبات السياسية والادارية والفكرية ... ويتم الحفاظ أيضاً على العلاقات المهمة مع المجتمع الدولي ... وتسهل العلاقات مع دول أخرى أوربية وأمريكية " (١٩) ؛ فلا أدري كيف للمجتمع أن يحصل على لغة وطنية وهي لغة دخيلة بكل تفاصيلها نحوها ، وصرفها ، ودلالاتها ، وأساليبها !! ومن ثم عاد ما لبرج ليغالط نفسه مرة أخرى ليقول: "... الضرر الأساسي فيكم في أن هذه اللّغة [اي لغة المستعمر] الصعبة المنال بالنسبة لعامة الناس تحافظ على تقسيم السكان إلى طبقتين اجتماعيتين وثقافيتين" (٢٠)

ويحق لنا التساؤل مرة أخرى هل أن الأهم للمجتمع والشعب الانفتاح على العالم والعلاقات الدولية أو الوحدة الوطنية ، والانسجام المجتمعي ؟! وكيف يتسنى لمجتمع منقسم على نفسه طبقات ، وثقافات أن يتواصل مع العالم هل يتواصل بوساطة الثقافة الأولى أم الثانية ؟! وهل يتواصل بلغته هو ، أم لغة المستعمر ؟! ومن ثم يذكر (مالبرج) أن غالبية المتخصصين يصرحون أنّ التحدث بلغة البلاد (اللّغة الاصلية) أقرب إلى الوسط الاجتماعي والحياة وتجارب ، وأحاسيس الشعب ، وهي لغة مثالية قابلة للتطوير حتى تكفي متطلبات المجتمع الحديث ، وهو ما وضعت هذه الدراسة من أجله من أنّ السّياسة اللّغوية الوطنية تقوم بتنمية وتحديث أبناء المجتمع بوساطة لغتهم الوطنية المشتركة ليس إلا (٢١) وقد قال (فيخته) : " إن اللّغة التي ترافق المرء وتحركه حتى أعماق أغوار تفكيره وإرادته ، هي التي تجعل من الناطقين بها مجتمعاً متماسكاً يديره عقل واحد " (٢٢).

وصبغها (بباز اتيان لا بوت) بصبغة قانونية معبراً عنها بالاطار القانوني والتهئية اللّغوية لمجموع الاعمال التي تهدف إلى ضبط وضمان منزلة لغة ما ، أو عدّة لغات (٢٣) والأمر القانوني أو الإشارة إليه في قضايا السّياسات اللّغوية أمر مهم وهي إشارة لطيفة نافعة .

ونذكر (جوليت غار مادي) لائحة طويلة حول التخطيط اللّغوي دون التطرق إلى تعريف السّياسة اللّغوية ، الا بالعوارض والإشارات، مشيراً إلى أن السّياسة اللسانية كما يسميها لم تحظ الا بتعريفات نادرة ، وإن الحكومات السياسية -حسب ادعائه- لم تتدخل تدخلاً فعالاً في الماضي وإن التكاثر المعاصر للمساائل اللّغوية الطارئة والملحة استطاع ان يجبر السّياسة اللّغوية على التجسد غالباً في تخطيطات حقيقية (٢٤) وكلام

(جولييت) لا يخلو من التباس لأنّ السّياسة اللّغوية موجودة بوجود المجتمعات وقيام الدول^(٢٥) بل توجد نصوص تعود إلى الحضارة السومرية تؤكد وجود الاستشارات والتدخلات اللّغوية من جهة السلطة السياسية^(٢٦) وإن كان تعريفه للسياسة والتخطيط تعريفاً يربطها بالتنمية البشرية ؛ إذ يقول معرفاً السّياسة اللّغوية " هي جعل معجمية لغة ما متوافقة مع النمو الاقتصادي ، الاجتماعي ، التقني ، أو الثقافي لبلد ما " ^(٢٧).

ويرى (جيمس أ . طوليفسن) أن السّياسة اللّغوية آلية لموضعة اللّغة في البنية الاجتماعية بشكل يجعل اللّغة تحدد من ستفتح في وجهه ابواب السلطة السياسية والثروات الاقتصادية وهذا التصور يعني بوضوح أنّ هناك علاقة وأثراً طبيعياً بين التنمية المجتمعية والسّياسة اللّغوية^(٢٨).

وربطت (روبير ستودنسون) في كتابها (اللغات والتنمية) السّياسة اللّغوية بالتنمية عندما عدّتها سياسة مسؤولة عن توفير اجابات لحلول مشاكل البلدان السائرة في طريق النمو ، و لاسيما المشاكل اللّغوية للبلدان التي فرغت من تصفية الاستعمار في العدّيد من الدول الافريقية والاسيوية^(٢٩) بوصفها سياسة مسؤولة عن توفير اجابات لحلول المشاكل التنموية عموماً و اللّغوية خصوصاً .

وعدّ (فلوريان كولماس) السّياسة اللّغوية مفهوماً يندرج تحت مفهوم التخطيط اللّغوي ؛ لأنّه مفهوم شامل للسياسة اللّغوية ، والسّياسة ، والاقتصاد وغيرها^(٣٠) وعدّ السّياسة اللّغوية طريقة لحل المشكلات التواصلية أو اللّغوية بهدف تشجيع أو اعاقا استعمال لغة خاصة أو مجموعة لغات من أجل الوصول إلى مجموعة من الأهداف اللّغوية التي منها (المعيرة اللّغوية) و(التحديث اللّغوي) مروراً بـ(احياء) و (صيانة) و(انتشار) (اللّغة) حتى الوصول إلى الغاية الرئيسة من هذه السّياسة إلا وهي الارتقاء باللّغة الوطنية إلى لغة التعليم والاعلام والحياة العامة ، وتظهر السّياسة اللّغوية للعيان لدولة ما بواسطة الخطابات ، والمواقف الاعلامية ورسائلها المختلفة عبر طبقة متغيرة من خطط البرامج المحددة كقراءة النشرة الاخبارية أو الإعلانات أو برامج الاطفال ، أو مفردات الصفحة الأولى من الصحف الرسمية وتحليل الصفحة برمتها ، أو القضية برمتها ، أو الأسبوع بكامله^(٣١) .

يعرفها لويس جان كالفي بقوله : " نحن نعتبر السّياسة اللّغوية هي : مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللّغة و الحياة الاجتماعية و وبالتحديد بين اللّغة ، و الحياة في الوطن " ^(٣٢) وان التخطيط اللّغوي هو البحث عن

الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية وعن وضع هذه الوسائل موضع التنفيذ^(٣٣) وعرفها في كتابه الاخر (السياسات اللغوية): بقوله : " وهي تحديد الاختيارات الكبرى في مجال العلاقات بين اللغات و المجتمع ، وتطبيقها ، أي ما يدعى بالتهيئة أو التخطيط اللغوي "^(٣٤) .

و التعريفان يشوبهما شيء من الابهام ، والغموض و عدم استيعابهما لكل معاني السياسة اللغوية ، و لعلّ الخلط بين السياسة اللغوية و التخطيط اللغوي يطفو فوق السطح بشكل يسهل اصطياده !

ولإيضاح هذا الأمر سوف تدرج الدراسة جدولاً مقارناً بين التعريفين :

التعريف الأول (حرب اللغات)	التعريف الثاني (السياسات اللغوية)
١- مجمل الخيارات الواعية .	١- تحديد اختيارات الكبرى .
٢- المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة و الحياة الاجتماعية وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن	٢- في مجال العلاقات بين اللغات و المجتمع
٣- ذكر التخطيط اللغوي بصورة مستقلة ومفصلة.	٣- وتطبيقها (ذكر التخطيط اللغوي ضمناً وفي كلمة واحدة).

ويمكن لنا تدوين جملة من الملاحظات على التعريفين أعلاه أهمها:

١- يشوب التعريف الثاني في كتابه (السياسات اللغوية) الذي صدر بعد كتابه (حرب اللغات) ومن المفترض أن تكون الفكرة أكثر نضوجاً ، لكن الأمر على العكس فعبارة الخيارات الواعية ، أقرب إلى الادراك الذهني من عبارة (الاختيارات الكبرى).

٢- عبارة (المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة ، و الحياة الاجتماعية و بالتحديد بين اللغة و الحياة في الوطن) أكثر دقة و أقرب إلى معنى السياسة اللغوية فإنّ التعريف الثاني جعل الأمر فضفاضاً عاماً وأقرب إلى الجانب الاجتماعي فقط في حين أنّ الأمر مزج بين الجانبين وهما السياسي والاجتماعي .

٣- ذكر التخطيط اللغوي ضمناً و بكلمة واحدة مقتضبة في التعريف الثاني ، في حين فصله في التعريف الأول و يبدو أن التعريف الثاني أدق في هذه الناحية لكونه أشار إلى التخطيط اللغوي بعبارة (وتطبيقها) " لأنّ العلاقة بين التخطيط

اللغوي و السياسة اللغوية هي علاقة تلازميه إذ لا يمكن أن تقوم سياسة لغوية من غير أن تسبق بتخطيط لغوي " (٣٥) .

٤- تبقى هناك اسئلة لا يجيب عنها التعريفان هي : من يتخذ قرار تنفيذ هذه الخيارات؟ ومن يفصل في قابليتها للتنفيذ من عدمه ؟ إذا كانت مؤسسة ما طبيعتها؟ و إذا كانوا أفرادا فما هويتهم ؟ وتبقى أسئلة مطروحة حول هوية مُعد هذا المشروع (الخيار)، ثم ما هي الأسس العلمية التي نحكم بها على مسودة المشروع بأنها أعدت بطريقة علمية ؟ وهو ما لا يجيب عنه التعريف أيضاً ولم يبين لنا التعريف طبيعة العلاقة بين ، اللغة واللغات من جهة وبين الحياة الاجتماعية من جهة أخرى، هل هي علاقة تعايش أم صراع و تنافس ؟ ، كما يبقى التعريف العلاقة بين اللغة و السياسة غامضة (٣٦) .

٥- و ما يؤكد ما ذكرناه من ملاحظات على التعريفين أعلاه أن (لويس جان) ينص في كتابه (حرب اللغات) على أنه استعمل مصطلحي السياسة اللغوية والتخطيط بطريقة مبهمة ومن المعلوم أن دور التعريف هو الكشف والبيان ، لا الغموض والابهام (٣٧) .

رابعاً : خلاصة الدراسة لتعريف السياسات اللغوية

مما تقدم يمكن لهذه الدراسة أن تضع تعريفاً خاصاً بالسياسة اللغوية فتقول :

إنّها الحصييلة النهائية لجهود المخططين اللغويين، المقيّمة و المقيّمة للمشهد اللساني، والمصادق عليها بوساطة السلطة التشريعية . يتم بموجبها تنظيم المشهد اللساني في البلاد ، وتطويره، وتنميته؛ بما يحقق أعلى مراتب التنمية البشرية ، وتلتزم الحكومة بتنفيذها على وفق جدول زمني محدد .

المطلب الثاني : نظرة نقدية لمنزلة اللغة العربية من وجهة نظر السياسة اللغوية .

يدعونا المشهد اللغوي في الوطن العربي إلى الكثير من التأمل والتبصّر كما أنه يتطلب النقد مع إعادة استثمار كل الجهود التي بُذلت في سبيل تطوير اللغة العربية وجعلها أداة فاعلة في الحياة العامة لا سيما دور المجامع العربية الذي ظل الكثير منه قابلاً في بطون الرُفوف، وفي ثنايا الكتب. إن ما صنّعه بعض الدراسات الأكاديمية في مجال البحث اللساني بصورة خاصة، وفي مجال البحث المرتبط باللغة في جوانبها السياسية، والتنموية، والاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية، والتربوية بصفة عامة يجب - وجوباً مؤكداً- أن لا تبقى هذه الأبحاث أبحاثاً عادية مُحطّة في الأبراج

الأكاديمية ، ورُفوف المكتبات بل لابد أن تُصبَّ هذه الجهود في خدمة اللغة العربية ومتكلميها وأن تسعى في تطويرها وتعزيز دورها باستعمالها وقوة تداولها^(٣٨). وكلُّ ما تقدّم لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع من دون اللجوء إلى سياسات لغوية واضحة تقوم على فحص ونقد المشهد العربي العام بالاعتماد على الوقائع والمستجدات ومتطلبات هذا العصر ومجتمع المعرفة ومواجهة التحديات. كما لا يمكن تحقيق النمو اللغوي الفاعل في تحقيق التنمية الشاملة إلا باعتبار أن اللغة العربية منظومة تصويرية وفكرية، متكاملة وقضية معرفية متكاملة تُبنى عليها ، وبها التصورات والنظريات الحديثة كلّها كما فعلت سابقاً و جعلها كذلك نسقاً ذهنياً تنطلق منه الرؤى و المواقف التنموية والمعرفية بصورة كلية مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة تعميم وتثبيت الوعي اللغوي الفصيح للفرد وترسيخ أهمية المسألة اللغوية في مُخيلته . مع ضرورة ربط اللغة العربية وقضاياها التداولية على وجه الخصوص بمسألة الهوية العربية بمُختلف أبعادها ، وامتداداتها ، وإفهام المجتمع العربي بمحورية اللغة في كل تنمية نشدها وثقافة ننتجها أو بقاء وجود مستقل و متميز و غير ترنو إليه العين العربية الغيورة ، وتطلّع إلى بوادر بزوغه .

أولاً : فوائد النقد البناء

يذكر الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه (تكوين العقل العربي) : " إنَّ نقد العقل جزءٌ أساسي ، وأوليّ من كلّ مشروع نهضة " ^(٣٩) وعليه فإنَّ من شأن نقد الأوضاع اللغوية العربية نقداً بناء أن يدفعنا إلى دراسة اللغة العربية بوصفها ممارسة تداولية آنية ، حقيقية وتفاعلية وبعبارة أخرى ان ننظر في اللغة وإلى اللغة و باللغة المتداولة بعضها أداة الإنتاج الفكري والثقافي المفضي إلى تحقيق التنمية الشاملة لملاءمة عصر (مجتمع المعرفة) كما عبّر عنه ولا يمكن أن نُصغّر اللغة العربية فنعتبرها نسقاً رمزياً للاستعمال اليومي فحسب، بل هي وسيطٌ فاعلٌ في إنتاج المعرفة. إذا ما أحسن استثمارها أو إنها هي فعلاً تجليات للمعرفة وأدواتها ؛ لأنَّ المعرفة تعتمد اعتماداً أساسياً على اللغة وخصوصاً إذا نظر بعين الاعتبار إلى المستجدات والمستحدثات التراكمية للتقنيات المعلوماتية والاتصالات.

وعليه أدخلت اللغة مُدخلًا جديدًا بفعل الذكاء البشري الذي اخترعها ،ومن ثمَّ طورها ليُدخلها مدخلًا جديدًا آخر؛ وهو اعتبارها -عالمياً-عنصراً اقتصادياً أساسياً ؛ لأنَّ هذا العصر يعتمد بالأساس على استثمار ثقافة المعرفة وتصديرها واستيرادها فقد أصبحت المعرفة البديل الشرعي للثورة الصناعية السابقة وأصبحت هذه المعرفة والتقنية

الحديثة والمتطورة جداً وبشكل متسارع ومتسابق ، غير مسبوق؛ صناعة في حد ذاتها ومفصلاً أساسياً من مفاصل الاقتصاد العالمي الجديد^(٤٠).

إنَّ تركيزَ هذه الدراسة على السياسة اللغوية من منظور تنموي (الأثرُ التنمويُّ للسياسة اللغوية) يُعدُّ بحثاً في وشائج العلاقة بين اللغة والإنسان وأصوله الفكرية كما أنه - في الوقت ذاته - يُعدُّ نقداً للأوضاع اللغوية والفكرية ووصفها كذلك؛ لأنَّ كلاً منظومة لغوية هي انعكاسٌ لمنظومة فكر المتكلمين بها، وثقافتهم وتصوراتهم الأساسية؛ لذلك تعدُّ المسألة اللغوية في هكذا تناول؛ مسألة أبستمولوجية^(٤١) في نظامها وآليات انتاجها ولذا قال (محمد عابد الجابري): "العربيُّ يحبُّ لغتَهُ لدرجة التقديس وهو يَعْتَبِرُهَا السلطة التي لها عليه تأثيرٌ ليس فقط على قوتها فقط بل على قوته أيضاً"^(٤٢). ومن الأمور التي تشغل بال المهتمين بهوموم العربية في عصرنا الراهن مدى قدرتها على تطوير الأدوات العلمية وتطويرها وتنميتها حتى تُستعملَ في تقنيات المعلومات والاتصالات وانخراطها في إنتاج المفاهيم و إعادة تدويرها وإعادة تدوير المفاهيم وأدوات المعرفة وخصوصاً اعتبارهم أنَّ أية لغة لا يمكن أن تكونَ فاعلة إلا إذا كانت متداولة عبر شبكة المعلومات العالمية^(٤٣) حيث تكمنُ - وبحسب الأدلة - المعاييرُ الهامة للتقدم العام و تقدم اللغات بشكل خاص. وما يثير الانتباه أنَّ (٨٤%) ما يتمُّ تداوله في هذه الشبكة العملاقة وعلى شاشات الحاسبة إنما يتم بالإنجليزية^(٤٤) و هذا الأمر أي ربط اللغة بالشبكة العالمية سيؤدي عملياً إلى زوالِ تدريجيٍّ للغات التي تعجزُ عن التطور والتماشي مع مستلزمات تقنية المعلومات وشبكاتها. وهذا هو التحدي الأهم الذي تواجهه اللغة العربية حالياً^(٤٥) ومن هنا يتضح أنَّ حركية اللغة العربية وحيويتها مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالسياسات اللغوية التي تدبرُ شؤونَ المسألة اللغوية العربية من الداخل والخارج ، بمعنى البحث عن التوازنات اللغوية الهادفة إلى جعل اللغة العربية في القلب (المركز) المدعّم باستثمار التعددية والازدواجية لنيل استثمار أمثل يؤسس للتنمية البشرية والأمن العام، والأمن اللغوي^(٤٦). ويجعل اللغة العربية لغة المعرفة والتكنولوجيا والتنمية^(٤٧).

ثانياً : تقومُ عملية النقد هذه على مسألتين أساسيتين هما :

الأولى : تعقيدات المشهد اللغوي العربي .

الثانية : طريقة وصف هذا المشهد وتحليله وكيفية التعامل معه على ضوء السياسات اللغوية .

أ :المسألة الأولى : تعقيدات المشهد اللغوي العربي .

وتقوم على ما يأتي:

١ - اللغة في حياتنا العامة، والخاصة.

واقع اللغة العربية في المحيط اللغوي العام و السائد في الوطن العربي من حيث الفصحى، واللهجات العربية واللغات الأجنبية لاسيما بعد الانفتاح الهائل والتقدم السريع في تكنولوجيا الاتصالات والمعرفة هو واقع معقد إلى حد بعيد، وهنا تطرح الدراسة سؤالين :

السؤال الأول:

ماهي حركية اللغة العربية وتفاعلها مع هذا الواقع الجديد ؟ الذي حققته العولمة الجديدة بقوة وهو يتضمن علناً، وأسرّاً ، قضية الانتصار للغة ما ،غالباً ما تكون (الإنجليزية) و تغليبها على العقل والاستعمال العربي وغير العربي ما ينعكس سلباً على الواقع العربي ولا سيما العراقي بوصفه الانطلاقة الأولى للشرق الأوسط الجديد^(٤٨) في ظلّ التقسيمات الجديدة الأمريكية في المنطقة^(٤٩) مما يُزعزع هذا الواقع أو يوجهه تجاه بوصلة المصالح الآنية أو المستقبلية لغير مصالح الشعوب العربية المغرر بها . ما ينعكس سلباً على مستقبل هذه اللغة ومُكَلِّمِها ومن ثم عرقلة كل أسباب التنمية، وتعطيل وسائلها مع تنمية وسائل التخلف الأخرى بقوة^(٥٠).

السؤال الثاني:

ماهي الاختلافات الناجمة عن معطيات ومضامين السؤال الأول حسب الدراسات اللسانية المنبثقة عن أوليات السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي ؟ وفي مقام الإجابة عن التساؤل الثاني نقول :إنه نتج عما تقدم أمرٌ اصْطُلِحَ عليه (أزمة اللغة العربية أو محنتها)على مستوى تخلف المناهج وجمود القواعد واستئصالها لدى عقول وتداول أهلها الاصليين ولاسيما الشباب منهم ، مما انعكس سلباً على الانتاج المعرفي بشكل ملموس لدى كتاباتها ونتاجات الطلبة الادبية منها ، و العلمية ، ابتداءً من المرحلة الابتدائية ومروراً بالمتوسطة ثم الإعدادية وانتهاءً بالجامعة وأخص بالذكر طلبة كليات اللغة العربية ، فالمسألة اللغوية التي تُسلط الضوء عليها هذه الدراسة ، وفي ظل إجراءات السياسة اللغوية وتخطيطها متسمة بضعف الاتقان وانعدام التماسك، وعدم الاستقرار والتوازن بين الرغبة في تعزيز الهوية العربية وضرورة الانفتاح مما انعكس سلباً على واقعنا اللغوي و التنموي اليومي دون أن تلعب اللغة (لغتنا العربية القيمة) دورها المهم كأداة رئيسة، لاكتساب المعارف الجديدة المتطورة ، والمهارات الحديثة وتوسيع الآفاق الفكرية للمتعلّم بأصنافه كافة، واقداره على التواصل الفعّال

والمتنامي والمطور للمحيط الاجتماعي ، والاقتصادي ، وغيرهما، ومن ثم استحالة أو انعدام تحقيق أي تنمية شاملة تضمن للمجتمعات العربية الكرامة والعيش الكريم . كما يلحظ هذا في أغلب البلدان العربية (٥١).

وبفعل السياسات اللغوية الخاطئة يلحظ المتتبع للشأن اللغوي العربي في الحياة العامة وعلى الممارسات اللغوية وتوظيف اللغة، وجود فوضى لغوية متمظهرة على شكل ازدواجية لغوية مقبنة، كما أن هذه الازدواجية لم تأت من فراغ بل هي أمر دُبر بليل!! بهدف اضعاف الفصحى عبر تبني سياسات لغوية تنشر العامية وإحلالها محل الفصحى سواء في التعليم أو الاعلام أو الثقافة وغيرها. وكذلك يظهر لنا بصورة أخرى وهي التعدد اللغوي غير الإيجابي فإنه تعدد لا يرقى إلى مستوى التعدد اللغوي المثري ؛ لأنه يُعيق عن الوصول إلى مرحلة الكفاية اللغوية المستقرة والمثالية ، والمؤدية إلى النمو المجتمعي الفعال(٥٢).

٢- التفاعل اللغوي : (تدافع اللغات أو احتكاكها).

يتلخص الكلام حول هذا المحور بواقع الازدواجية اللغوية التي : هي استخدام فرد أو جماعة مستويين لغويين مختلفين في بيئة لغوية واحدة أو التنافس بين لغة أدبية مكتوبة و لغة عامية شائعة في الاستعمال اللغوي(٥٣) فتكون الازدواجية بناء على هذا التعريف معرقة لتطور الفصحى أو قاتلة لها؛ لأنها خلط بين النوع العالي الرفيع، والدوني السفلي البسيط وهي خلط بين لغة التواصل المكتوب ، ولغة الادب، والعلم ، والقانون ، والاقتصاد ، والاعلام ، والسياسة، والإدارة، والثقافة في مستوى عالٍ ورفيع وأنيق ، ومنطقي من جهة وبين اللغة المستعملة في أمور عادية معتادة، مألوفة ترتبط بالحياة اليومية وتفصيلها الحسية البسيطة ، والمعاني الساذجة العامة المتعارف عليها ، والمبتذلة من جهة أخرى (٥٤) والصورة الأخرى لهذا الخلط على مستوى الأثر السلبي في الواقع التنموي هو خلط في الوظائف وتعطيل لها ، وتشويش على البيئة اللغوية وإخلال فضيع بتوازنها ، وهو أمر يعدّه المختصون من أكبر معرقات التنمية(٥٥).

إن للهجات المحلية وضائف ترتبط بأمور لا ترقى إلى تحقيق الانسجام الاجتماعي، والتنموي ، و التنقيف الوطني والتعامل المؤسسي والاستعمال الراقي والتداول القومي والتواصل الدولي وهي أدوار ترتبط باليومي ، والمحلي ، والذاتي ، الخصوصي ، العفوي وبالاندماج الضيق الجهوي أو الإقليمي(٥٦) وهو يرتبط بالترويج للتحويلات المدسوسة والزائفة التي تهاجم العربية ، مثل قدرتها على التعبير عن مضامين الحداثة وروح العصر .ويعدها (المغرضون) لغة غير علمية وإنها لا تستطيع أن تكون لغة العلم ، والتكنولوجيا، والاقتصاد والإدارة ، والتدبير، والقيادة،

والسياسة وهذا أمرٌ في الوقت نفسه إعلاءٌ لشأن اللغات المرجح أن تحل محلها وتأخذ دورها ^(٥٧) ويعد هذا التشكيك الممنهج باللغة العربية واحتقارها مدخلا مهما وواسعا إلى التشكيك في القرآن الكريم وفي الهوية من أجل القبول بسيادة لغة اجنبية أو نيابتها عن العربية.

٣- وسائل الحراك اللغوي العربي بهدف التنمية البشرية ، والتنمية اللغوية^(٥٨).

تتمثلُ وسائلُ الحراكِ اللغوي العربي في ما يأتي :

١. الإعلام (مطبوع ، مرئي ، مسموع، محوسب).
٢. الإدارة .
٣. التعليم (من رياض الأطفال إلى التعليم العالي).
٤. أنشطة ثقافية و اجتماعية (ورش التنمية البشرية).
٥. الخطابات الدينية المعتدلة .
٦. الأنترنت .
٧. وسائل الاتصالات الحديثة .
٨. التعاملات التجارية.
٩. مرافق الحياة العامة .

إيضاحات

من منا لا يستطيع تصور حراك الوسائل وفعاليتها التسع أعلاه من دون الاستعانة باللغة فالإعلام بأنواعه شتى لا يقوم الا باللغة ، ويجب أن تكون لغة الإدارة هي الفصحى في جميع مخاطباتها العامة والخاصة ، والدين لم يتم الا باللغة سواء على مستوى الإسلام متمثلاً بنزول القرآن متحدياً للعرب أو على مستوى خطب الرسول محمد(صل الله عليه و آله وسلم) التي غيرت مجرى التاريخ البشري نحو الأفضل أو كذلك أحاديث أهل البيت(عليهم السلام)وكلام الإمام علي(عليه السلام)إلى اليوم حيث تشهد تأثير الخطابات الدينية على أفعال الناس إمّا سلباً أو إيجاباً مما ينعكس على التداولات اليومية لهم. وكذلك التعليم الذي يَنْهَضُ وَيُنْهَضُ المجتمع بوساطة إيصال المعاني والمعلومات بالاستعانة بلغة المجتمع المراد تعليمه وليس فرض لغات هجينة أو غريبة عليه وإكمال نفسه وترقيتها بالنسبة إلى النشاطات الثقافية و الاجتماعية .

أمّا الأنترنت ووسائل الاتصال الحديثة فتتمثل الإفادة منها بالتداول اللغوي على مستوى المشافهة و الاستماع أو على مستوى المكاتبات المتبادلة بين مجتمع وسائل الاتصالات و برامجها المتطورة .

وتأتي التعاملات التجارية على رأس الهرم إذ إنها مظهر واضح من مظاهر الطموحات التنموية للشعوب المهتمة ببيان السلع والتجارات المختلفة كما أنها أي التجارة تعدّ اللبنة الأولى لوضع اللغة في العالم على وفق ما ذكره علماء الاجتماع أو علماء التاريخ واللسانيات الانثروبولوجية^(٥٩).

و كذا يجب أن تكون اللغة العربية الفصحى هي لغة اللافتات في الشوارع ، وأسماء المحلات التجارية ، لأنه يعزز المفردات اللغوية للمتكلمين ، وتراكيبها كذلك .

ويُلاحظ وجود دول ومنظمات وأنظمة عربية وغير عربية ، تدعم اللهجات العامية أو الأجنبية في البلدان العربية وراحت مناطق التداول العربي كالأسواق الكبيرة ودور التعليم والاعلام وغيرها ، تغرق بالمنشورات الورقية أو الرقمية المحفزة على تداول ونشر اللغات الأجنبية . وعلى رأسها الإنجليزية و الفرنسية على حساب سحب البساط من تحت اللغة العربية^(٦٠).

لقد كثُرَ الحديث في هذه السنوات الأخيرة عن (الخيبة اللغوية) و (الفجوة اللسانية) و(العدمية اللغوية) و(فقدان أو إنعدام الأمن اللغوي) و (الفقر اللغوي) و هي إشارات توقف السائرين في طريق تنمية اللغة العربية ، والبشرية حتى يبعد أي تأثير تنافسي لغوي سلبي في واقع العربية مستقبلاً و حاضراً^(٦١).

ولذا يتحتم على المهتمين بالشأن اللغوي العربي من مخططين و سياسيين وخبراء وعلماء وأسنين وغيرهم اتخاذ خطوات عملية ناضجة في طريق التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية من أجل وضع اللغة العربية المشتركة بين الشعوب العربية موضع التنفيذ .وقد ولى عصر انعقاد المؤتمرات والندوات التي لا تنفع في هذه الظروف ، فقد أصبح من الواضح بمكان وجود الازدواجية اللغوية العربية السلبية ، و كذلك تجاوز الأمر مسألة تفاعل اللغات وأصبحت اللغات الأجنبية ولا سيما (الإنجليزية) وسيلة للرفق العلمي والاجتماعي وشرط الرقي السياسي والاقتصادي وهي من ينطبق عليها لغة التنمية وليس غيرها^(٦٢).

المسألة الثانية: وصف وتفسير المشهد اللغوي العربي وكيفية التعامل معه على ضوء السياسات اللغوية.

تقوم عملية الوصف والتفسير على مستويين هما:

الأول: المستوى العام .

الثاني: المستوى الخاص .

• **المستوى العام ،** وهو ما يتحكم به وصف المتسييسين أو من يدعون أنهم صناع الواقع اللغوي المفيد . كما وتحاول احتكار الجو العام أوساط فكرية وثقافية، واجتماعية، واقتصادية. نخبوية ، وحزبية والتي بأجمعها تصدر الحقوق اللغوية وتعد نفسها مرجعاً في الإفتاء اللغوي وهي بذلك تضر اللغة ولا تسعى إلى انمائها أو تنمية المجتمع المتكلم بها^(٦٣).

• **المستوى الخاص :** ويتحكم بهذا المستوى الاكاديميون والمتعلمون فعلاً أو أصحاب الفكر المؤسساتي لا الشخصي الذين يتبعون الخطوات العلمية المدروسة في دراسة الواقع التداولي للغة حيث تقرر اجراءات التخطيط اللغوي أن تكون له كلمة الفصل في المسألة اللغوية خصوصاً على مستوى فض الصراعات اللغوية ومدى الإفادة من الخيارات اللغوية المطروحة ، ومدى جدوى تشريعات السياسة اللغوية وتخطيطها فأصحاب هذا المستوى لهم القدرة على القضاء على الفوضى اللغوية باعتبار أن اللغة مؤسسة مثلها مثل المؤسسات الأخرى التي يديرها هؤلاء المختصون الحريصون والتي تتوجب الرعاية و التنمية المستمرة لغرض تفعيل التنمية الشاملة . كما أنه لا يقل الأمن اللغوي عن الأمن العام الذي بلا شك يُعد الأمن المفصلي في تحقيق التنمية الشاملة فلا تنمية بلا أمن ، وما تجدر الإشارة إليه إن الخلط بين هذين المفهومين (الأمن العام ، والأمن اللغوي) يتوقف على الفهم الحقيقي للواقع اللغوي ومن ثم ينعكس على واقع السياسات اللغوية سلباً وكذلك يؤثر على عدم الفرز بين هذين المستويين في تطوير اللغة وتوظيفها في التنمية^(٦٤).

ثالثاً : المرتكزات الذاتية للغة العربية واثرها في التنمية .

ماهية المرتكزات .

هي تلك التراكمات و المؤهلات الذاتية للغة العربية من قبيل الحقائق المرتبطة بالعربية ، والخصائص المتصلة بها ، كاعتمادها لغة رسمية للكثير من الدول ، ولغة التراث الحضاري والإرث الإنساني الزاخر ، واداة ناقلة لتجارب حضارية متميزة ، كما أنها لغة الكثير من الشعوب و الأجناس والأعراق ، وهي اللغة المتداولة بوساطة ثلاثمائة مليون متكلم أو يزيدون^(٦٥). ويتداولها عدد كبير من الناس لأغراض حياتية، و اقتصادية ، و سياسية، و ثقافية . كما أنها لغة وسائل الإعلام بجميع أنواعها وهي أداة التدريس والتعليم والقضاء والاقتصاد؛ ولغة تراث علمي وفكري وأدبي

وحضاري لا ينشر منه الا القليل. والأهم من ذلك كله إنها لغة القرآن الكريم الذي ضمن لها الانتشار الواسع، وحفظ لها استمرارها وقوتها، وعطاءها، بصرفها ونحوها، ولغة أقوال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام). واللغة التي ترجمت بها افعاله واقواله التي انعكست على تنمية المسلمين في بداية الدعوة الإسلامية وبعدها، كما أن فهم الآيات الكريمة متوقف على التفاهم بالعربية. وهذه العوامل وغيرها تعد مصدراً قوة للغة العربية وعاملاً حاسماً في التنمية يعاضد العامل الديني، والاقتصادي والسياسي، والثقافي^(٦٦).

إن اللغة العربية هي أبرز ملامح الثقافة العربية وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بالهوية وهي اللغة الإنسانية التي صمدت سبعة عشر قرناً، وهي سجل أمين لحضارة امتنا في ازدهارها وغيره. وشاهدها على إبداع أبنائها وتنميتهم وهي القادرة على أن تفعل فعلها وتتولى كلمة الحسم من المسألة التنموية. هذا من جانب ومن جانب آخر يعد ما قرره العلماء في شأن اللغة العربية وخصوصاً ما تضمنه كتب فقه اللغة العربية وأصول الفقه من أبواب تمجيد اللغة ووصف اللغة العربية، و منزلة العربية، و شجاعة العربية، أدلة واضحة على قدرة العربية أن تتلقف من جديد الوفاء بمتطلبات عصر العولمة. الا أن ما تحتاج إليه العربية هو إعادة النظر في التنمية اللغوية والاستجابة للتقنية المعلوماتية؛ لأن اللغة العربية كسائر اللغات الطبيعية تشترك معها بعدد من الخصائص الصوتية والتركيبية والدلالية مع وجود خصوصية خاصة بها. واستثمار الجوانب الخاصة بها من المداخل المعجمية وشروح وتغيرات وتعليقات، لاسيما إذا ما أهتم بها اهتماماً لائقاً لمسايرة الطفرة التكنولوجية. وتمكن تنمية اللغة المؤدي إلى تنمية بشرية إلى عدم الفصل بين النظر التداولي والنظر العقلي بحيث يصبح الربط بين اللغة والتنمية والتطور الحضاري أمراً ضرورياً وسهلاً في الوقت نفسه؛ لأنه لا يمكن التعبير عن الأدوات والتقنية المتطورة، إلا بلغة مؤهلة و مخطط لها ومديرة تدبيراً جيداً، لها القابلية للتأقلم مع جميع المتغيرات الطارئة؛ لأن المجتمع يفرض إعادة النظر في طبيعة المعرفة وآليات إنتاجها وتواصلها في داخل المجتمع نفسه، ولا يمكن لأي لغة أن تجد لنفسها مكاناً في هذا العالم أو رواجاً أو استمراراً من دون الاهتمام و التخطيط والسياسية اللغوية. وسوف تبقى خارج ما يفرضه العصر الحديث من التقنيات المعلوماتية والتكنولوجية، وإن تدفق المعلومات والانفجار المعرفي الهائل أدى إلى قوة الإحساس بضرورة انتشار اللغة العربية الموحدة وتمكينها، وتداولها وضرورة العمل على تطوير أدواتها المختلفة، وتعزيز مكانتها؛ فلا تنمية دون انتاج المعرفة، ولا معرفة دون لغة موحدة^(٦٧).

وعليه يجدر بالمعنيين استثمار المؤهلات والمرتكزات الذاتية والموضوعية للغة العربية حتى تفعل التنمية البشرية في محيط من يهتم بهذه اللغة اهتماماً حقيقياً لا شكلياً؛ لأنّ اللغات تستمد وجودها الفعلي من المتحدثين بها الذين يعتقدون في أهميتها ويستعملونها للتعبير عن أفكارهم وآرائهم. أو بوزنها الاقتصادي أو بجاذبيتها المعرفية المرنة. أو بنفوذها العلمي والثقافي أو بسلطانها التاريخية.

إنّ النظام العالمي الجديد في كونه الثقافي لا بدّ له أن يتضمن مشروعاً لغوياً بلا شك وارتياح، فاللغة هي الحامل الأكبر للمنتج الثقافي وهي الجسر الأعظم الذي يُمخّر عباب السوق الإعلامي وهي السيف الأمضى في الاختراق النفسي وعليها مدار كل تسلسل أيديولوجي أو اندساس حضاري وهذا ما يجعل اللغة العربية في حراك مستمر ويضعها على محك حقيقي وضمن حوار خلاق فهل هي قادرة فعلاً على التفاعل والانفعال والفعل في التنمية أو لا؟^(٦٨).

فالطريق الناجع لإنماء اللغة العربية وتطوير طرائق أدائها في نقل المعرفة وتنميتها وإنتاجها، لتسهم في تفعيل التنمية البشرية الشاملة هو تنمية اللغة بواسطة إجراءات التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية ليس الا.

إنّ التنمية اللغوية هي الضمان للحماية الاجتماعية، والسلم الاجتماعي وهي الطريق السليم لنشر العمل التنموي وسبيلها الناجح هو (التخطيط اللغوي) و (السياسة اللغوية)؛ لأنه عندما يشعر المواطن العربي أنه في أمان ولغته في مأمن، وهويته في أمان، وحقوقه محفوظة؛ يشعر بحس الانتماء وقوته و الوعي بمسؤولية الواجبات فينخرط طوعاً في العمل التنموي ويساهم في إنتاج التنمية البشرية واللغوية.

كما أنّ للأبحاث اللسانية المتطورة دوراً أساسياً في تطوير استعمال العربية في الأنترنت فقد أصبحت هذه التقنيات نوعاً من المنعطفات الثقافية والتكنولوجية العامة وهي تشكل تحدياً يواجه مجموع اللغات الموجودة و الحل الوحيد لإيصال اللغة عموماً واللغة العربية خصوصاً إلى مصاف اللغات العالمية فعلاً لا شعاراً هو إتباع إجراءات التخطيط اللغوي أو السياسة اللغوية مع وجود دول في العلم قد تطورت فعلاً وحققت طفرات في مجال التنمية البشرية وغيرها بسبب اتخاذها سياسة لغوية تقوم على تفعيل اللغة الوطنية المشتركة^(٦٩).

ويُخطئ من يتصور أنّ قضية اللغة العربية من القضايا الهامشية أو الثانوية التي يواجهها المجتمع، أو أنها مجرد قضية مهمة من جملة قضايا المتعددة الأخرى، وقد يرى آخرون أنّ التعرض للقضايا الاقتصادية، أو السياسية، أو الاجتماعية البحتة أجدى نفعاً من القضية اللغوية، بل يعتقد أيضاً أنّ قضية اللغة ترفّ فكري ينبغي أن يترك للمتخصصين وعلماء الفقه اللغوي!!.

والحقيقة أنَّ اللُّغة قضيةٌ حيويةٌ تُعنى بشكل فاعل في تحديد الهوية العربية ، وتطوير ثقافتنا ، وتنميتها ، خصوصاً في القرن الحالي ، وأنَّ لها الأهمية الكبرى في حياة الإنسان وهي عنصر مؤثر في تطوير المجتمعات ، وتنميتها ، وتشكيل الوجدان الجماعي . وقد ظل الإنسان لمئات الآلاف من السنين أقرب إلى الحيوان نظراً لعدم تبلور أداة للتفاهم بينه وبين الآخرين من بني جنسه^(٧٠).

ولقد أكد علماء الانثروبولوجي العلاقة الوثيقة بين تطور اللُّغة، وتقدم المجتمعات البشرية ، مرتكزين على أساس متين هو أنه كلما استطاع الناس أن يتفاهموا فيما بينهم، كلما نجحوا في تطوير وتنمية حياتهم ، ومستوى معيشتهم^(٧١)، ووسيلة تفاهمهم المثلى ، أي اللُّغة، وقد ثبت العكس كذلك ، فإنه من الثابت لدى العلماء (على اختلاف اختصاصاتهم) إنَّ التخلف الفكري ، والإفلاس الحضاري، والتدني المعرفي ، يؤدي بالضرورة إلى اضمحلال اللُّغة، وشيوع اللهجات العامية المتدنية ذات الجناح التواصلية اليومي فقط.

رابعاً : إلى ماذا يؤدي التخلف اللغوي؟.

يؤدي اضمحلال اللغوي ، والتخلف اللغوي إلى إعاقه العقل عن اللحاق بركب النمو ، والتنمية الإنسانية المطلوبة، التي تعد غاية وجود العقل نفسه إذ لاخير في وجود عقل لا يؤدي إلى إيجاد التنمية أو التطور الحضاري .

كما يؤدي هذا التخلف اللغوي إلى تحجيم الإدراك والخيال الملازمين للتنمية، والتطوير، والتقدم، وإيجاد المجتمع المعرفي^(٧٢)، خصوصاً إذا عرفنا أنَّ تشجيع العاميات على حساب الفصحى المشتركة غايته تحجيم الإدراك ، والخيال بالدرجة الأولى .لأنَّ اللُّغة الفصحى المشتركة من شأنها إحداث النقالات المعرفية كما شهدت العربية المشتركة هذه النقالات في بداية دعوة الإسلام ، وكذلك في الدولة العباسية وما حصل أثناءها من استيعاب تام للإنتاج المعرفي الإنساني بوساطة الترجمة ، والتعريب الذي اتسع في الأرجاء على يد الخلفاء طيلة أيام حكمهم .

ولعل افتراضاً بسيطاً يُسجلُ هنا ليدل بوضوح عن مدى ارتباط اللُّغة بالتنمية البشرية ومضمون الافتراض هو :لو أننا فقدنا - فجأة- معرفتنا باللغة العربية فهل نستطيع قراءة القرآن الكريم، وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم سلام) والصحابة الكرام ، يعني باختصار سننقطع تماماً عن ديننا ، كما سنفقد الاتصال بتراثنا الأدبي ، والثقافي العظيم، وسننقطع عن جواهر نهج البلاغة ، ودرر البيان ، للجاحظ ، ومعلقاتنا العشر ، وأشعار المتنبي ، أو البحثري حتى الجواهري... إلخ، من الذي يربطنا بهكذا عظماء أليس اللُّغة؟.

وإننا لو لم نكن نعرف العربية لما استطعنا أن نفهم ما أبدعهُ عظمائنا ، ولصِرنا عاجزين عن الارتباط بماضيها ، هذا الانقطاع الذي يعد أكبر كارثة يمكن أن يواجهها شعب من الشعوب^(٧٣).

وتعد اللغة أداة التفاهم الأساسية بين أبناء البشرية ، وقد أثبت القرآن الكريم هذه الأهمية التنموية للغة حيث قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾^(٧٤). ولقد أخذت اللغة منذ فجر التاريخ دوراً محورياً في نسج الضمير الجماعي للمجتمعات أكثر من دور الأمراء ، والدول ، والنظم الاقتصادية ، فاللغة هي التي شكلت الفاعلين الحقيقيين في تاريخ العالم، الباقيين عبر العصور بوساطتها ظلت راية ثبات الهوية لتلك المجتمعات كرمز ثابت لا يزول^(٧٥).

ولا تعد القوة والهيمنة السبب الأوحد في السيطرة اللغوية، وخصوصاً في الإنجليزية الأمريكية في هذا القرن، فإن أهم ما ساعد هيمنة الإنجليزية اليوم السهولة الشديدة لهذه اللغة ، فقد اجتهد الأمريكيون بجعل لغة شكسبير لغة مبسطة ، ومفهومة ؛ وإذا بها تصبح أداة طيعة يستطيع أي طفل أن يتعلم قواعدها ، ويمتلك ناصيتها دون أن يعاني كما هو الحال في أطفال الوطن العربي^(٧٦). وترتبط قضية تعليم وتعلم قواعد اللغة بقضية التنمية البشرية أيما ارتباط ، وعلى سبيل المثال نرى كيف تدعم أمريكا وبريطانيا تعليم الأطفال للإنجليزية ، عبر الأنترنت ، أو الأقراص الحديثة المشوقة والمتطورة جداً ، وتعلم الصغار والكبار في الوقت نفسه ، والمناهج السهلة ؛ لأن سهولة قواعد اللغة ترتبط بالتنمية البشرية ، بدليل استجابتها لاحتياجات الإنسان في التعبير عن نفسه ، وأحواله ، وسائر أموره مما تجعل الفرد يُقبل على لغته ويتعلمها ، لكونها المنفذ الوحيد لسد رغباته ، ولا سيما إذا كان طفلاً صغيراً ، وهو الوقت الربيعي المناسب لرسوخ لغة الأم في ثنايا دماغه ومما يؤكد ذلك الارتباط (ارتباط سهولة القواعد اللغوية بالتنمية البشرية) عدم استغراقها أوقاتاً كثيرة في التعليم كما أنها لا تحتاج إلى جهد أكبر^(٧٧). والجدير بالذكر إن التطوير الفخم الذي أدخله الأمريكيون على الإنجليزية لا يؤدي إلى عجزها عن التعبير الأدبيّ البليغ - الحجة التي ينتشدها معارضو التطوير والتنمية في الوطن العربي اليوم- ، فقد أبدع بها كتاب أمريكيون عظام مثل (هيمنجواي، وجون شتاينبك، وآرثر ميلر ، وغيرهم) كما أنهم ارتفعوا باللغة وبالمعاني إلى مستويات راقية تتناسب والعصر الحديث ، وتتوافق مع الإنسان المعاصر. وسهولة قواعد اللغة يعود بالسرعة في الاتقان مما ينعكس إيجاباً على الوصول إلى المعرفة في أقصر الطرق^(٧٨).

لقد آن الأوان لإعادة النظر في مناهج اللغة العربية وقواعدها بدليل تشعبها ، وعدم اخضاعها لسياسات لغوية دقيقة إلى اليوم الا القليل منها ، وإنَّ جُلَّ الطلبة المتخرجين من المدارس والجامعات لا يجيدون القواعد النحوية في سطر واحد من حياتهم اليومية .

وعليه فتحتاج اللغة العربية منا إلى سياسة لغوية عربية ، تتسم بروح الانتفاضة التحديثية العاجلة . والا فإنها قد تتعرض إلى الابتلاء والابتلاع على حد تعبير الدكتور حافظ اسماعيلي علوي ، إلا أنَّ اللغة العربية في ظل قرن مجتمع المعرفة اليوم تواجه مجموعة من التحديات المتأتية من سياقات دولية معولمة ، فيا ترى ماذا أعدَّ العرب للغتهم ؟ وكيف سيواجهون تلك التحديات ؟ وهل سوف تبقى العربية لغة تعامل يومي فحسب ، وتتحول إلى لغة لا يعرفها سوى بعض العلماء والمختصين ويتعلمها الناس لقراءة القرآن الكريم فحسب^(٧٩)؟!.

ولو أمعنا النظر قليلاً لعرفنا أنَّ تطور اللغات الأوروبية وتطويرها ولا سيما الإنجليزية منها ارتبطت بصورة أو بأخرى بعصر النهضة ؛ إذ أخذ اختراع الطباعة وأجهزة الطبع في منتصف القرن الخامس عشر دوراً حاسماً في تطوير اللغات الأوروبية وهو أمر يشبه إلى حد كبير قضية اختراع الرموز والكتابة في بلاد الرافدين التي بفضلها حدثت النقالات الحضارية عبر الأجيال ، وعبر الآثار، وبسببها قسم التاريخ إلى قسمين رئيسيين الأول التراث ، والثاني عصر بزوغ الحضارات^(٨٠).

وتبقى قضية تطور اللغات وتنميتها شيئاً طبيعياً من أجل مجارة العصر ، لتتنقل بأمانة احتياجات الإنسان المعاصر، السائر بركب التنمية البشرية الذي يختلف عن احتياجات سابقه ممن عاشوا منذ مئات السنين، حتى على مستوى اللغة العربية فإننا لا نستعمل جميع الألفاظ التي قد استعملت في العصر الجاهلي ، وهذا جاء نصاً على لسان كبار العلماء اللغويين العرب محمد بن سلام الجمحي ت(١١٧ هـ) حيث قال : " سمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي اسحاق وعلمه ، قال : هو والنحو سواء ، وهو الغاية . قال : فأين علمه من علم الناس اليوم ؟ قال : لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه لضحك منه ..."^(٨١). وهذه دعوة صريحة في اللغة العربية نفسها لإحداث السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي ، السائر بروح الانتفاضة .

ولأنَّ اللغة في الواقع مرآة عاكسة لاحتياجات المجتمع التداولية (تفاهماً ، وتعاملاً) فلا يعقل أن تكون احتياجات المجتمع العربي في القرن الواحد والعشرين مماثلة لاحتياجات سكان البادية في القرن الخامس الميلادي قبل ظهور الإسلام^(٨٢) كما أنَّ اللغة هي المحدد الرئيس لأسلوب التفكير. ورؤية الفرد والمجتمع للعالم فهل يعقل إننا

نفكر اليوم مثل البدو في الجزيرة العربية في تلك الايام وإن رؤيتنا لا تختلف عن رؤيتهم؟!.

إذا كان ماتقدم صحيحاً ، لكان دليلاً على تخلفنا الشديد ، ومخالفة واضحة لسنة الحياة والخلق قال تعالى: (وقد خلقكم أطواراً) ^(٨٣) فالفكر يتطور ، ويرتقي و لغته تتطور كذلك إلى آفاق أرحب بالتوازي مع التقدم ، والتنمية البشرية الحاصلة في كثير من بلدان العالم اليوم . ولا يمكن لنا أن نقنع أنفسنا بهذا ؛ لأنّ اللغة مرآة أمينة لتطور وتنمية العقل وإنّ عدم إتخاذ البلدان العربية سياسة لغوية موحدة ، تقضي بمواكبة اللغة العربية قواعد ، و مناهج، ومعجماً . ومناهج محوسبة سوف يؤدي إلى منعطفات خطيرة في الواقع العربي التنموي ^(٨٤) .

وإن كان بعضهم يتحجج بالمحافظة على العربية بأن تبقى على ماهي عليه كيف ولدت، وإلى اليوم بحجة ، انها نزل بها القرآن الكريم فهذا مثال واضح على دس السم بالعسل ، لأنّ الحفاظ على اللغة العربية يحتم على الغيارى تطويرها ، لا جمودها المؤدي إلى عدم مواكبة عصر المعرفة . لا سيما في مجالي القواعد ،والمناهج ودليلنا على ذلك قوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ^(٨٥)، إذ يوضح الكثير من المفسرين إنّ الذكر في هذه الآية هو (القرآن الكريم) و إنّ الله سبحانه وتعالى لم يتعهد بحفظ اللغة العربية أو ضمان بقائها ،و إنما ضمن حفظ القرآن الكريم. وعليه فإنّ اللغة العربية ممكن أن تنحسر و يبقى الذكر الحكيم بشريعته ومثالنا على ذلك انقراض اللغة العربية في ايران بعد أن كانت لغة البلاد الرسمية و الثقافية فيها، وبقي القرآن الكريم في تلك البلاد . و كذلك في إسبانيا فقد انقرضت اللغة العربية هناك و بقي ثمة مسلمون يهتدون بالقرآن ^(٨٦).

لقد أثبتت التجارب أنّ النزعة إلى التوقع ، والخوف من التغيير تظهر و تستشري بالتوازي مع الانحسار الحضاري ؛لأنّ الحضارات القوية والواثقة من نفسها ، تكون عادة مستعدة لتقبل الفكر الوافد من الخارج ، ومناقشته ، والتعرف على مواطن الإفادة، والضرر الكامنة فيه. كما حدث في بدايات الحضارة الاسلامية إذ انفتح خطاب الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) على الجميع من الحضارات والأمم والديانات ، واستحدث ألفاظاً تلائم متطلبات تلك الحقبة التي عبر عنها بـ (الألفاظ الاسلامية) ^(٨٧) . لأنّ الكلام حول تحديث مناهج تدريس اللغة العربية ، وقواعدها الصرفية ، والنحوية كلام يعده بعضهم مخالفة للسلف الصالح ، ومخالفة للغة القرآنية وهي حجة أصبحت واهية إن لم تكن مدسوسة ، واتضح معالمها اليوم اكثر من أي زمن مضى وفي الزمن الماضي كان التطور البشري بطيئاً جداً ، أمّا اليوم فقد أصبحت ضرورة تطويع المنهج العربي للتطور السريع الهائل العملاق ولو

طبقتنا ذلك على السياسة اللغوية العربية ؛ لأدركنا أننا كم تأخرنا؟! ، و كم فوتنا من الفرص لإحداث ثورة لغوية تضع العربية في قمة لغات العالم رقياً ، وتطوراً ، وتنمية؟! ، وإنّ ما تقوم به المجامع العربية ولا سيما على مستوى وضع المصطلح العلمي هو تطبيق حيّ لببللة (برج بابل)^(٨٨).

إنّ اللّغة هي كائنٌ حيٌّ يحتاج على الدوام إلى تغذية ، وعمليات احلال، وتبديل كما يحتاج الإنسان إلى الغذاء ، وإلى تجديد خلايا جسده ولغتنا العربية أصبحت بحاجة ماسة إلى التغذية ، والتطوير المخطط حتى لانجد انفسنا في قطيعة مع تراثنا ، وعدم مواكبتنا لمتطلبات القرن الواحد والعشرين (قرن المعرفة والتنمية) ، لأنّ من يطالب **بتحنيط** اللّغة بالاستناد على سياسات متعجرفة ، فكأنه يطالب بتجويع هذا الكائن الحي بحجة الرشاقة لحد الفناء والموت ؛ لأنّ هذا التحنيط والبقاء على سياسات لغوية قديمة غير ملائمة لمتطلبات هذا العصر سوف يجعل اللّغة العربية لغة التداول اليومي فحسب دون ملائمتها لسنن التطور والتنمية الطبيعية^(٨٩).

خامساً : من فوائد السياسة اللغوية :

تعد اللغة العربية من أبرز مقومات الشخصية ، وهي أهم ما يربط الشعوب العربية في ما بينهم. ومع تسليم الجميع بأهمية اللّغة على مستوى الإنسانية فإنّ المجتمعات العربية تضع (لغة) الضاد في مكانة خاصة لا تطالها أي لغة أخرى ، ومنذ العصر الجاهلي أخذت دوراً رئيساً في حياة العرب ، وكان لها الدور الفاعل في تحديد العلاقات بين الناس و تحديد طبقات المجتمع شأنها في ذلك شأن النسب ، والحسب ، ووفرة المال . فلا يوجد شعب يعشق لغته ويحترمها مثل (الشعوب العربية) ، فالعربي الاصيل يطرب للغته بقدر طرب الموسيقى و يلخص فيليب افتتان العرب بلغتهم في كتابه (التاريخ و العرب) قائلاً : "وَقَلَّ أَنْ تجد بين أُمم الأرض شعباً كالعرب في شدة اعجابهم بالأدب و تأثرهم بالكلام الأنيق الذي يُلقى في مجالس المخاطبة . ولهم شغفٌ و هيام كبيران بجمال اللّغة العربية بما لم تتمتع به لغة أخرى من الاستيلاء على عقول الناس و السيطرة على أفئدتهم " ^(٩٠).

و تمر اللّغة العربية اليوم بمفترق طرق هو إمّا أن تُجدّد نفسها فتبقى دائماً لغة العرب المشتركة أو تتفوق على نفسها ، فتواجه بالفعل خطر الزوال لحساب اللهجات كما حصل للاتينية في القرون الوسطى الأوروبية ^(٩١).

و السبيل الوحيد إلى تجديد و تنمية اللّغة العربية لتبقى لغة العرب المشتركة اتباع سياسات لغوية عربية موحدة على مختلف المستويات ابتداءً من توحيد المصطلحات ، و تفعيل الترجمة ، و التعريب خصوصاً في التربية و التعليم من الالف إلى الياء ،

وفي وسائل الاعلام العربية لأحداث الوعي القومي العربي الموحد على مستوى اللّغة لأننا (العرب) اختلفنا في كل شيء في السياسة ، و الاقتصاد ، و طرائق التجارة ونتوحد في لغة القرآن الكريم . فإذا سحبنا البساط من تحت هذا الجانب فإننا سنهدم صرحنا هذا على رؤوسنا بأيدينا .

المطلب الثالث : اللّغة العربية المشتركة ، و أثرها في التنمية البشرية على وفق مسارات السياسات اللغوية.

أولاً :الدكتور ابراهيم أنيس واللّغة العربية المشتركة

يتحدث الدكتور ابراهيم أنيس عن اللغة المشتركة قائلاً : " أهم صفات اللّغة المشتركة إنّها اللّغة التي لا يستطيع السامع أن يحملها على المنطقة المحلية التي ينتمي اليها المتكلم أي أنّ اللغة المشتركة قد أصبح لها مع الزمن كيان مستقل فلا تذكرنا في أثناء الحديث بها أو سماعها بمنطقة خاصة أو طبقة خاصة ، بل يشعر كل من السامع و المتكلم ،إنها ملك الجميع و أمّ الجميع ، لا يدعيها لأنفسهم قومٌ بأعينهم ، ولا تنسب إلى بيئة معينة. وهي لذلك تكتسب الاحترام من الناس جميعا ، فلا يسخر منها أحدٌ ، ولا ينقدها أحدٌ ، بل يلجأ اليها الكلُّ ليتخذوا منها العصا السحرية التي تقضي لهم مصالحهم الدنيوية " (٩٢) . وهذا ينطبق تماما على مشكلة هذه الدراسة التي تحاول الاجابة عنها خصوصا قوله : " يلجأ اليها الكل ليتخذوا منها العصا السحرية التي تقضي لهم مصالحهم الدنيوية " فان المصالح الدنيوية عبارة اخرى أو بديلة عن التنمية البشرية التي تتحقق مآربها بوساطة اللغة العربية الفصيحة المشتركة ، ويلتقي مع كلام ابن جني وتحليل الدراسة في موضوع اللغة وعلاقته بالتنمية البشرية .

ويأتري ما السر في الدعوة إلى تبني اللغة المشتركة ؟

يبدو ان اللغة العربية ذات الاثر الفعال - أمس ، و اليوم ، و غدا - في بناء المجتمع البشري الناجح ، وقبلها اللّغة العربية المشتركة التي مثلتها المعلمات و غيرها من النصوص العربية و التي تبناها العرب بعد اقرار القرآن للهجات العربية (٩٣) . ذات الدلالات العربية المتقاربة لذهنية كل عربي . تعد اللّغة التي يقاس عليها و تسعى الاجيال تلو الاجيال للاقتداء بها والسير على قواعدها ، مما دفع العلماء للاهتمام باللغة العربية وتقنين قوانينها لا سيما تلك القوانين والقواعد التي لا تتعارض مع القرآن الكريم بوصفه الانموذج الواضح على أثر اللغة العربية في تنمية العقلية العربية خصوصا وغيرها عموما مما دعا بعض الفلاسفة ، و المناطق ، و العلماء إلى التفكير في مشروع تأسيس اللغة المثالية التي نعبر عنها باللغة الفصيحة المشتركة (٩٤) . فما فعله سيبويه في كتابه و غيره من العلماء العرب دليل على هذا السعي و إن كان الامر

لا يخلو من تكلف في تأسيس بعض القواعد ، ومن الواضح ان جهود علماء اللغة العربية لم تهدف الى حفظها من الضياع أو الاندثار أو الموت فقط بل قصدهم الأول هو نشر اللغة الموحدة أو المشتركة بين الناطقين بالعربية و غيرها ، بغية نشر المحتوى المعرفي الهائل الذي تحمله مفردات اللغة العربية و تراكيبيها بغية التوصل إلى مجتمع معرفيٍّ ، متطور، نام ، يحمل أفرادُهُ أداة نفاذٍ واحدةٍ للمعلومات تلك هي اللغة العربية الفصيحة المشتركة .

و يبدو أنَّ محاولة العلماء لجمع اللهجات العربية ، و بيان مدى التقارب بينها وتصنيفهم اللهجات على وفق القبائل أو الموقع الجغرافي الذي يعبر عنه اليوم في الدراسات اللسانية الحديثة (بـ الأطلس اللغوي) دليل على محاولة صهر تلك اللهجات في لغة مشتركة موحدة لأجل سرعة النقل المعرفي و المعلوماتي المؤدي بالنتيجة لتحقيق مجتمع المعرفة السائر نحو تحقيق تنمية بشرية ناجحة و ناجعة^(٩٥) .

ومن هنا عبر الدكتور محمد الأوراعي عن اللغة العربية بـ(لسان حضارة القرآن) فهو - في ما يظهر - جمع بين مرتكزات ثلاثة هي :

- ١- اللسان (اللغة) .
 - ٢- الحضارة (التنمية البشرية) .
 - ٣- القرآن (لغة القرآن الجامعة للسان ، و اللغة المطلوبة لتلك النهضة الإنسانية الكبرى) ، (مثال حي عن اثر اللغة في التنمية البشرية) .
- ويقول الأوراعي : " ...فان للغة الدور الحاسم في تطوير قدرات الناس على التمرس بالعمل وعلى الرفع المستمر من كفاءاتهم ، و الاغناء المتجدد للخبرة التقنية ، وتعميق المعرفة العلمية و توسيع الثقافة العملية ، و لها الدور المركزي في وقاية النسيج الاجتماعي من التفكك ، وفي تهذيب السلوك الفردي ، وترسيخ القيم الجمالية والحضارية الرفيعة ، وخلق التوازنات النفسية ، ونحو هذا من المجالات الكثيرة التي تتصل باللغة وبحملها الثقافي اتصالاً مباشراً "^(٩٦) ، ولعل من هنا يتضح سبب اقتراح ديكارت للغة مثالية مشتركة وهو أمر ينبُ عن نظرة مهمة لعلاقة اللغة بصورة عامة بتحقيق التنمية البشرية.

ومن باب أولى أنَّ نلاحظ هذا في لغتنا العربية الزاخرة بكل متطلبات التنمية البشرية فقد " دعا ديكارت الفلاسفة إلى البحث عن هذه اللغة [المشتركة] التي ستمكن - مستقبلاً - ساكن الريف أن يحكم على الأشياء بطريقة أفضل من فلاسفة اليوم "^(٩٧) ، على حدِّ قوله وهو يعني تحقيق التنمية البشرية و ايجادها في الريف و المدينة على حدِّ سواء .

ثانياً : اللغة العربية المشتركة ذاكرة كبيرة لمعلومات أكبر
ومن أهم الموضوعات التي يرجح ذكرها هنا موضوع ملائمة اللغة العربية
للتنمية البشرية و مدى تفاعلها مع عصر السرعة (عصر مجتمع المعرفة).

يميل العلماء و الخبراء اليوم إلى اعتماد اللغة التي تمتاز بقلّة الكلام مع ازديادها
بكثرة المعاني و استيفائها لما هو مطلوب حيث يميل العلم الحديث اليوم الذي هو من
أبرز سمات هذا العصر (مجتمع المعرفة) إلى اختصار المعلومات و ضغطها لنقلها
إلى المتلقي عبر الأقراص المدمجة ، و الشبكة الالكترونية ، و غير ذلك من وسائل
معرفية وتنموية عديدة ، و من الواضح بمكان مسايرة اللغة العربية لمتطلبات هذا
العصر باعتبار أنّ جملة عربية واحدة أو كلمة واحدة ممكن أن تعطي دلالات مختلفة
متنوعة على وفق السياقات المطلوبة ، بل الامر في اللغة العربية أبعد من ذلك ، فان
لها القابلية و القدرة على معالجة الحشد المعلوماتي بالاقتصاد اللغوي المضغوط ؛
وذلك بمجرد تغيير حركات بسيطة صغيرة (فتحة ، ضمة ، كسرة) أو غيرها من
تقنيات اللغة العربية المتعددة ، مما يمكنها أن تُعطي دلالات جمل كبيرة في اللغات
الأخرى ، ومن أمثلة ذلك ظهور القيمة الحقيقية للاقتصاد اللغوي و ذلك بالتوجيه نحو
الاستعمال الواسع للمختصرات و الرموز في الحقول الصرفة ، و الحقول اللسانية
حيث يذكر الخبراء – مثلاً – بعض المعادلات الحرفية المرمزة كـ (M3) للدلالة على
العناصر الأساسية الثلاثة لنشاط العمل الانتاجي و هي (الادارة ، القوى العاملة ،
المال) (Management ,Manpower, Money) و استعمل آخرون رمز (MS)
للدلالة على المكونات الستة لذلك النشاط و تشمل (الرجال و النساء ، المواد ،
الماكينات ، الوسائل ، الاموال ، الاسواق) حيث صيغت المعادلة لقاعدة ادارية
تتضمن مجموعة النشاط الاداري كالآتي :

$$د = (أ . ذ + أ . م) \leftarrow (ظ . ذ + ظ . م) ي (غ . ف . غ . ج)$$

حيث تكون :

أ . ذ = أفعال ذهنية.

أ . م = أفعال مادية.

ظ . ذ = ظروف ذهنية.

ظ . م = ظروف مادية.

غ . ف = أغراض فردية. غ . ج = أغراض جماعية^(٩٨).

وتنوه الدراسة هنا إلى أنّ العرب سبق و ان استعملوا و منذ وقت بعيد
المصطلحات الحرفية و العلمية الجامعة ، ففي علم التجويد وضعوا عبارة (يرملون)
الدالة على حروف الادغام . وعبارة (واي) للدلالة على حروف العلة ، و غيرها من

الاقتصاديات اللغوية المشحونة بالمعاني و المعارف المنمّية للذهن البشري. و يذكر العلماء أنَّ الطريقة اللاتينية (الانجليزية) تحول جميع الحركات العمودية على السطر إلى حروف أفقية ،مما يجعلها تزداد كمية ؛من ذلك عبارة (سَنَسْتَدْرُجُهُم) الواردة في الآية (١٨٢ من سورة الاعراف) حيث ترجمت إلى الانجليزية فأخذت الشكل الآتي: We shall gradually visit with) punishment , in ways They (perceive not) حيث احتوت على ستة وخمسين حرفاً^(٩٩) وعلى كل حال فإن مكونات أكبر كلمة في العربية لا يزداد عن عشرة حروف كما في عبارة (أنْ لَزُمُومُوهَا) الواردة في الآية (٢٨ من سورة هود) ، و عبارة (الْمُتَقَفِّهُونَ) الواردة في الحديث الشريف ، و عبارات مستحدثة مثل (الجماهيرية ، الديمقراطية ، الامبريالية ... الخ)^(١٠٠) ، وسندرج جدولاً يتضمن بعض الامثلة الخاصة بالمبتكرات العلمية الحديثة لنعرف منه هل اللغة العربية أجدر بإيجاد مجتمع المعرفة وتحقيق التنمية البشرية الشاملة أم اللغة الانجليزية ؟!

ت	المصطلح العربي	المصطلح الانجليزي
١	مرسم موجات الدماغ	Electroencephalographic
٢	كيمكهربى، كيمياء كهربى	Electrocardiographic
٣	تدوير، تقسيم ادارى	Departmentalization
٤	يخضور جرثومى	Bacteriochlorophyll
٥	التصنيع	Industrialization
٦	تتجير، متاجرة	Commercialization
٧	لامركزية	Decentralization
٨	البلورات	Crystallography
٩	زلزالي	Sismological

١٠	نوعي	٤	١١	Qualitative
١١	كمي (١٠٠)	٣	١٢	Quatitative

وينكر أهل العلم والمعرفة مجموعة من مقررات المجامع اللغوية العربية لإيصال المعرفة بأهون السعي ، وأقل الكُلف كتحويل النحت فيقال : (كهرومغنطيسي) بدلا من (كهربائي مغناطيسي) ، و (كهروضوئي) بدلا من (كهربائي ضوئي) وغير ذلك بشرط بقاء الالفاظ المنحوتة ضمن حدود الفهم لدى المتلقي بالإضافة إلى الاشتقاق من الجوامد للضرورة العلمية نحو (مهرج ، مكرنب ، مكربت ، مبلمر) كصفات للمواد المعالجة بالهيدروجين ، والكبريت... الخ^(١٠٢).

و قبل ذلك كله سبق وان ذكر علماؤنا الاجلاء فضائل اللغة العربية وخصائصها مما انفردت به هذه اللغة عن غيرها من اللغات بشكل موضوعي وعلمي وفني لا تعصبي أو شيفوني كما يقولون، ككتب فقه اللغة وأسرار العربية ، وأسرار البلاغة ويكفيها في هذا كتاب الخصائص فهو من تجليات اسمه تكتمل عند القارئ الكريم الصورة الدالة على خصائص دقيقة جداً تنفرد به اللغة العربية ، ويكفيها في ذلك الاختيار الالهي لها على الرغم من انتشار لغات عالمية أخرى في وقت نزول القرآن كالفارسية واليونانية وغيرهما ، ولعل باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) ، وباب (في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)^(١٠٣) من كتاب الخصائص يكفيها مؤونة السرد والتكرار .

ثالثاً : المنطق العقلي في تركيب الكلمات العربية وأثره في التنمية البشرية.

في تركيب الكلمات العربية سار العرب على أسس عقلية ومنطقية جعلتهم يميزون تمييزاً دقيقاً في التعبير عن المعاني والمفاهيم ، وهو أمر بلا جدال له اثره البالغ في النمو المعرفي لدى الفرد لا سيما إذا ما عرفنا أن اللغة العربية بهذه الخصائص تعد الاداة المعرفية الأولى المتوافقة مع عصر المعرفة والتكنولوجيا. فقالوا : جمد الماء ، وتخثر الدم ، ولم يعكسوا ؛ لأن الماء إذا جمد وأعدناه إلى الحرارة سال من جديد ، ورجع إلى حالته الأولى . أمّا الدم إذا تخثر فلم يعد إلى حالته السائلة مهما حاولت لأنه يفقد بعض مكوناته بالتخثر أي يتغير كيميائياً^(١٠٤) وقالوا غَرَقَ : فلان ، فاستعملوا الغين ؛ لأنها تعني الغيبة ، أو الاختفاء نحو : غَلَفَ الرسالة ، إذا أخفاها ، وغاب . وغَقَلَ ، وغَاصَ ، ... ثم جاءوا بالراء ؛ لأنها تعني التكرار والاستمرار نحو : خَرَّخَرَة الماء إذا استمر بالانسياب ، وكرَّكَرَة إذا استمر بالشرب ، ثم جاءوا بالقاف ؛ لأنها تعني الالتصاق والعمق مثل : قَعَدَ ، ولَصَقَ ، وقَعَ ، وقَعَرَ . والملاحظ أن من هذه الحروف الثلاثة تكونت كلمة (غرق) التي تعني غاب عن

سطح الماء ، واستمر بالغرق ، إلى أن وصل إلى القاع واستقر هناك ^(١٠٥) . وقالوا : سورة قرآنية ، وعن الأشخاص والطبيعة قالوا : صورة ولم يعكسوا ؛ لأنَّ السنين حرف مهموس أضعف من الصاد الذي هو حرف بارز مسموع بقوة ويظهر ملامح صورة تدرك بالعين الحاسة ولذا تراههم يقولون : صَعَدَ زيدُ المنبر ، وسَعَدَ عليٌّ في حياته ، وكلتا اللفظتين تعنيان العلو، والصعود ، لكن الفرد مَّا يرى الصعود بعينه الباصرة ، ويشعر بالسعادة شعوراً . ورؤية الماديات أقوى من الشعور بالمعنويات ، وهذه القوة والضعف جاءتا من قوة الصاد ، وضعف السين ^(١٠٦) وهي ملامح صوتية تُدرس ضمن المستوى اللغوي الأول.

وقالوا : الحِمْلُ ما كان على الظهر والحَمْلُ ما كان في البطن ، وقالوا : علاقة : ما تعلق عليه الثياب، وعلاقة اتصال أو حُبٌّ ، وقالوا: الوقر أي: الحِمْلُ من الحطب وغيره ، والوقر أي : الصمم ، والعَوَج يكون في المعاني قال تعالى:(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتب ولم يجعل له عوجاً) ^(١٠٧) والعَوَج يكون في الملموسات والماديات ^(١٠٨) وقالوا : " لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهي زُجاجة . ولا يقال مائدة إلا إذا كان عليها طعام، وإلا فهي خُوان . ولا يقال كوز إلا إذا كانت له عُرْوة ، والا فهو كوب ^(١٠٩) وغيرها من خصائص دقيقة تمتاز بها اللُّغة العربية باعتراف القريب والبعيد ، ولعل هذا ما دفع العلماء الاجانب يعترفون بهذا الامر من ذلك قول العالم الفرنسي (إرنست رينان) : " اللُّغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال ، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة " ^(١١٠). وقال العالم الالماني (فير تاغ) : " اللُّغة العربية أغنى لغات العالم " ^(١١١). ويقول وليم ورك : " إنَّ للعربية لِيناً ومرونةً يمكنها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر " ^(١١٢).

فاللُّغة العربية لغة مثالية قادرة على وصف الأشياء وكميَّاتها ، وصفاتها القابلة للأدراك حيث تتحول الكميَّات إلى الكميَّات و الصفات إلى أرقام ^(١١٣) و من ثم عندما نصل إلى لغة الأرقام والرموز والمصطلحات في اللُّغة العربية فانه باستطاعتنا أن نواكب العصر و متغيراته ، لكن بشرط أن تخضع باستمرار إلى عمليات تجميل أساسية إذا جاز التعبير؛ لأن الأساسيات فيها مكتملة وما تحتاج منا سوى أن نخضعها لإجراءات السياسة اللغوية ، والتخطيط اللغوي ونبعث فيها الحياة من جديد كما فعلت العديد من الامم وقامت تلك الامم بتحديث لغاتها ومن ثم حدثت وطورت كل مرافق حياتها ؛ وذلك باعتمادها على لغة وطنية موحدة ومشتركة ومتفق عليها الجميع .

إنَّ الامم التي تشجع على سياسات لغوية قوية موحدة وذات صفات و قواعد مشتركة هي امم لا يتأثر ابناؤها ولا يحدث بينهم خلاف بسبب اختلاف اللهجات اختلافا قد يمتد إلى سائر مكونات الحياة بحيث يمكن ان تكون هذه السياسة اللغوية

منطقا خالصا وذلك بتجريد اليات تفكير غير متأثرة باختلاف اللغات أو اللهجات ومن ثم يتشكل من نقاط التقاطع كل ما هو مرتبط بالإجراءات التي تحشد الانتباه اثناء التعامل مع الافكار والاشياء التي تتجسد لدينا بالكلمات اذ ان كل تفكير يقتضي استعمال لغة أو نسق رمزي يتقارب بشكل من الاشكال الى لغة التداول لتكون اللُّغة بذلك مرآة للعالم^(١١٤) .

وفي قبال ذلك يظهر أن السياسات اللغوية التي تعتمد العاميات أو تشجع الازدواجية أو ابعاد العربية المشتركة هي سياسات تسعى إلى زرع مثالب العامية في نفوس متكلميها ومن هذه العيوب انها للاستعمال اليومي فقط مع احتوائها مجموعة من المشاكل ، وأنها تقوم بعملية قطع معرفي وتراثي بالنسبة للأجيال المقبلة في حين استعمال اللُّغة الوطنية المشتركة يقوم بعملية نقل وتواصل معرفي وتنموي لان العامية ناقصة وقاصرة في ادائها خصوصا حين يتعلق الامر بنقل المعرفة ، المعرفة التي تشكل الحجر الاساس في بناء التنمية البشرية ولعل هذا الامر جعل (غوت لوب فريجه) (١٨٤٨ - ١٩٢٥م) يقر بعجز العامية في اصال ما يتطلب الترميز مما دعاه إلى اقتراح لغة مثالية تشترط دراية بعوالم المنطق والرياضيات وغيرها وتتطلب كفاية وتقدما علميا ملموسا^(١١٥) وهي تجربة أو دعوة ليست بالجديدة حيث سبقه إلى ذلك ابن الهيثم كما سيتضح في الفصل الثالث وعلى غرار فريجه سار برتراندرسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠م) حيث اشار إلى عرقلة التنمية الفكرية للإنسان التي تعد اساس التنمية البشرية وغيرها من انواع التنمية ، بسبب السياسة اللغوية القائمة على العامية و اللهجات المتعددة ، أو الازدواجية اللغوية .يقول (رسل) : " لا ينبغي علينا في محاولتنا التفكير الجاد ان نفتنّع باللُّغة الجارية ، وانني ما زلتُ على اقتناع بان التشبث العنيد باللُّغة الجارية في افكارنا الخاصة يشكل احد المصاعب الاساسية في سبيل احراز تقدم في الفلسفة^(١١٦) .

و كما هو معلوم ان الفلسفة التحليلية هي الينبوع المعرفي الأول للتداولية التي أطلقت على يد فريجه في العقد الثاني من القرن العشرين في فينا بالنمسا ومن هنا يتضح لنا جلجا مدى الارتباط بين تحقيق الفكر الجاد و التنمية البشرية بوساطة السياسات اللغوية و التخطيط المبني على اساس اللُّغة الوطنية المشتركة .

ويظهر مما تقدم عدم دقة ما سجله الكاتب (بشير خليفي) في كتابه (الفلسفة وقضايا اللُّغة) و ذلك من بعض المؤاخذات حول مشروعية اللُّغة المثالية كما يُعبر عنها بالفلسفة أو(اللُّغة المشتركة) بحسب علم اللُّغة الاجتماعي خصوصا قوله : " الامر عائد بالخصوص إلى فشل هذه اللُّغة في احداث الاجماع الذي يفضي اليه تصوير الواقع بدقة و وضوح وصدق"^(١١٧) والعجيب انه عدها اجتهدا فكريا وتجربة

بحثية رائدة^(١١٨) ، و التساؤل المطروح هنا إذا كانت اللّغة المشتركة (المثالية) تجربة رائدة فلماذا لا يؤخذ بها أو انها فاشلة بحسب (خليفة) !! الواقع ان المؤاخذات ليست على السياسة اللغوية الرامية إلى توحيد الناطقين بلغة مشتركة موحدة علما و عملا ولا يصح لأي باحث وصفها بالفشل ؛ وذلك لنجاحها في كثير من البلدان خصوصا في مجال التنمية البشرية كاليابان ، وتركيا ، وايران ، وكوريا، والتجربة خير برهان كما يقال ، وكما اتضح في الفصل الأول ، و إنما المؤاخذات تسجل على انعدام تشجيع الحكومات و خصوصا العربية على هكذا سياسات لغوية عربية موحدة رامية إلى تحقيق التنمية البشرية مع تأثر تلك الحكومات بالثقافات الوافدة إليها باللّغة الانجليزية التي يعدونها اللّغة المثالية للتطور و التقدم .

رابعاً : هل اللّغة العربية لها مقومات اللّغة العالمية ذات الابعاد التنموية ؟

لقد لخص فازولد (بجدول) صفات اللّغة التي تتصف بها اللّغة حتى تضطلع بوظائفها التنموية العالمية الا ان لويس جان كالفي يؤاخذ على فازولد لأنه لم يدرج اللّغة العربية ضمن حساباته^(١١٩) على الرغم من أنّها تضمن كل المواصفات التي ادرجها فازولد بل تزيد عليها احيانا وسوف يذكر الباحث الجدول مع إضافة بسيطة وبحسب مقتضيات الدراسة.

تطبيق جدول فازولد على حالة اللّغة العربية

ت	الصفات السوسيو لسانية المطلوبة	الحالة في اللّغة العربية	الوظيفة
١	ان تكون مشتركة ومنمطة ان تستعمل من لدن عدد من المواطنين ذوي تربية	+	الرسمية
٢	رمزا للهوية الوطنية جزء هام من السكان مستعملة بشكل واسع في الاتصال اليومي مستعملة بكثرة وبشكل واسع في البلد لا توجد لغة أخرى تصلح كبديل عن اللّغة هذه بالنسبة لنفس الوظيفة (أي الوطنية)	+	الوطنية

	+	ان تقبل كرمز للأصالة	
	+	صلاتها مع ماض مجيد	
٣	+	مستعملة من الجميع في الاحاديث اليومية	لغة زمرة
	+	يعدها المتكلمون عنصراً موحداً لهم ويميزهم من الآخرين	
٤	++	تعد قابلة للتعلم على الأقل	مشتركة
٥	+	موجودة في قائمة اللغات العالمية	عالمية
٦	+	تقييس مساو أو أكبر من تقييس لغة التلاميذ	مدرسية
٧	++	كلاسيكية	دينية
٨	+	لها القابلية الذاتية على احداث التنمية البشرية المنشودة	تنموية

المحصلة

والنتائج المحصلة من تطبيق جدول فازولد على اللغة العربية يضعها في أوائل اللغات العالمية بالفعل ، الا أنَّ استبعاد الحكام العرب ومؤسساتهم عن تنفيذ ما تحتويه دساتير دولهم وتشريعاتهم يكون العائق السلبي الوحيد والمعرقل الأكبر أمام مواكبة اللغة العربية للتنمية البشرية "لان السياسات اللغوية في الغالب الاعم اكرائية و لهذا السبب فهي بحاجة إلى قانون [الزامي] لتفرض نفسها فلا يوجد تخطيط لغوي دون وجه قانوني" (١٢٠) الزامي . أمّا العرب فلم نبلغ الغاية التي تترجى في ظروفنا المعاصرة ؛ لتعدد الأنظمة السياسية المتنافرة ، والمتخالفة والمتمسكة بالنظر الفردي ، أو غيره على حساب مصلحة الشعوب ، وكل ذلك ينعكس على وحدة اللغة والقرار في إيجاد السياسة اللغوية الموحدة ، للحفاظ على سلامتها وامنها (١٢١) لقد وضعت الجمعية الامريكية لأساتذة اللغة الفرنسية في نشرة بعنوان (اهم اللغات) (نشرة رقم ٣ لعام ١٩٩٩) ستة معايير لقياس أهمية كل لغة وهي الاتية :

- (١) عدد المتحدثين بها كلغة ام .
- (٢) عدد المتحدثين بها كلغة ثانوية.
- (٣) عدد الدول وعدد سكانها والذين يتحدثون اللغة.

- ٤) عدد المجالات الأساسية (العلوم ، الدبلوماسية) وغيرها التي تستعمل فيها اللغة على الصعيد الدولي .
- ٥) الثورة الاقتصادية للدول التي تستعمل هذه اللغة.
- ٦) الاشعاع الثقافي والادبي للدول التي تستعمل هذه اللغة^(١٢٢).
- ووضعوا لكل لغة على أساس المعايير الستة المتقدمة عدداً من النقاط تعكس أهمية تلك اللغة عالمياً وجاء ترتيب أهمية اللغات كالآتي:

ت	اللغة	عدد النقاط
١	الإنجليزية	٣٧
٢	الفرنسية	٢٣
٣	الاسبانية	٢٠
٤	الروسية	١٦
٥	العربية	١٤
٦	الصينية	١٣
٧	الألمانية	١٢
٨	اليابانية	١٠
٩	البرتغالية	١٠
١٠	الهند أو الأوردية	٩

ومكانة العربية مما تقدم تكون الخامسة من لغات العالم من حيث الناطقين بها والثامنة من حيث اجمالي الناتج القومي^(١٢٣).

وعدد الناطقين بأهم لغات العالم كلغة أم^(١٢٤):

ت	اللغة	العدد بالمليون
١	الصينية	٨٧٤
٢	الهندية	٣٦٦
٣	الإنجليزية	٣٤١
٤	الاسبانية	٣٢٢
٥	العربية	٢٤٠
٦	البنغالية	٢٠٧
٧	البرتغالية	١٧٦
٨	الروسية	١٦٧

نسبة الناطقين بأهم لغات العالم كلغة أم (نسبة مئوية)^(١٢٥)

ت	اللغة	العام				
		١٩٥٨	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٢	٢٠٠٠
١	الصينية	١٥.٦	١٦.٦	١٥.٨	١٥.٢	١٤.٥
٢	الهندية	٥.٢	٥.٣	٥.٣	٦.٤	٦.١
٣	الإنجليزية	٩.٨	٩.١	٨.٧	٧.٦	٥.٧
٤	الاسبانية	٥.٠	٥.٢	٥.٥	٦.١	٥.٤
٥	العربية	٢.٧	٢.٩	٣.٣	٣.٥	٤.٠
٦	الروسية	٥.٥	٥.٦	٦.٠	٤.٩	٢.٨

ويتضح من الجدول أعلاه أنّ عدد الناطقين بالإنجليزية كلغة أم قد تضاعف في السنوات الأخيرة من (١٩٨٠-٢٠٠٠) نسبة إلى سكان الكرة الأرضية لحساب لغات أخرى بينها العربية.

خامساً: خصائص اللّغة الصالحة للتنمية البشرية

اللّغة الصالحة للتنمية البشرية هي التي تستطيع التعبير عما يأتي :

١- التعبير عن حاجات التنمية على نحو يتصف بما يأتي :

(أ) الدقة .

(ب) الصحة .

(ت) السلامة .

(ث) الجمع .

(ج) المنع .

(ح) الاقتصاد .

٢- التعبير عن مجالات النشاط الإنساني :

(أ) النشاط الادبي .

(ب) النشاط العلمي.

(ت) النشاط الفني.

٣- أن تساير التطور و تتسع لحاجاته و مطالبه .

٤- أن يكون لها قواعد واضحة و منضبطة .

و السؤال الان هل تمتلك اللّغة العربية القدرة على الوفاء بهذه المجالات ؟

للإجابة عن هذا التساؤل نقول : إنّ الجداول اعلاه بينت جانبا من الاجابة ، وإن اللّغة العربية قد امتحنت ، و وضعت على محك التجربة العلمية عدة مرات ، اشهرها اربع تجارب ، و قد اثبتت جدارتها و اهليتها ، لان تكون لغة حضارة و تنمية لا تغيب عنها الشمس . والتجارب هي :

التجربة الأولى :

نزول القرآن الكريم

و يمثل هذا الحدث قمة التجارب ، بل هو اختيار الهي لهذه اللّغة لكي تحمل الوحي، و تكون وعاء له فقد جاء القرآن بأحرف العرب و كلماتهم ، و على غرار تراكيبهم و اساليبهم ، الا انه جاء على نسق لم يعهده ، و تناول مواضيع و امورا لم يعرفوها ولم تخطر على بالهم ، كتناوله القصص ، و الاحكام ، و المبادئ الاجتماعية، و العلمية فشرح تطور الاجنة في بطون امهاتها ، و ارتفع إلى تراكيب السحب و تطوراتها ، و حدد شروط التجارة و الاقتصاد ، و مبادئ الصحة الإنسانية ، و مبادئ

التربية و التعليم ، التي يعبر عنها اليوم بالتنمية البشرية فلم تعجز العربية ، و لم تنوء بحمل هذه الأمانة الثقيلة إلى يومنا هذا^(١٢٦) .

التجربة الثانية :

انتشار العرب و المسلمين في الارض

انتشرت الدعوة الاسلامية و هي تحمل العربية معها ، حتى دخل في الاسلام امم كثيرة ، بعضها قد بلغ من الحضارة و المدنية ، و العلوم ، و الحكمة ، و الفلسفة أرقى النرى ، و كانت لهذه الامم لغاتها التي اتسعت لحضارتها و فنونها ، و قد كان هذا التحدي و هذه التجربة كفيلين باختبار العربية اختبارا قاسيا ، و اعان على ذلك ان العرب المسلمين كانوا اهل بدواة لم يعتادوا تلك الفنون لقد استطاعت العربية ان تستوعب و تؤثر في كل هذه الحضارات ، و كل تلك العلوم فلم تضق بها ذرعا ، بل زاد على ذلك ان اصحاب هذه الحضارات العريقة تركوا لغتهم الام ، و استبدلوا بها هذا اللسان الفصيح القويم . يقول دوزيه في كتابه الشهير (تاريخ مسلمي اسبانيا) : " ان اهل الذوق من الاسبان بهرهم نصاعة الادب العربي فاحتقروا البلاغة اللاتينية وصاروا يكتبون بلغة العرب الفاتحين "^(١٢٧) . ويقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : " ان العربية اصبحت اللُّغة العالمية في جميع الاقطار التي فتحتها المسلمون "^(١٢٨) حتى اصبحت الجامعات الأوروبية تتسابق في اشاعة اللُّغة العربية ؛ لأنها كانت اللُّغة التي عن طريقها قرأ الأوروبيون الفلسفة والطب والفلك ومختلف العلوم والفنون وكان الغرب يعتقدون أنه لا سبيل لقراءة فكر الفارابي وابن خلدون ، وابن الهيثم واخوان الصفا والخوارزمي وجابر بن حيان والرازي الا عن طريق اللُّغة العربية التي كانت يومها لغة دولية ولغة النخبة العلمية في العالم حتى اقتبست أوروبا من العربية الكثير من المصطلحات كالكحول ، والاكسيد،والجبر، واللوغاريتم ، واستمد الاسبان والفرنسيون معظم اسماء الرياحين والازهار والبرقوق والياسمين والقطن والزعفران والفاظ الهندسة المعمارية ، وبوساطة اسبانيا استمدت امريكا من اللُّغة العربية الشي الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً^(١٢٩) .

التجربة الثالثة :

العصر العباسي و اختراع العلوم

بعد استقرار امور الدولة العباسية العملاقة ، بدأت تبتكر العلوم بلسانها العربي المبين حتى وسع هذا اللسان الطب ، و الهندسة ، و الكيمياء ، و الرياضيات ، و الفلك ، و كثيرا من الصناعات ، و ابتكر النحو ، و الصرف و العروض و عشرات العلوم الحديثة التي عبر عنها بآلاف المصطلحات الجديدة ، و ترجم اليها علوم اليونان، و فلسفتها ، و علوم فارس و الهند (١٣٠).

التجربة الرابعة :

العصر الحالي و متطلباته

أثبتت اللغة العربية قدرتها على استيعاب العلوم الحديثة ، و اداء متطلباتها ، و ثم استوعبتها العربية ، و تشير الدراسات إلى ان تعلم اللغة العربية كان شرطا من شروط الجامعات العربية على الدارسين للطب فيها الا أن الامر اختلف في بداية عصر الاستعمار إذ تغيرت لغة التدريس في الدول العربية (المستعمرات) من اللغة العربية إلى لغة المستعمر و قد اجريت دراسة و احصائية اظهرت ان الدراسة بالعربية تتفوق قراءة و استيعابا عنها باي لغة اخرى بنسبة (٦٦،٤ %) (١٣١).

لا شك في أن وجود المراجع باللغة العربية ، و وفرتها سوف يتيح للناخبين من طبقة الفنيين فرصة متابعة التطورات العلمية السريعة التي تعيش هذه الطبقة بمعزل عنها ، مما جعل البلاد العربية تعاني اليوم من وطأة الخبراء الاجانب بسبب عزل هؤلاء الفنيين العرب عن متابعة التطور التقني بلغتهم الام (١٣٢) .

سادساً : المستويات اللغوية وعلاقتها بالتنمية

لكل لغة مستويات لغوية أربعة هي المستوى الصوتي ، والمستوى الصرفي ، والمستوى النحوي ، والمستوى الدلالي الذي يعد أرقى المستويات ؛لأنه يجمع المستويات السابقة على وظائف كبرى في مقاصد اللغة، وفي جمالياتها في وقت واحد حيث تغدو اللغة معه وسيلة وغاية معاً .

وينقسم المستوى الدلالي على أربعة اقسام كذلك وهي :

وظيفة الاتصال ، ووظيفة التكتيف الدلالي والاختزال ، والوظيفة الحضارية التاريخية، والوظيفة الجمالية ، والسياسات اللغوية ، وان تتناول المستويات بمختلف أنواعها الا انها تهتم بوظائف اللغة الأخيرة بشكل خاص أي المستوى الوظيفي ، فان

ركزت السياسة اللغوية على وظيفة الاتصال مثلاً سوف تصبح اللغة في أعلى مستوياتها وسيلة تفاهم اجتماعي ، وفكري ، أو فني ، ونفسي ، ونحوي ، وتحقق عملية الارتقاء والالتقاء بين افراد الجنس البشري ، وان اختلف الزمان والمكان والافراد والثقافة ، ومن ثم تصير اللغة نمط حياة يؤدي إلى الرقي والنمو والتكامل ، وتؤكد إجراءات السياسة اللغوية على ان تكون اللغة حاملة لقدرات هائلة في وظيفة الاختصار والايحاء فإنها تتسع في فضاء المفاهيم ، وحقل تكوين النتاج الفكري الذي تنتجه الأجيال ، ويكون من مهمات اللغة نقل هذا النتاج لكل الأجيال ، والبيئات الاجتماعية والثقافية ، والتنمية ، ونجحت السياسة اللغوية العربية في صدر الإسلام وفي عهد بيت الحكمة وغيرها في جعل الحقل الدلالي ينتقل من مجرد حقل خاص بالمجتمع العربي إلى ان يصبح حقلاً دلالياً وانسانياً ، عاما ، فلم يعد الحقل الدلالي المعجمي عائقاً في سبيل تطور الحقل الدلالي التوليدي ، والمجازي ، والإنساني ، أمّا اليوم فلن يتحقق لنا ذلك دون ان نلتجئ إلى مبادئ وإجراءات السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي واتقان الترجمة والتعريب وغيرها ، وبفعل السياسات اللغوية العربية الناجحة آنذاك، لقد قدمت العربية خدمات متعددة الاتجاهات في القديم والحديث لأبنائها ، ولأبناء البشرية وأثبتت انها لغة قادرة على مواكبة الحياة ، واستيعاب العلوم والمعارف في الماضي بما تملكه من الصيغ الدلالية ، واللغوية القادرة على التوالد والنماء فقد كانت هذه اللغة تؤصل ذاتها في محافل شتى وأماكن عدة وأصبحت لغة رسمية في هيئة الأمم المتحدة منذ عام (١٩٦٣م) ثم في منظماتها عام (١٩٧٥م) كاليونسكو، وقد اعترفت الجمعية العامة منذ عام (١٩٦٣) بأثرها المهم في صون الحضارة الإنسانية ، وقد كان هذا الاعتراف ليس على أساس انها اللغة الرسمية في الكثير من بلدان العالم فحسب ، بل بوصفها قادرة على تشكيل معارفها ، و مفاهيمها ، ومصطلحاتها ، في سياقها الخاص دون ان تتناقض مع العام (١٣٣). حتى عدتها موسوعة المعلومات في المرتبة الرابعة عالميا بعد الانجليزية ، والصينية ، والهندية حيث بلغ عدد المتكلمين بالعربية (٤٨٠,٠٠٠,٠٠٠) ، وجاءت بالمستوى نفسه من حيث عدد المستعملين لها في الانترنت عام ٢٠١٠ اذ بلغ عدد المستعملين (٤٢٢,٠٠٠,٠٠٠) مستعملا (١٣٤) على وفق تقرير افاق وسائل الاعلام العربية ٢٠٩٩-٢١٣ تبين ان اكثر من (٦٠%) من المشتركين والمستعملين الناطقين بالعربية يفضلون ويستعملون التصفح بلغتهم العربية ، ويزيد عدد مستعملي التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) في العالم العربي عن اربعة امثال الطلبة المسجلين في الجامعات (١٣٥) .

مما تقدم نعلم ان العربية لها مقومات التنمية البشرية بكل تفاصيلها إن حسن استعمالها وتهذيب مقاصدها ، وسلمت مناهجها ، وقام برعايتها وادارتها رواد مخلصون ؛ أثمرت في تكوين وتنمية جيل واع مؤمن بأهداف امته ووطنه .

سابعاً : حاجة التنمية للغة

عندما نتكلم عن اللغة فإننا نتكلم عن الحضارة ، واننا في الوقت نفسه نتكلم عن التنمية، كما أنّ السياسة اللغوية لها غاية وهدف وهذا لا يختلف عليه اثنان ، إذا ان اختراع اللغة في حد ذاته وسيلة لا غاية في بداية الامر، و ان التنمية الذاتية أو البشرية هي الغاية أولاً فعندما احتاج الإنسان الأول للعيش الكريم، والدفع ، والصحة ، ودرء المخاطر التجا إلى وسيلة تعبيرية تجمعهم مع عائلته ، ومجتمعه (مهما كان حجمه)، فاخترع اللغة واخذ يحبو شيئاً فشيئاً فوصل إلى القدرة العجيبة الكامنة بالتعبير عن عشرات الأفكار والمعاني بواسطة مجموعة من الأصوات ، وتطورت الحياة وطورت الإنسان معها بالنظام اللغوي كجزء من الأنظمة التي ابتدعها لتنظيم حياته.

ثامناً : السياسة اللغوية الناجحة تنقل اللغة من القدرة على التعبير إلى القدرة على التغيير .

اللغة من التعبير إلى التغيير

السياسة اللغوية تؤدي إلى الانتقال بالمجتمع من حالة التشردم اللفظي إلى حالة التوحيد التداولي على مستوى الاعلام ، والتنمية والتربية ، والتعليم ، والسياسة والاقتصاد ، وغيرها ، عندما تنطلق الحضارة ، فلا يمكن ان تنطلق بلا لغة ولا يمكن ان نتصورها تنطلق دون اللغة، وان من أسس بناء الحضارة لدولة أو امة ما فلابد ان تكون تلك الامه ذات سياسات ثابتة شاملة مختلف نواحي الحياة ومن أهمها سياسة الدولة اللغوية حتى تنتقل بلغتها من القدرة على التعبير إلى القدرة على البناء والتنمية والتغيير.

وهذا التغيير الإيجابي والتنموي لايمكن تصوره الا بتغيير الالفاظ والأساليب المستعملة من لدن الشعب، والحاكم، والسلطة، ويشرف على هذا التغيير تلك الجهات المعنية ولذا قالت العرب قديما " لكل مقام مقال "، ولعلها قاصدة في حكمتها هذه المقام الأوسع بالدرجة الأولى فانه مقام البناء والتنمية والتغيير الاجتماعي له الفاظ وأساليب خاصة تنبع منه ارهاصات الحالة المرجوة في المستقبل دون الفاظ التخلف التي تقتضي الفاظاً مستوردة، غير متزنة ، لاتنبع من ذات الشعب بل من العوارض الطارئة عليه بفعل سياسات خاطئة مفروضة ، ولذا فان الدولة أو الحكومة إذا ارتأت البناء والتغيير ، والتنمية للمجتمع فالصحيح ان تستعمل الفاظاً مناسبةً لهذه الحالة من قبيل الالفاظ

الدالة على التشجيع ، والتحفيز ، والتنمية ، والبناء ، والحضارة ، والتقنية ، والأخلاقية، مع ضرورة استبعاد الالفاظ الدالة على ، والتخلف والهدم الذاتي والمادي - واستبعاد الفاظ الجانب السلبي. ولذا نورد محاوره لكونفوشيوس الفيلسوف الصيني في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد تؤيد ما ذهبنا اليه :

قال زي لو :إذا كان الأمير (وي) ينتظرك يا سيدي لتتولى أمور إدارته ، فماذا ستكون أولوية السيد ؟

فأجاب السيد (كونفوشيوس) :الشيء الذي هناك حاجة إليه هو تصحيح الاسماء .

فقال زي لو :هل أنت بعيد عن الهدف إلى هذا الحد يا سيدي ؟ لماذا هذا التصحيح ؟

فرد السيد (كونفوشيوس) : كم أنت ساذج ! إن الرجل العاقل إزاء الاشياء التي لا يفهمها يحافظ على موقف فيه تحفظ . فإذا كانت الأسماء غير صحيحة فإن البيانات لا تتماشى مع الحقائق ، وعندما لا تتطابق البيانات والحقائق لا يمكن إجراء العمل التجاري^(١٣٦) بصورة مناسبة . وعندما لا يتم العمل التجاري بصورة مناسبة فإن النظام والانسجام لا يزدهران^(١٣٧) . وعندما لا يزدهر النظام والانسجام ، فإن العدالة تصبح عندئذٍ عشوائية اعتباطية . وعندما تصبح العدالة عشوائية اعتباطية لا يعرف الناس كيف يحركون يداً أو رجلاً^(١٣٨) . ومن هنا فإن أي شئ يقوله الرجل العاقل يستطيع دائماً أن يحدده^(١٣٩) . وإن ما يحدده هكذا فإنه يستطيع دائماً أن ينفذه عملياً ؛ لأن الرجل العاقل لا يمكن أن يترك أي شيء في تحديداته مهماً أو غير مؤقن بأي حال من الأحوال^(١٤٠).

ومن هنا اخذ بالحسبان الفيض الذاتي على لسان القائد الحاكم السياسي الناجح الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ما تقدم ، ولذا استحدث الفاظاً سميت بالألفاظ الإسلامية، متناسبة و المرحلة التي اقتضت البناء والتطوير، والحضارة العالمية التي اكتسحت الحضارات الراسخة في القدم وبغضون عشرين سنه بوساطة تلك اللغة العربية الخالدة. ولم تغب عن ذهن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تلك السياسات اللغوية متمثلة بمدح نفسه أولاً "أنا أفصح العرب.." مشيراً ضمناً إلى ضرورة اتخاذ لغة فصيحة موحدة مشتركة في أصول وتفرعات دولته الجديدة ، ومن ثم تغييره الأسماء السيئة بأسماء حسنة ، وهذا تدخل مباشر بوساطة اعلی سلطة ، ومن ثم ارشاده الناس مراراً وتكراراً عندما لحن احد الحاضرين بحضرته فلم يسكت ، والشيء بالشيء يذكر ان المسلمين متفقون على قول وفعل وتقرير النبي حجة وبالتالي، (ومن باب الحكم الشرعي) قد يقتضي الوجوب بالتدخل

المباشر من المسؤول لاصلاح اللُّغة لغرض اصلاح الامة ، شافعاُ قولي هذا بقول الرسول (ﷺ) : " أرشدوا أخاكم فقد ضلَّ " ولعل مايعضد الكلام المتقدم ولاسيما وجوب التدخل لغرض اصلاح اللُّغة موقف إمام المسلمين الإمام علي (عليه السلام) عندما سمع لحنًا في أزقة الكوفة ، مما أدى به في نهاية الامر إلى وضع علم النحو في القصة المعروفة.

وغاية السياسة اللغوية -على ما تقدم - الحفاظ على هُوية الامة العربية والحفاظ على لغة القرآن الكريم منطلق الحضارة ، والتنمية البشرية ، لا لغاية تعصبيه أو قومية، وإنما امتثالاً لأمر الله الذي أنزل القرآن للناس جميعاً على اختلاف السنتهم بلغة واحدة تلك هي اللُّغة العربية.

الخاتمة

في النهاية أثر الباحث أن تكون الخاتمة عرضا لاهم النتائج وهي ما يأتي :

- ١- إن المزج بين دراسات التنمية البشرية واللسانيات الاجتماعية يؤدي الى توظيف اللغة العربية في خلق مناخات التقدم وتفعيل التنمية البشرية .
- ٢- ان تطبيق اجراءات علم اللغة الاجتماعي في الواقع العربي ينقل اللغة العربية من القدرة على التعبير الى القدرة على التغيير، وذلك بالقضاء على حالة التشرذم اللفظي.
- ٣- ان النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) يعد اول من مهد للسياسة اللغوية والتخطيط اللغوي، عندما حارب اللحن، ووصفه بالضلال في قبالة الهدى المعبر عنه اليوم بالتنمية البشرية، وساعد على الترجمة، وشجع القراءة والكتابة .
- ٤- إن اعتماد السياسات اللُّغوية غير المشجعة على اللُّغة الفصيحة المشتركة له عواقب واثار وخيمة اقلها تكوين طوائف لُّغوية منطوية على نفسها داخل بلدها الاصلي وتجهر بالمغايرة كل حين، مُسَخِّرة كلما توفر لها من وسائل لتغذية شخصيتها المتميزة ، والمحافظة على هويتها اللُّغوية والثقافية، مما يؤثر فعلاً على سير العملية التنموية .
- ٥- توصل الباحث الى أن مفهوم السياسات اللغوية يعاني من اضطراب بالتعريف، مما جعل الباحث يصل الى تعريف يتناسب مع أهمية السياسات اللغوية وأثرها في التنمية البشرية.
- ٦- ان اللغة العربية لها مرتكزات ذاتية وموضوعية تساعد المتكلمين بها على تحقيق التنمية البشرية بصورة افضل من غيرها من اللغات ولذا نرى انها

اطول اللغات العالمية عمرا وثباتا على الرغم من عاديات الدهر وجور الحكام.

٧- ان الدكتور ابراهيم أنيس تنبه الى اهمية الدور اللغوي في احداث الحراك التنموي ولاسيما في تحقيق المصالح الدنيوية المعبر عنها اليوم بـ (التنمية البشرية).

المصادر والمراجع

- أساسيات في اقتصاد اللغة العربية ، د. مهدي حسين التميمي ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، د . ط ، ٢٠١٠.
- امبراطوريات الكلمة (تاريخ اللغات في العالم) ، نيقولاس أوستلر ، ترجمة : محمد توفيق البجيرمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د. ط ، ٢٠١١ .
- التداوليات علم استعمال اللغة ، إعداد وتقديم : حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١١.
- الترجمة وادواتها (دراسات في النظرية والتطبيق) ، د. علي القاسمي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٩.
- التعريب ونظرية التخطيط اللغوي (دراسة تطبيقية عن تعريب المصطلحات في السعودية) ، سعد بن هادي القحطاني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٢.
- حرب اللغات والسياسات اللغوية ، لويس جان كالفي ، ترجمة : حسن حمزة ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٨.
- الخصائص ، أبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٢.
- دليل السوسيو لسانيات ، فلوريان ، كولماس ، ترجمة : خالد الأشهب ، وماجدولين النهيبي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٩.
- السياسات اللغوية ، لويس جان كالفي ، ترجمة : محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٩.
- السياسة الثقافية في العالم العربي ، علي القاسمي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ط ١ ، ٢٠١٢.
- السياسة اللغوية في البلاد العربية (بحثاً عن بيئة طبيعية ، عادلة ، ديموقراطية ، وناجعة ، عبد القادر الفاسي ، الفهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٣.

- الشباب ولغة العصر (دراسة لسانية اجتماعية) ، نادر سراج ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢.
- فقه اللغة وأسرار العربية ، عبد الملك بن محمد الثعالبي (٢٩٤ هـ) ، غني بضبطه وتخريج أحاديثه وقدم له وعلق عليه : محمد ابراهيم سليم ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ط١ ، ٢٠١٠.
- الفلسفة وقضايا اللغة . قراءة في التصور التحليلي) ، بشير خليفي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠.
- لتحيا اللغة العربية ، شريف الشوباشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، ٢٠٠٤.
- لسان حضارة القران ، د. محمد الاوراعي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دط ، دت .
- لغة الأمة ولغة الأم (عن واقع اللغة العربية في بينتها الاجتماعية والثقافية) ، عبد العلي الودغيري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٤.
- لغة الطفل العربي (دراسات في السياسة اللغوية وعلم اللغة النفسي) ، علي القاسمي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩.
- اللغة العربية ارث وارتقاء حياة ، د . حسين جمعة ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، دط ، ٢٠٠٨.
- اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل ، أحمد بن نعمان ، وآخرون ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥.
- اللغة العربية والتفاهم العالمي (المبادئ والاليات) ، د. رشاي أحمد طعيمة ، د. محمود كامل الناقفة ، دار المسيرة ، عمان ، الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٩.
- اللغة العربية والعلوم ، د . هادي نهر ، مركز تحقيقات كمبيوتر علوم الاسلام ، قم ، ايران ، دط ، دت .
- اللغة والهوية في الوطن العربي (إشكاليات تاريخية ، وثقافية ، وسياسية) ، مجموعة مؤلفين ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٣.
- مدخل إلى اللسانيات ، برتيل مالبرج ، ترجمة : السيد عبد الظاهر ، مراجعة وتقديم : صبرى التهامي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠.

الهوامش

١. ينظر : السَّياسة اللُّغوية (المفهوم و الآلية) : ٣٢٥ - ٣٣٥ .
٢. ينظر : نحو سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة ، المصطفى تاج الدين : ٢.
٣. جهود اللُّغويين المحدثين في الازدواجية اللُّغوية العربية ، أسعدٌ عباس كاظم : ١٨١ .
٤. جهود اللُّغويين المحدثين في الازدواجية اللُّغوية العربية : ١٨٢ ، و ينظر : رسم السَّياسات اللُّغوية وتحديد وظائف اللُّغة ، خليفة ابو بكر الاسود : ١.

٥. التعريب ونظرية التخطيط اللغوي (دراسة تطبيقية عن تعريب المصطلحات في السعودية) سعد بن هادي القحطاني : ٢٣.
٦. التعريب ونظرية التخطيط اللغوي(دراسة تطبيقية عن تعريب المصطلحات في السعودية) : ٢٣-٢٢.
٧. التعريب ونظرية التخطيط اللغوي(دراسة تطبيقية عن تعريب المصطلحات في السعودية): ٢٣.
٨. التعريب ونظرية التخطيط اللغوي(دراسة تطبيقية عن تعريب المصطلحات في السعودية): ٢٣.
٩. ينظر : الهوية العربية والأمن اللغوي (دراسة وتوثيق) د. عبد السلام المسدي : ٩٨-٩٩ .
١٠. السياسة اللغوية في البلدان العربية الاعلام انموذجاً ، علي القاسمي : ١، و ينظر : نحو سياسات لغوية متسامحة في زمن العولمة ، : ٣ ، و السياسة الثقافية في العالم العربي، علي القاسمي : ٢٣٦ - ٢٣٧.
١١. (*) جاء في نهج البلاغة " ... خادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها ونشاطها الا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة ... " فقد قرن الأمام علي عليه السلام العفو وهو الفراغ هنا والنشاط بالمستحب دون الواجب واستثنى من ذلك الفريضة ،
١٢. المعجم المفهرس : ١٠٥ .
١٣. ينظر: السياسات اللغوية ، لويس جان كالفي : ٥٣ .
١٤. السياسة الثقافية في العالم العربي : ٢٣٦.
١٥. ينظر جهود اللغويين المحدثين في الازدواجية اللغوية العربية : ١٨١.
١٦. انتظام السياسة اللغوية قراءة نقدية في ضوء اللسانيات الاجتماعية ، نعمة دهش فرحان الطائي: ٢٣.
١٧. ينظر: تخصص اللغة العربية وآدابها في الجامعات العربية (غياب التخطيط و اختلال السياسات)، هيثم سرحان : ١، ٧٢.
١٨. ينظر: المفردات للراغب (بصر) ولسان العرب (بصر).
١٩. ينظر: نحو سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة : ٣ . و جهود اللغويين المحدثين في الازدواجية اللغوية العربية ، اسعد عباس كاظم : ١٨١.
٢٠. ينظر : مدخل إلى اللسانيات ، برتيل ما لبرج : ٢٠٣ - ٢٠٤.
٢١. مدخل إلى اللسانيات : ٢٠٤.
٢٢. مدخل إلى اللسانيات : ٢٠٤.
٢٣. ينظر : مدخل إلى اللسانيات ٢٠٤-٢٠٥.
٢٤. اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحول، نهاد الموسى : ١٤٠.
٢٥. السياسات اللغوية : ١٠ - ١١ .
٢٦. ينظر : اللسانة الاجتماعية ، جوليت غار ملاي : ٢٠٩ - ٢١٠ .
٢٧. ينظر : امبراطوريات الكلمة تاريخ اللغات في العالم ، نيقولاس أوستلر: ٢٠-٢٤ حرب اللغات ، لويس جان كالفي: ٢٢.
٢٨. ينظر : امبراطوريات الكلمة تاريخ اللغات في العالم: ٧٠-٧١ .
٢٩. اللسانة الاجتماعية : ٢٠٩.
٣٠. ينظر : السياسة اللغوية وتعلم اللغة ، جيمس أطوليفسن ترجمة محمد خطابي : ٥٦.
٣١. ينظر: اللغة والهوية في الوطن العربي (اشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية) : ٣١٣. والسياسات اللغوية : ١٢-١٤، واللسانة الاجتماعية : ٢٠٩-٢١٠.
٣٢. ينظر : دليل السوسيو لسانيات ، فلوريان كولماس : ٩٣٣-٩٣٨، ٩٣٥-٩٦٧.

٣٣. ينظر : اللسانة الاجتماعية ٦٣ ، ودليل السوسولوجيات : ٤١٦ - ٩٤٩-٩٦٦.
٣٤. حرب اللغات و السياسات اللغوية : ٢٢١.
٣٥. حرب اللغات و السياسات اللغوية : ٢٢١ ، و: اللغة والهوية في الوطن العربي (اشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية) : ٥١.
٣٦. السياسات اللغوية : ٧ ، اللغة والهوية في الوطن العربي : ٥١.
٣٧. ينظر : السياسة اللغوية ، المفهوم والالية : ٣٢٦ .
٣٨. ينظر : حرب اللغات و السياسة اللغوية : ٢٢١ .
٣٩. ينظر: التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي : ٣٦ ، وجهود اللغويين المحدثين في الازدواجية اللغوية العربية : ١٨١ ، ٢٣٤ وفي هذه الاطروحة مجموعة طيبة من الجهود العربية الاكاديمية منها :
- ١ العربية والامن اللغوي ، زهير غازي زاهد : ١٩٠.
- ٢ اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ، كمال بشر .
- ٣ قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث ، نهاد الموسى . ونضيف عليها :
- ٤- السياسة الثقافية في العالم العربي ، علي القاسمي
- ٥- لغة الطفل العربي ، علي القاسمي .
- ٦- الترجمة وادواتها ، علي القاسمي .
- ٧- جهود وادارات مركز دراسات الوحدة العربية .
- ٨- جهود الدكتور محمد الأوراعي .
- ٩- جهود المجامع العربية ومراكز التعريب .
٤٠. تكوين العقل العربي ، محمد عابد الجابري : ٥.
٤١. ينظر : العولمة والثقافة واللغة: القضايا الفنية في اسئلة اللغة: ٤٣ ، و السياسة الثقافية في العالم العربي : ٢٢١ .
٤٢. في اللغة الإنكليزية تستعمل كلمة إبستمولوجي (Epistemology) ، للدلالة على علم المعرفة. وهي مؤلفة من جمع كلمتين يونانيتين : episteme بمعنى: معرفة، وlogos بمعنى دراسة؛ فهي إذا، عند الغرب، دراسة نقدية للمعرفة.
٤٣. أمّا في العربية، فاختلف العلماء على استعمال كلمة علم كبديل عن المعرفة وخاصة عند الأشاعرة. فعرفه الباقلاني الأشعري أنّ حد المعرفة هو معرفة العلوم وصفه إلى علمين: علم قديم هو علم الله، وعلم محدث وهو مكتسب عن طريق التعلم. ينظر نظرية المعرفة ، موقع ويكيبيديا .
٤٤. ينظر : تكوين العقل العربي : ٧٧ ، وتنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي ، عبد الرحمن بجوي : ٢.
٤٥. لتحيا اللغة العربية : ٤٨ ، وتنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي: ٢ ، و اللغة العربية و تحديات العولمة : ٧ ، ١٣-١٦ .
٤٦. ينظر: لتحيا اللغة العربية : ٣٧-٤٠ ، و ٤٥-٤٨ .
٤٧. ينظر تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٢-٣ ، ولتحيا اللغة العربية : ٤٨-٤٩ ، و اللغة العربية و تحديات العولمة : ١-٧ ، ١٣-٢٧ .
٤٨. ينظر : الهوية العربية والامن اللغوي : ٨٩-١٠٣ ، ١٧١ ، و العربية و الامن اللغوي : ١-٥ .
٤٩. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٣ ، وصراع العربية من اجل البقاء : ٢٨٢-٢٨٣ ، و العقل العربي ومجتمع المعرفة : ١/٨٥ .

٥٠. ينظر : أنماط السياسات اللغوية والوضع اللغوي بالمغرب : ٤٠٧ ، و التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي : ٩-١٥ ، ٥١ .
٥١. ينظر : جهود اللغويين المحدثين في الازدواجية اللغوية العربية : ٥ ، وتنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٤
٥٢. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٥ .
٥٣. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٥ ، و اللغة العربية وتحديات العولمة : ٨٤-٨٥ .
٥٤. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٥ ، و جهود اللغويين المحدثين في الازدواجية اللغوية العربية : ٥-٧ .
٥٥. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٥
٥٦. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٤-٥ ، لخصت هذه الوسائل من مجموعة من البحوث والدراسات والمراجع منها : الثقافة والتنمية البشرية ، امبراطوريات الكلمة ، وكتابات الدكتور علي القاسمي ، والثقافة والتنمية البشرية ، وغيرها .
٥٧. ينظر : الانثروبولوجية اللسانية : ٦ ، وامبراطوريات الكلمة : ١١٤ .
٥٨. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٧ ، والسياسة الثقافية في العالم العربي : ٢٢٤ ، ولغة الطفل العربي : ٢٢-٢٧ .
٥٩. ينظر : العربية والامن اللغوي : ٤ ، تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٧-٨ .
٦٠. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٥ : ٨ .
٦١. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٨-٩ .
٦٢. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ٨-٩ ، و العربية والامن اللغوي : ٧ .
٦٣. ينظر : لتحيا اللغة العربية ٤٠-٤٨ .
٦٤. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ١٠ .
٦٥. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ١٠-١١ .
٦٦. ينظر : صراع اللغة العربية من أجل البقاء : ٢٧١ .
٦٧. ينظر : الثقافة والتنمية البشرية : ٩٢-٩٣ ، وتنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ١١ .
٦٨. ينظر : امبراطوريات الكلمة تاريخ للغات في العالم : ٢٠ .
٦٩. ينظر : تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ١١-١٢ ، و الأنثروبولوجيا اللسانية : ١٩-٢٥ .
٧٠. ينظر : لغة الطفل العربي : ٨١ ، و لتحيا اللغة العربية : ٢٠ .
٧١. ينظر : لتحيا اللغة العربية : ٢٠-٢٣ .
٧٢. سورة ابراهيم : ٤ .
٧٣. ينظر : لتحيا اللغة العربية : ٢٧ ، و امبراطوريات الكلمة : ٢٠-٢١ .
٧٤. ينظر : لتحيا اللغة العربية : ٤٥ .
٧٥. ينظر : لغة الطفل العربي : ٨١ ، و تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي : ١١-١٢ .
٧٦. ينظر : لتحيا اللغة العربية : ٤٦-٥١ .
٧٧. أسئلة اللغة (أسئلة اللسانيات) ١١-١٦ ، ٢٧١ .
٧٨. ينظر : لتحيا اللغة العربية : ٥٣ ، وامبراطوريات الكلمة : ٦١ ، ٩٩ .
٧٩. ينظر : أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات ، حافظ اسماعيلي علوي : ٢١ .
٨٠. ينظر : لتحيا اللغة العربية : ٥٥ .

٨١. النحو قبل أبي الأسود الدؤلي : ٢٨ . هو عبد الله بن أبي اسحاق، أول من بعج النحو، وسن القياس والعلل، وهو تلميذ تلامذة أبي الاسود الدؤلي، ت : ١١٧هـ .
٨٢. ينظر : لغة الطفل العربي : ١٦٩ ، ١٨٩ ، و لتحيا اللُّغة العربية : ٥٥ .
٨٣. سورة نوح : ١٤ .
٨٤. ينظر : لغة الطفل العربي : ١٩٣-١٩٤ .
٨٥. سورة الحجر : ٩ .
٨٦. ينظر : لتحيا اللُّغة العربية : ٦٤ ، ولغة الطفل العربي : ١٩٣ .
٨٧. ينظر : لتحيا اللُّغة العربية : ٦٩-٧٠ ، و السنن النفسية لتطور الأمم ، غوستاف لوبون : ٤٥ .
٨٨. ينظر : لتحيا اللغة العربية : ٣٦ .
٨٩. لتحيا اللغة العربية : ١٠ ، و النظام التربوي في الاسلام : ١٥٧-١٦٠ .
٩٠. اللغة بين القومية و العالمية : ١٠٤ . و لغة الامة و لغة الام (عن واقع اللُّغة العربية في بيئتها الاجتماعية و الثقافية) : ١٤٧ .
٩١. ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، عبد الراجحي : ١٧ ، و اثر القرآن الكريم في اللُّغة العربية ، احمد حسن الباقوري : ٢٦ .
٩٢. ينظر : دلالة الالفاظ ، ابراهيم انيس : ٩٣ .
٩٣. ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ٢٣ ، ٥١ ، و في اللهجات العربية ، ابراهيم انيس : ٣١-٤٥ .
٩٤. الفلسفة وقضايا اللُّغة : ٥٠-٥١ .
٩٥. لسان حضارة القرآن ، محمد الاوراعي : ٤٢ ، و ينظر : التعدد اللغوي (انعكاساته على النسيج الاجتماعي) : ٩-١٣ .
٩٦. ينظر : لسان حضارة القرآن ، محمد الاوراعي : ٤٢ ، و ينظر : التعدد اللغوي (انعكاساته على النسيج الاجتماعي) : ٩-١٣ .
٩٧. ينظر : الفلسفة وقضايا اللُّغة : ٥٠-٥١ .
٩٨. ينظر : اساسيات في اقتصاد اللُّغة العربية : ٣٨ .
٩٩. ينظر : اساسيات في اقتصاد اللُّغة العربية : ٣٩-٤٠ .
١٠٠. ينظر : اساسيات في اقتصاد اللُّغة العربية : ٤٦ .
١٠١. ينظر : اساسيات في اقتصاد اللغة العربية : ٥٠ .
١٠٢. ينظر : اساسيات في اقتصاد اللغة العربية : ٥٠ .
١٠٣. ينظر : الخصائص : ٤٠٣-٤١٧ . وفوائد لغوية : ١٦ .
١٠٤. ينظر : الخصائص : ٤٠٣-٤١٧ . وفوائد لغوية : ١٦ .
١٠٥. ينظر : الخصائص : ٤٠٣-٤١٧ . وفوائد لغوية : ١٦ .
١٠٦. ينظر : فوائد لغوية : ٢٤-٢٥ .
١٠٧. سورة الكهف : ١ .
١٠٨. ينظر : فوائد لغوية : ٢٤-٢٥ .
١٠٩. ينظر : فوائد لغوية : ٢٤-٢٥ .
١١٠. اللُّغة العربية ومكانتها بين اللغات : ٣ .
١١١. اللُّغة العربية ومكانتها بين اللغات : ٣ .
١١٢. ينظر : اللُّغة العربية ومكانتها بين اللغات : ٣ .
١١٣. ينظر : الفلسفة وقضايا اللُّغة : ٥٢-٥٣ ، و التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي : ٩-١٣ .

١١٤. ينظر : الفلسفة وقضايا اللغة : ٥٤.
١١٥. التداوليات ، حافظ اسماعيلي ، ٣١ - ٣٩ ، وينظر الفلسفة وقضايا اللغة، ٥٤ - ٥٥.
١١٦. الفلسفة و قضايا اللغة: ٥٧.
١١٧. ينظر : الفلسفة و قضايا اللغة: ٥٧.
١١٨. ينظر : السياسات اللغوية : ٣٩-٤١.
١١٩. السياسات اللغوية : ٦٥.
١٢٠. ينظر : العربية والأمن اللغوي : ٧.
١٢١. ينظر: لتحيا اللغة العربية : ٤٧.
١٢٢. ينظر: لتحيا اللغة العربية : ٤٧-٤٨ ، والسياسات اللغوية ٣٧-٣٩.
١٢٣. ينظر: لتحيا اللغة العربية : ٣٨.
١٢٤. ينظر: لتحيا اللغة العربية : ٤٢.
١٢٥. ينظر : العربية لغة حضارة (الحرف العربي مواكب للعصر الالكتروني) حامد بن محمود صفرطه : ٣.
١٢٦. اللغة العربية اسئلة التطور الذاتي والمستقبل مجموعة باحثين : ٥٨.
١٢٧. اللغة العربية اسئلة التطور الذاتي والمستقبل : ٥٨ ، وينظر: اللغة العربية مؤثرة ومتأثرة : ٧ ، ٤٥.
١٢٨. ينظر: اللغة العربية مؤثرة ومتأثرة : ٧ ، ٤٥.
١٢٩. ينظر : العربية لغة حضارة : ١ - ٧ ، و اللغة العربية مؤثرة ومتأثرة : ٧ ، ٤٥.
١٣٠. ينظر : العربية لغة حضارة : ١ - ٧ ، و اللغة العربية مؤثرة ومتأثرة : ٧ ، ٤٥.
١٣١. ينظر : العربية لغة حضارة : ١ - ٧ ، و اللغة العربية مؤثرة ومتأثرة : ٧ ، ٤٥.
١٣٢. اللغة العربية ارث وارتقاء حياة ، حسين جمعة : ٢٩ - ٣٠.
١٣٣. ينظر : موسوعة المعلومات على الانترنت .
١٣٤. ينظر : الشباب ولغة العصر (دراسة لسانية اجتماعية) نادر سراج ، ١٣ ، ٢٩٤ ، ولماذا يشكل زيادة لمحتوى الرقمي باللغة العربية عاملا رئيسا في التنمية العالمية ، موقع اصوات ٢٨/٤/٢٠١٤.
١٣٥. لعل فكرة أصول نظرية الأتموزج التجاري للغة منبثقة من هنا .
١٣٦. ازدهار النظام هو المعبر عنه اليوم بـ (التنمية البشرية الشاملة أو المستدامة).
١٣٧. وهو المعبر عنه في هذا العصر بـ (عرقلة التنمية).
١٣٨. ممكن أن ينطبق هذا الكلام على المصطلح العلمي .
١٣٩. إمبراطوريات الكلمة : ١٧٥.
١٤٠. إمبراطوريات الكلمة : ١٧٥.

انسيابية اللغة ورقتها

في ديوان (الجداول) لإيليا أبي ماضي

The use of smooth and subtle language in the anthology poem al jadawil by iliya abu Madhi

د. هنيء محلية الصحة
قسم الادب العربي / جامعة مالانج الحكومية
اندونيسيا

Hanik Mahlia tussikah

Prodi Pendidikan Bahasa Arab, Jurusan Sastra
Arab, Fakultas Sastra,
Universitas Negeri Malang, Indonesia
Hanik.mahliatussikah.fs@um.ac.id

ABSTRACT

The research aims at describing and analyzing the stylistics of poems in the anthology of *al-Jadawil* which is written by *Iliya Abu Madhi*. The stylistics analyzed are *theme*, tone, diction, language style, and imagery. The research is descriptive-qualitative in nature and aims at elucidating and describing the stylistic features of 46 poems in the anthology. The present research found that the poems in this anthology stylistic features. Seen from the aesthetical have their own perspectives, Iliya Abu Madhi wrote the poems by using smooth and subtle language. Most of verses that carry theme elements were revealed to have humanity; love, longing, sadness, friendship, soul, alianation, good-bad things, and

optimistic theme. The research also discovered that there are 16 metrum or *bahr* in Arabic poetry. Based on the prevailing taxonomy, the majority of poems fall into the category of *Al-Kamil*, *Al-Khafif*, and *Ar-Raml* metrum.

The outcomes of this research have practical analysis which is the prospect for developing learning materials. It is hoped that the outcomes of this research can be useful for the learning of *Arabic poetry*. The research suggests future researchers to study the stylistic feature from other branches of *Abu Madhi poetry* or other poets of Arabic *mahjar*.

Keywords: stylistics, arabic poetry, al-jadawil, Iliya Abu Madhi

مقدمة

تميزت قصائد ديوان الجداول بأصالة فكرتها، وحيوية لغتها، وانسيابيتها ورقتها وانبثاقها عن تجربة تنسج بالسعة والعمق، وانسجام الشكل مع المحتوى حتى لا انفصال بينهما. تميزت قصائده بالصدق في التعبير عن العواطف الفردية والمشاعر العميقة. ويظهر في شعره جوانب الخيال والتصورات الرائعة. بحثت هذه المقالة ديوان الجداول من حيث الموضوع، والبحور الشعرية، والقافية، واختيار الألفاظ الراقية المتناسبة بعضها بعضاً، واستخدام الأساليب البلاغية المؤثرة في القلب. استخدمت الباحثة الدراسة الاسلوبية في اكتشاف العناصر الداخلية في ديوان الجداول. وهذه الدراسة من نوع المدخل التركيبي وهو التحليل من حيث العناصر الداخلية للعمل الأدبي.^(١) الدراسة الاسلوبية. وهي علم من علوم اللغة تبحث في استخدام اللغة في مناسبة وغرض معين.

تميز الشعر المهجري بالمضمون والشكل والأداء. يتميز الشعر المهجري من حيث المضمون بالنزعة الإنسانية، والنزعة التأملية، والحنين إلى الوطن، والحزن. والنزعة الإنسانية هي النظرة إلى المجتمع كله نظرة الحب والرحمة والخير الجميع، وانتشار المبادئ السامية بين الناس. والشعر المهجري يتميز بالحنين إلى الوطن الأم لأن جسدهم في أمريكا لكن شعورهم في اشتياق أوطانهم البعيدة، ويرغبون في العودة إلى أوطانهم المحبوبة.^(٢) ويهتم الشعر المهجري من حيث الشكل والأداء ب (أ) تأكيد الوحدة الموضوعية والبنائية للقصيدة، وترتيب الأفكار والصور في بناء متماسك، (ب) والتعبير عن تجربة شعورية ذاتية في الغربة، (ج) ويختار الشاعر من الأشياء الحسية رموزاً لمعنويات خفية. (٤) والتجديد في الوزن والقافية، (٥) والسهولة والوضوح في اللغة والأساليب، والتسامح في بعض الأحيان في قواعد اللغة لأن اللغة

وسيلة للأداء الشعري وليست غاية في ذاتها، (٦) والإكثار من استخدام الشكل القصصي في القصيدة. (٣)

للأدب المهجري صفة التمايز عن أدب الشرق بما يجمع من ملامح شرقية و ملامح غربية (٤). ومن أهم فنون شعرهم القصيدة، وأشهر مَنْ برع في القصيدة الشعرية إيليا أبو ماضي. وقد تنوعت هذه العناصر القصصية عند أبي ماضي. والعنصر القصصي في الشعر من سمات التجديد في الشعر العربي الحديث. (٥) وأكثر قصصها واقعي ورمزي ثم خيالي. وقد حاول أبو ماضي أن ينوع في أوزانه وقوافيه بنظم القصيدة الواحدة متعددة القوافي. وظلّ في معظم أشعاره يتبع عمود الشعر العربي ويلتزم بقوافيه وأوزانه. (٦) وله عدة اعمال الأدبية ومنها دواوين "تذكار الماضي" و"ديوان إيليا أبو ماضي" و"الجداول" و"الخمائل" و"تبر وتراب". وقد اشتهر إيليا أبو ماضي بالتفاؤل وحب الحياة والإيمان بجماله. ودعا الناس إلى الأمل كما دعا إلى المساواة بين الغني والفقير. (٧)

وديوان الجداول له عناصر اسلوبية بديعية وصور بيانية بالألفاظ المتوازنة والتقفية المنسجمة والإيقاع الداخلي والخارجي. ويشمل الديوان على الابداع الأصـلـيـل المؤثر في النفوس والقيم الإنسانية والإلهية الراقية. وهذه الدراسة تريد التمكن من نقل القواعد البلاغية النظرية وقواعد العروض والقوافي إلى حيز الممارسة التطبيقية والتحليلية.

الموضوعات واختيار الألفاظ في ديوان الجداول

في ديوان الجداول ٤٦ قصيدة. وموضوعاته تعتمد على المشكلات الموجودة في كل عناوين القصيدة. وتتركز الموضوعات على الحب، والاشتياق، والمصادقة، والأغراب، والحزن، والسلوك الحسنة والسيئة، والنفوس، والدعوة إلى التفاؤل. فهذه الموضوعات الثانوية تخضع إلى الموضوع الرئيسي لهذا الديوان وهو الإنسانية. الألفاظ العربية في الديوان تمتاز بالمرونة والسلاسة. والألفاظ والكلمات أساسيات الشعر. كلما قويت الألفاظ قويت المعاني. (٨) واختار إيليا أبو ماضي الألفاظ المطابقة والمتناسقة بالإيقاعات والأوزان الشعرية واستخدم كثيرا الألفاظ المتعلقة بالطبيعة. واهتم الشاعر بالألفاظ اهتماما جيدا، والدليل على ذلك وجود الانسياب والركة في التقفية. واختار الشاعر الألفاظ المتناسقة بالأوزان أو البحور الشعرية متناسبة بغرض القصيدة. فاختار الشاعر مثلا البحر الخفيف لدلالة على الحزن والشجون والتصوير النفسي للانفعالات والخلجات والبكاء.

ينبغي أن تكون الكلمة الشعرية واضحة غير غريبة، وأن تكون في مستوى - من حيث الدلالة والوزن، والموسيقى والجزالة والركة - فوق مستوى لغة الكلام العادي، وعلى الشاعر أن يبتكر كلمات يثري بها المعجم الشعري، وأن يأتي بمجازات وصور جديدة، أخاذة، وحلى ولمسات أسلوبية فريدة، وأن الطريق الوحيدة لأن تكتسب لغة الشعر

الامتيازَ والتفردَ والتميزَ، هي أن تختلف مصطلحاتها وكلماتها ومجازاتها وصورها عن لغة الكلام العادي.^(٩)

البحور الشعرية في ديوان الجداول

البحث في البحور الشعرية يتعلق بالإيقاع. الإيقاع وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيت. ويستوعب الوزن لكن الوزن لا يستوعب كل الإيقاع. وهو سلسلة متسقة أو نماذج منسجمة من التبادلات. والإيقاع عند الخوارزمي النقلة على النغم في أزمنة محددة المقادير.^(١٠) والإيقاع نوعان وهما: الإيقاع الخارجي، والإيقاع الداخلي. والإيقاع الخارجي يتعلق بدراسة بحر القصيدة وتفعيلاته، وتحديد الوزن، وبيان وظيفة البحر في القصيدة، ودراسة القافية والروي.^(١١) الإيقاع الخارجي هو الوزن والموسيقى.^(١٢) والإيقاع الداخلي يتعلق بملاحظة تكرار الصوت أو الجملة أو الكلمة أو حتى البيت أو المقطع الشعري، وملاحظة وجود التجانس بين الألفاظ، والتوازن الصوتية، والوصول إلى الموسيقى الداخلية في القصيدة المؤثرة في النفس. وهناك أنواع من الإيقاع وهي الإيقاع باعتباره بنية نظامية، وبنية بلاغية، وبنية دلالية، وبنية مرئية. باعتباره بنية نظامية فالإيقاع نظم التفعيلات في البيت الواحد. والإيقاع يمكن أن يأتي على ثلاثة مستويات نوعية: (١) الإيقاع الكمي: الاعتماد على نظام المقاطع، (٢) الإيقاع الكيفي، الاعتماد على النبر في الجمل، أو في الكلمة الواحدة.^(٣) إيقاع التنعيم، الاعتماد على أصوات الجمل، من صعود وانحدار وما شابه. ويتضمن الإيقاع على المستوى الصوتي: كالتجانس والتكرارات بشكل عام، والمستوى الدلالي: كالطباق والتقديم والتأخير النحوي. وهذا يدل على أن الإيقاع الداخلي ليس فقط الموسيقى الممهوسة، أو المعتمدة على التجانس بين الحروف في الكلمة، أو الانسجام بين الكلمات في الجملة.^(١٣) والبحر مجموعة من الأوزان والتفعيلات.^(١٤) والوزن مجموعة التفعيلات التي يتألف منها البيت، وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية في معظم الأحيان.^(١٥)

وحسب عملية التحليل، اكتشفت الباحثة البحور الشعرية للقصائد في ديوان الجداول، وهي ما يلي:

الجدول ١ : البحور الشعرية لقصائد في ديوان الجداول لإيليا أبي ماضي

الرقم	العنوان والترتيب	المطلع للقصيد	نوع البحر
١.	العنقاء (٢)	أنا لست بالحسناء أول مولع	الكامل
		فأقصص علي إذا عرفت حديثها	
٢.	الغير المتكرر (٧)	زعم المؤدب أن عيرا ساءه فمضى فقصرت القواطع ذيله	الكامل
		أن لا يسار به إلى الميدان وسطت مواضيها على الأذان	
٣.	المساء (١٥)	السحبُ ترُكضُ في الفضاء الرَّحْبِ رَكْضَ الخافئينَ وَ الشمسُ تبدو خلفها صفراءَ عاصبة الجبين	الكامل
٤.	الكمجـة المحطمة (١٦)	شاهدتها كالميت في أكفانه مَهْجُورَةٌ كسفينَةٍ مَثْبُودَةٍ	الكامل
		فُوجِئْتُ إِلَّا عِبْرَةً أُرِيهَا فِي الشَّطِّ غَابَ وَرَاءَهُ مَاضِيهَا	
٥.	الأسرار (١٨)	يَا لَيْتَنِي لَصُّ لَأَسْرَقَ فِي الضُّحَى	الكامل
		وَ أَجْسُ مُوتَلَقَ الْجَمَالِ بِإِصْبَعِي	
٦.	الزمان (٢٠)	يمشي الزمان بمن ترقب حاجة	الكامل
		حتى ليحسبه أسيرا موثقا ويراه أبطأ من يح مقعد	
٧.	نار القرى (٢٤)	روحي التي بالأمس كانت ترتع	الكامل
		تقتات بالثمر الجني فتشبع وبيل غلتها رشاش الماء	
٨.	انا (٢٦)	حُرٌّ وَمَذْهَبٌ كُلُّ حُرٍّ مَذْهَبِي أَنْتِي لَأَغْضَبَ الْكَرِيمِ يَتَوَّشُّهُ	الكامل
		مَنْ تَوَّشُّهُ وَأَلْوَمُ مَنْ لَمْ يَغْضَبِ	
٩.	لا انت ولا انا (٣١)	قلت: السعادة في المنى فرددني	الكامل
		ورأيت في ظل الغنى تمثالها	
١٠.	عيد النهى (٣٣)	قل للحمائم في ضفاف الوادي	الكامل
		لترين كيف تبعثرت أحلامه وجرت به الآلام خيل طراد	

١١.	الغدير الطموح (٣٥)	قال الغدير لنفسه مثل الفرات العذب أو كالنيل ذي الفيض الغزير	يا ليتني نهر كبير الكامل
١٢.	الدمعة الخرساء (٣٧)	سمعت عويل النائحات عشية يبكين في جنح الظلام صبيّة	الكامل
١٣.	كم تشنكي (٣٨)	كَمْ تَشْنَكِي وَتَقُولُ إِنَّكَ مُعِدُّمٌ وَلَكَّ الْحَقُولُ وَزَهْرُهَا وَأَرِيحُهَا	الكامل
١٤.	الغراب والبلبل (٤٢)	قَالَ الْغُرَابُ وَقَدْ رَأَى كَلْفَ الْوَرَى لَمْ لَا تَهَيِّمُ بِي الْمَسَامِعُ مِثْلَهُ وَجَنَاحِي	الكامل
١٥.	الفقير (٤٦)	هَمَّ أَلَمُ بِهِ مَعَ الظُّلَمَاءِ نَفْسٌ أَقَامَ الْحُزْنَ بَيْنَ ضُلُوعِهِ	الكامل
١٦.	الفاطحة (١)	يَا رَقِيقِي ... أَنَا لَوْلَا أَنْتَ مَا وَقَعْتُ لَحْنًا أَلْبَسَ الرَّوْضَ حِلَاةً أَتَتْهُ يَوْمًا سَيُجَنِّي	رمل
١٧.	الضفادع والنجوم (٤)	صاحت الضفدع لما شاهدت يا رفاقي يا جنودي احتشدوا	رمل
١٨.	زهرة أقحوان (١٧)	كلن في صدري سرّ كامن كالأفعوان وإذا لاح أمامي عقل الذعر لساني	رمل
١٩.	قطرة الطل (٢٣)	إن تر زهرة ورد فوقها للطلّ قطره و لتكن عينك كفا و ليكن لمسك نظره	رمل
٢٠.	ابن الليل (٢٥)	أشرف البدر على الغابة في إحدى الليالي فرأى الثعلب يمشي خلة بين الدوال	رمل- مجزوء
٢١.	العليقة (٢٩)	ذات شوك كالحراب أو كأظفار العقاب ربضت في الغاب كاللص ، لفتك و استلاب	رمل- مجزوء

٢٢.	الطلاس (٣٦)	جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت	رمل - مجزوء
٢٣.	السماء (٥)	لا تُسَلِّني عَن السَّمَاءِ فَمَا عِنْدِي هِيَ شَيْءٌ وَبَعْضُ شَيْءٍ وَحِينًا كُلُّ شَيْءٍ وَعِنْدَ قَوْمٍ هَبَاءٌ	الخفيف
٢٤.	الحجر الصغير (١٠)	سمع الليل ذو النجوم أنينا فانحنى فوقها كمسترق الهمس	الخفيف
٢٥.	الطين (١١)	نَسِي الطِّينَ سَاعَةً أَنَّهُ طِينٌ وَكَسَا الْخَرَّ جِسْمَهُ فَنَبَاهِي	الخفيف
٢٦.	في الفقر (١٣)	سئمت نفسي الحياة مع الناس، وتمشت فيها الملالة حتى ضجرت من طعامهم والشراب	الخفيف
٢٧.	العميان (١٩)	كم خفضنا الجناح للجاهلينا خبروهم ، يا أيها العاقلونا	الخفيف
٢٨.	اليتيم (٢١)	خَبَّرُونِي مَاذَا رَأَيْتُمْ ؟ أَطْفَالًا يَتَامَى أَمْ مَوَكِبًا عُلُويًّا ؟	الخفيف
٢٩.	الاله الثرثار (٢٧)	كَزُهورِ الرِّبْعِ عَرَفًا زَكِيًّا زعم المرء أنمارب يلفظ البحر و هو ملح أجاج لؤلؤا يبهر العيون سنه	الخفيف
٣٠.	موت العبقري (٣٤)	كُلُّ مَيِّتٍ مَهْمًا عَلَا فِي حَيَاتِهِ لَا حُدُودَ وَلَا مَقَائِيَسَ فِي المَوْتِ تُسَاوِي الجَمِيعَ فِي سَاحَاتِهِ	الخفيف
٣١.	ابنة الفجر (٤١)	أنا أن أغمض الحمام جفوني و تمشي في الأرض دارا فدارا فسمعت دويّه ورنينه	الخفيف
٣٢.	يا شذاهن (٤٣)	ربّ ليل نجومه ضاحكات لمست إصبع السكينة أشوا مثل أحلام غادة في صباحها في فهبت مذعورة من كراها	الخفيف
٣٣.	هي (٣٠)	أرؤي لكم عن شاعر ساحر قال : دَعَا أَصْحَابَهُ سَيِّدٌ فِي لَيْلَةٍ رَفَّتْ حَوَاشِيهَا	سريع
٣٤.	الناسكة (٣٢)	أبصرت في الحبل قبيل المغيب سنبلة في سفح ذاك الكئيب	سريع

٣٥	عروس الجمال (٤٠)	إذا أطلّ البدر من خدره وإن شذا البلبل في وكره	فأبما يطلع كي تنظريه فأبما يشدو لكي تسمعيه	سريع
٣٦	غرامية (٤٥)	عيناك و السحر الذي فيهما	صيرتاني شاعرا ساحرا بدر الدجى، والغصن، والطائرا	سريع
٣٧	ريح الشمال (٩)	سألت: وقد مرّت الشمال إلى أيما غاية تركضين؟	تنوح وأونه تعول ألا مستقر ؟ ألا موئل؟	مقارب
٣٨	متى يذكر الوطن النوم ؟ (٣٩)	أنكر في أمسنا والغد وجاروا على الشيخ والأمرد	جلست وقد هجع الغافلون وكيف استبدّ بنا الظالمون	مقارب
٣٩	الاشباح الثلاثة (٢٨)	رواني النوم وما برحا أطبقت جفوني فانفتحا	حتى طأطأت له رأسي باب الرؤيا والوسواس	متدارك
٤٠	من ادب الزنوح (٤٤)	فوق الجميزة سنجاب ... والأرنب تمرح في الحقل وأنا صياد وثاب ... لكن الصيد على مثلي		متدارك
٤١	التمثال (١٤)	من المرمر المسنون صاغوا مثاله و قالوا - صنعناه لتخليد رسمه	وطافوا به من كلّ ناحية زمر فقلت - ألا يفنى كما فنى الأثر؟	طويل
٤٢	السحينة (٣)	لعمرك ما حزني لمال فقدته ولكنني أبكي وأندب زهرة	ولا خان عهدي في الحياة حبيب جناها ولوع بالزهور لعبوب	طويل
٤٣	بر دي ياسحب (٦)	رَضِيتُ نَفْسِي بِقَسَمَتِهَا كُلُّ نَجْمٍ لَا اهْتِدَاءَ بِهِ	فَلْيُرَاوُدْ غَيْرِي الشُّهُبَا لَا أَبَالِي لَاحٍ أَوْ غَرَبَا	مديد
٤٤	تعالى (٨)	تعالى نتعاطاها كلون التبر أو أسطع فلا يعرف من نحن ولا يبصر ما نصنع	ونسقي النرجس الواشي بقايا الراح في الكاس ولا ينقل عند الصبح نجوانا إلى الناس	وافر
٤٥	التينة الحمقاء (١٢)	و تينة غضة الأفنان باسقة بئس القضاء الذي في الأرض أوجدني	قالت لأترابها و الصيف يحتضر عندي الجمال و غيري عنده النظر	بسيط
٤٦	المجنون (٢٢)	أطَارَ عَنِّي النَّوْمُ صَوْتُ فِي الدُّجَى يَصْرُخُ، وَالرَّيْحُ تُرَدِّدُ الصُّدَى	كأنه دمدمة الشلال في أدن القضاء والشلال	رجز

حسب هذه البيانات، فالشاعر فضل على بحر الكامل (الوزن: متفاعلن 6x) والخفيف (الوزن: فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن 2x) والرمل (الوزن: فاعلاتن 6x) من البحور الشعرية الأخرى. وحسب هذه البيانات تعرف أن الشاعر لا يستخدم البحر المنسرح، والمضارع، والمقتضب، والمجتث، والهزج في ديوان الجداول.

فضل الشاعر بحر الكامل في قصائده في ديوان الجداول. والكامل من أكثر بحور الشعر العربي استعمالاً.^(١٦) أضراب بحر الكامل أكثر من غيره من البحور. وقيل أن سبب تسميته لكماله في الحركات ولقدرته على استيعاب أشكال متعدد من النظم.^(١٧) استخدم الشاعر البحر الكامل أكثر من البحور الأخرى لسهولة تطبيقه وتعلمه، وهي ١٥ قصيدة: العنقاء (٢)، والعرير الممتكر (٧)، المساء (١٥)، والكمجنة المحطمة (١٦)، والأسرار (١٨) والزمان (٢٠)، ونار القرى (٢٤)، وأنا (٢٦)، ولا انت ولا أنا (٣١)، وعيد النهى (٣٣)، والغدير الطموح (٣٥)، والدمعة الخرساء (٣٧)، وكم تشكي (٣٨)، والغراب والبلبل (٤٢)، والفقير (٤٦).

وفضل الشاعر كذلك البحر الخفيف. وسمي بهذا الاسم لخفته، ويلئم هذا البحر شعر الحزن والرثاء والشجون والتصوير النفسي للانفعالات والخلجات والبكاء^(١٨). وهذه مطابقة بقصائد إيليا أبي ماضي في عنوان: السماء (٥)، والحجر الصغير (١٠)، والطين (١١)، وفي القفر (١٣)، والعميان (١٩) واليتيم (٢١)، والاله الثرثار (٢٧)، وموت العبقري، (٣٤) وابنة الفجر، (٤١) ويا شذاهن (٤٣). وفضل الشاعر كذلك البحر الرمل. وسمي بهذا الاسم لسرعة النطق به لأنه احادي التفعيلة؛ فاعلاتن 6x. لبحر الرمل نبرة في القلب وله في الأندلسيات كثرة.^(١٩) استخدم إيليا أبو ماضي هذا البحر في قصيدة: الفاتحة (١)، والضفادع والنجوم (٤)، وزهرة اقحوان (١٧)، وقطرة الطل (٢٣)، وابن الليل (٢٥)، والعليقة (٢٩)، والطلاسم (٣٦).

اقتباساً مما قال محمود حسن عمر أن إبراهيم أنيس قد قال عن "العاطفة والوزن": أن الغربيين يربطون في بحثهم وزن الشعر بينه وبين نبض القلب الذي يقدّره الأطباء في الإنسان السليم بعدد ٧٦ مرة في الدقيقة، ويرون صلة وثيقة بين نبض القلب وما يقوم به الجهاز الصوتي، وقدرته على النطق بعدد من المقاطع، ويُقدرون أن الإنسان في الأحوال العادية يستطيع النطق بثلاثة من الأصوات المقطعية كلما نبض قلبه نبضة واحدة. إن حالة الشاعر في الفرح تختلف عن تلك التي في الحزن، وأن نبضات قلب

الشاعر حين يَمْتَلِكُهُ السرور تكون سريعة وكثيرة، ولكنها تكون بطيئة حين يَسْتَوِلِي عليه الهمُّ والحزن، ولذا فإن نغمة الإنشاد لا بد وأن تتغيَّر تبعاً للحالة النفسية للشاعر، فهي عند الفرح سريعة وثأبة، وعند الحزن بطيئة حاسمة. وكل هذا جعل الباحثين يعتقدون الصلة بين عاطفة الشاعر وما تخيَّره من أوزان. وذلك هو السر في أن الأوزان الشعرية عند كل الأمم لا تزيد مقاطع البيت منها على قدر معين، وربما كان العرب القدماء من أطول الأمم نَفْسًا في الشعر، لكثرة نظمهم من بحر الطويل أو البسيط، ونُدرة المجزوءات في أشعارهم^(٢٠). فالشاعر في حالة الحزن واليأس يتخيَّر وزنًا طويلًا، كثير المقاطع، يصبُّ فيه من أشجانه ما يُنْفَسُ عنه حزنه وجزعه، وأن الشعر وقت المصيبة قد تأثر بالانفعال النفسي، وتطأ بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفُّس وازدياد نبضات القلب.^(٢١)

قافية القصائد في ديوان الجداول

جزء كبير من قيمة الشعر الجمالية يُعزى إلى صورته الموسيقية.^(٢٢) الموسيقى من أبرز خصائص وسمات الشعر، وإليها يُعزى تَقَرُّدُهُ وقيمتها الجمالية، موسيقى الشعر هي التي تَمِيلُ معها الأذن، وتُطَرَّبُ لها النفس.^(٢٣) فالأسلوب الشعري لا يَصْلَحُ له من العبارات إلى ما كان موزونًا، وله جرسٌ موسيقي، ولا يصلح له من العبارات أيضًا إلا ما كان جَزَلًا ورقيقًا؛ حتى يتحقَّق عنصر التهذيب والتأثير المرجوَّين من الشعر. والوزن أخصُّ ميزات الشعر وأبينُّها في أسلوبه، ويقوم على ترديد التفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتاد والفواصل، وعن ترديد التفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقية للقصيدة كلها. للشعر لغة خاصة به و تختلف عن الكلام العادي، له مستواه الخاص، وتراكيبه التي تُناسب موسيقاه. للغة الشعر الخصائص الفنية؛ من حيث الشكلي (الوزن والقافية)، والمضمون الداخلي. ولها الخصائص التركيبية (النحو والصرف).^(٢٤) الشعر عند (يسبر سن) فن جميل تَقْصُرُ مقاييسنا العلمية عن تحديد سرِّ الجمال فيه، وهذا القصور يبدو بصفة خاصة في الجمال الداخلي في الأسلوب الذي يعتمد على طريقة رصف الكلمات بعضها إلى بعض.^(٢٥)

تعتبر القافية عنصراً رئيسياً مهماً في القصيدة، و لم تتخلَّ عن أهميتها علي امتداد تاريخ تطور القصيدة العربية^(٢٦). القافية هي المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، وهي من آخر البيت إلى أوّل ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن. وأسماء القافية من حيث حركات ما بين ساكنيها خمسة وهي المتواتر، والمتدارك، والمتراكب، والمتكاس، والمترادف. والمتواترُ ما فيه حرف واحد متحرك بين ساكنيه. والمتداركُ ما فيه حرفان متحركان متواليان بين ساكنيه، المتراكبُ ما فيه ثلاثة أحرف متحركة متوالية بين ساكنيه، والمتكاسُ ما فيه أربعة أحرف متحركة متوالية بين ساكنين، والمترادفُ كلُّ لفظ قافية توالى ساكناه بغير فاصل.^(٢٧)

وحروف القافية ستة و هي (١) الرّويّ : الحرف الذي تبنى عليه القصيدة و تنسب إليه، فيقال قصيدة رائية أو دالية و يلتزم الشاعر بهذا الحرف و بحركته في نهاية كل

بيت يكتبه. (٢) الوصل : الألف، و الواو، و الياء، و الهاء، سواكن يتبعن حرف الروي. (٣) الخروج : يكون بثلاثة أحرف و هي الألف و الواو و الياء السواكن، يتبعن هاء الوصل، (٤) الردف : ألف أو واو أو ياء سواكن قبل حرف الروي و قبلهن حرف متحرك بحركة مجانسة، (٥) التأسيس : حرف ألف قبل حرف الروي بحرف. وأن تكون ألف التأسيس و حرف الروي في كلمة واحد، (٦) الدخيل : الحرف الذي يقع بين ألف التأسيس و حرف الروي^(٢٨).

وحرف الروي لا بدّ أن يكون حرفاً صحيحاً غير معتل، وأن يكون أصيلاً في الكلمة حتى لا يحذف، ومن هنا فلم يعتبروا حروف المدّ والهاء حروف روى إلا في حالات محدودة. (٢٩) يكون حرف الهاء رويًا إذا كان الحرف قبله ساكناً، إما الهاء الأصلية للكلمة أو الضمير. و تصلح الواو للروي والوصل إن كانت ممدودة أصلية، وكان الحرف الذي قبلها مضموماً، والواو غير الأصلية هي واو الإطلاق، وواو الجماعة والواو اللاحقة لضمير الجمع. أما الياء غير الأصلية التي لا تكون رويًا فهي ياء الإطلاق وياء الإضافة، وكذلك ياء إذا كسر ما قبلها، وياء الضمير المسبوقة بكسر. والياء مثلها مثل الواو يمكن أن تكون رويًا أو وصلًا. وإذا كانت أصلية وما قبلها مكسوراً، ولم يلتزم الشاعر ما قبلها. وإذا التزم الشاعر بالحرف الذي قبلها كان رويًا. وكانت الياء وصلًا حتى لو كانت أصلية. وإذا كانت الياء أصلية متحركة، مع تحرك ما قبلها أو سكونه، تعتبر الياء رويًا. ويمكن للهاء أن تكون رويًا أو وصلًا. فإذا كان ما قبلها ساكناً كانت الهاء أصلية أو مضاعفة أو زائدة فهي روي. ولا يجوز أن يأتي بعد السكون وصل (الأسدي، ٢٠١٣). وقافية القصائد في ديوان الجداول كما يلي:

الجدول ٢ : أبيات القصائد في ديوان الجداول وقافيتها

اسم القصيدة	الأبيات	القافية
الفاتحة	يَا رَفِيقِي ... أَنَا لَوْلَا أَنْتَ مَا وَقَعْتُ لَحْنًا	الروي: النون
	كُنْتُ فِي سِرِّي لَمَّا كُنْتُ وَحْدِي أَنْعَى	القصيدة: نونية
	أَلْبَسُ الرُّوضَ حَلَاةً أَنَّهُ يَوْمًا سَيَجْنَى	القافية: متواتر،
	هَذِهِ أَصْدَاءُ رُوحِي ، فَلْتَكُنْ رُوحُكَ أَدْنَا	بعض الكلمة
	رَضِيتُ نَفْسِي بِقَسَمَتِهَا فَلْيُرَاوِدْ غَيْرِي الشُّهُبَا	الروي: الباء
	كُلُّ نَجْمٍ لَا اهْتِدَاءَ بِهِ لَا أَبَالِي لَاحٍ أَوْ غَرَبَا	القصيدة: بائية

بردي ياسحب	كُلُّ نَهْرٍ لَّا ارْتَوَاءَ بِهِ لَّا أَبَالِي سَالٌ أَوْ تَضْبَا	القافية: متركب، كلمة، وكلمة وبعضها
	مَا غَدٌ ، يَا مَنْ يُصَوِّرُهُ لِي شَيْئًا رَانِعًا عَجَبًا	
الأسرار	يَا لَيْتَنِي لَصُّ لَأَسْرَقَ فِي الضُّحَى سِرًّا لِلطَّافَةِ فِي النَّسِيمِ السَّارِي	الروي: الراء
	وَأَجْسُ مُوتَلَقَ الْجَمَالِ بِاصْبَعِي فِي زُرْقَةِ الْأَفْقِ الْجَمِيلِ الْغَارِي	القصيدة: رائية
	وَيَبِينُ لِي كُنْهَ الْمَهَابَةِ فِي الرُّبَى وَالسَّرُّ فِي جَدَلِ الْعَدِيرِ الْجَارِي	القافية: متواتر،
	وَالسَّحَرُ فِي الْأَلْوَانِ وَالْأَنْغَامِ وَالْأَشْدَاءُ وَالْأَشْدَاءُ وَالْأَزْهَارُ	بعض الكلمة
اليتيم	خَبَرُونِي مَاذَا رَأَيْتُمْ ؟ أَطْفَالًا يَنَامِي أَمْ مَوْكِبًا عَلُوِيًّا ؟	الروي: الياء
	كَزْهُورِ الرَّبِيعِ عَرَفًا زَكِيًّا وَنَجُومِ الرَّبِيعَةِ نُورًا سَنِيًّا	القصيدة: يائية
	وَالْفَرَاشَاتِ وَثْبَةً وَسُكُونًا وَالْعَصَافِيرِ بَلَدًا نَجِيًّا	القافية: متواتر،
	إِنِّي كُلَّمَا تَأَمَّلْتُ طِفْلًا خَلْتُ أَنِّي أَرَى مَلَاكًا سَوِيًّا	بعض الكلمة
أنا	حُرٌّ وَمَذْهَبٌ كُلُّ حُرٍّ مَذْهَبِي مَا كُنْتُ بِالْغَاوِي وَلَا الْمُتَعَصِّبِ	الروي: الباء
	أَنِّي لَأَغْضَبُ لِلْكَرِيمِ بَيُوشُهُ مَنْ دُونَهُ وَالْوَمُ مَنْ لَمْ يَغْضَبِ	القصيدة: بائية
	وَأَحِبُّ كُلَّ مُهَذَّبٍ وَلَوْ أَنَّهُ خَصْمِي، وَأَرْحَمُ كُلَّ غَيْرِ مُهَذَّبٍ	القافية: متدارك،
	يَأْبَى فُؤَادِي أَنْ يَمِيلَ إِلَى الْأَذَى حُبُّ الْأَذِيَّةِ مِنْ طِبَاعِ الْعَقْرَبِ	بعض الكلمة
الغراب والببل	قَالَ الْغُرَابُ وَقَدْ رَأَى كَلْفَ الْوَرَى وَهَيَامَهُم بِالْبَلْبَلِ الصَّدَاحِ	الروي: الحاء
	لَمْ لَا تَهَيِّمُ بِي الْمَسَامِعُ مِثْلُهُ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ جَنَاحِهِ وَجَنَاحِي	القصيدة: حائية
	إِنِّي أَشَدُّ قَوًى وَأَمْضَى مِخْلَبًا فَعَلَامَ نَامَ النَّاسُ عَنْ إِمْتِدَاحِي أَمُفَرِّقُ الْأَحْبَابِ عَنْ أَحْبَابِهِمْ وَمُكَدِّرُ اللَّذَاتِ وَالْأَفْرَاحِ	القافية: متواتر، بعض الكلمة

حسب البيانات السابقة، فأبيات القصائد في ديوان الجداول لها حروف الراوي المتنوعة وكذلك اسماء القافية المتعددة، اما من حيث عدد الأحرف بين ساكنيها واما من حيث عدد كلماتها.

واسم القصيدة حسب حرف الروي في ديوان الجداول ما يلي:
الجدول ٣ : اسم القصيدة حسب حرف الروي في ديوان الجداول

العنوان	الروي واسم القصيدة والعدد
الفاحة، والعين المتنكر، و زهرة اقحوان، لا انت ولا انا	النون- قصيدة نونية (٥)
العنقاء	العين- قصيدة عينية (١)
السجينة، وبردي ياسحب، وفي القفر، وانا، والعليقة	الباء- قصيدة بائية (٥)
الضفادع والنجوم، كم تشتكي	الميم- قصيدة ميمية (٢)
السماء، والحجر الصغير، و الفقير	الهمزة- قصيدة همزية (٣)
اليتيم	الياء- قصيدة يائية (١)
ريح الشمال	اللام - قصيدة لامية (١)
الغراب والبلبل	الحاء- قصيدة حائية (١)
الطين، و الزمان، و عيد النهى	الدال- قصيدة دالية (٣)
التينة الحمقاء، و التمثال، والأسرار، و قطرة الطل، و غرامية، و الغدير الطموح، الدمعة الخرساء	الراء- قصيدة رائية (٧)
الكمجة المحطمة، و الاله الثرثار، موت العبقري، ابنة الفجر، يا شذاهن	الهاء- قصيدة هائية (٥)

عدد القصائد في ديوان الجداول ٤٦ قصيدة. وحسب هذه البيانات، فهناك ٣٤ قصيدة بالروي الذي ينسب اليه القصيدة. والباقيات أي ١٢ قصيدة بتنوع الروي حتى لا تنسب القصيدة إليها. والتنوع بالروي مع حفاظ التنعيم والموسيقى، فكل مجموعة من البيت وفي كل وحدة البيت قافية موحدة حتى تؤثر عاطفة القارئ بها وتزيد معاني القصيدة.

الجدول ٤ : تنوع الروي في قصائد إيليا أبو ماضي

الرقم	العنوان	الروي
١	تعالى	س-ل-د-ب-ق-س-ر-س
٢	المساء	ن-ن-د-ن-ن / م-م-م-ك-ك / ق-ق-ق-م-ر-ر / ك-ك-ك-ب-ن-ن / ه-ه-ه-ر-ن-ن / ع-ع-ع-ج-ب-ب / ه-ه-ه-ح-ح / ح-ح-ح-ن- ر-ر / ب-ب-ب-ت-ل-ل / ت-ت-ت-ل-ء-ء
٣	العميان	ن-ن-ر-ر-ن-ء-ء-ن-م-م-ن / ق-ق-ق-ن- ب-ب-ب-ن-ن / ن-ن-ن-ن-ر-ر-ر-ن
٤	المجنون	ل-ل-ل-سي-سي / ل-ل-ل-ن-ن-ل-ل-ل-ن-ن /

١ - وبيان من التنوعات في الجدول السابق ما يلي:
التفقية المتساوية من البيت الأول إلى ما قبل الآخر (البيت ١-٣٥)، والثاني الأخير (٣٦-٣٧) تختلف في التفقية. وذلك في قصيدة "هي". التفقية في كل بيت هي صوت "ها" بالروى "الهاء" وأما البيتان الآخران قبل الأخير فهي بنقفة "مى" بروى "ميم"، وهى ما يلي:

أَتَجْبَلُ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى ؟
فَأُطْرَقُ غَيْرَ مَكْتَرَثٍ

أَحْسِنَاءُ بِغَيْرِ اسْمٍ ؟
وَتَمْتَمُ خَاشِعًا ... أُمِّي !!

△△

الأشباح الثلاثة

تعالى

... رأسي	تعالى... في الكاس
... والوسواس	... إلى الناس
... الأرواح	تعالى... آمال
... أشباح	... مال
... العشرينا	تعالى... في الوادي
... العرجونا	... الشادي
	وهكذا حتى آخر البيت.

٣- التقفية في كل مجموعة من الأبيات. وقد تكون لكل مجموعة ٤ أو ٥ أبيات. ومثال ذلك مجموعة التقفية في كل أربعة أبيات، وهي في قصيدة العميان ما يلي:

كم خفضنا الجناح للجاهلينا وعذرناهم فما عذرونا
 خبروهم ، يا أيها العاقلونا
 إنما نحن معشر الشعراء يتجلى سر النبوة فينا
 *
 ذكروهم ، قرب خير كبير فعلته الهداة بالتذكير
 إنما الناس من تراب و نور
 فبنو النور يعبدون النورا وبنو الطين يعبدون الطينا(٣٠)
 *

وهناك مجموعة التقفية الأخرى في كل أربعة من الأبيات، بنمط أ-أ-ب، أ-أ-ب، إلى آخره، مع لفظ متساو في كل آخر من المجموعة وهو لفظ لست أدري، وهي في قصيدة الطلاس ما يلي:

جنت، لا أعلم من أين، ولكني أتيت
 ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
 وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت
 كيف جنت؟ كيف أبصرت طريقي؟
 لست أدري!

أجدد أم قديم أنا في هذا الوجود
 هل أنا حرّ طليق أم أسير في قيود

هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود
أتمنى أنني أدري ولكن...

لست أدري^(٣١)!

ونمط التقفية بكل خمس مجموعات من البيت هو : أ-أ-ب-ج-ج، ومثال ذلك
في قصيدة المساء ما يلي:

السحب تركض في الفضاء الرّحب ركض الخافين

و الشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
و البحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين
لكنّما عينك باهتتان في الأفق البعيد
سلمى ... بماذا تفكرين ؟
سلمى ... بماذا تحلمين ؟

أرأيت أحلام الطفولة تختفي خلف التّخوم ؟
أم أبصرت عينك أشباح الكهولة في الغيوم ؟
أم خفت أن يأتي الدّجى الجاني و لا تأتي النجوم ؟
أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد إنّما
أظلالها في ناظريك
تتمّ ، يا سلمى ، عليك^(٣٢)

وهناك مجموعة التقفية في كل أربعة من الأبيات، بنمط أ-أ-ب، أ-أ-ب،
ولكن ليس بلفظ واحد في آخر المجموعة كما يكون في الطلاسم، وهي في
قصيدة ابن الليل، ومنها ما يلي:

أشرف البدر على الغابة في إحدى اليالي
فرأى الثعلب يمشي خلصة بين الدوالي
كلما لاح خيال ، خاف من ذاك الخيال
واقشعراً

ورأى ليثاً مسورا واقفا عند الغدير
كلما استشعر حسا ملأ الوادي زئير
فإذا بالماء يجري خائفا عند الصخور

مكفهرًا (إيليا أبو ماضي: ١٩٨٤ : ٩٦)

من تلك البيانات فنرى أن التقفية في ديوان الجداول هي القافية بقصد الجمال التي تزيد
في المعنى وتؤثر في النفوس لترتيب وتنظيم وتنويع التقفية فيها. والقصائد في ديوان

الجدول قد تكون بروي واحد في كل قصيدة واحدة، وقد تكون بعدة روي في مجموعة الأبيات من القصيدة، ولكن الاختلافات منتظمة متناسقة . فالشاعر يهتم بالنغمة والتقنية اهتماما جيدا.

الأساليب البلاغية في ديوان الجداول

الأساليب البلاغية لقصائد إيليا أبي ماضي في ديوان الجداول ما يلي:

١ - أسلوب التكرار (repetition style)

التكرار عبارة عن الإثبات بشيء مرة بعد أخرى^(٣٣). والتكرار ابلاغ من التوكيد، وهو من محاسن الفصاحة^(٣٤) التكرار ظاهرة موسيقية ومعنوية تقتضي الاتيان بلفظ متعلق بمعنى، ثم اعادة اللفظ مع معنى اخر في نفس الكلام^(٣٥). وعند المحدثين التكرار كغيره من الأساليب التعبيرية الأخرى، يتضمن إمكانات إبداعية وجمالية تستطيع أن ترتفع إلى مرتبة الأصالة، كما يمكن أن ترقيه وتتخذ منه موقفا يقظاً، وترى أن اليقظة تكون ب: كون اللفظ وثيق الصلة بالمعنى العام، أن يخضع لكل ما يخضع له الشعر عموماً من قواعد ذوقية وجمالية وبيانية، أن لا يكون المكرر لفظاً ينفر من السمع^(٣٦). والتكرار يكون في مستوى لفظي ومعنوي^(٣٧). والتكرار ظاهرة بيانية وكان الجاحظ يسميه "الترداد. والتكرار احد علامات الجمال البارزة تستخدم لفهم النص الادبي، وبالتكرار يتحسس الإنسان الجمال. وهناك أشكال مختلفة للتكرار في الشعر العربي وهي : تكرار الحرف، والكلمة، والجملة، وبيت الشعر. ولقد وضع ارسطو منذ القدم اركاناً للجمال ومنها: الانسجام والتناسب، والتوازن، والتطور، والتدرج، والتقوية والتمركز، والترجيح والتكرار^(٣٨). والتكرار لا يقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة في السياق، وانما ما تتركه هذه اللفظة من اثر انفعالي في نفس المتلقي^(٣٩).

والتكرار في اللغة العربية والانجليزية عند زرقاني^(٤٠) هي تكرار الحرف الواحد الذي هو من بنية الكلمة، وهذا لتحسين الكلام، وفي أداء المضمون، تكرار الحروف التي تؤدي معنى مع غيرها من الكلمات، تكرار الكلمة الواحدة، تكرار العبارة، وتكرار المقطع كاملاً، وتكرار الجملة أو الكلام. وقد لاحظ بنيس أن ظاهرة التكرار تقنية معقدة من التقنيات الفنية، انطلاقاً من معطياتها وتأثيراتها في القصيدة، فضلاً عن دورها الدلالي التقليدي الذي أطلق عليه القدماء التوكيد وفائدتها في جمع ما تفرق من الأبيات والمقاطع الشعرية^(٤١). وكان التكرار على المستوى الصوتي، والتركيب، والدلالي. فالتكرار يعتبر من أهم العناصر البنائية الأساسية في الشعر^(٤٢).

وحسب البيانات فالتكرار في قصائد إيليا أبي ماضي في ديوانه الجداول ما يلي:

(١) تكرار الحرف

تكرار الحرف البارز في قصائده يكون في الروي أي الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، ويتكرر بتكرار الأبيات ونسبت إليه القصيدة^(٤٣). المثال تكرار الراوي "الباء" في قصيدة "بردي ياسحب" مايلي:

92

وهذا ايضا ما يسمى برد العجز على الصدر، وهو الإتيان في آخر الكلام بلفظ يشبه لفظا في صدره. إن كل أنماط التكرار يعود الأمر في اختيارها إلى موهبة الشاعر في انتقائها، ودقة اختيارها، « فالشاعر ينتقي الألفاظ التي تحقق تكرر في الأصوات، وتكرارا في المقاطع، وتكرارا في الوحدات الصرفية، وتكرارا للتراكيب النحوية »، تكاد لا تخلو قصيدة شعرية من عنصر التكرار مما يشي برغبة قصوى لدى الشاعر العربي الحديث في استخدام التكرار ظاهرة فنية تدعم الحركة الدلالية والإيقاعية في النص الشعري، على اعتبار أن التكرار عنصر بنائي يسهم في فهم أبعاد التجربة الشعرية، وذلك عبر استقطاب وعي القارئ ولفت أنظاره إلى العلاقات البديعية المتنوعة القائمة على أساس التكرار بأنواعه جميعا.

وقد يكون تكرر الكلمة أو شبه جملة في بيتين. والمثال ذلك التكرار في لفظ "كل" و"لا أبالي" في قصيدة "بردي ياسحب" ما يلي:

كُلْ نَجْمٌ لَا اهْتِدَاءَ بِهِ لَا أَبَالِي لَاحَ أَوْ غَرَبًا (٢)
كُلْ نَهْرٌ لَا ارْتِوَاءَ بِهِ لَا أَبَالِي سَالَ أَوْ نَضَبًا (٣)

وعند لوتمان : البنية الشعرية ذات طبيعة تكرارية (١٩٩٥). وأنماط التكرار في الشعر عند البلاغيين من الإغريق تنقسم إلى ثمانية بحسب الموقع من الكلام فهي ما يلي:

- ١- أنافره (anaphora): تكرر اللفظ أو العبارة في أوائل الأبيات المتعاقبة
- ٢- أبيستروفي (apistrophe): التكرار في أواخر الأبيات المتعاقبة
- ٣- سيمبلوس (simproke): التكرار في أوائل الأبيات المتعاقبة وأواخرها
- ٤- أنادبلوسيس (anadiplosis): و تكرر اللفظ أو العبارة الواقعة آخر البيت في أول البيت أو الأبيات التي تليه
- ٥- أبيزوكسس (epizeuxis): تكرر اللفظ أو العبارة تكرارا متعاقبا بلا فاصل
- ٦- أنيستروفي (anastrophe): تكرر الجملة مع قلب تعاقبها
- ٧- بالبتوتان (polyptoton): تكرر اللفظ نفسه مع لواحقه المختلفة أو بحالات إعرابه المختلفة
- ٨- هوموأتالوتان (homoeoteleuton): تكرر الوحدة الصرفية نفسها (السوايق، واللواحق، الدواخل) مع اختلاف اللفظ.

(ج) تكرر البيت

تكرر البيت قد يكون في قصيدة إيليا أبي ماضي. ومثال ذلك ما يلي:

(١) قصيدة "لم تشتكى"
لم تشتكى وتقول إنك معدم والأرض ملكك والسما والأنجم
لم تشتكى وتقول إنك معدم كن جميلا ترى الوجود جميلا.

والتكرار في تلك القصيدة ليس في البيت كله وإنما في بعضه، ومثلاً في المصراع الأول أو الشطر الأول "لم تشكي وتقول إنك معدم".
(٢) قصيدة "الطلاس"

التكرار في هذه القصيدة يكون في كل آخر البيت من القصيدة، وهو جملة "لست أدري" ما يلي:

جِئْتُ لَا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ وَلَكِنِّي أَتَيْتُ
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قَدَامِي طَرِيقًا فَمَشَيْتُ
وَسَابَقِي سَائِرًا إِنْ شِئْتُ هَذَا أَمْ أَبَيْتُ
كَيْفَ جِئْتُ؟ كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَرِيقِي؟

لَسْتُ أَدْرِي

أَجَدِيدٌ أَمْ قَدِيمٌ أَنَا فِي هَذَا الْوُجُودِ
هَلْ أَنَا حُرٌّ طَلِيقٌ أَمْ أُسِيرٌ فِي قُبُودِ
هَلْ أَنَا قَائِدٌ نَفْسِي فِي حَيَاتِي أَمْ مَقُودُ
أَتَمْنَى أَنِّي أَدْرِي وَلَكِنْ ...

لَسْتُ أَدْرِي

وللتكرار أغراض منها: للتأكيد، و لتناسق الكلام، و للاستيعاب، ولزيادة الترغيب في الشيء، ولاستمالة المخاطب، و للتنويه بشأن المخاطب، و للترديد حثاً على الشيء. وللتكرار وظيفة تأكيدية، وإيقاعية، وتزينية. والوظيفة التأكيدية لإثارة التوقع لدى المتلقي، وتأكيد المعاني وترسيخها في الذهن. والوظيفة الإيقاعية ليساهم التكرار في بناء إيقاع داخلي يحقق انسجاماً موسيقياً خاصاً. والوظيفة التزينية تكون بتكرار مختلفة في المعنى ومتفقة في البنية الصوتية، حتى يزيد تلويحاً جمالياً على الكلام. وتكرار الألفاظ والتعبيرات اثر بليغ في إبراز الصور. (٤٧)

٢- أسلوب الطباق والمقابلة

الطباق والمقابلة (paradoks, antitesis) من أسلوب التضاد (contradiction style).
الطباق الجمع بين الشيء وخصمه في الكلام، والمقابلة أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يُقابل ذلك على الترتيب. الطباق يكون بين كلمتين فقط أما المقابلة فيبين عبارتين أو لفظتين فأكثر. وهناك فرق بين الطباق والتضاد. الطباق يكون في جملة واحدة وأما التضاد فبماكانه أن يكون بين كلمتين؛ احدهما في بداية النص والأخرى في آخره فلا يشترط تواجدهما في جملة واحدة. وما يلي من أساليب الطباق والمقابلة في قصائد الجداول لإيليا أبي ماضي:

- ١- طباق إيجابي في قصيدة بردي يا سحب
لاح >> غرب ، سال >> نضب، صدق >> كذب، ضاق>> رحب، هان >>
صعب
- ٢- طباق سلبي في قصيدة أنا
لأغضب >> لم يغضب، مهذب >> غير مهذب، أرى >> لا أرى، متقرب >>
لم اتقرب
- ٣- المقابلة في قصيدة الفاتحة و اليتيم

فهى بالانفاق تبقى
وهى بالامساك تفنى

ربّ ذهن مثل النهار منير
صار بالبؤس كالظلام دجياً

- ٣- أسلوب التشبيه والاستعارة (comparison style)
التشبيه عقد مقارنة بين طرفين يشتركان في صفة أو الصفات. ومن
التشبيهات في قصائد إيليا أبي ماضي في ديوانه الجداول ما يلي:

الجدول ٥ : أسلوب التشبيه والاستعارة في ديوان الجداول

اسم القصيدة	البيت	نوع التشبيه والاستعارة
الفاتحة	تك كالحقل يرد الكيل للزراع طنا	مرسل مفصل
	ألبس الروض حلاه أنه يوما سيجنى	استعارة تصريحية
	رب غيم لما لمستته الريح مزنا	استعارة مكنية
بردي ياسحب	هو كالأمس الذي ذهب	مرسل مجمل
	فلتكن روحك أذنا	بليغ
	أو فكوني غير راحمة حمما حمراء لا سحبا	
	ولتكن نفسي لها خطبا	
	بردي ياسحب، بردي يا سجي من ظمأي واهطلي من بعد ذا ذهب	استعارة مكنية

مرسل مفصل	كزهو الربيع عرفا زكيا ونجوم الربية نورا سنيا	اليتم
التشبيه المتعدد: جمع	والفرشات وثبة وسكونا والعصافير بل ألد نجيا	
بليغ	إنما كان اليتيم صبيا	
مرسل مفصل	رب ذهن مثل النهار منير، صار بالبؤس كالظلام داخيا	
مرسل مجمل	وأرى مساوئه كأني لا أرى	أنا

فهناك المجاز المرسل استخدمه الشاعر لتوصيل المعنى. ومثال ذلك في قصيدة اليتيم مايلي:

خبروني ماذا رأيتم؟ أطفالا يتامى أو موكبا علويا (كلية)

...أن رب الأيتام مازال حيا (جزئية)

حاربوا البؤس صغيرا (مصدرية)

استخدم الشاعر أسلوب التشبيه لتوضيح المعنى، واستخدام الاستعارة والمجاز المرسل لاثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير.

التصورات في ديوان الجداول

وأشكال التصورات هي (١) التصور النظري (visual imagery)، (٢) التصور السمعي (auditory imagery)، (٣) التصور الحركي (kinesthetic imagery)، (٤) التصور الحسائي (thermal imagery)، التصور الطعمي (tactile imagery)، والتصور الشمي (olfactory imagery).^(٤٨)

ومن التصورات في ديوان الجداول ما يلي:

الجدول ٦: التصورات في ديوان الجداول

نوع التصور	الآيات
النظري	لَوْ أَنَّنِي أَرْضَى بَبَرَقِ خُلْبٍ عَيْنَاكَ مِنْ أَثْوَابِهِ فِي جَنَّةٍ وَإِذَا بَصَرْتُ بِهِ بَصَرْتُ بِأَشْمَطِ
النظري	قد رأيت الشهب لا تدري لماذا تشرق قد رأيت السحب لا تدري لماذا تغدق قد رأيت الغاب لا تدري لماذا تورق

السمعي	أَنِّي لَا غَضَبُ لِلْكَرِيمِ يَنْوَسُهُ
السمعي	إن يك الموت رقادا بعده صحو طويل فلماذا ليس يبقى صحونا هذا الجميل؟
السمعي	ليس لي في الكوخ أو في القصر من نفسي مهرب إنني أرجو وأخشى، إنني أَرْضَى و أغضب
الحساسي	كَمْ فِي الطَّيَالِسِ مِنْ سَوَيمٍ أَجْرَبْ؟ وَيَدَاكَ مِنْ أَخْلَاقِهِ فِي سَبَسَبِ
الحساسي	فأشارت فإذا للود عيث في المحاجر ثم قالت : أيها السائل إنني لست أدري
الحساسي	قد يقيني الخطر الشوك الذي يجرح كفي
الحركي	حُبُّ الْأَذْيَةِ مِنْ طِبَاعِ الْعَقَرِ دَافَعْتُ عَنْهُ بِنَاجِذِي وَبِمُخْلِبي وَشَدَدْتُ سَاعِدَهُ الضَّعِيفَ بِسَاعِدِي
الحركي	ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت وسأبقى سائرا إن شئت هذا أم أبييت
الحركي	يرقص الموج وفي قاعك حرب لن تزولا
الشمي	ويكون السم في العطر الذي يملأ أنفي

الخاتمة

ديوان الجداول لإيليا أبي ماضي حسب التحليل الأسلوبي لها الخصائص من حيث البحور والقافية واختيار الألفاظ والأساليب البلاغية. ولقصائده معان وقيم انسانية وتبعث التفاؤل والسعادة. ومن حيث البحور فللقصائد في ديوان الجداول بحور متنوعة، وبعضها تام والآخر مجزوء. وكان أبو ماضي ما زال يعتمد على البحور الشعرية المعروفة، فكانت قصائده هي القصائد العمودية وليست قصائد التفعيلة كمعظم

الشعر المعاصر. ومن حيث الشكل فكان بعض قصائده له شطران لكل بيت، فلها صدر وعجز، ولها عروض وضرب. وبعض قصائده لها شطر واحد لكل بيت. والقصائد في ديوان الجداول قد لا تلتزم بقافية واحدة. هناك التصرف والتجديد والتنوع في الأوزان والقوافي. و كان تنويعه محموداً جداً. والقافية في قصائده غير محددة بعدد من الكلمات. فقد تكون بعض كلمة، و كلمة تامة، وكلمة وبعض كلمة، وكلمتين. ولم تجد الباحثة قافيته أكثر من كلمتين.

ومن حيث العناصر البلاغية فكانت القصائد لإيليا أبي ماضي في ديوان الجداول غزيرة بالأساليب المتنوعة منها التكرار والطباق والمقابلة والتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل. فعلى القارئ أو الباحث أن يستمر في البحث في دواوينه الأخرى لاستكشاف ما فيها من المعاني المتميزة والأساليب البلاغية التي تسمو بالذوق في النفوس بروعتها لفظاً ومعنى.

وفي الختام أقدم جزيل الشكر والتقدير لفضيلة السيد الأستاذ رامي الحاج قدور السوري مدرس لغة عربية لدي المملكة العربية السعودية على الارشادات والتوجيهات والمداخلات القيمة في البحور الشعرية. فجزاه الله خيراً كثيراً. ولابد ان اشير بالشكر والامتنان الى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الاندوسية التي كانت وراء دعمي في كتابة هذا البحث ليظهر الى النور، فلها عظيم الامتنان ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

أ- المصادر والمراجع العربية

- ١- إبراهيم، عبد الله، ١٩٩٠، المتخيل السردى (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة)، ط. ١، (المغرب - بيروت، لبنان: الدار البيضاء) على الرابط <http://www.alukah.net/library/0/73387/#ixzz4fd4xfoH0>
- ٢- ابو السعود، فخري، التصوير في الشعر العربي، مجلة الرسالة العدد (٤٤) السنة ٢٠٠٨
- ٣- أبو ماضي، إيليا، ١٩٨٤، الجداول، بيروت: دار العلم للملايين.
- ٤- أحمد الغول، غالب، ٢٠١٠، مفهوم الإيقاع الشعري الموسيقي، على الرابط <http://www.rabitat-elwaha.net>
- ٥- اسماعيل، يوسف. نية الإيقاع في الخطاب الشعري، على الرابط <http://omferas.com/vb/t46452>
- ٦- أنيس، إبراهيم، ١٩٥٢، موسيقى الشعر؛ الطبعة الثانية ، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٧- البحراوي، سيد، ٢٠١٧، العروض وإيقاع الشعر العربي، على الرابط: www.ahlalloghah.com تاريخ الاقتباس: ١٦ أكتوبر ٢٠١٧

- ٨- الجاف، علي أسماعيل ، ٢٠١٢، التكرار: أهميته وأنواعه ووظائفه ومستوياته في اللغة،
الرابط http://www.tellskuf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=24626:aa&Itemid=45
- ٩- الجرجاني، القاضي، ٢٠٠٧، التعريفات، تحقيق: نصر الدين تونسي، ط١،
(القاهرة: شركة القدس للتصوير)
- ١٠- حامد صدقي، ٢٠٠٧، الشعر القصصي في ديوان ايليا ابي ماضي شاعر المهاجر
الاكبر، علي الرابط:
<http://www.diwanalarab.com/spip.php?article7385>
- ١١- الحيارى، ايمان، ٢٠١٦، كم عدد بحور الشعر، علي الرابط: موضوع.كوم
- ١٢- خفاجي، محمد عبد المنعم، ١٩٨٦، قصة الادب المهجري، (بيروت: دار الكتاب
البناني)
- ١٣- خورشاه، صادق، ١٣٨١، مجاني الشعر العربي الحديث و مدارس، سازمان
سنت، تهران
- ١٤- الدسوقي، نور، تحت اشراف محسن حيدر، دون سنة، النزعة الإنسانية في الشعر
المهجري (إيليا أبو ماضي أنموذجا)
- ١٥- هلال، عبد الحميد، ٢٠١٤، مدرسة المهجر، علي الرابط
<http://mrabdelhameed.blogspot.co.id> تاريخ الاقتباس: ١٦ أكتوبر
٢٠١٧؛
- ١٦- الرمالي، ممدوح عبد الرحمن، في التحليل العروضي لأبنية اللغة وتركيبها. (دار
المعرفة الجامعية).
- ١٧- رهف المشاعر، ٢٠١٥، أسماء القافية من حيث حركات ما بين ساكنيها ، علي
الرابط: همسة الحب <http://www.hmst7ob.net/t27613.html>
تاريخ الاقتباس: ١٦ أكتوبر ٢٠١٧
- ١٨- زرقاني، عبد القادر علي، ٢٠١٢، أساليب التكرار في ديوان سرحان يشرب
القهوة في الكافيتيريا لمحمود درويش (الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية،
جامعة الحاج لخضر باطنة)
- ١٩- السعود، فخري، التصوير في الشعر العربي، مجلة الرسالة العدد (٤٤) السنة
٢٠٠٨
- ٢٠- السيوطي، جلال الدين ، ١٩٨٨، الإتقان في علوم القرآن، ج ٣ تحقيق محمد أبو
الفضل إبراهيم، (لبنان: المكتبة العصرية)
- ٢١- شبكة الفصحى للعلوم اللغة العربية، ٢٠١٠، العروض والقافية، علي الرابط
www.alfaseeh.com
- ٢٢- ضياء الوطن، ٢٠٠٩، pulpit.alwatanvoice.com

- ٢٣- عابدين، ابراهيم و آخرون، ١٩٩٣- ١٩٩٤، الأدب و النصوص، الطبعة الثالثة عشرة، (وزارة التربية الكويت و ادارة المناهج و الكتب المدرسية)؛
- ٢٤- عابدين، ابراهيم و آخرون، ١٩٩٣- ١٩٩٤، الأدب و النصوص، الطبعة الثالثة عشرة، (وزارة التربية الكويت و ادارة المناهج و الكتب المدرسية)
- ٢٥- عبد الجليل، ٢٠١٢، الأدب المهجري، موضوعاته وخصائصه، السنة الثالثة الثانوي، منتدى اللغة العربية وآدابها، على الرابط (<http://bacdz.forums-free.com/topic-t865.html#p1559>)؛
- ٢٦- عزيز خاني، مريم. ٢٠١٤، المهجري ومدارسه وشعرائه، ديوان العرب: منبر حر للثقافة والفكر والأدب على الرابط <http://www.diwanalarab.com/spip.php?article38791>. تاريخ الاقتباس: ١٦ أكتوبر ٢٠١٧
- ٢٧- عمر، محمود حسن ، الإيقاع الصوتي لعروض الخليل، على الرابط http://www.alukah.net/literature_language/0/88252
- ٢٨- الغامدي، محمد سعيد ربيع، ٢٠١٢، أساليب التكرار في ديوان محمود درويش - موقع أ.د. محمد سعيد ربيع الغامدي
- ٢٩- فاخوري، محمود، ١٩٩٦، موسيقى الشعر العربي، ص ١٦٦، ١٦٧، (مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية).
- ٣٠- فاخوري، محمود، ١٩٩٦، موسيقى الشعر العربي، (مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية).
- ٣١- الفراهدي، ٢٠١٤. علم القافية، تاريخ <http://faraheedy.mukhtar.me/lessons/lesson20> الاقتباس: ١٦ أكتوبر ٢٠١٧
- ٣٢- قحطان، محمود. ٢٠١٣، أساسيات الشعر: الألفاظ والكلمات، على الرابط mahmoudqahtan.com
- ٣٣- قحطان، محمود، بحور الشعر العمودي: بحر الكامل، على الرابط mahmoudqahtan.com
- ٣٤- كوهن، جان، ٢٠٠٠، النظرية الشعرية البنية اللغة الشعرية واللغة العليا ، ترجمة، أحمد درويش، ط ١ (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر)
- ٣٥- المباركي، أحمد، شعرية الإيقاع في قصيدة البيت بوابة شمس نيوز شعر عبد الحميد بريك نموذجاً، على الرابط www.shomosnews.com
- ٣٦- محلية الصحة، هنيء، ٢٠١٦، العناصر الأدبية في قصيدة الطلاس لإيليا أبو ماضي. الورقة البحثية في المؤتمر الدولي للغة العربية بكالمانتان الغربية، إندرنيسيا، في ٢٦-٢٨ أغسطس ٢٠١٦

- ٣٧- محلية الصحة، هنيء، ٢٠١٧، التحليل الأدبي لقصيدة الطين لإيليا أبي ماضي، الورقة البحثية في المؤتمر الدولي للغة العربية ICAT بجوكجارتا، إندرنيسيا، في ١٠-١١ أغسطس ٢٠١٧
- ٣٨- محلية الصحة، هنيء، ٢٠١٧، قافية القصائد في ديوان الجداول لإيليا أبي ماضي، الورقة البحثية في المؤتمر الدولي عن اللغة والتربية والحضارة، international seminar in language, education, and culture) ISOLEC جامعة مالانج الحكومية، إندرنيسيا، في ٢٥-٢٦ أكتوبر ٢٠١٧.
- ٣٩- المدارس، زعيم، ٢٠١٢، البحر الكامل، على الرابط منتديات جلفة-منتديات التعليم الثانوي-المواد الأدبية واللغات
- ٤٠- المسك، عاشقة، البحر الخفيف، وزارة التربية والتعليم، مؤسسة التعليم المدرسي، على الرابط المنتدى مشاركات اليوم البحث tudyy4uae.com [http://](http://tudyy4uae.com)
- ٤١- معسكر، تغنيف، ٢٠٠٩، الأدب المهجري، موضوعاته وخصائصه، السنة الثالثة الثانوي، منتدى اللغة العربية وآدابها، على الرابط <http://bacdz.forums-free.com/topic-t865.html#p1559> تاريخ الاقتباس: ١٦ أكتوبر ٢٠١٧
- ٤٢- يسبرسن، ١٩٥٤، اللغة بين الفرد والمجتمع؛ ص ١٣٨، ترجمة الدكتور عبد الرحمن أيوب، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.

ب- المصادر والمراجع العربية

- 43-; Teuuw.1983. Membaca dan Menilai Sastra. Jakarta: Gramedia
- 44-Nurgiantoro, Burhan. 2014. *Teori Pengkajian Fiksi*. Yogyakarta: UGM Press:
- 45-Wellek,Rene dan Austin Warren. 1968. *Theory of Literature*. Harmondsworth, Middlesex: Penguin Books.

الهوامش

- 1- Teuuw.1983. Membaca dan Menilai Sastra. Jakarta: Gramedia.
Wellek, Rene dan Austin Warren. 1968. *Theory of Literature*.
Harmondsworth, Middlesex: Penguin Books.

٢ - عزيز خاني، مريم. ٢٠١٤، المهجري ومدارسه وشعرانه، ديوان العرب: منبر حر للثقافة

والفكر والأدب على الرابط <http://www.diwanalarab.com/spip.php?article38791>. تاريخ الاقتباس:

١٦ أكتوبر ٢٠١٧؛ الدسوقي، نور، تحت اشراف محسن حيدر، دون سنة، النزعة الإنسانية في الشعر المهجري (إيليا أبو ماضي أنموذجاً)؛ هلال، عبد الحميد، ٢٠١٤، مدرسة المهجر، على الرابط <http://mrabdelhameed.blogspot.co.id> تاريخ الاقتباس: ١٦ أكتوبر ٢٠١٧؛ محلية الصحة، ٢٠١٦ هنيء، العناصر الأدبية في قصيدة الطلاس لإيليا أبو ماضي. الورقة البحثية في المؤتمر الدولي للغة العربية بكالمانتان الغربية، إندرنيسيا، في ٢٦-٢٨ أغسطس ٢٠١٦

٣ - عبد الجليل، ٢٠١٢، الأدب المهجري، موضوعاته وخصائصه، السنة الثالثة الثانوي، منتدى اللغة العربية وآدابها، على الرابط (<http://bacdz.forums-free.com/topic-t865.html#p1559>)؛ معسكر، تغنيف، ٢٠٠٩، الأدب المهجري، موضوعاته وخصائصه، السنة الثالثة الثانوي، منتدى اللغة العربية وآدابها، على الرابط <http://bacdz.forums-free.com/topic-t865.html#p1559> تاريخ الاقتباس: ١٦ أكتوبر ٢٠١٧

٤ - خفاجي، محمد عبد المنعم، ١٩٨٦، قصة الادب المهجري، دار الكتاب البناني، بيروت، ١٩٨٦؛ محلية الصحة، ٢٠١٧، التحليل الأدبي لقصيدة الطين لإيليا أبي ماضي، الورقة البحثية في المؤتمر الدولي للغة العربية ICAT بجوكجاكرتا، إندرنيسيا، في ١٠-١١ أغسطس ٢٠١٧

٥ - عابدين، ابراهيم وآخرون، ١٩٩٣-١٩٩٤، أدب و النصوص، الطبعة الثالثة عشرة، (وزارة التربية الكويت و ادارة المناهج و الكتب المدرسية)؛ حامد صدقي، ٢٠٠٧، الشعر القصصي في ديوان ايليا ابي ماضي شاعر المهاجر الاكبر، على الرابط: <http://www.diwanalarab.com/spip.php?article7385>

٦ - خورشاء، صادق، ١٣٨١، مجاتي الشعر العربي الحديث و مدارس، سازمان سمت، تهران

٧ - الدسوقي، نور، النزعة الإنسانية في الشعر المهجري (إيليا أبي ماضي)؛ حلقة بحث في مادة اللغة العربية تحت اشراف محسن حيدر

٨ - قحطان، محمود. ٢٠١٣ أساسيات الشعر: الألفاظ والكلمات، على الرابط mahmoudqahtan.com

٩ - (الإيقاع الصوتي لعروض الخليل، محمود حسن عمر)

- ١٠- أحمد الغول، غالب، ٢٠١٠، مفهوم الإيقاع الشعري الموسيقي على الرابط <http://www.rabitat-elwaha.net>
- ١١- المرجع نفسه.
- ١٢- اسماعيل، يوسف. نية الإيقاع في الخطاب الشعري، على الرابط <http://omferas.com/vb/t46452>
- ١٣- المباركي، أحمد، شعرية الإيقاع في قصيدة البيت بوابة شمس نيوز شعر عبد الحميد بريك نموذجاً، على الرابط www.shomosnews.com
- ١٤- الحيارى، إيمان، ٢٠١٦، كم عدد بحور الشعر، على الرابط: موضوع.كوم
- ١٥- فاخوري، محمود، ١٩٩٦، موسيقى الشعر العربي؛ مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية
- ١٦- قحطان، محمود، بحور الشعر العمودي: بحر الكامل، على الرابط mahmoudqahtan.com
- ١٧- البحر الكامل على الرابط www.elibrary4arab.com؛ المدارس، زعيم، ٢٠١٢، البحر الكامل، على الرابط منتديات جلفة-منتديات التعليم الثانوي-المواد الأدبية واللغات
- ١٨- المسك، عاشقة، البحر الخفيف، وزارة التربية والتعليم، مؤسسة التعليم المدرسي، على الرابط المنتدى مشاركات اليوم البحث tudyy4uae.com
- ١٩- بحر الرمل على الرابط ضياء الوطن، ٢٠٠٩، pulpit.alwatanvoice.com
- ٢٠- عمر، محمود حسن ، الإيقاع الصوتي لعروض الخليل، على الرابط http://www.alukah.net/literature_language/0/88252
- ٢١- أنيس، إبراهيم، ١٩٥٢، موسيقى الشعر، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٧٣-١٧٦
- ٢٢- قول عز الدين إسماعيل، في أنيس، إبراهيم، ١٩٥٢، موسيقى الشعر؛ الطبعة الثانية ، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٢٣- عمر، محمود حسن ، مرجع سابق
- ٢٤- الرمالي، ممدوح عبد الرحمن، في التحليل العروضي لأبنية اللغة وتركيبها. دار المعرفة الجامعية. ص ٨٤-٨٦.
- ٢٥- يسبرسن، ١٩٥٤، اللغة بين الفرد والمجتمع؛ ص ١٣٨، ترجمة الدكتور عبد الرحمن أيوب، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ؛ عمر، محمود حسن ، مرجع سابق
- ٢٦- محلية الصحة، ٢٠١٧، قافية القصائد في ديوان الجداول لإيليا أبي ماضي، الورقة البحثية في المؤتمر الدولي عن اللغة والتربية والحضارة، (international semonar in language, education, and culture ISOLEC جامعة مالانج الحكومية، إنزنيسيا، في ٢٥-٢٦ أكتوبر ٢٠١٧).

- ٢٧- شبكة الفصحح لعلوم اللغة العربية، ٢٠١٠، العروض والقافية، على الرابط www.alfaseeh.com؛ رصف المشاعر، ٢٠١٥، أسماء القافية من حيث حركات ما بين ساكنيها ، على الرابط: همسة الحب <http://www.hmst7ob.net/t27613.html> تاريخ الاقتباس: ١٦ أكتوبر ٢٠١٧
- ٢٨- الفراهيدي، ٢٠١٤. علم القافية، على الرابط <http://faraheedy.mukhtar.me/lessons/lesson20> تاريخ الاقتباس: ١٦ أكتوبر ٢٠١٧؛ شبكة الفصحح لعلوم اللغة العربية، مرجع سابق.
- ٢٩- البحر اوي، سيد، ٢٠١٧، العروض وإيقاع الشعر العربي، ص. ٨٦، على الرابط: www.ahlalloghah.com تاريخ الاقتباس: ١٦ أكتوبر ٢٠١٧
- ٣٠- أبو ماضي، إيليا، ١٩٨٤، الجداول، دار العلم للملايين، بيروت. ص. ٧٣.
- ٣١- أبو ماضي، إيليا، ص. ١٣٩
- ٣٢- أبو ماضي، إيليا، ص. ٥٧
- ٣٣- السيوطي، جلال الدين، ١٩٨٨، الإتقان في علوم القرآن، ج ٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان: المكتبة العصرية)، ص. ١١٣
- ٣٤- السيوطي ، المرجع نفسه، ص. ١٩٩
- ٣٥- الجاف، علي أسماويل ، ٢٠١٢، التكرار. أهميته وأنواعه ووظائفه ومستوياته في اللغة، على الرابط http://www.tellskuf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=24626
- ٣٦- الملايكة، نازك، ١٩٦٥، قضايا الشعر المعاصر، ط٢، (بغداد: دار التضامن)، ٢٣١
- ٣٧- الجاف، علي أسماويل، مرجع سابق
- ٣٨- الجاف، علي أسماويل، المرجع نفسه
- ٣٩- إبراهيم، عبد الله، ١٩٩٠، المتخيل السردى (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة)، ط١، (المغرب - بيروت، لبنان: الدار البيضاء) ص. ٨
- ٤٠- زرقاني، عبد القادر علي، ٢٠١٢، أساليب التكرار في ديوان سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا لمحمود درويش (الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة الحاج لخضر باطننة)
- ٤١- الغامدي، محمد سعيد ربيع، ٢٠١٢، أساليب التكرار في ديوان محمود درويش - موقع أ. د. محمد سعيد ربيع الغامدي

٤٢- كوهن، جان، ٢٠٠٠، النظرية الشعرية البنية اللغة الشعرية واللغة العليا ، ترجمة، أحمد درويش، ط ١ (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر)؛ زرقاني، عبد القادر علي، مرجع سابق، ص. ٢٥.

٤٣- الشامل موسوعة البحوث المواضيع المدرسية، ٢٠١٦، حروف القافية، على الرابط bouhoot.blogspot_417.html

٤٤- أبو ماضي، إيليا، الأسرار: البيت ٤

٤٥- أبو ماضي، إيليا، أنا: البيت ١١

٤٦- أبو ماضي، الغراب والبلبل: البيت ٣

٤٧- السعود، فخري، التصوير في الشعر العربي، مجلة الرسالة العدد (٤٤) السنة ٢٠٠٨

48- Nurgiyantoro, Burhan. 2014. *Teori Pengkajian Fiksi*. Yogyakarta: UGM Press:281 :-283

جمال المبالغة الممزوجة بالتشبيه و المجاز والكناية في تخاميس النودهي *The beauty of exaggeration mixed with simile, metonymy and allegory in Nodhi definition*

ا.م. د. عبدالله رسول نژاد

عبدالرحمن سعيديان تبار

جامعة كردستان/ سنندج- ايران

Assistant Professor: D.r Abdollah Rasool nejad

The of Kurdistan University. Sanandaj. Iran

Abd Alrahman Saeedian Tabar

Master Student of Arabic Literature in Kurdistan

University. Sanandaj. Iran

الملخص:

تعدّ المبالغة من أهم الظواهر التي تعطي النتاج الأدبي البراعة و شدة التأثير في النفوس، و يستخدم النودهي هذه الظاهرة في تخاميسه كوسيلة ترقى بمفاهيمه الشعرية و تجعلها أشدّ براعة و أعمق أثراً، ولفنون البيان جمالها الباهر و أما مزج النودهي المبالغة بعناصر البيان فيجعل تأثير كل منهما أكثر و أبلغ، و سهّل الطريق للشاعر كي يصل إلى غايته القصوى من إثارة الأحاسيس و تهيج العاطفة في نفوس السامعين.

تسعى هذه الدراسة معتمدة على الأسلوب الوصفي- التحليلي أن تدرس جماليات المبالغة الممزوجة بأبرز فنون البيان في تخاميس النودهي و مدى تأثير تلك الصنعة في تحويل هذه الفنون إلى فنون أبلغ، و وصل البحث إلى أن من أبرز ميزات تلك المبالغات هي البساطة والميل إلى البداهة والتجنب عن التكلف والتعقيد والميزة الكلية التي تحيط بمبالغاته في التخاميس بل بكل آثاره الأدبية هي الصبغة الدينية التي نشأت

من زهده وتظهر في أشعاره ولاسيما في مبالغاته الممزوجة بفنون البيان، وأكثر المفاهيم الشعرية في قسم المبالغات تدور حول الموضوعات الدينية كالوعظ والمدح النبوي وما شابه ذلك.

الكلمات الرئيسية: جمالية المبالغة، تخاميس النودهي، التشبيه، المجاز، الكناية.

Abstract

Exaggeration is one of the most important phenomena which lead to beauty and efficacy within a literary work. Nodhi has used from this device to raise the impact of his poetic concepts in his definition and he has also increased the effect and has realized the way to the highest literary goal which is stimulating emotions by blending the exaggeration with expressive techniques which they also have their own beauty.

This research has studied the beauty of exaggeration mixed with expressive techniques in Nodhi definition in an analytical method. The results show that Nodhi's exaggerations in his definition have a high reputation due to mixing with expressive techniques and most of his poem topics are religious issues such as prophetic preaching and propaganda due to religious rituals of asceticism and Sufism.

Key word: the beauty of exaggeration, Nodhi definition, simile, metonymy, allegory.

١. تمهيد

التنسيق بين ما نُشده في إطار النصوص الأدبية و بين ما ينعكس من أضواء مطالب المجتمع أمر خطير، به يعرف مدى صلابة العمل الأدبي و تأثيره في خلق الآثار المثيرة للعواطف والمؤثرة في النفوس، ويرى ضمن هذا الشأ وأمر آخر له أهميته الخاصة وهو الإرتكاز على وفاق الكلام مع أحوال الخطاب المناسبة له في نيل المرام، وبالأولى تطابقه مع المقام الذي يورد فيه، بأحسن وجه مع جزالة الفاظه و حدّة معانيه في التأثير على السامعين، الذي يعبر عنه مفكر والأدب بفنّ البلاغة، فنّ البلاغة: الذي يحدّد لدى علمائه بتعاريف مختلفة منها إيصال المعنى المقصود إلى السامع بأخصر وجه وأسهله، كما قال عبد الحميد الكاتب: البلاغة تقرير المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام، (١) ، ومنها سرعة الانتقال في نيل المعنى المراد مع الإصابة كما قال صحرار العبدى: أن تجيب فلا تبطيء وتقول فلا تخطيء، (٢)، وإذا لاحظنا هذه الحدود والتعاريف، تجسدت أمامنا صورة رشيقة من ذلك الفن، التي تبين مدى حاجة الأديب إلى مراعاته في توليد النتاج الأدبي، إذ به تعلو النصوص إلى حد الكمال، وما زالت فنون البلاغة نصب أعين الأمم عن أمم، يعدّ أرسطاليس من رواد هذا الفن إذ أنه بعد ما شاهد قوة تأثير الخطابة البليغة في نفوس السامعين، انكبّ على تدريس البلاغة، ثم توجّه نحو تعليم الخطابة، حتى تيسر له تأليف أثر أدبي مكوّن من ثلاثة كتب تحت عنوان «اريطوريقا» (٣)، و الأمة العربية كسائر الأمم لم تأل جهدا في هذا المجال، بل أظهرت اشتياقها في ترويح هذا الفن و توظيفه أكثر من الأمم السابقة وإن كان في بداية الأمر لم يعالجوا قواعده بصورة فن محدد له ضوابطه وحدوده، لكن مع ظهور القرآن و اشتياق المسلمين لإبراز فصاحته وقوة إعجازه في البيان، أسسوا لهذا الفن حدوده وضوابطه ومارسوا مباحثه وخفايا أسرارهم، بحيث يمكننا أن نقول: أكثر العلوم الإسلامية نشأتها مدين اهتمام المسلمين بالقرآن كما قال جرجى زيدان: «تكاثرت العلوم و الآداب في التمدن الإسلامي حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم في الشرع واللغة والتاريخ والأدب والشعر وغيرها وأكثرها نشأ من القرآن الكريم أو تولد خدمة له و لا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه تأثيرا مباشرا أو غير مباشر» (٤)، و كما أكد على ذلك شوقي ضيف «ولا نبالغ إذا قلنا إن ما كسبه العرب من معارف إنما كان بفضل ما غرس فيهم القرآن من حبّ العلم وقد أخذوا يتشوقون منه مباشرة علوما كثيرة لعلم القراءات وغيره من العلوم التي عرض لها السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» كعلم التفسير وعلم أسباب النزول وعلم النحو وإعرابه وعلم عامّه وخاصّه مما هيا لظهور علوم البلاغة. ولا نبالغ إذا قلنا إن العلوم الإسلامية كلّها إنما قامت لخدمته، فهو الذي هيا بقوة نهضة العرب العلمية. (٥) والصناعات البديعية قد شغلت في هذا المجال ساحة واسعة؛ إذ بها تنزّين النتاج الأدبي وهى تعطينا صورة رائعة عما نروم انسباكه في مفرغ الألفاظ، «وعند العودة إلى الوراء، إلى رواد الشعر عند العرب يظهر جليا أن شعرهم لم يكن مجرد نقل حرفي

للواقع؛ إمرؤ القيس الذي فتح باب الشعر، لم تكن صورته أبداً من النوع التقريري بل على العكس، كان حافلاً بالأحاسيس، حتى أنه غلا في بعض صورته، وكذلك زهير بن أبي سلمى و النابغة الذبياني»، (٦).

وبما أن النصوص الأدبية أساسها على إثارة الأحاسيس وتصوير مظاهر الواقع بصورة خيالية، إذ من جملة ما يهتم به الأديب اختراع الصور الخيالية من منتزعات الأمور الحسية كي يصل إلى غايته القصوى في إثارة الأحاسيس، كان لصناعة المبالغة دور بارز في هذا المجال، وكذلك لفنون البيان كالتشبيه و المجاز و الكناية جمالها وقيمتها الشعرية في التأثير على السامعين، وأما مزج الصناعات البديعية خاصة المبالغة بفنون البيان جعل تأثير كل منهما أكثر وأبلغ، والأمر الخطير الذي نحن بصده في هذه الدراسة، تبين مدى تأثير عنصر المبالغة و دوره في ترقية المفاهيم الشعرية إذا كانت ممزوجة بالفنون البيانية كي يظهر لنا جليا أهمية هذه الصناعة البديعية (المبالغة) و مدى قيمته الشعرية في خلق النتاج الأدبي، و نوضح معتمدين على الأسلوب الوصفي- التحليلي المواضيع التي يستخدم فيها النودهي صناعة المبالغة ممزوجة بفنون البيان، ونكشف عن قيمتها الأدبية، كي يصل البحث إلى تبين ميزات تلك المبالغات و قيمتها و جمالياتها.

١- ١- أسئلة البحث

تسعى الدراسة كي تجيب قدر الاستطاعة على ما يلي:

- ما المواضيع التي اتخذ الشاعر فيها صناعة المبالغة وسيلة لترقية مفاهيمه الشعرية؟
- باي فن من الفنون البيانية يمزج الشاعر عنصر المبالغة و ما حظ هذه الفنون من البراعة في التأثير بشوب المبالغة؟

١- ٢- خلفية البحث

في باب المبالغة والبحث حول دراسة مفهومها وجعلها في ميزان النقد توجد كتب ورسائل عديدة: زينب يوسفى (١٣٩٠) في «بررسى وتحليل مبالغه ممدوح ومذموم از ديدگاه ناقدان» الذي هو عنوان رسالتها العلمية بينت مفهوم المبالغة وجعلت الممدوح منها والمذموم في ميزان النقد والتحليل، محمد حسين محمدى وميثم حاجى پور (١٣٩٢) في «مبالغه؛ تصويرى فراتر از خيال» الذي هو عنوان مقالتهما العلمية عالجا مفهوم المبالغة وبحثا حول آراء البلاغيين حول المبالغة، أمال حليتي (٢٠٠٣/٢٠٠٤) في رسالتها العلمية لنيل شهادة الماجستير تحت عنوان «ظاهرة الغلو في الشعر العربى القديم دوافعها ونتائجها» الذي هو عنوان رسالتها العلمية لنيل شهادة الماجستير سعت في تبين مفهوم الغلو ومكانته البلاغية لدى الباحثين وتشرح دوافعها

و نتائجها في آثار جمع من الشعراء العباسيين كأبي نواس و المتنبي و ابن هاني الأندلسي، على محمد جمالي بهنام (١٣٨٠) في «مبالغه و اغراق در مديح متنبى» الذي هو عنوان مقالته العلمية بين المبالغة وجمالياتها و دوافعها في مديح المتنبي، كما بحث محمود عبد الفتاح محمود المقيد (٢٠١٤) في «التكوينات الصرفية والنحوية ودلالاتها لصيغ المبالغة في ديوان المتنبي- دراسة وصفية تحليلية» الذي هو عنوان رسالته العلمية موضوع الصيغ المبالغة و دورها في القاء المبالغة و آراء النقاد حولها.

وأما حول النودهي و أسلوبه الشعري فقد ألّف العديد من الكتب والرسائل والمقالات نشير إلى أهمّها في ما يلي: محمد خال (١٩٦١) في كتابه «الشيخ معروف النودهي البرزنجي» تحدّث عن ترجمة الشيخ معروف النودهي ومكانته العلمية والأدبية والأحوال الاجتماعية آنذاك وقامت بتعريف جامع لأكثر آثاره مع ذكر نماذج منها، وقامت وزارة الأوقاف العراقية تحت إشراف لجنة من العلماء بجمع أعماله الكاملة في ستة مجلدات ضخمة وتقع تخاميسه في المجموعة الأدبية، عبدالله رسول نژاد (١٣٨١) في رسالته لنيل دكتوراه في الأدب العربي في جامعة طهران تحت عنوان «شرح وتحليل احوال و آثار دو اديب بزرگ بيتوشى و نودهى» تحدّث في ثلاثة فصول عن النودهي، مكانته العلمية و الأدبية والتعريف بآثاره المنظومة ومنها تخاميسه الأدبية، قامت سميلا رستمى (١٣٩١) في «تحليل وبررسى تطبيقى مديح نبوى نودهى ومحوى» الذي هو عنوان رسالته العلمية، بمقارنة مدائحه النبوية مع المدائح النبوية للشاعر الكردي «محوى»، اعظم توانا (١٣٩٠) في «ترجمه وشرح منظومه غيث الربيع في علم البديع شيخ معروف نودهى البرزنجى الكردي (من ص ٣٤٩ إلى ٤٥٨) و محمود منصورى (١٣٨٣) في «شرح وتوضيح وتحقيق قصيده منظوم غيث الربيع علامه شيخ معروف نودهى در علم بديع» قاما بدراسة منظومته البديعية البديعة.

و أما حول تخاميسه الشعرية: كتاينون فلاحى و حديثه متولى (١٣٩٤) في كتابهما «شيخ معروف النودهي و تخميس قصيده (بانث سعاد)» بحثنا حول أحوال النودهي الشخصية من بدو الولادة و تخميسه على قصيدة (بانث سعاد)، يدالله پشابادي و علي رضا محكي پور (١٣٩٢) في مقالة «بررسى زيبايى شناختى تخميس شيخ معروف نودهى بر بردهى بوصيرى» ترجم للنودهى بصورة مختصرة و بحثا حول جماليات قصيدته، مجتبى شريعتى (١٣٩٣) في «شرح و تحليل تخميس شيخ معروف نودهى بر قصيده (الكوكب الدريّة في مدح خير البرية) ي بوصيرى (تخميس ١ إلى ٨٠)» الذي هو عنوان رسالته العلمية مارس الجهة البلاغية لتخميسه على القصيدة المذكورة ولم نعثر إلى الآن على عمل مستقل حول دراسة هذه الظاهرة البلاغية الجميلة في تخاميس النودهي.

١- ٣- التعرف على ثقافة الشاعر و مكانته العلمية و الأدبية

النودهي هو محمد بن سيد مصطفى المشهور بشيخ معروف النودهي الشهرزوري القادري ١١٦٦ - ١٢٥٤ هـ ق/١٧٥٣ - ١٨٣٨ م ولد في قرية «نودى» التابعة لبلدة «سليمانية» في العراق، و نشأ في أسرة دينية علمية، (٧)، و يصل نسبه إلى الإمام موسى الكاظم و منه إلى سيد المرسلين صلوات الله عليه و عليهم أجمعين حيث صرح به الشاعر في منظومة طويلة منها:

هو بن (إسماعيل)، (موسى الكاظم) (جعفر الصادق) ذى المكارم
 (محمد الباقر) ذى الفضل الجلى سليل (زين العابدين) ابن (على)
 نجل شهيد المرتضى (حسين) سبط (النبي) سيد الكونين
 دامت له صلاة ذى الجلال وصحبه الغر ذوى الكمال (٨)

عالم جليل و محقق لطيف، له حظ وافر في التدريس و التأليف و نشر العلوم الإسلامية والأدبية، كما له القبول لدى العوام و الخواص و حتى الحكام و الذين يتولون زمام الأمور في زمنه الذي عاش فيه كأمرء بابان «و كان له القبول عند أمرء بابان و رجال الدولة، فاشتغل بالتدريس و التأليف و نشر العلوم و قرض الشعر و نظم المتن» (٩)، و تولى التدريس بالجامع الكبير بمدينة سليمانية، و صارت مدرسته موردا يريدها عطاشى العلوم و الأدب من جميع أنحاء العراق و غربى ايران «فتخرج فيها كثير من كبار العلماء و الأدباء منهم: المفتى الزهاوى و الشيخ حسين القاضى و الشيخ محمود البرزنجى و الشيخ بابا رسول بن السيد محمد الشهير بسناء الدين البرزنجى» (١٠)، نظم أكثر من ثلاثين كتابا و رسالة في العلوم المختلفة كالكافية لابن الحاجب و النقاية للسيوطي و العقائد النسفية و تحرير البلاغة لابن آدم و غيرها من الكتب الدراسية و خمس القصائد الشهيرة ك «بانة سعاد» و «لامية العجم» و «البردة» و غيرها، وفي الحديث عن مكانته العلمية و الأدبية يبدو أنه لم يتخلص تمام التخلص مما خلفه عصر الانحطاط الأدبى من الاشتغال بالتخميس و التواريخ الشعرية و الألاعيب البديعية و المداخل النبوية التي كانت واجبة على كل شاعر مشهور أن ينشد قصائد في المديح النبوى و يضمّنّها كل أنواع البديع (١١)، «و كان النظم عنده أهون من النثر، فلا يعجز إذا نظم و لا يتكلف إذا أنشأ، و كان عذب الألفاظ، سلس الأسلوب، متين العبارة، قلما تجد ركة أو ضعفا في نظمه، إلا أن أغراضه الشعرية منحصرة في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم، و الصلاة عليه فحسب، كالبوصيرى رحمه الله»، و أما باقى الأغراض فليس له منها شىء و ذلك لأسباب منها: أنه كان متنسكا و رعا متقشفا، و أنه يرى لنفسه شرف الاتصال بسيد الأنام، و هذا ما دفعه إلى الميل إلى مداخل

الرسول صلى الله عليه وسلم التي لا يبعد أن يكون فيها نوع من التغني بعلوّ نسبه وحسبه، ولذا يحقّ لنا أن نسميه بوصيرى الكرد، (١٢).

١-٤-٤- التعاريف

١-٤-١- تعريف المبالغة و بيان مراتبها

المبالغة لغة يطلق على الاجتهاد في الأمور، «بالغ يبالغ مبالغة و بلاغا: إذا اجتهد في الأمر»، (١٣)، و أما في الاصطلاح فقد سلك البلاغيون طرقا متعددة في الكشف عن معناه، فذهب بعضهم كالسيوطي و التفتازاني إلى أنها: التجاوز عن الحد المعمول في الوصف مع التأكيد، بأن يكون الموصوف لا يتصف في الواقع بذلك الوصف البالغ تلك الرتبة في القوة أو الضعف، (١٤)، و عبّر الباقلاني عن المبالغة بتأكيد معاني الكلام، (١٥)، و اعتقد ابو هلال العسكري: أنها «أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، و أبعد نهاياته، و لا تقصر في العبارة عنه على أدنى منازل و أقرب مراتبه»، (١٦)، و استعمل ابن المعتز لهذا الصنعة مصطلح «الإفراط في الصفة» لأول مرة، (١٧)، و اعتقد بعضهم أنها ذات صلة معنوية بالكذب، كما قرن صاحب نقد النثر بين كلمة الكذب و المبالغة، و صرح بأنه لا يستحسن الكذب و المبالغة إلا في الشعر، (١٨)، و يقال «أحسن الشعر أكذبه»، (١٩).

و للمبالغة مراتب و أقسام: منها مبالغة عن طريق البنية كصيغ المبالغة في مثل «غفار»، و منها مبالغة بالتعميم مثل قولك: أتانى الناس، و الذي أتاك جماعة منهم، و منها مبالغة بالتعبير عن شيء يصاحبه تعظيما مثل: (و جاء ربك و الملك صفا صفا) فجعل مجيئ آياته مجيئا له على المبالغة في الكلام، و منها مبالغة إخراج الممكن إلى الممتنع، و مبالغة إخراج التعبير مخرج الشك في مثل: (و إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)، و منها مبالغة بحذف جواب الشرط مثل: (و لو ترى إذ وقفوا على النار)، (٢٠)، و قسم السيوطي المبالغة إلى قسمين: الأول: المبالغة في التوصيف حتى وصلت إلى حد مستحيل، و الثانى: المبالغة التي حصلت بصيغ المبالغة، و صيغ المبالغة هي: فعلا (رحمن)، فعيل (رحيم)، فعّال (غفار)، فعول (شكور)، فعّل (فرح)، فعّال (عُجاب)، فعّال (كُفّار)، فعّل (لُبد)، و فعّل (سوءى)، (٢١)، و يقول يحيى بن حوزة العلوي أن المبالغة تحصل بثلاثة طرق: الأول: استعمال اللفظ في غير ما وضع له استعارة أو كناية أو تمثيلا، الثانى: المبالاة بين الصفات بعضها إثر بعض، و تكريرها تعظيما لشأن الموصوف و تقخيما لمنزلته، والثالث: اختتام الكلام بما يفيد المبالغة فيه، (٢٢)، هذا والمشهور المتداول في دراسة صنعة المبالغة تقسيمها إلى المبالغة البيانية و المبالغة البديعية، أما القسم الأول فهو المبحث الذي نسعى أن ندرسه تحت ضوء التخاميس، و أما المبالغة البديعية فنكتفي منها بتوضيح مختصر في ما يلي بأنه يطلق عليه وصف المقبول والمردود ويقسم إلى

ثلاثة أقسام كما هو صنيع الخطيب في كتابه الإيضاح حيث قسمها إلى التبليغ و الإغراق و الغلو، (٢٣).

التبليغ لغة معناه الايصال، و في الاصطلاح، هو أن أفرط في وصف شيء لكن الإفراط في الوصف لم يصل إلى حدّ مستحيل عقلا أو عادة، (٢٤)، و الإغراق لغة، بمعنى مجاوزة الحد، يقال: «أغرق في شيء: إذا جاوز الحدّ»، (٢٥)، و في الاصطلاح، الإفراط في وصف شيء حتى يصل إلى حدّ مستحيل عادة لا عقلا، (٢٦)، و عبّر عنه أرسطاليس بالكذب، (كما أشرنا إلى شيوع هذا التعبير لدى بعض من البلاغيين)، حيث قال: في مقام التمثيل لهذه الصنعة: هذا القول و أمثاله ليس من باب التشبيه، بل أكاذيب واضحة، (٢٧)، اتفق اللغويون على أن الغلو «ارتفاع الشيء ومجاوزة الحدّ فيه»، و كل المعاني الأخرى تتصل بهذا الأصل، (٢٨)، و في لسان العرب: «يقال غاليت صدق المرأة أي أغليت، و منه قول عمر رضى الله عنه: لا تغالوا صدقات النساء، و في رواية صدقاتهن، أي لا تبالغوا في كثرة الصداق، و أصل الغلاء الارتفاع و مجاوزة القدر في كل شيء» (٢٩)، و أما في الاصطلاح فهو عبارة عن الإفراط في وصف شيء أو ادعاء أمر مستحيل عقلا و عادة، (٣٠)، و من اللافت للنظر «أن الغلو يعدّ من أكثر موضوعات البلاغة مشاجرة، حيث لم يعتقد بعض من البلاغيين انخراطه في سلك محاسن الكلام و الفنون البيديعية، بعض آخر منهم يعدّه من المعاني البديعة التي أتى بها الشاعر ليعبّر عن توصيفاته الغريبة و البعيدة عن الذهن، و سلك الآخرون منهجا معتدلا، و حدّوه بقيود و مفاهيم مقبولة لديهم»، (٣١)،

و قسم البلاغيون الغلو إلى الغلو المقبول و الغلو المردود، و المقبول من الغلو يظهر في الكلام بثلاثة وجوه: الأول ما يقربّه إلى الحقيقة و الواقع بالفاظ تدلّ على التشبيه أو الظنّ أو التقريب أو الشرط، مثل: «كأنّ»، «كاد»، «لو»، «أو شك»، الثاني ما يتضمن حسن التخيل، و الثالث ما يكون على سبيل الهزل و التمليح، (٣٢)، و المردود منه: ما يكون الكلام البالغ في الإفراط حد المستحيل، مستلزما لإساءة الأدب شرعا، و هذا الوجه يعدّ قبيحا و مردودا، (٣٣)، و قيل: أفرط الشاعر في المدح أو الهجاء أو توصيف الأشياء حتى يصل إلى حد محظور شرعا، (٣٤)، و يقول صاحب «كشف اصطلاحات الفنون» أن الغلو المردود ما ليس متضمنا لحسن الخيال و الصورة البديعة الأدبية، (٣٥).

و الفرق بين المبالغة و الكذب، هو أن الكذب يقصد به إغفال السامع و إخداعه، فلا تذكر له قرينة حالية أو مقالية تكون دليلا على القول المخالف للظاهر، بل الكاذب يزين كلامه برداء من الصدق كي يوقع السامع في الضلال، و يميل عن طريق الصواب، و ليس الأمر في المبالغة هكذا بل هناك يتلاءم سياق الكلام مع مقتضيات الحال و المقام كي تحصل القرينة في أحسن وجهها، و يريد المتكلم تحسين الكلام

بصنعة المبالغة و لا يقصد المخادعة، و صدق ما ندّعيه يظهر في عدم وقوع مخاطبين للمبالغة و الإغراقات الشعرية في الضلال و لا يميلون عن طريق الصواب و عدم الاعتقاد بأن الكلام المزين بالإغراق أو التبليغ أو الغلو صادق، بل الأمران عندهم جليان واضحان، و قرينة الحال و المقام دليل واضح على المراد، (٣٦)

٢- المبالغة و أنواعها في تخاميس النودهي

النودهي شاعر لطيف الخيال و تائر العاطفة، ينظر إلى احوال نفسه و كل ما يجري في عالم الكون، و حسب طبعه الشاعر يعبر عنها و يزينها بجوهر الألفاظ، و روحه العاصف يسوقه إلى تصوير كل ما يريد معالجته تصويراً قائماً على إثارة الأحاسيس، إذ لسان الشاعر إنما هو وسيلة لإبراز ما يطلبه و يميل إليه روحه المتدفق، كما قال الأخطل: إن الكلام لفي الفؤاد و إنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً، (٣٧)، و بما أن صنعة المبالغة لها دور خطير في تصوير الواقع بصورة خيالية و لها أثر كبير في إثارة الأحاسيس استعملها الشاعر كمعيار للتعبير عن كل ما يختلج في قلبه، ويمكن تقسيم المبالغات التي استعملها الشاعر حسب الغرض من الإتيان بها أو الفنون التي مزجها بها، كالمبالغة التي استعملها ضمن الكناية أو التشبيه أو المجاز، والميزة الغالبة في مبالغاته هي الصبغة الدينية التي تموج في آثاره و خاصة في كل تخاميسه، والبساطة التيمملياً فيها الشاعر في خلق مبالغاته الشعرية، والتوجه إلى الأمور المادية والمنترعات الحسية، ويجب الانتباه إلى أننا في ذكر النماذج نكتفي بذكر الأشطر الثلاثة الأول في كل تخميس لأن الرابع والخامس ليسا من الخمس بل من شاعر آخر.

٢-١- المبالغة في التشبيه

تعدّ المبالغة عنصراً هاماً في التشبيه، إذ الغرض من التشبيه يرجع في الأكثر إلى المبالغة في شأن المشبه و ادعاء الحاقه في وجه الشبه بالمشبه به، «إذ التشبيه نفسه يشير إلى نوع من الإغراق في كيفية المشبه»، (٣٨)، حيث «إن التشبيه، لقاء التشابه بين شيئين بشرط أن يكون أساس التشابه على الكذب والادعاء لا الصدق والحقيقة»، (٣٩)، وايضا يعتقد شميسا أن بين التشبيه والمبالغة بأقسامها علاقة وطيدة حيث يصرّح بأن «أساس المبالغة و الإغراق والغلو على الكذب كما أن التشبيه كذلك»، (٤٠)، و التشابيه التي يستعملها النودهي تدور حول الأمور الحسية و يغشيها نوع من البساطة، و يسعى فيها أن يلحق المشبه بالمشبه به الأقوى في وجه الشبه و الأجل كما هو شأن التشابيه، و بما أن المبالغة في التشبيه تكثر حينما يحذف بعض الأركان نكتفي بذكر بعض الأنواع التي تكثر فيها المبالغة كالتشبيه البليغ و المجمل و التمثيل:

٢-١-١- المبالغة في التشبيه البليغ

و هو ما حذف منه الوجه و الأداة و هذا مما يؤدي إلى مبالغة أكثر في التشبيه إذ حذف الأداة لفظاً و حمل المشبه به على المشبه أدلّ على ادعاء اتحادهما، وحذف الوجه ايضاً في اللفظ مما يؤكد ادعاء الاتحاد في كل وصف ممكن، كما شبّه الشاعر عبرة عينه بـ «الديمة» الذي هو عبارة عن المطر الدائم في قوله:

- في قومها ظنعت يخذى بها الجمل فعبرة العين منى ديمة هَطل و نار جزل الغضا في القلب تشتعل، المفردات الصعبة: «ظنعت» اي ارتحلت، «يخذى» أي يسرع، «الجزل» الحطب اليابس (٤١)، وكما في تشبيه الأسنان بـ «الدرر» في صفاء اللون والتألول:

- حوراء عيناء عمّا شان قد سلّمت لها محاسن في أترابها عُيَمت أسنانها دُرر في سيمطها نُظِمت (٤٢)، و تشبيه المتن بـ «الجلود» في الصلابة و الغلظة:

- بظهرها وبر من كان يلمسه فإنه كحرير لان مَلَمَسَه و المتن أغلظ جُلُودٍ وألمسه (٤٣)، و في مواضع أخرى، (٤٤).

٢-١-٢- المبالغة في التشبيه المجمل

و إن كان هذا النوع من التشبيه دون الأول مبالغة، لكن حذف الوجه يؤكّد ادعاء الاتحاد بين طرفي التشبيه و تسلك النفس كل طريق ممكن في القاء التشابه بينهما، كما في تشبيه الشاعر نفسه بـ «الغارق» لشعوره بالهموم الكثيرة التي تحيط به ولا يامل الخلاص منها في قوله:

- لقد ضيّقت دُرعا من طوار طوارق علاني هُمومٌ صيرتُ فيها كغارق عراني وَهْنٌ دام غير مفارق، (٤٥). و قد يكون حذف الوجه مقارنا مع صفة للمشبه أو المشبه به تشير إلى الوجه، كما في تشبيه المدامة بـ «الدموع» في الحمرة في قوله:

- مدامة كدموع الصبّ قانية صهباء كاساتها دارت بأندية على تغاريد قيناتٍ مغنّية، (٤٦)، فالوجه و هو الحمرة محذوف لكن توصيف المشبه به بقوله «قانية» يشير إلى الوجه المحذوف، و فيه ايضاً مبالغة في حمرة الدموع بقلب المشبه به مشبهاً إذ الغرض من الإتيان بهذا التركيب بيان شدة حمرة دموع الشاعر من شدة البكاء، وفي مواضع أخرى (٤٧)، و قد يحذف المشبه ايضاً في اللفظ مع حذف الوجه والوصف السابق، كما في توصيف سرعة الناقة في قطع المسافة بـ «مرّ البارقة» في قوله:

- شَمِلَةً في المسير الطرفَ قد سبقت بلحظةً جابت البیداءَ و اخترقت

كمرَ بارقةٍ من غيمها برقت، (٤٨)

و في مواضع أخرى (٤٩)، و قد يكون التشبيه مجردا عن الوصف، كما في توصيف أبطال المسلمين في الحرب بـ«الضيغم» في الصولة و الشجاعة في قوله:

- ضياغمُ في الوغى شاكٍ سلاحهم و كم كئائبُ قد أفنت صفاحهم

بالنصر والفتح قد هبت رياحهم، (٥٠)

و قد يكتفي الشاعر بحذف المشبه فقط، كما في تشبيه وجه الممدوح بـ«البدر و الشمس» في الإشراق في قوله:

- تصير منها عيونُ الصبِّ باكيةً تَشفي نفوسا من القراءِ شاكية

للبر و الشمس في الإشراق حاكية، (٥١)

٢-١-٣- المبالغة في تشبيه التمثيل

و قد يكون المشبه به في التخاميس هيئة منتزعة من عدّة أمور، كما شبه الشاعر فضله بـ«نار القرى ليلا على جبل» في قوله:

- العلم و العقل للإنسان خير حلى فضلى كنار القرى ليلا على جبل و عند فكري سواء غامض و جلى، (٥٢)

يعتقد الشاعر أنه ذو براعة و تفوّق على أقرانه، و أن براعته لا تخفي على أحد، فشبه وضوح هذا الأمر و جلاءه بوضوح رؤية النار على الجبل ليلا، مبالغة في الوضوح، إذ الظلام يسبّب عن ظهور النار بصورة أكمل و أجلى، و من جمال هذه المبالغة تقييد المشبه به (أي النار) بقوله: القرى اي ما توقد لأجل الضيوف و ندب العابرين التائهين في الفلوات إلى مائدة كريمة، و هذه النار هي أظهر شيء في ذلك الظلام الشديد، إذ لفرط تعب العابرين و شعورهم بالجوع و الألم، هي أول شيء يلفت نظرهم و يجرّ أعينهم نحوه، و من هذا القسم ايضا تشبيه جمال الممدوح و نضارة وجهه في الإشراق و اللطافة، و إدخال البهجة و السرور في نفوس الناظرين، بنجم ظهر في أوان استهلال الصبح فقال:

- و ذى جمال كنجم الصبح مشتعل و ذى مكارم غرّ ماجد بطل و ذى كلام جرى في الناس كالمتل، (٥٣)

و فيه مبالغة في الإشراق ونضارة وجه الممدوح وجماله في منظر الناظرين، وكما أن الناظر إلى نجم قد ظهر في مستهل الصباح يشعر بالارتياح و السرور لطيب الجوّ ورؤية تلالو النجم بين ذلك الظلام الذي قد انكسر من شدة سواده و يضرب لونه إلى أزرقية الصباح، فذلك من ينظر إلى وجه الممدوح أحاطه حالة من الفرح والسرور لرؤية جماله البارِع، ومن ذلك ايضاً تشبيه أخلاق الممدوح بمطر قد هبط على روض ذات بهجة وصفاء في قوله:

- داه بآرائه الأسواء قد فرجت واف إذا ما عهود الناس قد مرجت
أخلاقه كمجود الروض قد بهجت، (٥٤)

كما أن الإنسان إذا يشعر بهذه الحالة، ويحسّ نضارة تلك الروضة التي يهبط عليها غيث لطيف، يغرق في حالة من النشاط و الفرح، فذلك أخلاق الممدوح إذا واجه أحداً ألقاه في الارتياح و السرور لعلو سجايا الممدوح،

و في بعض الأحيان يتفاوت ميزان المبالغة بالنسبة إلى مادة أركان التشبيه

أ. ما كان المشبه به اسم عين ويعطينا تشبيه المشبه بالمشبه به صورة رائعة عما تروم إليه مخيلة الشاعر، إذ التشبيه مما ينجرّ إلى مبالغة رائعة كما في تشبيه عبدة عينه بالديمة:

- في قومها ظعنّت يخذى بها الجمل فعبرة العين منى ديمة هطل ونار جزل
الغضا في القلب تشتعل، (٥٥)

حيث إن مقصود الشاعر بيان استمرار جرى الدمع من عينه المتدفقة، وتشبيهها بالديمة التي هي عبارة عن المطر الدائم، (٥٦) و توصيفه بالهطل الذي يشير إلى تتابعه يعطينا صورة رائعة عما يروم الشاعر القاءه إلى المخاطب، وفيه من المبالغة ما لا يخفي، وكما في تشبيه أسنان المحبوبة بالدرر في قوله:

- حوارء عيناء عمّا شان قد سلمت لها محاسن في أترابها عدمت أسنانها درر
في سمطها نظمت، (٥٧)

فشبّه أسنانها في البياض و الاستواء بالدرر التي في سمطها و خيطها نظمت، والدرر المنظومة تعدّ من أكمل الأشياء في المحسوسات مبالغة في الإشراق و الإستواء، و كما في تشبيه المدامة بالدموع التي انسكبت من عين العاشق، ومن شدة الجرى واستمراره صارت مخضبة بالدم فأصبحت حمراء قانية:

- مدامة كدموع الصبّ قانية صهباء كاساتها دارت بأندية على تغاريد قينات
مغنية، (٥٨)

وايضا كتشبيه متن الناقة بالصخرة الملساء في الصلابة و انزلاق الراكب عليها في قوله:

- بظهرها وبر من كان يلمسه فإنه كحرير لان ملمسه والمتن أغلظ جلود وألمسه، (٥٩)

ومن أروع المبالغات التي ألفاها الشاعر ضمن التشبيه، مبالغته في سرعة الناقة ومقدرتها على السير في أقل زمن ممكن، كما قال:

- كالنبل منها الخطى عن قوسها مرقت لو سابقتها جياذ الخيل قد سبقت فما على خلقها من ناقة خلقت، (٦٠)

حيث شبه الناقة بالنبل السريع الذي جاوز القوس، و يجرى بسرعة، و بصورة خفيفة إلى أن يصل إلى المقصود و لا يخطئه فكذلك الناقة لا يتحير في المسير بل كما أن السهم يرمى به إلى المقصود كذلك هذه الناقة يرمى بها إلى موضع الذي يرام، وكالمبالغة في شدة زئير الأسد بتشبيهه بصوت الرعد في المهابة و القاء الخوف على السامعين و بالمدفع مبالغة في شأنه في الدمار حيث قال:

- مخضّب بدماء مخلبا و فما زئيره صوت رعد مورث صمما أو مدفع هذّ إذ يرمى به أطما، (٦١)

ب. ما كانت المبالغة ضمن تشبيهه كان الطرفان فيه أسم المعنى، كما في قوله:

- شملة في المسير الطرف قد سبقت بلحظة جابت الببداء و اخترقت كمرّ بارقة من غيمها برقت، (٦٢)

حيث شبه سرعة الناقة و مقدرته في قطع المسافة في أقل زمن ممكن، بسرعة مرور البرق من البارقة (اي السحاب ذات البرق: ذكر البارقة وأريد منها نفس البرق).

ج. ما كان المشبه به من الذوات المنسوب إليها الحدث(المشتق): كاسم الفاعل والصفة المشبهة:

- لقد ضقت ذرعا من طوار طوارق علاني هموم صرت فيها كغارق عراني وهن دام غير مفارق، (٦٣)

لما انضجر الشاعر من هموم قد احاطت به، وشعر بينها بالاختناق، شبه نفسه بمن يغرق في البحر ولا يامل الخلاص منه، واعتبر نفسه غارقا بين أمواجه مبالغة في كثرة الهموم وشدتها، فكان الهموم بحر عظيم متلاطم، وهو غريق لا يامل الخلاص

منها إلا أن يأتية إنقاذ من جانب مولاه الكريم عزّ وجل، وكتشيبه العاشق بالسليم والديغ، مبالغة في زوال النوم عن عينه في قوله:

- حشا الحشا بين من تهواه من غلل فلا تزال تفيض الدمع من مقل وبالكرى
كسليم غير مكتحل، (٦٤)

٢-٢- المبالغة في المجاز

المجاز وهو العدول عن المعنى الحقيقي، وتصوير الواقع بصورة غير متعارفة وبعيدة عن الحقيقة، فلهذا ندعن بأن له صلة وثيقة مع المبالغة، إذ الغرض من المبالغة الإفراط في التوصيف حتى يصل إلى حدّ غير متعارف و بعيد عن الحقيقة، فمال الأمرين واحد، وايضا قسم من المجاز الذي يسمى بالاستعارة بنائه على التشبيه وكما أشرنا سابقا تعدّ المبالغة جزءا غير منفكّ عن التشبيه هذا، و تشتدّ المبالغة في الاستعارة إذ مدار الاستعارة على تناسي التشبيه و ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به و تقسيم أفراد المشبه به إلى المتعارف و غير المتعارف، (٦٥) فمعلوم «أن الإغراق في الاستعارة أشدّ و أكثر من التشبيه، و هذا مراد من قال الاستعارة أبلغ من التشبيه»، (٦٦).

توضيح: يمكن أن يبحث عن المبالغة في المجاز في محورين: المبالغة المستنبطة من صور المجاز وأنواعها أو من مادة المجازات وبما أن المحور الثاني لا يمكن حصره وضبطه داخل أقسام معينة لا نأتى به وأما المحور الأول فنكتفي بقسمين منه:

٢-٢-١- المبالغة في الإسناد المجازي، والاستعارة المكنية

وهو إسناد الشيء إلى غير ما حقّه أن ينسب إليه، وهذا الفن البلاغى من الفنون التي لها دور وسيع في خلق المنتجات الأدبية في تخاميس النودهي ولاسيما في ما بزغت فيه ظاهرة المبالغة لأن «إمكان تركيب الصور والأسلوب البنائي ينتهى في الاستعارة والتشبيه إلى حدّ معينة، بخلاف الإسناد المجازي، فإن هذا الأمر فيه لا يحدّ في حدود معينة»، (٦٧) وذلك كالتعلق الوقوعى الذي بين فعل «تحليت» وكلمة «الذات»، واتصاف «الذات» بكلمة «الحلو» و«الحامض» في قوله:

- شبابى مضى ما كنت فيه بناهض إلى عمل الطاعات غير فرائضى تحليت
بالذات حلو و حامض، (٦٨)

تأسّف الشاعر على مضي شبابه وعدم الاستفادة منه في ما يرتبط برضا ربّه العلي حسب ما يليق بعلو همّته و نفسه الرفيعة وانضجر من الانشغال بالذات الدنيوية، وحاول الابتعاد عنها و كلما مالت نفسه نحو الذات لامها، و دعاها إلى الزهد والمبادرة إلى طاعة مولاه القدير، وفي اسلوب زهدى شبّه الذات بما يطعم من

المأكولات الشهية التي تميل إليها النفس وضمن استعارة مكنية يصفها بكلمة «الحلو» و«الحامض»،

- لقد ضقت ذرعا من طوار طوارق علاني هموم صرت فيها كغارق عراني وهن دام غير مفارق، (٦٩)

شبه الشاعر الهموم التي احاطته في المهابة وعدم الخلاص منها، بأمواج البحر التي قد تحيط بالغريق التي لا يامل الخلاص منها وأسند العلو التي هي صفة أمواج البحر إلى الهموم مجازا ومبالغة في شدتها، وايضا أسند فعل «عراني» الذي هو منسد في الحقيقة إلى كل ما غشى الإنسان وأحاط به إلى «وهن» مجازا ومبالغة في كثرته وعدم الخلاص منه وكإسناد كلمة «محلول» و إضافة «العقد» إلى «الصبر» في قوله:

- دمي ودمعي مدرار مطلول والقلب مضطرب والعقل مخبول أشكو الفراق وعقد الصبر محلول، (٧٠)

حيث أظهر عن وجه مأساته، و بالغ في عدم قدرته على تحمل الفراق لمضايقة صدره بقوله «وعقد الصبر محلول»، شبه الشاعر الصبر والتجالد بالدرر التي نظمت في سلك واحد، إذ الصبر كالدرّ نفيس و ذو قيمة عالية، ونظم الدرر في السلك دليل على بقائها وعدم الفوات ولكن إذا مزق السلك والخيط الذي شدّت فيه الدرر، فُرقت الدرر و جعلت في معرض الفوات، و كذلك الصبر إذا فقد الشخص مقدرته على تحمل المصائب يزول و ناب عنه الكآبة و المأساة،

- ما مثلها أبصرت عين مخدرة فاقت صباحتها المصباح مسفرة وأين منها نجوم الليل مزهرة، (٧١)

بالغ الشاعر في إشراق وجه المحبوبة (سعاد) وجعل لوجهها الصباحة ثم زاد في المبالغة وادّعى أن صباحتها فاقت المصباح، ثم غلا فيها أكثر وقال: هي أزهر من نجوم الليل، فالشاعر أسند التفوق في الصباحة إلى وجه المحبوبة مجازا ومبالغة في نضارة وجهها وشدة إشراقها، وكإسناد الحسد والغبطة إلى الريح في قوله:

- و كم سبابس حادى القوم يوردها ما دمّنتها الخطي و الشوق يسعدها والريح تغبطها والريح تحسدها، (٧٢)

المفردات الصعبة: «سبابس» صحارى، «دمّنتها» اي لينها.

حيث شبه الريح بمن ينافس ناقة الشاعر في طي المسير و لكن لشدة قوة الناقة على الجرى و طي المسير صار مغلوبا، حاسدا بسرعتها و شدة عدوها،

- لمّا تجمع فيه كل مفترق من كل وصف كمال رائق عبق و من سناه انجلى ما كان من غسق، (٧٣)

أثبت الشاعر السنا للرسول الأكرم صلى الله تعالى عليه و آله و سلم، إذ أنه منذ أظهر رسالته من الله عز وجل ملأ الكون بالهداية والإرشاد وأنقذ الناس من ظلمات الأوهام وعبادة الأوثان، وانجلى الغسق بأنواعه من العالم، حيث إن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وإرشاداته كالشمس غرة الصباح تُزيل كل ما كان من غسق في العالم، وهكذا أثبت الشاعر ايضا في موضع آخر لمحياء الشريف النور الذي هو سبب لانجلاء الغسق، وأثبت له الأرج الطيب ملطف للجوّ فقال:

- أعظم بأول خلق جوده غدق و من بنور محياه انجلى غسق والكون ذو أرج من نشره عبق، (٧٤)

ومن أروع المبالغات التي وقعت في ضمن الاستعارة المكنية والإسناد المجازي، إسناد القطع والصرم إلى لحظ المحبوبة، في قوله:

- يبدین ما منه عقل الصبّ في صدف بیسمن عن لؤلؤ رطب وعن برد یفری ظبی لحظها الموضوع من زرد، (٧٥)

المفردات الصعبة: «الصفد» القيد، «یفری» يقطع، «الموضوعون» المنسوج حلقتين حلقتين، «الزرد» الدرع.

شبه لحظ عين المحبوبة بالسيف الصارم في شدة تأثيره في نفس العاشق وإشعال نار الهوى فيها تشبيها مضمرا في النفس ثم استعمل ملائم المشبه به للمشبه وأسند فعل «یفری» بمعنى يقطع إلى المشبه مجازا، ثم بالغ الشاعر في هذا التشبيه المضمّر والإسناد المجازي فقال: إن ظبی لحظها (الظبی جمع ظبة بمعنى حد السيف)، ينفذ في جميع الأشياء وله قوة شديدة في قطع كل شيء حتى «الموضوعون» أي المنسوج حلقتين حلقتين من «زرد» أي الدرع،

- و استبشر الوحش و الأطيّار ساجعة و الأرض مخصبة للجذب قامعة و كل نفس من الكهّان جازعة، (٧٦)

أسند الشاعر الاستبشار إلى «الوحش» مجازا، حيث شبه الوحش بأناس يستبشرون تشبيها مضمرا في النفس ثم استعمل مع المشبه ملائم المشبه به مبالغة في كمال ما وقع في الخير و البهاء،

٢-٢-٢ - المبالغة في الاستعارة المصراحة

و قد تكون المبالغات التي توجد في التخاميس ضمن المجاز تظهر بصورة الاستعارة المصراحة، كما في استعارة «النار» لحرارة العشق ولوعة الهوى في القلب مبالغة في شدة العشق، في قوله:

- في قومها ظنعت يخذى بها الجمل فعبرة العين منى ديمة هطل ونار جزل
الغضا في القلب تشتعل، (٧٧)

ثم أراد الشاعر أن يزيد في المبالغة فصرح بكون النار حاصلة من «جزل الغضا» الذي هو شجر من الأثل خشبه صلب جدا وجمره يبقى زمنا طويلا لا ينطفئ، «وهو من أجود الوقود عند العرب»، (٧٨) فالشاعر شبه شدة عشقه وميله إلى المحبوب وتهيج العاطفة في وجدانه، بالنار ثم هو لا يكتفي بهذا القدر وصرح بأن هذه النار من أشد النيران حرارة إذ هو حاصل من جمر الغضا الذي يضرب به الأمثال في الحرارة وشدة اللهب، فهكذا نرى أماننا صورة رائعة من لوعة الهوى في النفس يمزج الشاعر الاستعارة فيها بالمبالغة، وايضا كما في استعارة «أسد» (جمع أسد)، لأبطال الخصم الطاغية عن أوامر الله سبحانه المغلوبة بيد رسوله الأكرم صلى الله عليه و سلم في قوله:

- وكان يغلبهم في الغزو أغلبه من كل حزب مبيدا أسد منقبه قلو وذلو وملو من
تحزبه، (٧٩)

المفردات الصعبة: «المنقب» العسكر، «تحزبه» اي تجمعه.

فالمبالغة المطلوبة لدى الشاعر في الاستعارة يظهر في استيلاء الممدوح، حيث أعلن الشاعر بأن ممدوحه قد بلغ مثوى أعلى من الشجاعة والإقدام، وإذا واجهه الأعداء غشيهم الفشل والإنهزام وإن كانوا فاتكين كالأسد، فالممدوح فوقهم في الصولة والإقدام و هو يبيد أبطال عسكر الخصم، وكما في قوله:

- رجالها برعوا في نجدة ودها و بسط كفّ، ذوى جود و أهل نهى لهم شقائق
يسبين الحجا ببها (٨٠)

المفردات الصعبة: «يسبين» من السبى بمعنى الأسر أي يأسرن.

استعار الشاعر في أثناء التوصيف لرجال ديار المحبوب، «الشقائق» لأخواتهم، مبالغة في النصارة و الحسن، حيث كما أن الشقائق له حسن و بهاء، و ينشط الناظرين عند رؤيته، كذلك أخوات تلك الرجال ذات براعة في النصارة والحسن وإدخال السرور في نفوس الناظرين، ثم لا يقف الشاعر في هذا القدر من توصيفها بالبهاء،

ويحاول المبالغة في شأن نضارتهم وبهائهم في الحسن أكثر وصرّح بأن جمالهم قد بلغ حدًا من الكمال، إذا رأوهم الناظرون تذهل عنهم عقولهم؛ بحيث لا يختلج في أذهانهم غير التلهّي بها، وصاروا أسرى مجانين لشدة البهاء والحسن،

٢-٣- المبالغة في الكناية

تعدّ الكناية أبلغ من التصريح تأثيرا في النفوس، حيث تعطي السامع صورة رائعة عما يرام اللقاء مفهومه، وكما يذكر في علم البيان هي ذكر الملزوم وإرادة اللازم فكانت تشبه دعوى الشيء ببينة وبرهان، وإذا مزج الشاعر هذا الفن بعنصر المبالغة زادت البراعة وشدة التأثير، والنودهي استعمل هذه الصنعة في تخاميسه مزيجة بالمبالغة الجميلة التي تعطيها البراعة، وبما أن المبالغة ترجع إلى الغلو في الصفات والكناية منها ما ترجع إلى الصفة نركز في أقسام الكناية على الكناية في الصفات ونذكر نماذج منها في تخاميس النودهي:

- نشأت فتى في العيش حلف خصيبه و من كل نعمى أخذنا بنصيبه فنغص
شيبى العيش من بعد طيبه (٨١)

يلوم الشاعر نفسه على التلهّي بالذات الفانية الدنيوية ويخاطبها موبّخا لها: يا نفس إلام لا تستيقظ من نوم الغفلة ولا تشتاق إلى طاعة مولاك الكريم ومضى شبابك وأنت تشتغل بما لا يعنك، ثم صوّر صورة انغماس نفسه في الملاهي بصورة كنائية وقال: «نشأت في العيش حلف خصيبه»، والحلف: الصديق يحلف لصاحبه أنه لا يغدر به؛ أو ما يلزم الشيء ولا يفارقه، «قال ابن الأثير أصل الحلف، المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق»، (٨٢) وهذا كناية عن انغماس النفس في الملاهي والذات، ومبالغة في شدة ميل نفسه في نيل المشتهايات، إذ معاملتها مع كل ما تشتهيه معاملة صديق لا يغدر صاحبه ولا تفارقه،

وقد تعطينا الكنايات التي استخدمها الشاعر صورة تبليغ الأمر إلى الحد الأقصى بحيث لا تحيط بكنه فضله العقول كما في قول الشاعر:

- ما مثلها أبصرت عين مخدرة فاقت صباحتها المصباح مسفرة وأين منها
نجوم الليل مزهرة، (٨٣)

ادّعى الشاعر أن المحبوبة التي يمدحها ليس لها مثيل في أترابها بل نظيرها معدوم في العالم بحيث لا تمكن الأبصار أن تنظر إلى عديله، وهذا كناية عن بلوغها الحد الأقصى من البراعة والجمال، ومبالغة في قوة شأنها في الحسن والبهاء،

- حاوى فضائل لا يحصى لها عدو هاد لأقوم دين ما به أود أقواله حجج
والكل معتمد، (٨٤)

مدح الشاعر النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم و يكشف عن كماله في الحسن وتتميمه للخصال الحميدة بأن فضائله غير محصورة عادة و جلت شمائله الكريمة عن أن يحيط بها عقل نوع الإنسان، وهذا كناية عن بلوغه الكمال في المحاسن، هذا ولكن المنصف البعيد عن الاعتراف أذعن بأن هذا الكلام لا يعدّ في شأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم مبالغة، بل هوفي صورة المبالغة، إذ هو النبي المختار المصطفى الذي خصّه الله الكريم بمحاسن جلت عن الإحاطة بها عقول العوام،

- ما دار في عقل ذى لبّ ولا خلد ما كنهه؟ ما عليه فاض من مدد مثل وقل هو لا يخفي على أحد، (٨٥)

وهذا ايضا كناية عن بلوغه صلى الله عليه وسلم الحد الأقصى من الكمال بين نوع الإنسان، بحيث لا يختلج في أذهان أولى الأبواب كنه فضله ورفعة درجته في الحسن وما جاءه من ربّه من الإمداد والنصر، وكما صرّح بهذا ايضا في موضع آخر و قال:

- الله عظم إجلالا خليفته وصدّ عن فهم معناه خليفته من رام عرفانه أخطا طريقتة، (٨٦)

يعنى الشاعر بهذا الشطر: أن الله تعالى قد خصّ حبيبه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بفضائل يكون فيها منزّها من المثل، بحيث لا يلقي له عدیل بين نوع الإنسان، وقد تعطينا صورة تبليغ الأمر إلى حدّ يعجز عن إدراكه ماخصّه بالذكر، كما قال في مدح النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم) في بلاغة النطق و الشجاعة في قوله:

- أين المصاقع منه في مقالته وأين منه الليوث في بسالته يراه راء فيخشاه لحالته، (٨٧)

المصاقع جمع مصقع بكسر الميم و فتح القاف و«الصقع البلاغة في كلام والوقوف على المعانى و في حديث حذيفة بن أسيد شرّ الناس في الفتنة الخطيب المصقع اي البليغ الماهر في خطبته الداعي إلى الفتن»، (٨٨) مدح الشاعر بلاغته (صلى الله عليه وسلم) وصرّح بأنها قد بلغت مثوى من الكمال و البراءة من التعقيد تكون فائقة على جميع البلغاء وشجاعته بلغت حدّا لا يقرب منه الأسود التي تضرب فيها الأمثال في البسالة، و هذا كناية عن بلوغه (صلى الله عليه وسلم) الحدّ الأقصى من البراعة في البلاغة و الشجاعة بحيث يعجز عن إدراكه البلغاء و الأسود، و كما مدح فصاحته (صلى الله عليه وسلم) ايضا في قوله:

- قد أعجز اللسن من عرب فصاحته فاقت ملاحظته فاضت سماحته كم من جريح به طابت جراحتة (٨٩)، بكونه بالغة درجة عليا من النقاء و البراءة من العيوب بحيث قد عجز عن وصولها سائر العرب.

الخاتمة

بما أن كل شاعر ولید بیئته وأسیر فکرتة والنودهی شاعر ظهر فی نهائة العصر العثمانی العصر الذی من أبرز میزاته الاهتمام بالبديع والإتيان به فی المديح النبوی، نراه یهتم من الناحية الشكلية بالبديع ومن الناحية المعنوية أكثر أشعاره فی المديح النبوی بحيث اشتهر بالبوصيري الكردي ومن أنواع البديع الذی أبدع فيه النودهی المبالغة الممزوجة بفنون البیان فوصل دراستنا حول إبداعه هذا إلى ما يلي:

- بما أن البحث درس المبالغة ضمن الفنون البيانية رأينا أن مبالغاته مقبولة كلها لأن المبالغة البيانية خلافا للمبالغة البديعية ليس فيها ما يعدّ مردودا.

- أن ميزة مبالغاته فی التخميس من حيث الظاهر: البساطة التي يميل إليها الشاعر في تشريح أفكاره ومنتجاته الأدبية والميل إلى البداهة وعدم التلکف المسبب عن التعقيد وإن تميل بعض الأحيان إلى البساطة والابتذال لكن يكون مزیجا بحسن الخيال ورشاقة السبك بحيث ينصب أمام الأعين صورة رائعة عما يروم الشاعر القاء مفهومه إلى المخاطب، ومن حيث المعنى: الصبغة الزهدية والدينية التي غلبت على المبالغات بل وعلى كل تخميسه، مشوبة بعلاقة وطيدة بحسها الشاعر من نفسه بينه وبين الممدوح بحيث اعتنى الشاعر بشأن أكابر الدين وأكثر شعره يدور حولهم وخاصة مدح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ويهتم بظاهرة الوعظ والتحذير من الدنيا والزهد فيها.

- واستخرجنا من المبالغات الممزوجة بالتشبيه الأنواع التي تحمل في طياتها أروع أنواع المبالغة كالتشبيه البليغ والمجمل والتمثيل.

- وأشرنا في المبالغة الممزوجة بالمجاز إلى نوعين وهما الاستعارة المصراحة والمكنية وفي الكناية الممزوجة بالمبالغة ركزنا على الكناية عن الصفات لأن روح المبالغة ترجع إلى العلو في الصفات وأتينا بنماذج جميلة منها.

- حصلنا على أن من أهم ما دفع النودهی إلى هذه الظاهرة، شخصيته الفردية التي نشأ في أسرة دينية صوفية عريقة وروحه العاصف وزمنه الذی يشيع فيه استعمال البديعيات في الشعر عامة وفي المديح النبوی خاصة.

الهوامش

- ١- القبرواني، (د.ت): ج ١ ص ١٥٩، ٢- الجاحظ، ١٩٩٨م: ص ٧٠
- ٣- ستاريان، ١٣٨١ش: ٤٨٤- زيدان، ١٩٨٣م: ج ١ ص ٣٨
- ٥- شوقي ضيف، ١٩٧٦م: ٣٢٦- حليتي، ٢٠٠٣م/ ٢٠٠٤م: أ
- ٧- روحاني، ١٣٧١ش: ج ١ ص ٣٤٨٨- النودهي، ١٢٥٤ق: ٣٢٨ و ٣٢٩
- ٩- الخال، ١٩٦١م: ٨٢١٠- نفس المصدر: ٨٣
- ١١- رسول نژاد، ١٣٨١ش: ٤٥٠، ١٢- الخال، ١٩٦١م: ١٨٢
- ١٣- ابن منظور، ١٩٨٨م مادة بلغ
- ١٤- السيوطي، ١٤٢٦ق: ١٧٧٣- التفتازاني، ١٤٠٩ق: ٤٣٤
- ١٥- باقلاني، ١٩٩١م: ١٤٢١٦- العسكري، ١٣١٩ق: ٢٨٧
- ١٧- ابن المعتز، ١٤٠٢ق: ٦٥١٨- قدامة بن جعفر، ١٩٨٠م: ٩٠
- ١٩- طوسي، ١٣٧٦ش: ٥٩٤٢٠- شوقي ضيف، ١٩٩٩م: ١٠٧
- ٢١- السيوطي، ١٩٧٣م: ج ٣ ص ٣٢٢٢٢- علوي، ١٩٩٥م: ٤٥٨
- ٢٣- قزويني، ١٩٨٩م: ٥١٤٢٤- تفتازاني، ١٤٠٩ق: ٤٣٤
- ٢٥- ابن منظور، ١٩٨٨م مادة غرق ٢٦- ولوي، ١٣٨٢ش: ٣٩
- ٢٧- شفيعي كدكني، ١٣٨٣ش: ١٣٠، ٢٨- ابن دريد، ١٣٥١ق: غ ل و
- ٢٩- ابن منظور، ١٩٨٨م: مادة غلا ٣٠- تفتازاني، ١٤٠٩ق: ٤٣٥
- ٣١- رادمرد و غضنفرى مقدم، ١٣٩٤ش: ٦٤٣٢- تفتازاني، ١٤٠٩ق: ٤٣٥
- ٣٣- گرگاني، ١٣٨٩ش: ٧٨٣٤- كاشفي سبزواري، ١٣٦٩ش: ١٧١
- ٣٥- تهانوي، ١٩٩٦م: المبالغة ٣٦- همایی، ١٣٨٤ش: ٢٦٨ و ٢٦٩
- ٣٧- فخر الدين الرازي، ١٤٢٠ق: ج ١ ص ٣٥٣٨- فشاركي، ١٣٧٩ش: ٧٩
- ٣٩- شمييسا، ١٣٨٥ش: ٥٦٤٠- شمييسا، ١٣٨٣ش: ٧٨
- ٤١- النودهي، ١٢٥٤ق: ٧٢٤٢- نفس المصدر: ٧٤
- ٤٣- نفس المصدر: ٨٨
- ٤٤- نفس المصدر: ١١٤ و ١١٩ و ١٢٥ و ١٥٦ و ١٨١ و ١٩٣ و ١٩٥ و ٢١٧
- ٤٥- نفس المصدر: ٦٢٤٦- نفس المصدر: ٧٥
- ٤٧- نفس المصدر: ١٧٥ و ٢٣٥ و ٢٤٠ و ٢٤١٤٨- نفس المصدر: ٨٤
- ٤٩- نفس المصدر: ٩٧ و ١٣٣ و ٢٢١٥٠- نفس المصدر: ١٢٣
- ٥١- نفس المصدر: ٢٢٠، ٥٢- نفس المصدر: ٢٣٥
- ٥٣- نفس المصدر، ٢٤٠، ٥٤- نفس المصدر، ٢٤١
- ٥٥- نفس المصدر: ٧٢٥٦- ابن المنظور، ١٩٨٨م: د ي م
- ٥٧- النودهي، ١٢٥٤ق: ٧٤٥٨- نفس المصدر: ٧٥
- ٥٩- نفس المصدر: ٨٨٦٠- نفس المصدر: ٩٧
- ٦١- نفس المصدر: ١١٤٦٢- نفس المصدر: ٨٤

- ٦٣- نفس المصدر: ٦٢٦٤- نفس المصدر: ١٣٣
 ٦٥- التفتازاني، د.ت: ج ٤ ص ٦٥ و ٦٦٦- شمس، ١٣٨٥ش: ١٧٨
 ٦٧- شفيعي كدكني، ١٣٨٣ش: ٤٤٩٦٨- النودهي، نفس المصدر: ٦١
 ٦٩- نفس المصدر: ٦٢٧٠- نفس المصدر: ٧١
 ٧١- نفس المصدر: ٧٣٧٢- نفس المصدر: ٨٦
 ٧٣- نفس المصدر: ١٤٩٧٤- نفس المصدر: ١٥٦
 ٧٥- نفس المصدر: ٢٤٧٧٦- نفس المصدر: ١٦٣
 ٧٧- نفس المصدر: ٧٢٧٨- ابن منظور، ١٩٨٨م: غ ض ي
 ٧٩- النودهي، نفس المصدر: ١٨٩٨٠- نفس المصدر: ٢٤٦
 ٨١- نفس المصدر: ٦٣٨٢- ابن المنظور، ١٩٨٨م: ح ل ف
 ٨٣- النودهي، نفس المصدر: ٧٣٨٤- نفس المصدر: ١٤٧
 ٨٥- نفس المصدر: ١٥٤٨٦- نفس المصدر: ١٥٤
 ٨٧- نفس المصدر: ١٥٨٨٨- ابن المنظور، ١٩٨٨م: ص ق ع
 ٨٩- النودهي، نفس المصدر: ١٦٨

المصادر

١. ابن المنظور، (١٩٨٨)، «لسان العرب»، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط ١.
٢. ابن دريد، (١٣٥١) ابوبكر محمد بن الحسن الأزدي المصري، «جمهرة اللغة»، بغداد، أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى لصاحبها محمد رجب، ط ١.
٣. ابو الفرج، قدامة بن جعفر، (١٩٨٠)، «نقد النثر»، تحقيق طه حسين و عبد الحميد العبادي، بيروت، دار الكتب العلمية.
٤. أمال حليتي، (٢٠٠٣/٢٠٠٤)، «ظاهرة الغلو في الشعر العربي القديم دوافعها و نتائجها» (ابو نواس، المتنبي، ابن هاني الأندلسي)، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، جامعة منتوري- قسطنطينية، كلية الآداب و اللغات قسم اللغة العربية و آدابها.
٥. التفتازاني، (د.ت)، «شروح التلخيص لـ (سعد الدين التفتازاني وابن يعقوب المغربي و بهاء الدين السبكي)، بيروت، دار الإرشاد الإسلامي.
٦. التفتازاني، (١٤٠٩)، «المطول، بهامشه حاشية السيد مير شريف»، قم، مكتبة الداوري.

٧. تهنأوى، محمد على، (١٩٩٦)، «موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم»، تقديم و إشراف و مراجعه رفيق العجم، تحقيق على دحروج، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.
٨. الجاحظ، عمر بن بحر، (١٩٩٨)، «البيان و التبيان»، تحقيق موفق شهاب الدين، بيروت، دار الكتب العلمية.
٩. راد مرد، عبدالله و غضنفرى مقدم، صالحه، (١٣٩٤)، «بررسى بلاغى مبالغة در آيات قرآن كريم»، فصل نامه علمى- پژوهشى «پژوهش هاي ادبى - قرآنى»، سال سوم، شماره اول، ص ٥٧ إلى ٧٩.
١٠. رسول نژاد، عبدالله، (١٣٨١)، «شرح و تحليل احوال و آثار دو اديب بزرگبیتوشى و نودهى»، رسالة دوكتوراه، جامعة طهران.
١١. روحاني، بابا مردوخ، (١٣٧١)، «تاريخ مشاهير كرد»، تهران، انتشارات سروش.
١٢. زيدان، جرجى، (١٩٨٣)، «تأريخ آداب اللغة العربية»، د.م، دار مكتبة الحياة.
١٣. ستاريان، مهدي، (١٣٨١)، «مطالعات بلاغى(تاريخچه و سير تحول بلاغت در غرب»، نشریه رشد آموزش معارف اسلامى، سال چهاردهم، شماره ٥٠.
١٤. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، (١٩٦٩ - ١٩٧٣)، «الإتقان في علوم قرآن»، تحقيق على محمد البيجاوى، قاهرة.
١٥. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، (١٤٢٦)، «الإتقان في علوم القرآن»، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
١٦. شفيعى كدكنى، محمد، (١٣٨٣)، «صور خيال در شعر فارسى»، تهران، نشر آگاه، ط٩.
١٧. شميسا، سيروس، (١٣٨٣)، «نگاهى تازه به بديع»، تهران، نشر ميثرا، ط١.
١٨. شميسا، سيروس، (١٣٨٥)، «بيان»، تهران، نشر ميثرا، ط١.
١٩. ضيف، شوقي، (١٩٩٩)، «البلاغة تطور و تأريخ»، مصر، دارالمعارف، ط١٠.
٢٠. ضيف، شوقي، (١٩٧٦)، «العصر الإسلامى»، مصر، دارالمعارف، ط٧.

٢١. طوسی، محمد بن الحسن، (١٣٧٦)، «اساس الاقتباس»، تصحيح مدرس رضوی، تهران، انتشارات دانشگاه.
٢٢. العسکری، ابو هلال، (١٣١٩)، «الصناعتين»، مصحح محمد امين الخانجی، القاهرة.
٢٣. علوي، يحيى بن حوزة، (١٩٩٥)، «الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقايق الاعجاز»، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١.
٢٤. فخر الدين الرازي، ابو عبدالله محمد بن عمر، (١٤٢٠)، «مفاتيح الغيب»، بيروت، دار احياء التراث العربی، ط ٣.
٢٥. فشارکی، محمد، (١٣٧٩)، «نقد بديع»، تهران، نشر سمت، ط ١.
٢٦. القزويني، الخطيب، (١٩٨٩)، «الايضاح في علوم البلاغة»، تحقيق محمد عبدالمنعم الخفاجی، بيروت، الشركة العلمية للكتاب، ط ٢.
٢٧. القيرواني، (د.ت)، «زهر الأدب»، بيروت، دار الجليل، ط ٤.
٢٨. كاشفي سيزواری، حسين واعظ، (١٣٦٩)، «بدایع الأفكار في صنایع الأشعار»، ویراسته و گزارده مير جلال الدين كزازی، تهران، مركز.
٢٩. همایی، جلال الدين، (١٣٨٤)، «فنون بلاغت و صناعات ادبی»، تهران، نشر هما، ط ٢٣.
٣٠. ولوي، سيمين، (١٣٨٢)، «بررسی آراء علمای بلاغت پیرامون صنایع معنوی و شواهد قرآنی»، تهران، انتشارات تابان، ط ١.

النقد الغربي واثره في النقد العربي المعاصر

غالي شكري أنموذجاً

*Western critism and it's impact contemperary
on Arabic critisim,
Ghali Shokri as a model*

م.م. عماد بشير حمدي

كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية/ جامعة الموصل

Assistant teacher: emad basheer al-gero

College of education for human sciences Mosul
university

ملخص البحث

شغل التأثير الغربي بأفكاره وفلسفاته حيزاً كبيراً ومهماً من الساحة النقدية العربية الحديثة، حتى أضحت نقدنا الحديث صورة مقارنة من النقد الغربي، فقد أسس نقادنا العرب المعاصرون تجاربهم ومناهجهم في ضوء دراستهم لثقافات غربية.

وقد اجتهد هذا البحث في محاولة إظهار أشكال هذا التأثير العربي بالنقد الأوروبي وفلسفاته، والوقوف على أهم الأسباب التي كانت وراء هذا التأثير، وقد وقع اختيارنا على الناقد (غالي شكري) انموذجاً تطبيقياً لدراسة الفكر التأثري عند نقادنا العرب، الذين تبنا مرجعيات غربية لثقافتهم. وقد قامت دراستنا على محورين تناولنا في الأول مجمل الأثر الغربي في النقد العربي الحديث والطرائق المؤدية لهذه المواقف، وفي المحور الثاني تناولنا تجليات النقد الغربي في أعمال غالي شكري النقدية.

Abstract

The western influence with its ideas and philosophies occupied a great and important zone in the modern Arabic critical field until our modern criticism became a copy of the western one. Our Arab contemporary critics based their experiences and methodologies in light of western cultures .

This research attempted to illustrate the forms of this Arabic affectation by the European criticism and philosophies and recognizing the important reasons behind this affectation. So, we selected Ghali Shukri, the critic, as an applicative model to study the affecting thought of the Arab critics who adopted western references to their cultures. Our study was established on two topics ; the first dealt with the total western influence on the modern Arab criticism and the methods resulted in this inter-cultural process . In the second topic, we dealt with the presences of the western criticism in the critical writings of Ghali Shukri.

أولاً: الأثر الغربي في النقد العربي الحديث

يجري على النقد العربي الحديث الحكم نفسه الذي يجري على جوانب الحياة والحضارة العربية عامة، هو تأثره على مايزيد من قرن بالنقد الغربي ومحاولته الاندماج في الثقافة الغربية على الرغم من الاختلافات الثقافية والخصوصيات الحضارية وإن كان بأشكال مختلفة ونسب متفاوتة^(١). ومن الطبيعي أن يرافق إفادة العرب من التقدم العلمي والتكنولوجي الغربي إفادتهم نقدياً وإبداعياً، فقد ظهرت التأثيرات الفلسفية الغربية واضحة على فكرنا العربي عبر تبني أعلامنا العرب نظريات فلسفية غربية ونشرها في أوساطهم الثقافية والعلمية والجامعية وفي مؤلفاتهم^(٢).

لقد فرض الواقع الجديد على الأدب والنقد العربي الحديث ضرورة التأثير والتواصل مع النقد الغربي، فضلاً عما فرضته مستجدات الحياة الجديدة على آراء وأفكار الادباء والشعراء، في البحث عن أشكال تم استحداثها ضمن دائرة الحداثة الغربية، فالناقد العربي وفي خضم ذلك التفاعل واجهته أجناس أدبية غريبة على ثقافتنا العربية القديمة كالمسرحية والقصة والرواية التي لا يمكن أن تُقرأ إلا بالاعتماد على مفاهيم خاصة بها، أجبرته على الكتابة في ضوء القواعد والأصول الفنية الغربية والتسلح ببعض أدواته المعرفية، وكانت نتيجة التأثير بالنقد الغربي هي محاولة نقادنا العرب تجديد المناهج النقدية الأدبية عبر اتصالهم بالثقافة الغربية، وإدخال تلك القواعد والفنون الغربية إلى الأدب العربي ونقده^(٣). وهكذا تأثرت قواعد النقد العربي منذ بداية القرن العشرين بالتغيرات البارزة في أوروبا، فجاء كتاب طه حسين (في الأدب الجاهلي) متأثراً بفلسفة ديكرت، كما جاء للعقاد كتاب (ابن الرومي-حياته وشعره)، وكتاب آخر عن أبي نؤاس متأثراً بالمباحث التاريخية والبيولوجية والسيكولوجية، وشكل العقاد إلى جانب إبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري مدرسة الديوان التي تأثرت بالرومانسية الغربية في النقد وكان تأثر العقاد وجماعة الديوان بالمدرسة الرومانسية في الشعر والنقد إلى علاقتهم بـ(هازلت) وبقيّة جماعة النبوة والمجاز^(٤).

لقد كان المذهب الغربي ذا أثر بالغ في التأثير، وفي تطور النقد العربي، ويتضح ذلك في تكوين المدارس الأدبية ونشوء المذاهب النقدية، كما أنّ الفلسفة الغربية كانت أشدّ تأثيراً في حركة النقد العربي الحديث، فظهور الاتجاهات الجديدة الواضحة في النقد، فضلاً عن استدلال بعض النقاد المحدثين بآراء النقاد والفلاسفة الغربيين سببان مباشران في تأثر الأدب ونقده، ومن أهم المدارس التي تركت أثراً في نهضة الأدب العربي ونقده هي المدرسة الرومانسية، وكان من أبرز مؤسسي هذا التيار في الوطن العربي، الناقد والأديب خليل مطران والمتأثر بالثقافة الفرنسية، ومجموعة من النقاد والأدباء المثقفين بالثقافة الغربية مثل عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري، فضلاً عن تيار ثانٍ هو الآخر تعلق بالنقد الغربي وثقافته، متأثراً به وبآرائه واتجاهاته النقدية، فانعكس عليه، ألا وهو تيار جماعة (أبولو)، بزعمامة أحمد زكي أبو شادي^(٥).

إنّ اتصالنا بالثقافات الغربية الحديثة عموماً، جاء في سياق الهيمنة الغربية بمختلف صيغها وأشكالها على مجالنا الحضاري، ومن هنا لا غرابة أن يتأسس الخطاب الثقافي العربي الحديث بمختلف أشكاله وموضوعاته على هاجس التعرف

على الحضارة الغربية الحديثة، ثم التعريف بها لدى المتلقي العربي من منطلق التبشير بها بوصفها حضارة المستقبل.

إنّ الاتصال بالثقافة الغربية اتخذ في حالتنا شكل المثاقفة في إطار علاقات الهيمنة الغربية التي تولدت عن التقدم التقني والمعرفي الغربي، وهو ما جعل الخطاب الثقافي العربي المعاصر محكوماً في جملته بالتواترات الأيديولوجية، فهو من جهة يحاول مقاومة هذه الهيمنة الغربية، وفي ذات الوقت لا يجد مفرّاً من الاتصال مع الثقافة الغربية الحديثة لتطوير ذاته وتجاوز إشكالياته الخاصة، التي شهدت حالة التخلف المعرفي الذي ساد المنطقة العربية نتيجة لانقطاعها خلال قرون عن إنجازها العلمي والحضاري الماضي وعن الإنجازات العلمية التي ظلت تتراكم في أوروبا طوال قرون، أي منذ بدايات عصر النهضة إلى اليوم، وكان للبعثات... دور في نقل الكثير من المعارف الغربية الحديثة إلى المجتمع العربي، لكن الذي لاشك فيه أيضاً هو أنّ الهوة المعرفية لم تزل كبيرة بين الفضاءين، وذلك لتسارع عمليات إنتاج وتداول وتحول المعرفة في الغرب من جهة، ولمحدودية إنتشار وفاعلية المعرفة الحديثة في المجتمع العربي الذي لم تزل تهيمن الأمية على أغليته^(٦).

لقد كانت أولى البعثات التعليمية المتخصصة في الدراسات الأدبية عام ١٩١٢م، من نصيب (أحمد ضيف)، الذي عاد ليفتح باب النقد المنهجي لأول مرة في أدبنا الحديث، وليؤلف كتباً تدعو إلى إعادة النظر في الدراسات الأدبية العربية، والإفادة من الفكر النقدي الأوربي ممثلاً بـ(المدرسة اللانسونية الفرنسية)^(*)، وقد عاد أحمد ضيف بوصفه أول عربي يحمل الدكتوراه من السوربون، ليعلن ضرورة التخلص من الفكرة التي تسيطر على الدارسين العرب، وهي أن العرب قد وصلوا إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه في الفكر البلاغي النقدي، ومن الضروري الانفتاح على أساليب النقد الاوربي الحديث، ليغيّروا طريقة تفكيرهم وأدواتهم، وكان ضيف من أوائل المؤسسين لفكرة التقابل بين التراث العربي القديم والثقافة الاوربية الحديثة^(٧).

أمّا على صعيد الترجمة، فقد كان لانفتاح الساحة الثقافية في المغرب العربي على الثقافة الفرنسية العمل دون كلل على ترجمة هذه الثقافة في مختلف الحقول، وذلك لارتباطها بفرنسا بحكم الاحتلال الفرنسي لأقطار المغرب العربي فهناك بعض الكتب المترجمة الموضوعة، التي تأثرت جملة وتفصيلاً بالنقد الغربي، وعملت على نقل هذه الثقافة النقدية إلى العقلية العربية ومثال ذلك: د.محمد غنيمي هلال في كتابه النقد الأدبي، وموسوعة المصطلح النقدي لعبد الواحد لؤلؤة، وأدباء الرومانتيكية الفرنسية

لمحمد غلاب وغيرها كثير، أما المترجمات فمن أهمها النقد الأدبي لجيروم ستولينتز ترجمة فؤاد زكريا، وتشريح النقد لنورثروب فراي ترجمة د.محمد عصفور، ومن الظاهرانية إلى التفكيكية لوليم راي ترجمة يونس يوسف عزيز، والبنائية الشعرية لجون كوهن، وغيرها كثير^(٨).

ثانياً/ أثر النقد الغربي في أعمال غالي النقدية:

يُبدى غالي شكري رأيه في التأثير الغربي من خلال تعريفه للتأثر بأنه (عملية ثراء ذهني وشعوري، تتسع بها دائرة الرؤية في بصيرة الفنان، وتعمق من إحساسه بالحياة، وتضيف إلى قدراته التعبيرية إمكانات جديدة)^(٩). وقد كان غالي من الداعين إلى المثاقفة مع النقد الغربي، وفيما لما تعلمه في الغرب، ومتابعاً جيداً لما يستجد هناك، (والدعوة للمثاقفة ما بين النقد العربي الحديث والنقد الغربي المعاصر، هي دعوة وجدت صداها ومداها في تكوين أجيال متعاقبة من النقاد العرب مابين مؤسسين ومرسخين، أمثال العقاد ونعيمة وطه حسين، وأمثال محمد مندور ومحمود أمين العالم ولويس عوض، كما وجدت صداها في كثير من آثار كتب النقد الأدبي الغربي المنقولة إلى لغتنا العربية)^(١٠).

يقول غالي: (لقد كان التفاعل والاستقطاب كلاهما، الظاهرة الرئيسية في فكرنا الحديث، فنحن نعثر على الدعوة الاشتراكية عند سلامة موسى جنباً إلى جنب مع الدعوة النيتشوية في كتابات نفس المفكر)^(١١).

لقد آمن غالي شكري بفكرة التأثير إيماناً راسخاً، وإن كان يستخدم مصطلح التفاعل أو الاستقطاب مجازاً، وهو في الحقيقة تعبير صريح عن التأثر بالآخر، وإذا كان هذا التفاعل أو الاستقطاب كلاهما يدخل في باب التأثر بالآخر فإنّ (النقد جزء من الثقافة العربية التي أنتجت والتي يصعب قصور مرحلتها الإحيائية بدون المؤثرات الغربية، وكان من الطبيعي أن يتلقى دارسو الأدب، مثلما تلقى الأدباء والعلماء والمشتغلون في حقول النشاط الحضاري كافة، تأثيرات غربية كثيرة أدت إلى الانعطاف بالتناول النقدي، فكراً وتذوقاً وتحليلاً، في مسارات جديدة)^(١٢).

ويوافق محمد عبد المنعم خفاجي ناقدنا غالي شكري في رأيه من مسألة تأثر النقد العربي والنقاد العرب أيضاً بالفكر الغربي ومناهجه النقدية والأدبية على حد سواء، فهو يقول: (لقد أخذ النقد العربي أصوله من جميع المذاهب النقدية في القديم والحديث ومن الشرق والغرب على حد سواء... وما نشوء المذاهب النقدية، وظهور

القيم الواضحة في النقد، إلا أثر لهذا الاخذ ولذلك التأثير... والفلسفات الحديثة في الغرب ذات فعالية كبيرة في حركة النقد^(١٣)، ويضيف قائلاً بأنّ (أغلب شعرائنا ونقادنا وأدبائنا وكتابنا على أية حال قد تأثروا بمذاهب الغرب تأثراً كبيراً)^(١٤).

لقد انطلق غالي من مفهوم- التأثير الغربي في نقدنا العربي - في مجال عمله الإجرائي والتطبيقي على أعماله النقدية، التي تكشف وبشكل واضح إعماده هذا المبدأ، وعده حقيقة لازمة لامفر منها لكل أديب أو ناقد، فعلى صعيد النقد، يقول غالي: يستخدم العقاد في منهجه النقدي أساليب المدرسة الانجليزية التي قادها هازلت وورد زورث، ويتخصص طه حسين في استيراد التراث اليوناني العظيم الذي يجعل من الديمقراطية جوهر الحياة الحرة^(١٥).

ويندرج هذا التأثير في مجال القصة أيضاً، إذ يقول: (وإذا كان نجيب محفوظ قد تأثر بشكسبير كما أكد ذلك مراراً، فإن هذه النقطة بالذات توضح مبلغ هذا التأثير، وهذا يفضي إلى حقيقة تراجيدية هامة تقول بأنّ الابطال أنفسهم هم علة مصائبهم)^(١٦)، ويقول في موضع آخر: (وهذا المفهوم الشكسبيري للقدر، وتلك الموضوعية الصارمة التي تتحكم في مسار التراجيديا الشكسبيرية، يشكلان السمة الاساسية في ملحمة نجيب محفوظ، وهذه الشكسبيرية قد أسهمت في تكوين نجيب محفوظ الفني وبلورت إحساسه التراجيدي)^(١٧).

ويمضي ناقدنا في بنائه النقدي على هذا الأساس التأثري للغرب في تناوله للقصة العلمية، فهو يذكر مسبقاً أنّ تلك التيارات الفكرية كانت قد تأثرت في جوهرها بفلسفات الغرب (فلا شك أنّ سلامة موسى في (خيمي) كان يطبق نظرية التطور على النحو الذي نراه عند برنادشو وولز، كما أنّ الحكيم كان متأثراً على نحو ما بأفكار الدوس هكسلي عمّا يمكن أن تؤول اليه الإنسانية وفقاً لنظريات العلم، وهي أفكار مثالية تنسم بالذعر من احتمال إنهيار دور الفكر والفن في المستقبل)^(١٨).

إنّ العلاقة بين النقد العرب المحدثين وبين النقد الغربي تأخذ شكل العلاقة الواعية أو غير الواعية، لكنها موجودة وفاعلة في الحالتين، فليس ثمة ممارسة نقدية عربية جادة تستطيع أن تدعي عن وقوعها خارج سياق التأثير الغربي أو التفاعل معه على نحو من الأنحاء... وإثما الفرق بين ناقد وآخر، وبين تيار وتيار، هو في الموقف المتخذ وكيفية التفاعل^(١٩).

ويعدّ الناقد غالي شكري أنّ التأثير بالأعمال الاجنبية لا يضر الفنان في شيء، بل هو يغني طاقته الإبداعية ويثريها بمزيد من الخبرات الحية في الفن والحياة، ولكن

بشرط أن يكون هذا التأثير بعيداً عن المحاكاة والتقليد^(٢٠). والآن وبعد اتصال أدبنا العربي الحديث بالأدب الغربية ومناهج النقد المعاصر في الغرب، جرى تطور كبير على نقدنا العربي الحديث، فخضع هذا النقد لما يخضع له النقد الغربي الحديث من مذاهب وتفسيرات علمية موضوعية مختلفة للنقد، فظهر التفسير النفسي للأدب، والتفسير الجمالي، والفلسفة المثالية، والفلسفة الواقعية، وغيرهما من المذاهب الفلسفية، التي وجهت النقد الغربي وجهة جديدة، وصار النقد تابعاً لها، وتبعه في ذلك نقدنا العربي الحديث، فسار في الطريق نفسه^(٢١).

إنّ الثقافة النقدية العربية والأدبية هي بنت الثقافة الغربية على الرغم من محاولات تمرير مفاهيم النقد العربي القديم، ويمكن أن نجد العذر لحركة العقل العربي الحديث الذي يُتهم بأنه عقل تراكمي وليس عقلاً تركيبياً تحليلياً، لأنه لم يعط الفرصة ليثبت هويته، ولم يثبت بصماته على صفحات حركة التاريخ، فالغرب تشكلت هويته الثقافية بحكم حركة التاريخ منذ عصر النهضة في أوروبا ومنذ القرنين التاسع عشر والعشرين^(٢٢). (وتختلف درجة الانفتاح بين النقاد العرب على المناهج النقدية الغربية الحديثة وكيفية الاستفادة منها، فقد بات النقد الأدبي العربي الحديث أكثر من أي وقت مضى متلهفاً بل ومتلقفاً لكل ما يظهر في الغرب من مذاهب ومناهج نقدية دون هضمها وتمثلها، ولا بد من التأكيد على أنّ الاستفادة من المناهج والنظريات الغربية مشروعة وضرورة تحتتمها اللحظة الحضارية التي نعيشها، ولكن لا بد أن ننتبه إلى أنّ هذه المناهج والنظريات يتم إنتاجها ضمن زخم ثقافي وفكري وعلمي خاص بها، وفي إطار سياقات معرفية وفلسفية محددة وبغية تحقيق أهداف معينة بالنظر إلى المجتمعات التي أنتجتها واللغة التي كتبت بها النصوص التي طبقت عليها، فلا يكون إنفتاحنا عليها، إذا لامشروطاً ومرتهناً أبداً بمرجعيتها المختلفة)^(٢٣).

إنّ أعمال غالي النقدية تكشف عن مرجعياته الغربية، وتأثره بالفلسفة، والفكر الأوروبي، عبر اطلاعه الواسع على معظم الاعمال الأدبية والنقدية العالمية، ممّا سهل عليه مهمته النقدية، فهو من النقاد الذين أسسوا مناهجهم وطرائقهم الخاصة بهم في معالجة النصوص عبر مقارنة ومقابلة هذه النصوص بمثيلاتها من النصوص الأدبية والنقدية الأخرى، فالناقد يمتلك قدرة فائقة في التعرف على مواطن التأثير أو التقليد بين الاعمال الأدبية المحلية منها والعالمية، ساعده في ذلك رصيده الثقافي الضخم من القراءات الأدبية والنقدية.

ويمكننا تلمس هذه الكفاءة العالية في رصد المؤثرات الغربية حين يقول خلال قراءته لقصة حنا مينة (المصابيح الزرق): ((أحسست بتأثر المؤلف تأثراً بارز الملامح بأعمال الكاتب الروسي مكسيم جوركي))^(٢٤). كما ويذكر تأثر نجيب محفوظ في مجموعته الأولى- كما في قصة (مرض طبيب)- بمدرسة جي دي موبسان بوجه خاص، التي تعتمد على المفارقات اليومية في الحياة^(٢٥). أما فيما يخص القصة العالمية التي تضمنت العديد من التيارات الفكرية المتأثرة في وجوها بفلسفات الغرب، فيشير ناقدنا إلى سلامة موسى في (خيمي^(*)) الذي طبق نظرية التطور على النحو الذي نراه عند (برنادشو)، كما كان توفيق الحكيم متأثراً بأفكار (الدوس هكسلي) عما يمكن أن تؤول إليه الإنسانية وفقاً لنظريات العلم^(٢٦).

وبعد التأمل في أعمال غالي النقدية نجد أيضاً هائلاً من أسماء الأعلام الغربيين من أدباء ونقاد، ومدارس واتجاهات غربية، بينما نلاحظ بقوة قلة أو انعدام ما يذكرنا بالتراث النقدي العربي، فهو يقول: ((إنّ اعمالاً عظيمة مثل (دروب الحياة) لسارتر، و (المثقفون) لسيمون دي بوفوار، و(نهر الدون ينساب في هدوء) لشولوخوف، و(الحرب والسلام) لتولستوي، وغيرها، ستظل بمثابة الوثائق غير القابلة للفناء في تسجيل الصراع البطولي للإنسان على ظهر هذا الكوكب))^(٢٧)، وفي حديثه عن الثورية المتأصلة في وجدان الأدباء، يقول: (تترأى لنا الثورة حلماً أدبياً عميق الجذور في وجدان الادباء على اختلاف جنسياتهم وعصورهم من ديكنز إلى شللي في الأدب الانجليزي ومن هوجو إلى سارتر في الأدب الفرنسي، ومن تولستوي وديستوفسكي إلى تشيكوف وجوركي في الأدب الروسي، ومن بيتشر ستو إلى دوس باسوس وابتون سنكلير وأرثر ميللر في الأدب الأمريكي...إلى بقية هذه القائمة التي لا تنتهي مادام هناك إنسان وأدب))^(٢٨).

أما في كتابه (برج بابل)، فيقول: ((لم تكن الحداثة العربية قد خرجت من معاطف بيكيت، أو ألبّي أو أرابال أو ناتالي ساروت وروبير بانجيه وميشيل بوتور وجينيه وويستر وبنتر، وإنما خرجت من أحشاء الارض العربية: لغة ونسيجاً وتراكيب وشخصيات ورؤى ودلالات))^(٢٩).

إنّ اللبنة الأساسية في التشكيل الفكري والنقدي لغالي شكري، المتأثر بشكل واضح بالثقافات الغربية يرجع إلى ظروف تكوينه الثقافي والعلمي وتحصيله الاكاديمي من الجامعات الاوربية، ففضلاً عن حصوله لدبلوم الصحافة والأدب الانكليزي من الجامعة الامريكية في القاهرة عام ١٩٦٠، فقد نال الناقد عام ١٩٧٨م

شهادة الدكتوراه في سوسيولوجيا الثقافة من جامعة السوربون بباريس، والحال نفسه لكثير من نقادنا العرب في القرن العشرين، فهم يتخرجون في الجامعات الغربية ويكونون ثقافتهم واتجاهاتهم النقدية في خضم حركة النقد الأدبي الناشط في ساحاتها خاصة، أو في ساحات الأوساط الثقافية الأوروبية والأمريكية عامة، فقد كوّنت الجامعات الفرنسية على سبيل المثال فكر طه حسين، الذي طبّق منهج ديكرت في دراساته على الشعر الجاهلي منذ العام ١٩٢٦م، كما شكلت تلك الجامعات فكر محمد مندور، ومن المعروف أنّ (مندور) قد تأثر بشكل جلي بكتابات الناقدين الفرنسيين (هيوليت تين) و(سانت بيغ)، وقد كان (مندور) زعيماً لـ(جمعية النقد العرب) ودعي بعميد النقد، وإذا إنتقلنا إلى أجيال أحدث من نقادنا، وجدنا الثقافة الفرنسية تظهر بجلاء في آثار كل من: أدونيس من سورية، وفيصل دراج من فلسطين، وأحمد درويش من مصر، وعبد السلام المسدي وحمادي صمود من تونس، وعبد الملك مرتاض من الجزائر، وعبد الفتاح كيليطو من المغرب.... أما الثقافة الانكليزية، فقد كان لجامعاتها ومراكز البحث فيها، تأثير قوي في تكوين نقاد عرب كثيرين، فقد تخرج في تلك الجامعات مثلاً (رشاد رشدي) ومن كتبه (النقد والنقد الأدبي ١٩٧١م)، وكذلك تخرج من جامعة لندن الناقد المصري الكبير (محمد النويهي)، وهو الناقد الذي أسهم بجهوده النقدية في إضاءة أدبنا القديم وأدبنا الحديث إضاءات رائعة، وفي مصر أيضاً تخرج (صبري حافظ) في جامعة لندن حاصلاً على شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي، ومن أمريكا تخرج الناقد (لويس عوض) من جامعة (برنستون)، وكان في نقده متأثراً بالناقد الانكليزي (كريستوفر كودويل)، وتخرج الناقد (عبد العزيز حمودة) من جامعة (كورنيل) في امريكا، صاحب كتاب (المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك)، وإذا انتقلنا إلى العراق وجدنا ثلاثة نقاد يتناقفون مع النقد الغربي تنظيراً وتطبيقاً، وهم عبد الواحد لؤلؤة، وقد درس في جامعة (ويسترن كليفلند) في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أسهم هذا الناقد في ترجمة سلسلة المصطلح النقدي المكوّنة من (٤٣) جزءاً، أما الناقد الثاني فهو (محسن جاسم الموسوي) وقد تخرج في جامعة (دال لهوزي)، وكان قبل هذا وذاك قد تخرج الناقد العراقي (يوسف عز الدين) في جامعة لندن، وألف كتباً كثيرة منها الشعر العراقي الحديث ١٩٦٠م، وقد أسهمت الثقافة الانكليزية بوضوح في تكوين الناقد السوري كمال أبي ديب، وفي تكوين النقاد: محي الدين صبحي وخلون الشمعة، ورياض عصمت من سورية، وحسام الخطيب وجبرا إبراهيم جبرا، ومحمود السمرّة من فلسطين، والناقد عبد الله الغدامي من السعودية، والناقذة سلمى الخضراء الجيوسي من الأردن، ووجيه فانوس من لبنان... ولاشك أنّ

ثمة أسماء أخرى من نقادنا قد تأثروا بالتيارات النقدية الغربية، ومناهج درس الأدب في الغرب، دون أن يسافر إلى الجامعات الغربية، وكان سبيلهم إلى ذلك أمرين، أولاً: إطلاعهم المباشر على تلك التيارات والمناهج في مظانها الأصلية، من خلال إتقانهم العميق للغتين الفرنسية والإنجليزية، والثاني: إطلاعهم على المؤلفات النقدية منقولة إلى العربية^(٣٠).

يصنّف حسن عليان – الأستاذ بجامعة فيلادلفيا- موقف العقل العربي من المدخولات الحضارية ومن الفكر الغربي في بدايات عصر النهضة إلى ثلاثة مواقف: التيار الأول دعا إلى إحياء التراث العربي والتمسك به دون غيره للنهوض بالأمة من جديد، وذلك في إطار وعيه أنّ الأمة لا تتبنى إلا على الموروث الفكري والحضاري بعيداً عن مستجدات العصر، أمّا التيار الثاني فقد دعا إلى قطيعة كاملة مع التراث، وإلى الأخذ بكل أسباب تقنيات العلم والفكر والتطور، حتى تستطيع الأمة اللحاق بركب الحضرة والتقدمين، ودعا التيار الثالث إلى الوسطية وذلك بالأخذ من التراث بما يفيد في إحياء فكر الأمة وفلسفتها، والأخذ كذلك مما وصل إليه الغرب من تقنية علمية وتطور فكري حضاري بعيداً عن مواطن الخلل الاجتماعي التي لا تتماشى وتراثه ومعتقداته، وذلك حفاظاً على الهوية القومية الثقافية.^(٣١)

ويتعارض موقف غالي شكري مع ما طرحته الشاعرة نازك الملائكة في إطار موقفها من التأثير الغربي ومن النقاد المتأثرين به، فهي تمثل التيار الأول الداعي إلى إحياء التراث والتمسك به والقطيعة الكاملة مع الفكر الغربي، وتصف وقفة الناقد العربي الحديث وقفة خشوع وتقديس أمام النقد الأدبي ونظرياته الوافدة، وكأنّ ذلك النقد نموذج في الإبداع والعبقرية لا يمكن أن يصله الفكر العربي إلا بالتقليد والاقتباس والنقل، وفي غمرة هذه العقيدة الواهمة – على حد تعبير الشاعرة- أغلق الناقد العربي الباب على منابع الفكر والخصوبة والموهبة في ذهنه وراح يغترف من معين النقاد الاوربيين، دون أن يفتن إلى أن النقد الاوربي يتحدد من تاريخ منعزل انغزالاً تاماً عن تاريخنا، فلا دابنا العربية شخصيتها المستقلة، وأن النقد الذي يصلح لشعرنا يختلف بالضرورة عن النقد الأوربي، ولا بد لنا أن نستقرئ نحن القواعد، من شعرنا ومن أدبنا، في هذا الوطن العربي، وباللغة العربية.

وتجد الشاعرة أنّ الناقد العربي لا يرى في عملية النقد إلّا ترفاً فكرياً ووسيلة يستعين بها على اللعب بنظريات النقد الأوروبي، فليس المهم لديه أن يدرس مشاكل الشعر العربي لكي يضع الأسس الموضوعية لنقد عربي حديث، وإنّما المقصد أنّ

يشغل نفسه بتطبيق النظريات الأجنبية على هذا الشعر بأي ثمن، وتستمر الشاعرة بتحملها الكبير على النقد المتأثرين بالفكر الغربي، وتشير إلى أنّ موقف نقادنا من الفكر الأوروبي يكاد يكون موقف استجداء، فالبعض منهم يعتقد اعتقاداً جازماً أنّنا أقلّ موهبة من شعراء الغرب، وأنّ علينا أن نغترف نظرياتهم، إذا نحن أردنا أن ننشئ شعراً عربياً ونقداً، وموقف الشاعرة نابع من إيمانها بأنّ الأمم المبدعة هي دائماً أمّ تثق بأنّها موهوبة، وأمّا الامم التي تزدرى ذاتها وتقف وقفة الهوان أمام سواها فلن تبذع شيئاً على الإطلاق^(٣٢).

لقد كان حكم نازك الملائكة على النقد المتأثرين بالغرب فيه من القسوة والتعصب مالا يتلائم والوضع العربي الراهن الذي يسوده التخلف والتراجع في ميادين العلوم والحياة كافة، ومن ضمنها النقد الأدبي بشكل خاص، فهذا الطرح المناصر والمتعصب لقضية إحياء الموروث الفكري والحضاري للأمة، لا يتوافق وغياب المقومات الفلسفية والعلمية، التي من الواجب أن تمتلكها الأمة.

وقد أثبت هذا التيار فشله في محاولة الناقد التّأصيلي (سيد قطب) في كتابه (النقد الأدبي أصوله ومناهجه)، فقد أكد الناقد منذ البدء أنّه لم يرد أن يحمل النقد العربي على مناهج أجنبية عنه، غير أنّ ذلك الطموح ظل طموحاً أكثر منه تحقيقاً فعلياً، ومع أنّ قطب بقي في عرضه مبتعداً عن أسماء النقد الاجانب وعن الإشارة إلى مناهج النقد الغربي وتياراته، فإنّ أسسه النظرية لم تكن سوى غريبة المنشأ، سواء كان واعياً بذلك أم لم يكن^(٣٣).

لقد عمل الغرب على غزو الوطن العربي ثقافياً، دون أن يبدي المثقفون العرب وفلاسفتهم حراكاً، وذلك لقلّة أسلحة المقاومة الثقافية والفكرية، وعجزها عن مواجهة المدّ الحضاري الغربي بصورة لم يقو الفكر العربي على مواجهتها، فأنجرف في تيارها على مختلف الصعد النقدية والأدبية والفلسفية والاجتماعية والثقافية، برغبة أو بدون رغبة، لأنّه لا يمتلك مقومات إثبات الذات فكراً وحضارة، ولأنّه لم تتوفر له إمكانات الرؤية منهجاً وتطبيقاً، وذلك لتسارع إيقاع العصر، فبدأ العقل العربي مقلداً لأمّنتجاً، لذا لم يخرج من عباءة الغرب، وأسهم مثقفو الوطن العربي، في هذه التعبئة الثقافية والفكرية في مجال الأدب والنقد، وانفتاح الوطن العربي على الثقافة الغربية أدّى إلى تراكم إنتاج قرون في الساحة الأدبية والنقدية والفكرية والفلسفية العربية، ممّا أدّى إلى خلخلة بنية الفكر العربي وإصابته بالإرباك، فالمدارس الأدبية والنقدية

والفلسفية الغربية وضعت على مائدة الفكر العربي مثل الكلاسيكية الجديدة والطبيعية والرومانسية والواقعية....^(٣٤).

ولاشك أنّ الناقد معذور، لأنّ أدبنا قد احتاج إلى أمد طويل، وما زال يحتاج إلى الآن إلى أن يتعلم الكثير في أصول الصنعة الفنية في الغرب... فقد لاحظ النقد عن حق أنّ معالم بعض المذاهب الجمالية الاوروبية تلفت النظر فيما بين يديه من إنتاج محلي، فهذا هو محمد حسين هيكل، وهذا هو توفيق الحكيم يتلقيان دروسهما الفنية الأولى في باريس مباشرة، بل هما يحاولان تجربتهما الفنية الأولى في اللغة الفرنسية نفسها، وكانت الرومانسية- من هنا- أولى البصمات الاوروبية على إنتاج الرواد^(٣٥).

ويؤكد غالي أنّ التأثير والتفاعل مع النقد الغربي من المطالب الضرورية لتحقيق رؤية عربية نقدية، تتمكن من التواصل مع التقدم الحضاري والثقافي السائد في البلدان الغربية، فيقول: ((إنّ تأثرنا المؤكد بمناهج النقد الغربي كان جائزاً ومطلوباً ومبرراً في فترات سابقة، وما زال التفاعل مع هذه النماذج مطلوباً، ولكن برؤية نقدية، أي برؤية تحلل وتقارن وتضع كل شيء في السياق الاجتماعي، وبالتالي استنباط القانون العام أو الخبرة التي يمكن تعميمها، والحذر من أي خلط بينه وبين خصوصيات الآداب الاخرى، هذه العملية هي ذاتها الإبداع النقدي، أمّا النقل الحرفي والاقتراس المشوه والتطبيق المغلوط لكل كلمة (حديثاً) يخطها الغرب، فهو التغريب، بينما المطلوب هو التأصيل))^(٣٦).

ويرى غالي أنّ بإمكانية النقد العربي أن يصبح مؤهلاً لاقتحام الرؤى النظرية للأدب والنقد على السواء، بحيث يصبح بإمكاننا المساهمة في نظرية الأدب ونظرية النقد، عندما يكون النقد العربي قادراً على اكتشاف القوانين الخاصة لمسارنا الأدبي، وتحديد القيمة الداخلية المطلقة لأعمالنا الأدبية، وكذلك اكتشاف التأثيرات الوافدة بتحديد القيمة الخارجية النسبية لهذه الأعمال، غير أنّ قناعة غالي النقدية توجب حتمية أن يكون النقد العربي تابعاً للاتجاهات الغربية، وتعتقد بصعوبة تحقيق تأصيل المصطلح العربي واكتشاف التأثيرات الغربية، فلا ريب في أن هذا الميدان من ميادين النقد العربي الذي لازال بكرةً بتعبير غالي، يحتاج إلى جهود أجيال كاملة، ولذلك فإنّ التأثير بالتراث الغربي أو استلهامه في كثير من فنوننا الأدبية الحديثة لا يعده غالي عيباً لأسباب حضارية خارجة عن إرادتنا، ولكن العيب عنده، هو إنكار هذه الحقيقة، بأنّ نتجاهل رصد المؤثرات الخارجية في أدبنا الحديث ليتسنى لنا التعرف على أدبنا بشكل أكثر عمقاً^(٣٧).

يقول غالي: ((إنّ الحضارة الغربية تستطيع أن تمدنا بعناصر الرؤية الحديثة، بشرط أن نقف على أرضنا نتزود بأعمق مافي هذه الارض من شرايين الحضارة الغائرة في وجداننا الروحي))^(٣٨).

إننا نرى أنّ التيار الأقرب لغالي من التيارات الثلاثة التي صنفها (د.حسن عليان)، هو تيار الوسطية الذي يحاول أن يجمع فيه مابين الأصالة والمعاصرة، مع ملاحظة أنّ الأصالة التي يقصدها غالي هي ليست معناها الحماس للقديم، وإلّا الذي أراد أن يقصده بالأصالة هي ثقافتنا ومعتقداتنا وهويتنا الخاصة بنا، التي يجب تطويع المناهج الغربية على أساسها أو أخذها بالحسبان ومراعاتها عند استلهاها للرؤى الغربية، فهو يقول: إنّنا لو أقدمنا على مزج النظرية بالتطبيق من خلال الاعمال الأدبية المطروحة بالفعل، حينذاك سنغتني بثقافة الحضارة المتقدمة، كما نغتني بالتراث، بلا عقد أو مركبات نقص، ثم كنّا سنبلور تجربتنا الخاصة في نظرية الأدب، ونظرية النقد جميعاً^(٣٩).

إنّ آراء بسام قطّوس حول النظرية النقدية تكاد تكون مطابقة لما ذهب إليه الناقد غالي شكري من هذه القضية، إذ يقول قطّوس: ((إنّ الأصل في النظرية النقدية إنّها عالمية لا تنتمي إلى وطن دون آخر أو إلى أمة دون أخرى، ولكن خصوصية كل أمة تكمن في ثقافتها التي تجسدها لغتها وحضارتها وتعطيها من ثم هويتها.... أي إنّها عالمية لا تنتمي إلى وطن بعينه، بل هي تنتمي إلى الحضارة الكونية، بينما نقد كل أمة أو بلد ناطق بلغة ما ينتمي إلى ثقافته، ومن هنا فإن ثمة هناك نقد عربي حديث يتمثل فيما كتبه نقادنا المحدثون من دراسات تنظيرية، منفتحين على الآخر، ودراسات تطبيقية درسوا فيها أدبنا العربي حديثه وقديمه، مجسدين بذلك خصوصية لغتنا العربية وحضارتنا وإبداع أبنائها من الشعراء والروائيين والمسرحيين، ومبرزين هويتنا وخصوصيتنا القومية والحضارية، ومجسدين في نقودهم المكتوبة باللغة العربية وتطبيقهم على النصوص العربية، هذه الخصوصية القومية والحضارية التي تجسد هويتنا))^(٤٠).

إننا نعتقد أنّ غالي شكري كان موفقاً في عرضه لقضية- تأثر النقد العربي بالنقد الغربي-، إذ كانت آراؤه تنم عن عقلية نقدية متجددة، تصطبغ بالصبغة العربية، وتسائر التقدم العلمي والثقافي الذي تشهده أوروبا في وقت واحد، فهو يرفض التعصب أو التحجر الفكري، والانكفاء أو الاكتفاء وراء ماحققه نقادنا العرب القدامى من

نظريات نقدية آنذاك، كما يرفض رؤى البعض في عدم قبول الآخر أو الإفادة منه بحجة الاعتزاز بقوميتنا وثقافتنا وعدم التفريط بعروبتنا.

المصادر

١- الكتب:

- (١) أدب المقاومة، د. غالي شكري، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ١٩٧٩م.
- (٢) برج بابل: النقد والحدأة الشريدة، د. غالي شكري، ط١، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.
- (٣) ثورة المعتزل: دراسة في أدب توفيق الحكيم، د. غالي شكري، ط٢، دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٩٧٣.
- (٤) دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٢م.
- (٥) دليل النظرية النقدية المعاصرة، د. بسام قطوس، ط١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٤م.
- (٦) الرواية العربية في رحلة العذاب، د. غالي شكري، د. ط، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ١٩٧١م.
- (٧) سوسيولوجيا النقد العربي الحديث، د. غالي شكري، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٨١م.
- (٨) شعرنا الحديث... إلى أين؟، د. غالي شكري، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، ١٩٧٨م.
- (٩) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ط٣، مكتبة النهضة، ١٩٦٧م.
- (١٠) مدارس النقد الأدبي الحديث، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة- مصر، ١٩٩٥م.
- (١١) المنتمى: دراسة في أدب نجيب محفوظ، د. غالي شكري، د. ط، مكتبة الزناري، القاهرة مصر، د.ت.

- (١) آثار نظرية الرواية الغربية في النقد الروائي العربي، معجب بن سعيد الزهراني، مجلة جامعة الملك سعود، م ٩، الآداب (١)، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م.
- (٢) تجليات النقد الغربي في نقدنا المعاصر، عادل الفريجات، مجلة علامات، ج ٤١، م ١١، النادي الأدبي، جدة- المملكة العربية السعودية، سبتمبر ٢٠٠١م.
- (٣) النقد الأدبي المعاصر وتأثره بالمناهج الغربية: دراسة وتحليل، حسن مجيدي، سيد محمد أحمد نيا، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، ع ٨، كانون الأول ٢٠١٢م.
- (٤) النقد العربي الحديث، محمد الناصر العجيمي، مجلة علامات، ج ٥٦، م ١٤، النادي الأدبي، جدة- المملكة العربية السعودية، يونيو ٢٠٠٥م.
- (٥) مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث، بشير إبرير، مجلة علامات، ج ٤٩، م ١٣، النادي الأدبي، جدة- المملكة العربية السعودية، سبتمبر ٢٠٠٣م.

١. الإنترنت:

- (١) أثر النقد الغربي في النقد العربي الحديث، د. غسان السيد،
<http://www.startimes.com/?t=20947464>
 - (٢) تطور النقد الأدبي العربي بين النظرية والتطبيق، د. الهادي أحمد محمد السلوقي
www.alarabiah.org
 - (٣) النقد العربي بين التأصيل والتبعية، د. حسن عليان
<http://www.philadelphia.edu.jo/philadreview/i.ssue5/no5/16.pdf>.
- الهوامش:**
- ١- ينظر: النقد العربي الحديث، محمد الناصر العجيمي، مجلة علامات، ج ٥٦، م ١٤، يونيو ٢٠٠٥، ١٥٢.
 - ٢- ينظر: تجليات النقد الادبي الغربي في نقدنا المعاصر، عادل الفريجات، مجلة علامات، ج ٤١، م ١١، سبتمبر ٢٠٠١، ٣١٨.
 - ٣- ينظر: النقد الادبي المعاصر وتأثره بالمناهج الغربية، حسن مجيدي وسيد محمد احمد نيا، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، ع ٨، كانون الاول ٢٠١٢، ١٠٢.
 - ٤- ينظر: أثر النقد الغربي في النقد العربي الحديث، د. غسان السيد
<http://www.startimes.com/?t=20947464>
 - ٥- ينظر: تطور النقد الادبي العربي بين النظرية والتطبيق، د. الهادي أحمد محمد السلوقي، ١٣
www.alarabiah.org
 - ٦- ينظر: آثار نظرية الرواية الغربية في النقد الروائي العربي، معجب بن سعيد الزهراني، مجلة جامعة الملك سعود، م ٩، الآداب (١)، ١٩٩٧، ٦٧-٦٨.
 - (*) سميت هذه المدرسة بالانسونية نسبة إلى الناقد (غوستاف لانسون) الذي حدد المنهج التاريخي في دراسة الأدب منهجاً له.
 - ٧- ينظر: دليل الناقد الادبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، ٣٥٧.
 - ٨- ينظر: النقد العربي بين التأصيل والتبعية، د. حسن عليان
<http://www.philadelphia.edu.jo/philadreview/i.ssue5/no5/16.pdf>
 - ٩- الرواية العربية في رحلة العذاب، د. غالي شكري، ١٥٧.
 - ١٠- تجليات النقد الادبي الغربي في نقدنا المعاصر، عادل الفريجات، مجلة علامات، ج ٤١، م ١١، سبتمبر ٢٠٠١، ٣١٩.

- ١١- ثورة المعتزل، د. غالي شكري، ٨٠.
- ١٢- دليل الناقد الادبي، ٣٥٥.
- ١٣- مدارس النقد الادبي الحديث، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ١٠٧.
- ١٤- م.ن، ١٢٩.
- ١٥- ينظر: الرواية العربية في رحلة العذاب، ١٦-١٧.
- ١٦- المنتمى: دراسة في أدب نجيب محفوظ، د. غالي شكري، ٨٥.
- ١٧- م. ن، ٨٨.
- ١٨- الرواية العربية في رحلة العذاب، ١٥٠.
- ١٩- ينظر: دليل النقاد الأدبي، ٣٦٩.
- ٢٠- ينظر: الرواية العربية في رحلة العذاب، ١٥٧.
- ٢١- ينظر: مدارس النقد الأدبي الحديث، ١٢٠-١٢١.
- ٢٢- ينظر: النقد العربي بين التأصيل والتبعية، د. حسن عليان <http://www.philadelphia.edu.jo/philadreview/i.ssue5/no5/16.pdf>.
- ٢٣- مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث، بشير إبرير، مجلة علامات، ج٤٩، م١٣، سبتمبر ٢٠٠٣، ٦١٧.
- ٢٤- الرواية العربية في رحلة العذاب، ١٥٧.
- ٢٥- ينظر: المنتمى، ٢٩٢.
- (*) (خيمي): اسم مدينة متخيلة يوتوبية، ذكرها سلامة موسى في إحدى قصصه في كتابه (احلام الفلاسفة).
- ٢٦- ينظر: الرواية العربية في رحلة العذاب، ١٥٠.
- ٢٧- أدب المقاومة، د. غالي شكري، ١٦.
- ٢٨- الرواية العربية في رحلة العذاب، ١٥-١٦.
- ٢٩- برج بابل، د. غالي شكري، ١١١.
- ٣٠- ينظر: تجليات النقد الادبي الغربي في نقدنا المعاصر، عادل الفريجات، مجلة علامات، ج٤١، م١١، سبتمبر ٢٠١١، ٣١٩-٣٢٥.
- ٣١- ينظر: النقد العربي بين التأصيل والتبعية، د. حسن عليان <http://www.philadelphia.edu.jo/philadreview/i.ssue5/nos/16.pdf>.
- ٣٢- ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ٢٩٧-٣٠٠.
- ٣٣- ينظر: دليل الناقد الأدبي، ٣٦٣.
- ٣٤- ينظر: النقد العربي بين التأصيل والتبعية، د. حسن عليان <http://www.philadelphia.edu.jo/philadreview/i.ssue5/nos/16.pdf>.
- ٣٥- ينظر: الرواية العربية في رحلة العذاب، ٢٠٨.
- ٣٦- برج بابل، ١٩-٢٠.
- ٣٧- ينظر: سوسيولوجيا النقد العربي الحديث، د. غالي شكري، ١٥.
- ٣٨- شعرنا الحديث... إلى أين؟، د. غالي شكري، ٣٣-٣٤.
- ٣٩- ينظر: ثورة المعتزل، ٥٠.
- ٤٠- دليل النظرية النقدية المعاصرة، د. بسام قطوس، ١٦-١٧.

ترتيب النزول وأثره في تفسير القرآن الكريم

The landing sequences of Holy Koran Verses and their effect on Koran Explanation

أ. م . د. احسان طه ياسين
كلية التربية - جامعة سامراء
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

Asst.Prof.Dr.Ihsan Taha yaseen
College of Education University of Samarra

الملخص

اعتنى علماء المسلمين بكل ما يتعلق بالقرآن الكريم تعلمًا وتعليمًا وبيانًا ، ومن ذلك علم التفسير ففسروا القرآن معتمدين في تفسيرهم على ترتيب المصحف الذي لا تجوز مخالفته ، وفي القرن الرابع عشر الهجري كتب بعض العلماء تفاسيرهم حسب ترتيب النزول ، فلم يجدوا مانعًا من مخالفة ذلك الترتيب في التفسير ؛ لأن التفسير ليس كالتلاوة في المصحف مع وجوب المحافظة على ترتيب المصحف طباعة وتلاوة وتعبداً ، وهذه التفاسير هي (بيان المعاني)، (التفسير الحديث)، (معارج التفكير ودقائق التدبر) وفي ضوء ذلك جعلت عنوان هذا البحث (ترتيب النزول وأثره في تفسير القرآن الكريم) .

تكمن أهمية الموضوع في التركيز والدقة ومزيد من العناية والالتزام بضوابط التفسير من أجل الوصول الى المعنى القريب والراجح في التفسير ، ومن ذلك مراعاة مباحث علوم القرآن ومن تلك المباحث مراحل التنزيل وازمانه - ترتيب النزول - فالمتتبع لكتب التفسير يجد بعض المفسرين قد ذكر ذلك في بداية كل سورة دون مراعاته عند تدبره وتفسيره ، فيذهب في التفسير بعيدا او يأتي برأي مرجوح ، فيأتي بقصة أو نص مدني فيجعله تفسيراً أو سببا لنص مكي النزول ، أو أن تقع حادثة في مكة قبل الهجرة فيجعلها سببا لنص نزل في المدينة بعد الهجرة وهكذا ، من هنا جاء

هذا البحث ليركز على ضرورة الاهتمام بترتيب النزول ومراحله ومراعاته عند التفسير حماية للمفسر من القول البعيد أو المرجوح .

يتكون البحث من مقدمة وأربعة مطالب هي: المطلب الاول: ترتيب المصحف وترتيب النزول . المطلب الثاني: أهمية معرفة ترتيب النزول . المطلب الثالث: ثبوت ترتيب النزول من قواعد الترجيح . المطلب الرابع: نماذج تطبيقية . ثم الخاتمة التي أودعتها أهم النتائج .

Abstract

The islamic scientists gave their care to all affairs related to Holy Koran, including teaching , Learning and explanation according to the Landing sequences of Holy Koran Verses which are not able to be violated .

In the 14th Century (a.h.) some of islamic scientists wrote their explanation about the landing sequences of Koran Verses, and they did not find any rejection to violate that sequence in the explanation because it is not looking like to recitation in Holy Koran Mushaf with obligation to conserving on Koran Mushaf sequences in Printing, recitation, and adoration . These explanations are (Bayan AL-Maani) , (AL-Tafseer AL-Hadeeth) and (Maarige AL-Tafkeerwadakaik AL-Tadbeer), Thus according to that the title of This research paper was (The landing sequences of Holy Koran verses and their effect on Koran Explanation) The importance of this subject is related to the concentration, accuracy, more than care and the obligation in explanation rules in order to reach the more accurate meanings in the explanation which are Holy Koran scienlos researches from that the Koran verses time stages and Koran verses landing Order .

The researchers to Koran explanation references will find that some Explainers are mentioned to the beginning of Koran Sura, Thus the explanation will be Far From or variation to correct concept .

The researcher might be cited in a story or a text happened in AL Madina and made it as explanation on or an event happened in Mecca will make it as explanation to event happened after Migeration to AL Madina.

Thus this research paper is written to concentrate on the importance necessary in Koran verses Landing sequences and stages in the explanation of Koran in order to protect Explainers from wrong interpretation.

This research paper are consisting of four chapter, The First is Koran Landing sequences, The Second is the importance of landing sequences, the third is the Fixation of landing sequences, and the Fourth are application samples Finally, The conclusion is including the more importance results

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين سيدنا ومقتدانا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين . وبعد :

فقد بذل علماء المسلمين جهودا كبيرة تستعصي الحصر بتعلم القرآن الكريم وتعليمه وبيانه واخراج المكنونات من معارفه المختلفة وصولا الى غاية مهمة هي فهم مراد الله تعالى من نصوص آياته المقدسة ، فتنابعت أنواع التأليف في علوم القرآن فصنفوا في علم الناسخ والمنسوخ وغريب القرآن والرسم العثماني والقراءات القرآنية وعلم التجويد وأسباب النزول واعجاز القرآن واعرابه وعلوم الدين وأحكام القرآن وتفسيره .. الى غير ذلك من العلوم الدينية والعربية ، ولا عجب أن يكون القرآن الكريم موضع عناية العلماء منذ القدم فهو كتاب هداية يهدي البشرية الى الحق ، قال الله تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [الإسراء : ٩] ، وهو كتاب تشريع فيه ما شرعه الله من تكاليف على عباده (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) [الشورى : ١٣] ، وكتاب اعجاز تحدى الله به العرب ثم الانس والجن من الاتيان بمثله (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء : ٨٨] ، ليدل صراحة ومن دون كثير بحث أو بعد نظر بأن القرآن كلام الله تعالى وأن محمدا رسوله - عليه الصلاة والسلام وانبرى المفسرون من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة بعد النبي لتفسير القرآن ففسروه معتمدين في تفسيرهم على ترتيب المصحف الذي لاتجوز مخالفته ، وقد وضع العلماء ضوابط واصولا للتفسير تعين على الفهم المطلوب والتدبر السليم .

وبذلك فقد كتب العلماء في مباحث علوم القرآن فبحثوا في أول ما نزل وآخر ما نزل والوحي ومسائله ، وأسباب النزول ، وتنجيم نزوله ، والناسخ والمنسوخ ، وغيرها ، ومن تلك المباحث ترتيب نزوله ، وكل ذلك معين للوصول الى المعنى الدقيق المؤدي الى معرفة حكمة نزول السورة أو الآية بخصوص واقعة معينة أو شخص معين ، من هنا كان هذا البحث الموسوم (ترتيب النزول وأثره في تفسير القرآن الكريم) .

تكمن أهمية الموضوع في التركيز والدقة ومزيد من العناية والالتزام بضوابط التفسير من أجل الوصول الى المعنى القريب والراجح فيه عند تعدد المعاني ، فلا يجوز الخوض في تفسير القرآن إلا لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر اليها وهي علم اللغة والنحو والتصريف والبلاغة والقراءات القرآنية والفقه وأصوله وعلوم

القرآن كالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغيرها من العلوم فلا يكون المفسر (مفسرا إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه ، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهي عنه)^(١)، ومن مباحث علوم القرآن مراحل التنزيل وأزمانه - ترتيب النزول - والمتتبع لكتب التفسير يجد من المفسرين من ذكر ذلك في بداية كل سورة دون مراعاته عند تدبره وتفسيره ، ويذهب في التفسير بعيدا أو يأتي برأي مرجوح ، فيأتي بقصة أو نص مدني ليجعله تفسيراً أو سببا لنص مكي النزول، أو أن تقع حادثة في مكة قبل الهجرة فيجعلها سببا لنص نزل في المدينة بعد الهجرة وهكذا ؛لذلك كتب بعض العلماء المعاصرين - في القرن الرابع عشر الهجري - تفاسيرهم حسب ترتيب النزول ، فلم يجدوا مانعا من مخالفة ذلك الترتيب في التفسير؛ لأن التفسير ليس كالتلاوة في المصحف مع وجوب المحافظة على ترتيب المصحف الذي لا تجوز مخالفته ، وهذه التفاسير هي (بيان المعاني)،(التفسير الحديث)،(معارج التفكير ودقائق التدبر)، من هنا جاء هذا البحث الموسوم (ترتيب النزول وأثره في تفسير القرآن الكريم) ليركز على:

مدى أهمية الالتزام بضوابط التفسير ومنها ما يتعلق بمباحث علوم القرآن - والمكي والمدني أو ترتيب النزول ومراحلها واحد منها - عند التفسير ، فإن إهمالها قد يذهب بالمفسر بعيدا فيأتي بقول مرجوح ، اما معرفتها فتجلب فوائد كثيرة سيأتي ذكرها في مطالب هذا البحث حماية للمفسر من القول البعيد أو المرجوح أو الخطأ في التفسير .

يعتمد البحث على ما ورد من ترتيب لنزول القرآن سورا وآيات وجملا مما دعى الى الاعتماد على المنهج الذي يقوم على استرداد ما ورد لنا من الماضي من آثار وروايات ومراعاته عند التفسير متحررين الدقة والصحة فيها أملا في الوصول الى الغاية المرجوة والمطلوبة وهي معرفة مراد الله تعالى .

انتظمت الدراسة على أربعة مطالب تسبقها مقدمة وتقفوها خاتمة وجاءت المطالب على النحو الآتي: المطلب الاول: ترتيب المصحف وترتيب النزول . المطلب الثاني: أهمية معرفة ترتيب النزول . المطلب الثالث: ثبوت ترتيب النزول من قواعد الترجيح . المطلب الرابع: نماذج تطبيقية . ثم الخاتمة التي أودعتها أهم النتائج .

وأسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصا له سبحانه، فما كان فيه من خير وصواب فهو منه ومن معونته ، وما كان فيه من خلل وزلل فهو مني وارجو ان يتجاوز عني ربي ويغفر لي زلاتي انه هو الغفور الرحيم .

المطلب الأول: ترتيب المصحف وترتيب النزول

اعتمد المفسرون في تفسير القرآن الكريم على الترتيب الذي نجده في المصاحف ، وهو ترتيب القرآن الذي جمع في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - والذي نقلت عدة نسخ من تلك النسخة ووزعت الى معظم الامصار الاسلامية في خلافة سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه (٢).

وقد انعقد الاجماع على ان ترتيب الآيات على هذا النمط الذي نراه اليوم بالمصاحف كان بتوقيف من النبي - صلى الله عليه وسلم - وانه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه (٣).

وقد اختلف العلماء في ترتيب سور القرآن الكريم على ما هو عليه في المصاحف المباركة الى ثلاثة أقوال :

القول الأول: انها توقيفية من النبي - صلى الله عليه وسلم - عن جبريل عن الله تعالى ، وهو قول الجمهور (٤).

القول الثاني: ترتيب سور القرآن اجتهادي باجتهاد الصحابة ، قاله الامام مالك والقاضي ابو بكر الباقلاني (٥).

القول الثالث: قول توسط القولين مضمونه ان اكثره توقيفي وأقله اجتهادي ، قال به ابن حجر والبيهقي وابن عطية وابن العربي وبه قال ابن عاشور (٦).

وقد رجح بعض العلماء بان الترتيب توقيفي (٧).

وهناك ترتيب آخر غير ترتيب المصحف الذي بين أيدينا يُدعى بترتيب النزول أو ترتيب التنزيل ، وهو ترتيب سور القرآن بحسب النزول ، وقد ورد أن مصحف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كان مرتبا على ترتيب النزول فالمكي مقدم فيه على المدني (٨).

ومعرفة ترتيب النزول يكون (بالنظر في ترتيب نزول السور المبين عند العلماء بالتنزيل ويعرف في السورة الواحدة بترتيب الآيات فيها ، ما لم يرد نص بخلاف ذلك، كأن يثبت تقدّم نزول الآية ، أو عدد من الآيات ، أو يثبت تأخر نزولها ، فعندئذ يُتبع ما ثبت في النص المبين لتاريخ النزول. وقد يُعرف ترتيب النزول بالتبصر العقلي الهادي الى قواعد سنة الله التي جرى وفقها إنزال معظم النصوص القرآنية وأحكام التشريع) (٩).

ولا يمكن معرفة ترتيب النزول أو بعضه دون معرفة المكي والمدني - وهو ما يركز عليه هذا البحث - وطرق معرفة المكي والمدني طريقان سماعي وقياسي (١٠)، فالسماعي ما نقل الينا صحيحا عن الصحابة أو التابعين بأن سورة كذا مكية أو مدنية أو نزلت سورة كذا في مكة أو بالمدينة ، أو نزلت قبل الهجرة أو بعدها، أما القياسي فهو

يعتمد على ضوابط كلية استخلصها العلماء من الروايات المنقولة عن بعض الصحابة والتابعين في بيان خصائص السور المكية والمدنية تتبعا واستقراء^(١١).

ولمعرفة المكي والمدني فوائد مهمة كثيرة منها:

أولاً- الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم، فإن معرفة مكان النزول يعين على فهم المراد بالآية، ومعرفة مدلولاتها وما يرد فيها^(١٢).

ثانياً - تمييز الناسخ من المنسوخ في حال وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم تخص موضوعاً واحداً وكان أحد الحكمين مخالفاً للآخر ثم عرف أن أحدها مكي والآخر مدني فالحكم يكون بأن المدني منها ناسخ للمكي لتأخر المدني عن المكي^(١٣).

ثالثاً - معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد^(١٤).

رابعاً - يمكن متابعة سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وذلك بمتابعة أحواله وظروفه بمكة ثم بالمدينة وأحوال الدعوة فيهما^(١٥).

خامساً - يخدمنا في امكانية متابعة أطوار تنزيل القرآن الكريم ومراحله بشكل دقيق فتتجلى حكمة التنزيل^(١٦).

سادساً - تبصير المؤمن بل والمفسر بمعنى الآية، فمن يقرأ سورة: (قل يا أيها الكافرون) ويعلم أنها مكية، فإن هذا العلم بمكان نزول السورة وزمانها وسبب نزولها يحجز عن الخطأ في تفسيرها وفهمها^(١٧).

سابعاً - تعليم وتوجيه الدعاة الى الله تعالى في اتباع ما سلكه القرآن من حيث تنوع أسلوبه وموضوعاته بين الشدة واللين والفصل والاجمال تبعا لحال المخاطبين^(١٨).

ثامناً - وبهذا فإن القارئ يندمج (في جو نزول القرآن وجو ظروفه ومناسباته ومداه ، ومفهوماته وتتجلى له حكمة التنزيل)^(١٩).

تاسعاً- بيان اهتمام المسلمين وعنايتهم بالقرآن الكريم كل هذا الاهتمام حتى عرفوا وتناقلوا ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها وما نزل بالحضر وما نزل بالسفر وما نزل بالنهار وما نزل بالليل وما نزل بالشتاء وما نزل بالصيف إلى غير ذلك من ظروفه وأحواله وأماكن نزوله^(٢٠).

وهذا الترتيب لا يكون للتدوين في المصاحف بل لغرض التفسير ، وقد ذهب بعض العلماء

الى جوازه^(٢١)، واعتمده قليل من المفسرين المعاصرين وهم كل من:

١- الشيخ عبد القادر ملا حويش العاني (ت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) في تفسيره المسمى (بيان المعاني) في ستة مجلدات .

٢- الشيخ محمد عزة دروزة (ت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) في تفسيره المسمى (التفسير الحديث) في تسعة مجلدات .

٣- الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ هـ) في تفسيره المسمى (معارج التفكير ودقائق التدبر) في خمسة عشر مجلداً شمل السور المكية كاملة، إذ بدأ في تفسير السور المدنية فبدأ بتفسير البقرة لكن الموت حال دون اتمامه لتفسيرها .

لست داعياً في هذا البحث لتفسير القرآن أو طبعه على وفق ترتيب نزوله لأن ذلك يوحى للبعض ان آياته خاصة بتلك الوقائع والحوادث التي وقعت وهو بهذا فقد حل مشكلات كثيرة وقعت في زمنه - صلى الله عليه وسلم - ثم زالت ، فضلاً عن كونه مخالفاً لما أجمع عليه ، والقرآن الكريم كتاب الله الخالد للبشرية جميعاً لا يختص بعصر من العصور دون عصر، لكن البحث يركز على ضرورة مراعاة مراحل التنزيل وأزمانه أو ما يسمى بـ(ترتيب نزول) وعدم اهماله وفي هذا يقول أبو القاسم النيسابوري^(٢٢) في كتاب (التنبيه على فضل علوم القرآن): (من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطاً وانتهاءً وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكّي وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة) وعدد الوجوه المتعلقة بهما ثم قال: (فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى)^(٢٣)، فعلى من رام التفسير أن يكون ملماً وعارفاً بهذه الوجوه .

والمطلع على كتب التفسير يجد كثيراً من المفسرين^(٢٤) - رحمهم الله جميعاً - قد اكتفوا بذكر مكان نزول السورة أو ترتيبها في مقدمة السورة دون مراعاة بعضهم ذلك عند تفسيره .

المطلب الثاني: أهمية معرفة ترتيب النزول

صرّح القرآن الكريم بحقيقة تاريخية مفادها ان كلام الله تعالى نزل منجماً على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في مكة والمدينة وفي أوقات مختلفة ، وهذا من مميزات القرآن الكريم التي تميز بها عن الكتب السابقة ، قال تعالى (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) [الإسراء : ١٠٦] ، ليسهل على الناس قراءته وحفظه والعمل بمقتضاه ، فضلاً عما كان من التدرج في التشريع ، وقال في آية أخرى مبيناً أمنية الكفار واعتراضهم على نزوله جملة واحدة موضحاً سبحانه تعليل هذا التنجيم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) [الفرقان : ٣٢] ، لحكمة ظاهرة وهي تثبيت قلب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -

وسلم - واستغرق نزوله ثلاثا وعشرين سنة على القول الراجح^(٢٥)، ومعرفة كون السورة مكية أو مدنية تعين على فهم الآية بل السورة ، فعندما يقول الحق سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) [النساء : ٩٤] ، والآية مدنية وفيها وصف لحال المسلمين (قبل) الهجرة، فقوله (كذلك كنتم من قبل) بمعنى انكم كنتم تخفون الاسلام والايمان عن قومكم في مكة خوفا على انفسكم حتى من الله عليكم في المدينة بعد الهجرة باعزاز الدين ونعمة القوة والمنعة فهم الآن كذلك ، فلا يصلح إذ وصل اليكم أن تقتلوه حتى تتبينوا وتتثبتوا من أمره^(٢٦).

وأحكام الشريعة لم تنزل جملة واحدة كذلك سواء أكانت أمرا أو نهيا ، وفي ذلك تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - وهي تصف هذا النزول والتدرج فيه من رواية البخاري^(٢٧) بسنده عن يوسف بن ماهك^(٢٨) قال إني عند عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها، إذ جاءها عراقي، فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك؟ " قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك؟ قالت: لم؟ قال: لعلي أولف القرآن عليه^(٢٩)، فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل؟ " إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيهاي ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد - صلى الله عليه وسلم - وإني لجارية ألعب: (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ)^(٣٠) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده "، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه أي السور).

وعلى هذا المنهج كان الصحابة الكرام وتلاميذهم ، فهذا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول : (والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه)^(٣١) وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه: (وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار ، وأم في سهل أم في جبل)^(٣٢)، وقال أيوب السخيتاني^(٣٣): (سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال، نزلت في سفح ذلك الجبل ، وأشار الى سلع)^(٣٤) وكل هذه الروايات والآثار وغيرها تظهر علم الصحابة بمكان النزول وترتيبه وأسبابه ، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ ، وغيرها من مسائل علوم القرآن الكريم .

وكذلك تظهر أهمية معرفتها عند تدبر النصوص التربوية والحركية في طريق الإصلاح وأساليب الدعوة والوان الجهاد التي تكشف عن التدرج في الخطوات التربوية ، والتكرير في استعمال العلاج التربوي بغية تأثيره والحصول على الفائدة

منه ، كالعلاج الدوائي في مجال الصحة الجسدية ، وبهذا حماية للمفسر والمتدبر من أخطاء تفسيرية، فقد يأتي بعضهم بقصص مدنية فيضعها تفسيراً أو سبباً لنص مكي ،أو يأتي المفسر بحادثة مكية فيجعلها سبباً لنزول آية مدنية ، ويحمل بذلك النص القرآني ما لا يحمل، أو لا يكون تفسيره دقيقاً على أقل تقدير، وبهذا فإن من فوائد مراعاة النزول متابعة مراحل التنزيل وأطواره بشكل دقيق.

فبعد تتبع النصوص القرآنية بحسب مراحل التنزيل في التعامل بالربا ظهر للمتدبر ما يأتي:

أولاً: في أواخر الدعوة المكية أبان الله تعالى أن الربا عمل لا يباركه الله فقال: (وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ) [الروم : ٣٩].

ثانياً: وفي بداية العهد المدني أنزل الله تعالى نهياً صريحاً عن التعامل بالربا فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَافَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [آل عمران : ١٣٠ - ١٣١].

ثالثاً: ثم أنزل الله تعالى داما فعل اليهود باكلهم الربا ، وعمم الربا في هذا الذم ، وهنا يتربد الفكر ، هل المحرم أكل الربا أو ما كان منه أضعافاً مضاعفة فقط ؟ فقال تعالى: (فَيُظْلَمُ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا] وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [النساء : ١٦٠ - ١٦١].

رابعاً: ثم أنزل النص الأخير بتحريم الربا ، قليله وكثيره فقال الله تعالى (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ] فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْنِمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ] وَإِنْ كَانَ دُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [البقرة : ٢٧٥ - ٢٨١].

ومن أهميته ان في مراعاته امكانية متابعة السيرة النبوية حدثاً بعد حدث وزمناً بعد زمن ، ويمكن كذلك متابعة أطوار التنزيل ومراحلها بشكل أدق ، وبهذا سوف يندمج القارئ في جو نزول القرآن وجو ظروفه ومناسباته^(٣٦).

ويمكن ان يُجاب: اجمع المسلمون على أن ترتيب السور القرآنية في المصحف المبارك والذي وزعت نسخ منه على معظم الامصار الاسلامية في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه - كما ذكرنا - لم يكن على حسب ترتيب مراحل النزول، ومن الثابت قطعاً ان كثيراً من السور كسورة البقرة من التنزيل المدني ، وان كثيراً من السور كسورة العلق من التنزيل المكي ، وبعضها قد اختلف فيه معتمدين بما ذهبوا اليه على روايات ظنية ، لكن يمكن الأخذ بما هو ظني في مراحل النزول للتدبر ومحاولة فهم القرآن الكريم على طريقة ترتيب نزوله أولى من الاعتماد في تدبره على الترتيب الثابت ؛ وذلك لأنه لم يراع فيه مراحل التنزيل كما هو معلوم ، مع التأكيد بل والتركيز على احترام هذا الترتيب وضرورة المحافظة عليه طباعة وتلاوة وتعبداً^(٣٧).

ومع ذلك فليس القصد من الاهتمام بترتيب النزول كتابة التفسير على حسب ترتيب النزول ، ولا الوقوف مع دعوى المستشرقين في إعادة ترتيب القرآن^(٣٩)، بل القصد مراعاة ذلك عند التفسير اجتناباً للمعنى البعيد وطلباً للصواب في فهم النص القرآني.

يركز البحث على قاعدة مهمة تعيننا في تدبر القرآن الكريم وهي مراعاة مراحل التنزيل وأزمانه ، فإذا اختلفَ في تفسير آية على قولين أو أكثر ، أحدهما يلزم منه أن تكون الآية مكية ، والآخر يلزم أن تكون الآية مدنية ، واتفقوا على مكيتها ، فالقول الذي يلزم أن تكون الآية مكية هو الراجح .

- في قوله تعالى (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا) فَلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) [الرعد : ٤٣]، أخرج الطبري بسنده عن أبي بشر (٤٠) قال: قلت لسعيد بن جبیر چی ث ث ذچأهو عبد الله بن سلام ؟ قال: هذه السورة مكية ، فكيف يكون عبد الله بن سلام ؟ قال: وكان يقرأها (ومن عنده علم الكتاب)يقول(من عند الله)(٤١) والمعنى ان عبد الله بن سلام اسلم بالمدينة فكيف يكون هو المراد ! ؟

- ومن ذلك أيضا ما أخرجه الطبري بسنده عن ابن زيد (٤٢) في قوله تعالى (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْكُذِبُوا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَاثِبُونَ لَا يَعْقِلُونَ إِلَّا قَلِيلًا) [الفتح : ١٥]، قوله : قال الله عز وجل له حين رجع من غزوه (فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) [التوبة : ٨٣]. يريدون أن يبدلوا كلام الله: أرادوا أن يغيروا كلام الله الذي قال لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ويخرجوا معه ، وأبى الله - عز وجل - ذلك عليهم ونبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم - ذكر الامام الطبري هذا القول عن ابن زيد ، ثم قال: (وهذا الذي قاله ابن زيد قول لا وجه له ؛ لأن قول الله عز وجل (فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوكَ لِلْخُرُوجِ) إنما نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منصرفه من تبوك ، وغني به الذين تخلفوا عنه حين توجه الى تبوك لغزو الروم ، ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة أيضا ، فكيف يجوز أن يكون الامر على ما وصفنا معنيا بقول الله (إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ شخص معتمرا يريد البيت ، فصدته المشركون عن البيت ،الذين تخلفوا عنه في غزوة تبوك ، وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية ، ولا كان أوجي الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله (فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوكَ لِلْخُرُوجِ) (٤٣).

المطلب الرابع: نماذج تطبيقية

ان الدقة في تفسير القرآن المجيد وتدبره تقتضي مراعاة ترتيب النزول ومراحله وأزمانه ، فهي تحمي المفسر من مجانبة الصواب في التفسير او أن يذهب بعيدا في تفسيره وتحميه من الوقوع في أخطاء تفسيرية ، فقد يقع المفسر في خطأ عندما يأتي بقصة أو نص مدني فيجعله تفسيراً وسببا لنص مكي النزول ، أو ان تقع حادثة في مكة قبل الهجرة فيجعلها سببا لنص نزل في المدينة بعد الهجرة . . وهكذا .

وفيما يأتي بعض تلك النماذج التطبيقية:

الانموذج الأول: ماورد في قوله تعالى (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى) [طه : ١٣٠].

ذهب أكثر المفسرين الى أن الاوقات التي أمر الباري - عز وجل - بالتسبيح والتحميد فيها المذكور في هذه الآية هي أوقات الصلوات الخمس المكتوبة ، منهم الامام (سفيان الثوري) (ت ١٦١ هـ) (٤٤) والطبري (ت ٣١١ هـ) (٤٥) والبغوي (ت ٥١٦ هـ) (٤٦)، وابن

الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) (٤٧) والبيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) (٤٨)، وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) (٤٩) والسيوطي (ت ٩١١ هـ) (٥٠) وأبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) (٥١) والشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) (٥٢)، وبيّن الامام الطبري ان المراد بـ(قبل طلوع الشمس) أي صلاة الصبح (وقبل غروبها) صلاة العصر ،(ومن آناء الليل فسبح) صلاة العشاء الآخرة ، (وأطراف النهار) صلاة الظهر والمغرب (٥٣).

وقال البغوي (قبل طلوع الشمس) يعني: صلاة الصبح ،(وقبل غروبها) صلاة العصر،(ومن آناء الليل) ساعاتها..(فسبح) يعني: صلاة المغرب والعشاء... (وأطراف النهار) يعني: صلاة الظهر... و قيل المراد من آناء الليل صلاة العشاء ومن أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب ، لأن الظهر في آخر الطرف الاول من النهار ، وفي أول الطرف الآخر من النهار، فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلي المغرب (٥٤)، ونقل القرطبي (ت ٦٧١ هـ) قول أكثر المتأولين بأن هذه الأوقات اشارة الى الصلوات الخمس (٥٥)، وقال ابن عاشور (ت ١٢٨٤ هـ) بعد أن ذكر ان المراد بالأوقات المذكورة في الآية الكريمة هي أوقات الصلوات: (وهذا كله من المجل الذي بينته السنة المتواترة) (٥٦).

واستدل أكثر المفسرين بما جاء في الصحيحين (٥٧) عن جرير بن عبد الله البجلي (٥٨) قال: كنا جلوسا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال: (انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) ثم قرأ (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى) [طه : ١٣٠].

ومن ملاحظة ترتيب النزول فإن الصلوات الخمس فرضت ليلة اسراء الرسول ومعرجه ، ولم تكن قد فرضت إبان نزول (سورة طه) ، وهذا ما ذهب اليه من اعتمد ترتيب النزول في تدبره للقرآن الكريم ، اما الحديث الذي استندوا عليه فيدل على فضل هذين الوقتين اللذين تكون فيهما صلاة الفجر وصلاة العصر.

أما ما دلت عليه الآية الكريمة فهي ان النبي - صلى الله عليه وسلم - كان منزعا من أقوال الكفار وخصوصا كبراء مشركي قريش ضده وضد رسالته وضد القرآن الكريم والذين آمنوا به واتبعوه ، والتي كانت مؤذية له وللمؤمنين ، قبيل نزول سورة (طه) ، فالتسبيح المتكرر في الأوقات المبينة في الآية وردت لمعالجة حالة الرسول النفسية بدواء من ذكر الله في الاوقات الستة ، وهو دواء ناجح لصرف كل ما في النفس من مؤلمات ومزعجات ، ومقلقات ومحزنات ، تضيق بها الصدور. فهو - أي التسبيح - يذكر المسبح الحامد لله بأن الله - جلّ جلاله وعظم سلطانه - القدير على أن يفعل ما يريد في عباده ومخلوقاته - يصبر سبحانه بحلمه العظيم على الجاحدين إلهيته

وربوبيته، والجاحدين آياته والمكذبين بالقرآن المعجز ، فيمهلهم ولا يعجل بمعاقتهم ليرتك لهم زمنا واسعا يراجعون فيه أنفسهم ، رضا منه في أن يتوبوا من الذنب العظيم ويستغفروه ، فيكونون من الناجين من العذاب الفائزين بالجنة (٥٩).

الأنموذج الثاني: طرح بعض المفسرين في قوله تعالى (وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) [١٧٥ - ١٧٧] ، طرحوا اقوالا واحتمالات لم تنقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بسند صحيح في الرجل آتاه الله الآيات فانسلخ منها ، من ذلك ان المنسلخ هو (النعمان الخزرجي أبو عامر بن صيفي الراهب) كان نصرانيا من قبيلة الخزرج ، والخزرج احدى القبيلتين المعروفتين الكبيرتين في المدينة ، فلما هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - الى المدينة ناصبه النعمان العداوة الشديدة ، لكن هذا الطرح لا يصح لهذا لأن أبا عامر (النعمان) لم ترد له قصة تتلى في القرآن ، والتلاوة في قوله (وَأْتِلْ) اشارة على ان الأمر مذكور في آيات القرآن الكريم التي تتلى ، وهذه الآيات من سورة الاعراف مكية التنزيل وظهر هذا الرجل بعد الهجرة الى المدينة ، فكيف ينزل نص مكي بحال فيه على حدث مضى ، مع أنه لم يأت بعد في الواقع ؟ لكن تدبر النص مع سوابقه ولواحقه في السورة مع ما انزل من سور مثل سورة الاعراف في التنزيل المكي ، مع المرحلة الزمنية التي انزل فيها وما أنزل بعدها ينطبق على علماء أهل الكتاب وأشباهم فهم الذين تلقوا آيات الله فلبسوها وآمنوا بها وبعد ذلك انسلخوا منها وحرّفوها وغيروها وكتموها ، ولما جاء سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - من ميثاق الايمان واتباعه فكفروا (٦٠).

الأنموذج الثالث : ذهب أكثر المفسرين الى ان المراد من (فصل) في قوله تعالى (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) [الأنعام : ١١٩] ، معناها (بين) وهو المذكور في الآية الثالثة من سورة المائدة قوله تعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَاللَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا دُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذَلِكَ فِسْقُ الْيَوْمِ يَيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [المائدة : ٣] ، وهو قول الثعلبي (ت ٤٢٧) (٦١) والبغوي (ت ٥١٠ هـ) (٦٢) والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) (٦٣) وابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) (٦٤) والبيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) (٦٥) والسيوطي (٦٦) وابن عجيبة (ت ١٢٢٤ هـ) (٦٧) .

وهذا القول فيه اشكال ولم يرض به بعض المفسرين كابن حيان^(٦٨) وأبي السعود (ت ٩٨٢ هـ)^(٦٩) واسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٢٧ هـ)^(٧٠) إذ كيف يحيل بالبيان ما لم ينزل بعد وسبب قولهم بهذا المعنى هو عدم مراعاة ترتيب النزول ، فسورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر التنزيل المدني ، وقوله (فصل) يجب أن يكون المفصل متقدما على هذا المجل ، والمدني متأخر عن المكي فيمتنع كونه متقدما ، لكن أين المفصل لهذا المجل ؟

إذا نظرنا الى ترتيب النزول بشكل عام فإن من البعيد ما ذهب اليه أكثر المفسرين بأن المراد هو قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فُسْقًا أَهْلًا لِعَيْبٍ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنعام : ١٤٥] ، وهي وإن كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل إلا أن هذا القدر من التأخير لا يمنع أن يكون هو المراد خصوصا أن سورة الانعام نزلت دفعة واحدة بإجماع المفسرين ، فيكون في حكم المقارن^(٧١). وهذا القدر من التأخر في التلاوة لا يوجب التأخر في النزول^(٧٢) ولا يمنع أن يكون هو المعنى المراد ، ويجوز أن يحمل على التفصيل بالوحي غير المتلو (غير القرآن) أي على لسان النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم أنزله الله قرآنا^(٧٣) .

وفي ضوء هذه النماذج يتضح لنا ضرورة مراعاة ترتيب النزول ومراحله وأزمانه وصولا الى الدقة في التفسير لفهم مراد الله تعالى من النص ، وحماية للمفسر من التفسير البعيد

الخاتمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وعلى آله وصحبه أهل البر والتقى ومن تبع آثارهم واقتفى ، وبعد :

ففي نهاية هذا العمل يجدر بي أن أوجز أهم النتائج وهي كما يأتي:

أ - ضرورة الالتزام ومراعاة مراحل التنزيل وأزمانه ، فإذا اختلف في تفسير آية على قولين أو أكثر أحدهما يلزم منه أن تكون الآية مكية والآخر يلزم أن تكون الآية مدنية واتفقوا على مكيتها، فالقول الذي يلزم أن تكون الآية مكية هو الراجح ، وهذا ما أكدته الروايات الواردة عن بعض السلف من التابعين - رحمهم الله جميعا .

ب - مراعاة ضوابط التفسير والعلم بها عند التفسير ، ومنها ترتيب النزول ومراحله تحمي المفسر من القول البعيد والمرجوح ، بل تحميه من الخطأ في التفسير ، فقد يذهب المفسر بعيدا عندما يأتي بقصة أو نص مدني فيجعله تفسيرا وسببا لنص مكي

النزول ، أو أن تقع حادثة في مكة قبل الهجرة فيجعلها سببا لنص نزل في المدينة بعد الهجرة وهكذا .

ج - لا فائدة كبيرة عند ذكر ترتيب نزول السورة في مقدمة السورة ، بل العبرة والفائدة أن يراعي المفسر ذلك عند تفسيره ، وهو ما أراد تأكيده من رتب تفسيره على ترتيب النزول .

د - يظهر التدرج في خطوات العلاجات التربوية في النصوص القرآنية عند تتبع مراحل التنزيل ، من ذلك ما حصل في النصوص التي تتحدث عن الربا، إذ أبان في أواخر الدعوة المكية بأن الربا عمل لا يباركه الله تعالى ، وفي بداية العهد المدني نزل النهي الصريح عن التعامل به ، وبعدها ذم فعل اليهود بذلك ، ثم انزل النص بتحريم قليل الربا وكثيره .

الهوامش

(١) الاتقان في علوم القرآن ٢١٦/٤ .

(٢) ينظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن، رقم ٦، ٤٩٨٦/٤١٨٣ ورقم ٤٩٨٧، ١٨٤/٦، كتاب المصاحف ، الصفحات : ٤٨، ٨٨ - ١٠٦ .

(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٢٥٧/٢ و ٢/٩، مناهل العرفان ٢٣٩/١ ، الاتقان ٢١١/١

(٤) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ٩/١، الجامع لأحكام القرآن ٥٩/١، روح المعاني ٢٦/١ ...

(٥) ينظر: الانتصار للقرآن ، ٢٧٨/١ ، فتح الباري ٢٥٧/٢، البرهان في علوم القرآن ٢٥٦/١، الاتقان ٢١٧/١ ، البرهان في تناسب سور القرآن ٧٩ .

(٦) ينظر: فتح الباري ٤٣/٩ ، أحكام القرآن ، لأبن العربي ٤٦/٢ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٣/١ ، التحرير والتنوير ٨٨/١ .

(٧) ينظر: مناهل العرفان ٢٥٠/١ ، البرهان في علوم القرآن ٣٨/١ ، روح المعاني ٢٧/١ .

(٨) ينظر: فتح الباري ٤٢/٩ ، الاتقان في علوم القرآن ٢١٦/١ ، مناهل العرفان في علوم القرآن ٣٥٣/١ .

وطريقة تفسير القرآن حسب ترتيب النزول لا تمس (قدسية المصحف المتداول ؛ لان التفسير ليس مصحفا للتلاوة من جهة ، وهو عمل فني أو علمي من جهة أخرى ؛ ولأن تفسير كل سورة يصح أن يكون عملا مستقلا بذاته ، لا صلة له بترتيب المصحف ، وليس من شأنه أن يمس قدسية ترتيبه من جهة ثالثة ، ولقد أثر عن علماء أعلام - قدماء ومحدثين - تفسيرات لوحات وسور قرآنية (التفسير الحديث ٩١١ .

(٩) قواعد التدبر الأمثل ١٣٥ .

(١٠) البرهان في علوم القرآن ١/١٨٩، مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور ١/١٦١، الاتقان ١/٦٩.

(١١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/١٧٨-١٩٢، الاتقان ١/٦٨، مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ١٨١، المدخل لدراسة القرآن الكريم ٢٢٦، محاضرات في علوم القرآن ، د. غانم قدوري ٧٨-٧٩. من ذلك (مارواه الحاكم في مستدركه بسنده عن عبد الله رضي الله عنه قال: " ما كان: يا أيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة، وما كان: يا أيها الناس فبمكة "المستدرک على الصحيحين رقم ٤٢٩٥ ، ٢٠/٣) ومما ورد عن بعض الصحابة الذين اهتموا بذلك ينظر: فضائل القرآن ، لابن الضريس ٧٣، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧١/٢.

(١٢) دراسات في علوم القرآن ١٣٣.

(١٣) ينظر: مناهل العرفان ١/١٣٧ .

(١٤) المصدر نفسه .

(١٥) التفسير الحديث ٩/١ .

(١٦) المصدر نفسه .

(١٧) ينظر: الواضح في علوم القرآن ٦٧

(١٨) ينظر: مباحث في علوم القرآن ٢٣٣ .

(١٩) التفسير الحديث ٩/١ .

(٢٠) ينظر: مناهل العرفان ١/١٩٥ .

(٢١) كالشيخ أبي اليسر عابدين مفتي سورية ، والمحدث الشيخ عبد الفتاح أبي غدة - رحمهما الله تعالى ، ينظر: التفسير الحديث ١/١٠ .

(٢٢) ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري ، الواعظ النحوي المفسر الاديب ، كان امام عصره في القراءات وعلومها (ت ٤٠٦ هـ) ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٥١٩/١ .

(٢٣) البرهان في علوم القرآن ١/١٩٢، نقلا عن كتاب (التنبيه على فضل علوم القرآن) لأبي القاسم النيسابوري ونقله عنه الامام السيوطي في (الاتقان) ١/٣٦، ومرعي بن يوسف الكرعي في (قلاند المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن) ٢٢٧، ومحمد عبد العظيم الزرقاني في (مناهل العرفان) ١/٢٠٠ وغيرهم .

(٢٤) أمثال : بحر العلوم للسمرقندي ، تفسير السمعاني ، تفسير البغوي ، الكشاف للزمخشري ، تفسير ابن عطية ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ، الجامع لأحكام القرآن القرطبي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي ، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ، وغيرها .

(٢٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦/١٠٩، البرهان في علوم القرآن ٢/٤٧، الاتقان ٤/٢٤، فتح القدير ٤/٦٥٣.

(٢٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٥/٣٤٠ .

- (٢٧) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم ٤٩٩٣، ١٨٥/٦ .
- (٢٨) يوسف بن ماهك بن مهران الفارسي المكي مولى قريش، تابعي، روى عن بعض الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعائشة وأبو هريرة وحكيم بن حزام وغيرهم - رضي الله عنهم جميعاً - (١١٣هـ) وقيل (١١٠) وقيل (١١٤هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ٢٥١/٣٧، رجال صحيح البخاري ٨١٣/٢ .
- (٢٩) التأليف ههنا ترتيب سور القرآن الكريم، وقد سأل الرجل العراقي السيدة ام المؤمنين - رضي الله عنها - عن الكفن، وكان مضمون جوابها بأن هذا تكلف لا فائدة منه، فهو مما لا ينبغي أن يعتنى بالسؤال عنه ولا الاهتمام به ولا القصد له، ينظر: فضائل القرآن لابن كثير، ١٤٠ .
- (٣٠) سورة القمر، آية ٤٦ .
- (٣١) أخرجه الامام البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم، رقم ٥٠٠٢، ١٨٧/٦ . والامام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه - رضي الله عنهما، رقم ٣٤٦٣، ١٩١٣/٤ .
- (٣٢) تفسير عبد الرزاق ٢٣٤/٣ .
- (٣٣) أيوب بن أبي تيمية كيسان الامام أبو بكر السختياني، من سادات أهل البصرة وعباد التابعين وفقهائهم (ت ١٣١هـ)، ينظر: مشاهير علماء الانصار ٢٣٧، تذكرة الحفاظ ٩٨/١-٩٩ .
- (٣٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٣٢٧/٣ . وسَلَع بفتح أوله واسكان ثانيه، بعده عين مهملة جبل صغير اصبح يحيط بعمران المدينة، ينظر: معجمما استعجم ٧٤٧/٣، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ١٦٠/١ .
- (٣٥) ينظر: قواعد التدبر الأمثل ١٥٧-١٥٩ .
- (٣٦) ينظر: التفسير الحديث ٩/١ .
- (٣٧) ينظر: التعريف بكتاب معارج التفكير ٢٨ .
- (٣٨) ينظر: ترتيب نزول سور القرآن الكريم ٢٤ .
- (٣٩) هذا الترتيب هو الترتيب الذي دعى اليه بعض المستشرقين حسب محتويات السور القرآنية، ينظر: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره ٩٢ وما بعدها .
- (٤٠) أبو بشر هو جعفر بن إياس اليشكري، كنيته ابو بشر، البصري ثم الواسطي، أحد الأئمة الكبار، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وثقه العجلي وابن حبان وغيرهما، مات ساجدا خلف المقام سنة (١٢٥) وقيل سنة (١٢٣) أو (١٢٤هـ) ينظر: الثقات، للعجلي ٩٩/١، الثقات، لابن حبان ١٣٣/٦، تهذيب التهذيب ٨٣/٢ - ٨٤ .
- (٤١) جامع البيان ٥٠٥/١٦ .
- (٤٢) ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي المدني مولى بن عمر يروي عن ابيه، وروى عنه العراقيون وأهل المدينة، عده ابن حبان وغيره من الضعفاء المجروحين؛ لأنه كان يقلب الاخبار وهو لا يعلم، (ت ١٨٢هـ) ينظر: المجروحين لابن حبان ٥٧/٢-٥٨، تهذيب التهذيب ١٧٧/٦ .
- (٤٣) جامع البيان ٢١٧/٢٢ .

- (٤٤) تفسير سفيان الثوري ١٩٢ .
- (٤٥) جامع البيان ١٨/٤٠٠-٤٠١ .
- (٤٦) تفسير البغوي ٢٨٠/٣ .
- (٤٧) زاد المسير ١٨٢/٣ .
- (٤٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤٢/٤ .
- (٤٩) تفسير القرآن العظيم ٥/٣٢٥ - ٣٢٦ .
- (٥٠) تفسير الجلالين ٤١٩ .
- (٥١) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ٥٠/٦ .
- (٥٢) فتح القدير ٣/٤٦٤ - ٤٦٥ .
- (٥٣) جامع البيان ١٨/٤٠٠ .
- (٥٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤/٢٧٧ .
- (٥٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٦١ .
- (٥٦) التحرير والتنوير ١٦/٣٣٨ .
- (٥٧) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ، رقم ٧٤٣٤ ، ١٢٧/٩ ، وورد باختلاف يسير في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) ، رقم ٤٨٥١ ، ١٣٩/٦ ، وفي كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة الفجر ، رقم ٥٧٣ ، ١١٩/١ ، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ، رقم ٦٣٣ ، ٤٣٩/١ .
- (٥٨) جرير بن عبد الله البجلي ، يكنى أبا عمرو وقيل أبا عبد الله ، صحابي أسلم في العام الذي توفي فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توفي سنة (٥٤ هـ) وقيل (٥١ هـ) ، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/٢٣٦-٢٣٨ . الاصابة في تمييز الصحابة ١/٥٨١-٥٨٣ .
- (٥٩) ينظر : معارج التفكير ودقائق التدبر ٨/٣٧١ .
- (٦٠) ينظر: المصدر نفسه ٥/٢٩ - ٣٠ .
- (٦١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٤/١٨٤ .
- (٦٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢/١٥٤ .
- (٦٣) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢/٥٨ .
- (٦٤) زاد المسير في علم التفسير ٧١/٢ .
- (٦٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/٨١ .
- (٦٦) تفسير الجلالين ١/٨٣ .
- (٦٧) البحر المديد ٢/١٦٤ .

- (٦٨) البحر المحيط ٦٣٠/٤ .
- (٦٩) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ١٧٩/٣ .
- (٧٠) روح البيان ٩٢/٣ .
- (٧١) ينظر: ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ١٧٩/٣ ، فتح القدير ١٧٨/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٧٣/٧ ، اللباب في علوم الكتاب ٤٠١/٨ ، تفسير القرآن الحكيم ١٦/٨ .
- (٧٢) ينظر: ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ١٧٩/٣ .
- (٧٣) ينظر: روح البيان ٩٢/٣ ، محاسن التأويل ٤٧٦/٤ ، التحرير والتنوير ٣٤/٨ .

المصادر والمراجع

- وهي بعد القرآن الكريم :
- ١- آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره ، عمر ابراهيم ، دار طيبة للنشر - الرياض .
 - ٢- الإتيان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله (ت ٩١١هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩١هـ .
 - ٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجليل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
 - ٤- الإصابة في تمييز الصحابة ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٥هـ .
 - ٥- الانتصار للقرآن ، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت ٤٠٣هـ) ، تحقيق: د. محمد عصام القضاة ، دار الفتح - عمان ، دار ابن حزم - بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م .
 - ٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١ - ١٤١٨هـ .
 - ٧- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر - بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ .
 - ٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، نشر: د. حسن عباس زكي - القاهرة، ١٤١٩ هـ .
 - ٩- البرهان في تناسب سور القرآن ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ، أبو جعفر (ت ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
 - ١٠- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا .

- ١١- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير) ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) ، دار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤هـ .
- ١٢- تذكرة الحفاظ ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .
- ١٣- ترتيب نزول سور القرآن الكريم وزمن نزولها وكيفية وبيان ترابطها الموضوعي في ظلال زمن التنزل ، د.محمد هلال ، الصايل للنشر والتوزيع - عمان ، ٢٠١٣م .
- ١٤- التعريف بكتاب معارج التفكير ودقائق التدبر، مجد مكي ، ط١ ، دار القلم - دمشق ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
- ١٥- تفسير الثوري ، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت ١٦١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .
- ١٦- التفسير الحديث ، محمد عزة دروزة (ت ١٤٠٤هـ)، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ، ١٣٨٣هـ .
- ١٧- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .
- ١٨- تفسير الجلالين ، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار الحديث - القاهرة ، ط١ .
- ١٩- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق: مصطفى السيد محمد ، محمد السيد رشاد ، محمد فضل العجموي ، علي أحمد عبد الباقي ، مؤسسة قرطبة ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، مصر - الجيزة ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ٢٠٠٠م .
- ٢٠- تهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ، ط١ ، ١٣٢٦هـ .
- ٢١- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- ٢٢- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي الانصاري شمس الدين القرطبي ، (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- ٢٣- دراسات في علوم القرآن الكريم ، د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- ٢٤- روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت .
- ٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
- ٢٦- زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط١ - ١٤٢٢هـ .
- ٢٧- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

- ٢٨- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٢٩- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ) ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ، ط ١ - ١٩٦٨ م .
- ٣٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩هـ .
- ٣١- فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت - ط ١٤١٤هـ .
- ٣٢- فضائل القرآن ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، ط ١ ، ١٤١٦هـ .
- ٣٣- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل ، عبد الرحمن حبنكة الميداني (ت ١٤٢٥هـ) ، دار القلم - دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م . فضائل القرآن
- ٣٤- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ .
- ٣٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) تحقيق: أبو محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م .
- ٣٦- لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيشي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ - ١٤١٥هـ .
- ٣٧- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ) ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ٣٨- مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط ٢٤ - ٢٠٠٠ م .
- ٣٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ - ١٤٢٢هـ .
- ٤٠- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ - ١٤١٨هـ .
- ٤١- المستدرک علی الصحیحین ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- ٤٢- المصاحف ، أبو بكر بن أبي داود السجستاني عبد الله بن بن سليمان بن الأشعث (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق محمد بن عيده ، الناشر الفاروق الحديثة ، مصر / القاهرة ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- ٤٣- مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ وَبُيِّنَاتُهَا: "المَقْصِدُ الْأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِمُسَمًّى" ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، مكتبة المعارف - الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م .
- ٤٤- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبّد التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي - حلب ، ١٣٩٦هـ .

- ٤٥- محاضرات في علوم القرآن ، د.ابو عبد الله غانم قدوري الحمد ، دار عمار - عمان ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ٤٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ) ، تحقيق وتخريج : يوسف علي بديوي ، مراجعة وتقديم: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت ، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- ٤٧- المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ) ، مكتبة السنة - القاهرة ، ط٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ٤٨- مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق:م. فلايشهر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، - ١٩٥٩
- ٤٩- معارج التفكير ودقائق التدبر ، عبد الرحمن حسن حبّكة الميداني(ت١٤٢٥هـ) ، دار القلم - دمشق ، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .
- ٥٠- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير البلادي الحربي (ت ١٤٣١هـ) ، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٥١- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ)، دار الفكر - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- ٥٢- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .
- ٥٣- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد ، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي (ت ٣٩٨هـ) ، تحقيق:عبد الله الليثي ، دار المعرفة - بيروت ، ط١، ١٤٠٧ هـ .
- ٥٤- الواضح في علوم القرآن ، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو ،دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية - دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

فلسفة الدين بين الحقيقة والمجاز

Philosophy of religion between reality and metaphor

أ.م.د. إحسان علي الحيدري
كلية الآداب / جامعة بغداد

Assistant Professor Dr. Ehsan Ali Al-Haidari
College of Arts / University of Baghdad

ملخص البحث:

نسلط في هذا البحث الضوء على فلسفة الدين من حيث كونها مجالا معرفيا حقيقيا أم يطلق هذا المصطلح مجازاً على موضوعات معينة ، وفيه نتناول البحث عن نشأة مجال فلسفة الدين، وتاريخ ظهور المصطلح، ثم ننقل الى بيان حقيقة فلسفة الدين من خلال التعرف على حقيقة مفهوم الفلسفة ومفهوم الدين، ثم إيضاح حقيقة فلسفة الدين كمجال معرفي مستقل، بعد ذلك نتوجه الى توضيح الفرق ما بين الدين والفلسفة، وتسليط الضوء على أهم الموضوعات التي يتناولها فيلسوف الدين في مجال بحثه، والعلوم التي يستفيد منها في دراسته، ثم نتوجه صوب موضوع بيان الفرق بين فلسفة الدين وعلم الكلام؛ لنتوصل بالنتيجة النهائية الى حقيقة فلسفة الدين، وكونها تمثل مجالاً من مجالات الفلسفة التي لها استقلالها من حيث الموضوعات التي تتناولها والعلوم التي تستفيد منها والمنهج والأدوات التي تستعملها، ونصل بالنتيجة الى كونها تمثل الدراسة العقلية النقدية للموضوعات الدينية.

Research Summary:

In this research, we focus on philosophy of religion in terms of being a real knowledge field or the term is metaphorically referred to certain subjects, in which we cover the emergence of the field of philosophy of religion,

and the history term appearance, then we turn to declaration of the fact of the philosophy of religion through the identification of the reality of the concept of philosophy and the concept of religion, And then clarify the fact of the philosophy of religion as an independent knowledge field, We then turn to clarify the difference between religion and philosophy, And to focus on the most important subjects addressed by the philosopher of religion in the field of research, And the sciences that benefit him in his studies, And then go towards the subject of the difference between the philosophy of religion and theology; To reach the end result of the fact of philosophy of religion. As it represents a field of philosophy that has its independence in terms of subjects covered, and the sciences that benefit from them and the methods and tools that use them. The result is that it represents the critical mental study of religious subjects.

المقدمة:

الكثير من القراء والنقاد يخلط بين فلسفة الدين ومجالات معرفية أخرى، فمنهم من يخلط بين فلسفة الدين وعلم الكلام، ومنهم من يعتقد أن فلسفة الدين معنية بعلم تاريخ الأديان، ومنهم من يعتقد أن فلسفة الدين متمثلة بالعلاقة التاريخية بين الدين والفلسفة، وآخرين يذهب فكرهم عند ورود مصطلح "فلسفة الدين" الى الفلسفة الإسلامية، أي الى الفلسفة الدينية الجزئية، وغير ذلك من الاعتقادات غير الصحيحة، وهناك من يعتقد عدم جواز إطلاق مثل هذا المصطلح على مجال معرفي معين؛ لكون منهج الفلسفة هو المنهج العقلي، ومنهج الدين هو المنهج الإيماني، ولا يمكن أن يجتمع المنهجان ضمن مجال معرفي معين، وهذا يؤدي الى أن إطلاق هذا المصطلح على مجال معرفي مستقل - بحسب اعتقادهم - يعد مجازاً وليس حقيقة؛ لذلك ارتأيت في بحثي هذا تسليط الضوء على حقيقة فلسفة الدين من حيث كونها مجالاً معرفياً، متى بدأ، وما هي موضوعاته، وما نوع العلاقة بين الفلسفة والدين، وهل هناك فرق بين فلسفة الدين وعلم الكلام، وأي العلوم التي بالإمكان الاستفادة منها في مجال فلسفة

الدين، وهنالك نقطة مهمة أود الإشارة إليها قبل الدخول في خضم البحث العلمي، تتلخص في أن "الدين" المقصود به ضمن مصطلح "فلسفة الدين"، ليس ديناً محدداً مثل الدين الإسلامي أو المسيحي أو بقية الديانات السماوية، ولا الديانات الوضعية مثل البوذية والكونفوشيوسية وغيرها، بل المقصود بهذه المفردة، الدين من حيث هو دين، أي الدين بالإطلاق، الدين الكلي، وليس الدين الجزئي المعني بديانة محددة.

نشأة مجال فلسفة الدين وظهور المصطلح:

شقت فلسفة الدين طريقاً مستقلاً عن باقي مجالات الفلسفة في نهايات القرن الثامن عشر، وتحديدًا مع صدور كتاب "الدين في حدود العقل وحده"، لمؤلفه الفيلسوف الألماني كانط؛ فأصبحت مبحثاً معرفياً منفصلاً له حدوده ومناهجه وموضوعاته، لكن لا شك في أن جذور هذا المبحث ومقدمات انبثاقه بشكل متكامل بدأت قبل ذلك الوقت، إذ سبقت هذا التاريخ مناقشات عدة لكثير من موضوعات فلسفة الدين، لكنها لم ترتق لانبثاق فلسفة للدين متكاملة العناصر والأركان، ومحكمة المنهج تعتمد على العقل وحده، وبعيدة عن الانحياز أو الدفاع العقائدي، ولا سيما أن كانط عمل على فحص الحقائق الدينية فحصاً عقلانياً حراً، وحلل الدين تحليلاً نقدياً من حيث هو دين، وتجنب طرق الكلام وأغراضه، وقدم تفسيراً عقلانياً نقدياً للدين بشكل كلي من منظور العقل النظري والعقل العملي، وأخضع فيه المعتقدات الدينية والعلاقة بين الإنسان والله كما يقدمها الدين للبحث الفلسفي المستفيض، محكماً المعايير العقلية وحدها، أما زمن ظهور مصطلح "فلسفة الدين"، فعند تقليبنا لصفحات كتب التاريخ الفلسفي، نجد أن أول ظهور رسمي له كان على يد تلامذة الفيلسوف الألماني هيجل، حينما نشروا محاضراته المعنية بهذا المجال سنة ١٨٣٢ بكتاب تحت عنوان "محاضرات في فلسفة الدين"، وبعدها توالى المؤلفات التي تحمل اسم "فلسفة الدين" أو تشتمل على موضوعات تتعلق بفلسفة الدين^(١).

ما هي حقيقة فلسفة الدين:

قبل التطرق الى التعرف على حقيقة فلسفة الدين، علينا أولاً التطرق الى التعرف على حقيقة الفلسفة من حيث ارتباطها ببقية المعارف أولاً، وحقيقة الدين ثانياً، ثم ننقل بعدها الى الحديث عن حقيقة فلسفة الدين، وكيف نصوغ تعريفاً لهذا المجال المعرفي الجديد بظهوره، القديم بجذوره.

إن الفلسفة بمعناها العام تمثل النظرة النقدية تجاه جميع الأنشطة والمعارف؛ من أجل التوصل إلى مفاهيم نظرية، وممارسات عملية أصوب وأفضل لهذه الأنشطة والمعارف، والفلسفة ليست مرتبطة بالدين وحده، بل بحياة الإنسان اليومية، وبكل أنشطته العلمية والسياسية والفنية وما إلى ذلك، وهي تطرح أسئلة بشأن الدين، وما يتعلق بباقي الأنشطة الإنسانية، وهذه الأسئلة تفتح المجال لانبثاق فلسفة الدين وفلسفة الأخلاق وفلسفة العلم وغيرها، فكما أن فلسفة الدين تطرح أسئلة بشأن الدين، وتحاول الإجابة عنها من غير أن تحل محله أو تؤدي وظيفته، كذلك الحال مع بقية الأنشطة الإنسانية، وكما أن ممارسة الإنسان للدين من شأنها أن تحصل على نحو أفضل إذا هو ربطها بالمسائل الفلسفية في هذا النطاق، كذلك الحال يكون عند ممارسته للأخلاق والسياسة والعلم والفن أفضل في حال أدرك طبيعة النشاط الذي يمارسه، وعلاقته ببقية مجالات الحياة، وكما أن فلسفة الجمال لا تعنى بهذا الخط الفني أو ذاك وتحاول تبريره، وفلسفة السياسة لا تربط نفسها بنظام معين، بالنتيجة يمكن القول إن فلسفة الدين ليست فلسفة هذا الدين أو ذاك، لكنها فلسفة الدين بوصفه ديناً، ومن هنا كان لابد لفيلسوف الدين من دراسة مجموعة من العلوم المرتبطة بالدين؛ لمعرفة ما يمارسه الناس في حضارات مختلفة باسم الدين، ومنها نتوصل إلى أن عمل فلسفة الدين هو تحديد نطاق الدين ومنطقه، وهذا غير مقصور على فلسفة الدين، بل يشمل باقي الأنشطة الإنسانية، وفلسفة العلم تعنى بتحديد منطق العلم ونطاقه، وهذا يسري إلى باقي الأنشطة الإنسانية الأخرى، وقد حدد بعضهم نطاق الدين هو ما يتجاوز الطبيعة، ومنطقه بما يتجاوز العقل، وما إلى ذلك من آراء متعددة^(٢).

أما الدين فنجد حقيقته متعلقة بالعلاقة ما بين طرف سام وطرف أدنى، وتختلف وجهات النظر بشأن هذا المفهوم؛ لذا سأحاول التقاط بعض التعريفات المختلفة بحسب اختلاف المنهج، لكي نحدد بعدها حقيقة مفهوم الدين، ومن تلك التعريفات:

١. تعريف وليم جيمس^(٣):

يرى جيمس أن الدين «هو الأحاسيس والخبرات التي تعرض للأفراد في عزلتهم، وما تفقد إليه من تصرفات، وتتعلق هذه الأحاسيس والخبرات بنوع من العلاقة، يشعر الفرد بقيامها بينه وبين ما يعدّه إلهياً»^(٤).

٢. تعريف دوركايم^(٥):

أما دوركايم فيصرح بأن «الدين مجموعة متماسكة من العقائد والعبادات المتصلة بالأشياء المقدسة - مميزة ونهاية - بحيث تؤلف هذه المجموعة في وحدة دينية متصلة كل من يؤمنون بها»^(٦).

٣. تعريف كانط^(٧):

في حين نجد كانط يعتقد بأن: «الدين هو معرفة الواجبات كلها بوصفها أوامر إلهية»^(٨).

٤. تعريف الطباطبائي^(٩):

أما الطباطبائي فيرى أن: «الدين يمثل مجموعة من العقائد والأحكام العملية والتعاليم الأخلاقية التي جاء بها الأنبياء عن الله؛ لهداية البشر»^(١٠).

٥. تعريف وايتهيد^(١١):

وأخيراً يصرح وايتهيد: «إن الدين عيانٌ لشيء يقوم في ما وراء المجرى العابر للأشياء المباشرة أو خلف هذا المجرى أو في باطنه، شيء حقيقي، ولكنه مع ذلك لا يزال ينتظر التحقق، شيء هو بمثابة إمكانية بعيدة، ولكنه في الوقت نفسه أعظم الحقائق الراهنة، شيء يخلع معنى على كل ما من شأنه أن ينقضي ويزول، ولكنه مع ذلك يندّ عن كل فهم، شيء يعد امتلاكه بمثابة الخير الأقصى، ولكنه في الآن نفسه عصيّ بعيد المنال، شيء هو المثل الأعلى النهائي، ولكنه في الوقت نفسه مطلب لا رجاء فيه»^(١٢).

مما سبق نجد أن الدين على الرغم من وجود اختلاف في فهمه نتيجة اختلاف المنهج الذي يعتمد عليه العالم أو الباحث أو الفيلسوف، إلا أن الجميع يركز على مجموعة من المبادئ الأساسية، فلو تفحصنا التعريفات السابقة، سنجد أن تعريف وليم جيمس يركز على أحاسيس الفرد ومشاعره، فضلاً عن تفكيره وسلوكه، وأن الدين يمثل علاقة ثنائية بين طرف سام والإنسان، أما تعريف دوركايم، فنجد أن المنظار المستعمل في هذا التعريف يركز على أنماط سلوك مجموعة من الأفراد وتفكيرهم، والدين عنده يمثل علاقة ثنائية بين مجموعة من الأفراد والمقدس، وقد أحلّ مفهوم المقدس محل مفهوم الإله؛ لإكساب التعريف طابعاً شمولياً، وليس لازماً أن يكون

المقدس إلهاً أو كائناً أسمى من الإنسان، وأن الرمز المقدس يوحد كل من يتصل به في إطار قيمي مشترك.

عند الانتقال الى تعريف كانط نجده يركز على الجانب العملي من الدين، ولا سيما الشق السلوكي، وأن النظرة الأخلاقية في تعريفها للدين لا تقتصر على الفرد أو المجموع، بل تشملهما معاً، في حين أن تعريف الطباطبائي يعبر عن الخطاب الموجه من الله إلى البشر عن طريق الوحي وبوساطة النبي، وتوضيحه بأن الدين يشتمل على جانبين: نظري وعملي، الأول يختص بالتصورات الفكرية للعقيدة، والثاني يختص بالممارسات العملية للعقيدة، وأن الجانب العملي من الدين يشتمل على شقين: الأول يتمثل بالممارسات التعبدية والأحكام العملية، والثاني يتمثل بهتذيب السلوك الإنساني، وأخيراً حين التوجه صوب تعريف وايتهد نجده يركز على العلاقة بين اللامتناهي أو القوة التي تحكم الكون والإنسان، وأن سبب جهل الإنسان بماهية القوة التي تحكم الكون؛ كونها عصية على الدخول إلى مجرى فهمنا العادي، ويكون التركيز فيه على الجانب النظري من الدين، بل على الشق المجرد منه تحديداً، وترك بقية المعارف الفكرية التي يشتمل عليها هذا الجانب.

إن سبب عدم الاتفاق على تعريف مفهوم الدين هو خضوعه لرؤية واضع التعريف، فهناك من يعرفه منطلقاً من إيمانه بعقيدة ما، وهناك من يصدر عن منطلق إلحادي، وهناك من يريد أن يكون منطلقه على وفق رؤية عقلية محايدة، لكن حتى هذه الدراسة العقلية سوف يجد القائم عليها وجود أكثر من منظار لرؤية الدين من خلاله، فثم المنظار النفسي والمنظار الاجتماعي والمنظار الفلسفي، ومع ذلك نجد هذا الباحث بغض النظر عن النتيجة التي سوف يتوصل إليها، يحاول أن يبتعد عن النزعة الذاتية.

ومع كل ما تم ذكره من فروقات إلا إننا نعثر على مجموعة من المبادئ المشتركة التي يمكن التعويل عليها في صياغة تعريف عام للدين، وهي^(١٣):

١. الإيمان بوجود قوة غيبية تحكم هذا الكون تتمثل بالإله الواحد أو مجموعة من الآلهة تعلو عليه أو تسري في هذا العالم أو تتجلى في إحدى الظواهر الطبيعية أو تتجسد في أحد الكائنات المشخصة.

٢. الدين يعبر عن علاقة ثنائية بين تلك القوة الغيبية والإنسان الفرد أو مجموعة من الأفراد.

٣. يتكون الدين من مجموعة معارف فكرية تمثل الجانب النظري، ويطلق عليها اسم العقائد، ومجموعة أخرى من الممارسات العملية تمثل الجانب العملي، ويطلق عليها اسم العبادات.

٤. يشتمل الجانب النظري على الأسس الفكرية لدين ما، ويتضمن إعطاء رؤية كونية بشأن هذا العالم من حيث النشأة والمصير، وبشأن طبيعة القوة الغيبية التي يؤمن بها، وما شاكل ذلك من أمور عدة تختلف من دين لآخر.

٥. يشتمل الجانب العملي على الأحكام الدينية والتعاليم الأخلاقية التي تنظم شؤون الأفراد المنتمين لتلك الديانة فيما بينهم، فضلاً عن بيان الطقوس العبادي الذي عن طريقه تمتد الصلة الروحية بين الفرد أو الجماعة وتلك القوة الغيبية.

وعلى ضوء ما تقدم نستطيع رسم صورة عامة للدين متمثلة بالتعريف الآتي: الدين يمثل علاقة بين طرفين، أحدهما كائن اعتيادي (الإنسان)، والآخر كائن مقدس (القوة الخفية التي تحكم الكون وتؤثر فيه)، وتشتمل هذه العلاقة على جانبين: أحدهما نظري يشتمل على المعارف الفكرية التي تؤسس عليها هذه العلاقة، والآخر عملي يشتمل على الأحكام العملية التي تضم الممارسات التعبدية والمعاملات والتعاليم الأخلاقية، وتؤثر هذه العلاقة الثنائية في كل الذين ينتمون إليها تأثيراً فردياً وجمعياً^(١٤).

نعود الآن للتعرف على حقيقة فلسفة الدين بعد أن تعرفنا على حقيقة مفهوم الفلسفة، ومفهوم الدين، فنجد أن فلسفة الدين تسعى الى الكشف عن الترابط أو التناقض فيما يتعلق بالعقائد الدينية؛ وتحليل لغتها والمقارنة بينها وبين الاستعمالات الأخرى للغة؛ للتمييز بين مسائل عدة مثل: المنطق والفهم واليقين والصواب والخطأ، فمنطق الدين شيء ومنطق العلوم شيء آخر، ومقاييس الفهم واليقين والصواب والخطأ واليقين مختلفة في الدين عما هو عليه في العلوم، وتعمل فلسفة الدين على تحليل المفاهيم المتعلقة بالحياة الدينية، ومن هذه المفاهيم المعجزة وقواعد السلوك والعقل والإيمان والتجربة الدينية ونطاق الدين وغيرها، وهذا يحصل بطريقة نقدية من غير تبني أية نظرة لاهوتية أو تاريخية أو شعبية أو حتى فلسفية، وعلى الرغم من أن فلسفة الدين ليست عقيدة، لكن هذا لا يعني أنها غير ذات صلة بالعقيدة الدينية، ويظهر أثر الفلسفة الصحيح في العقيدة عن طريق صياغة عقائدية واضحة وخالية من التناقض أو التعارض، ولا سيما مع الكتاب الذي تعدّه الجماعة الدينية كتاباً مقدساً، وإذا كانت

إعادة صياغة العقائد الدينية مسألة عسيرة، فإن أثر الفلسفة يظهر في فهم تلك العقائد فهماً نقدياً، فيتمثل في البحث عن المعاني الحقيقية الخفية وراء الصياغات الشكلية^(١٥).

إن فلسفة الدين تمثل التفسير العقلاني للموضوعات الدينية بالفحص الحر للأديان، والكشف عن طبيعة الدين من حيث هو دين، أي عن الدين بشكل عام من حيث هو منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمر مقدسة، ومن حيث هو نمط للتفكير في قضايا الوجود، وامتحان العقائد والتصورات الدينية للألوهية والكون والإنسان، والبحث في الطبيعة الكلية للقيم والنظم والممارسات الدينية، ونمط تطور الفكر الديني عبر التاريخ، وتحديد العلاقة بين التفكير الديني وأنماط التفكير الأخرى؛ للوصول إلى تفسير كلي للدين يكشف عن منابعه في العقل والنفس والطبيعة وأساسه التي يقوم عليها، وطبيعة تصويره للعلاقة بين المتناهي واللامتناهي، والمنطق الذي يحكم نشأته وتطوره واضمحلاله. وتستعين فلسفة الدين لتحقيق ذلك بمنجزات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مثل علم النفس الديني وعلم الاجتماع الديني وعلم أنثروبولوجيا الدين وعلم الظواهر الدينية وعلم تاريخ الأديان وعلم الأديان المقارن، لكنها لا تقبل نتائج هذه العلوم قبولاً مطلقاً، بل تختبرها وتمحصها؛ للتمييز بين اليقيني والمحتمل منها، وتستعين كذلك بنتائج العلوم الطبيعية التي دخلت حيز الثبوت لا التي لا تزال في طور الفروض والنظريات مثل علم الأحياء والفيزياء والفلك وغيرها، وتستعين بها في تقويم العقائد الدينية المتعلقة بطبيعة الإنسان والعالم، وتنتهج فلسفة الدين المنهج العقلاني النقدي في دراسة الدين^(١٦).

إن فلسفة الدين هي ذلك الفرع من الفلسفة المختص بالتساؤلات الخاصة بالدين وطبيعة الوجود الإلهي، وفحص التجربة الدينية، وتحليل المفردات والنصوص الدينية، والعلاقة بين الدين والعلم^(١٧)، وهي الدراسة العقلية للمعاني والقضايا التي تطرحها العقائد الدينية، وتفسيراتها للظواهر الطبيعية وما وراء الطبيعة، مثل وجود الله، وقضايا الخلق، والموت والمصير، وتختلف فلسفة الدين عن الفلسفة الدينية من ناحية أنها تطمح إلى مناقشة أسئلة تتعلق بطبيعة الدين ككل عوضاً عن تحليل المشاكل المطروحة من نظام إيماني أو معتقد معين، وهي مصممة بطريقة تجعلها قابلة للنقاش من قبل كل من يقدمون أنفسهم كمؤمنين أو غير مؤمنين^(١٨).

وقد يثار تساؤل معين في مشروعية أن يكون فيلسوف الدين مؤمناً بديانة محددة أم لا؟ وللإجابة عن هذا التساؤل أدرج الإجابة الآتية^(١٩):

١. يرى بعض الباحثين أنه ليس شرطاً أن يكون فيلسوف الدين شخصاً مؤمناً بعبقيدة معينة، بل يمكن أن يكون منكرًا لله أو مؤمناً به أو لا أدرى لأنه يفترض أن يكون غير ملتزم بدين معين؛ لهذا كانت كلمة دين في فلسفة الدين مطلقة وغير مقيدة بدين معين، ومن هذا المنطلق مثلت فلسفة الدين إحدى شعب الفلسفة المضافة، وهذا سبب اشتغالها على أحد الأحكام الكلية الفلسفية، أي تحري الحقيقة والبحث العقلاني الحر؛ لذلك لا ينبغي لفيلسوف الدين من الناحية الفلسفية ومن جهة كونه مقومًا وناظرًا للدين بنظرة خارجة عنه أن يكون ملتزمًا أو مؤمناً بالدين موضع دراسته وبحثه.

٢. ويرى باحثون آخرون ضرورة أن يكون فيلسوف الدين شخصاً مؤمناً بعبقيدة معينة؛ لأن شخصاً ما إذا أراد التأمل والتفكير بعقلانية من غير أن يمتلك تجربة دينية سيكون غير قادر على فهم الدين، ويعتقد هؤلاء وجوب البحث في فلسفة الدين على أساس التجربة الدينية؛ لأن كل موضوعات فلسفة الدين مثل الإيمان والعبادة والوحي والخلود وغيرها داخلية في التجربة الدينية، والإبهامات المرتبطة بفلسفة الدين تقع فقط حين يستفيد العقل من التجربة الحقيقية في سعيه النقدي للدين، كما يعتقدون أن البحث في الدين على وفق نظرية علمية بالمعنى الدقيق للكلمة غير ممكن؛ لأنه على الرغم من وجود بعض الشبه الظاهري، إلا أن أهداف العلم والدين ومناهجها متفاوتة، ونحن لا نستطيع عن طريق جمع المعطيات وتقسيمها والمقارنة بينها الوصول إلى الماهية الواقعية للتجربة الدينية؛ لأن أي سعي لتبيين التجربة الدينية وتفسيرها بالتفكيك والتحليل والملاحظة لن يبتعد عن الأخطاء النفسية.

الفرق بين الدين والفلسفة:

بعد التعرف على حقيقة فلسفة الدين نتوجه صوب تبيان الفروقات بين الدين والفلسفة، وعلى النحو الآتي (٢٠):

١. من حيث الموضوع: توجد موضوعات مشتركة بين الدين والفلسفة تتمثل بمجموعة من الأسئلة التي يحاول كل من الدين والفلسفة الإجابة عنها مثل: السؤال عن أصل الإنسان ومصيره، وعلاقته بالكون الذي يعيش فيه، وطبيعة الله وعلاقته بالإنسان، وخلود النفس، وحرية الإرادة، وعلاقة السلوك الإنساني بالسعادة البشرية وما إلى ذلك، لكن الذي يفصل بين الميدانين هو طريقة معالجة كل منهما للإشكالية المثارة، فضلاً عن أن هناك موضوعات متميزة لكل ميدان مثل: العبادات والمعاملات في ميدان الدين، ومشكلة المعرفة في ميدان الفلسفة.

٢. من حيث المنهج: المنهج الذي يتميز به ميدان الدين هو المنهج الإيماني، وأدواته تعتمد على الوحي والنقل والمكاشفة، ويؤدي النص الدور الرئيس في الدين، أما ميدان الفلسفة فيتميز بالمنهج العقلي، وأدواته التأمل والتحليل والتركيب والاستنتاج على وفق قواعد منطقية دقيقة، ويؤدي الاستدلال العقلي الدور الرئيس في الفلسفة، وهذا يعني أن الدين قد يقبل قضايا معينة على أنها موضوعات للإيمان من حيث كونها تصديقاً، في حين أن الفلسفة لا تقبل ذلك، والإيمان في معناه الشائع هو قبول مجموعة من الحقائق غير المستمدة من المصادر الحسية أو العقلية، والمصدر هنا إلهي أو خارق للطبيعة مثل الكتب المقدسة أو الأحاديث النبوية أو التجارب الصوفية وغيرها، ويستعمل بعض رجال الفكر الديني المنطق والعقل، ويحرزون في ذلك نتائج رائعة عند شرحهم لتفاصيل هيكل التفكير الديني، غير أن المنطق والعقل يستعملان هنا لزيادة أدلة عقلية على ما يقبلونه هم وسائر المؤمنين على أساس الإيمان، والدليل على هذا الأمر أنه في حال ظهور تعارض بين العقل والإيمان فإن الأول سيخضع للثاني سوى بعض المذاهب الدينية، أما الفلسفة فإن العقل يحتل فيها مكان الصدارة، ويمكن أن يقال إن الفيلسوف يطلب الرضا العقلي، في حين يطلب رجل الدين الرضا العاطفي.

٣. من حيث المسلمات المبدئية: يتعامل المفكر الديني مع موضوعات بحثه عن طريق التسليم مبدئياً بأصول عقيدته، أما الفيلسوف فإنه يبذل جهداً لتجنب المسلمات الخفية أو اللاواعية؛ لأنه يعتقد أن وجود مسلمات غير معترف بها يمثل إحدى العقبات الكبرى في وجه التفكير الصحيح، أما رجل الدين أو المتكلم فهو لا يفعل ذلك، ومثال على هذا الأمر مشكلة الألوهية ودراساتها عند المتكلم، فهو يؤلف الكتب الكثيرة لمناقشة طبيعة الله وعلاقته بالكون والإنسان وما إلى ذلك، ومهما اتسعت المناقشات فإنها تستند في النهاية إلى افتراض أن الله موجود، فهو في بحثه لا يشكك البتة في وجود الله، ويحاول العثور في بحثه على أدلة عقلية للبرهنة على المبدأ الذي يؤمن به.

٤. من حيث الغاية: إن من أهداف الدين إعطاء الإنسان أماناً وإحساساً بالطمأنينة، وهو هدف عملي، أما الفلسفة فمن أهدافها السعي إلى المعرفة من غير الاهتمام بالمصاعب التي تواجه الفيلسوف عند سلوك هذا الطريق وهو هدف نظري؛ لذلك يعد الدين - عند الكثيرين - أهم من الفلسفة، ولا ريب أن من يكرس حياته للعمل الفلسفي يحرص على إيضاح أن الدافع إلى المعرفة لا يقل تأصلاً في الإنسان عن الرغبة في الحصول على الأمان والطمأنينة الروحية، وأن الدافعين لا يوجدان بالقوة نفسها لدى الناس عامة، فمعظم الأشخاص يرون أن الوعد الذي يقدمه الدين أقوى

جاذبية بكثير، وهم يشعرون بضرورة حصولهم على ضمان بأن الحياة جديرة بأن يعيش فيها، ويؤمنون بأن الدين قادر على أن يعطيهم هذا الضمان على نحو أيسر مما تقدر عليه الفلسفة؛ لأن الفلسفة إن استطاعت تقديم مثل هذا الضمان فإن ذلك لا يكون إلا بعد تفكير طويل، وفي النهاية نجد الفيلسوف يحاول صياغة فلسفة للحياة تصلح للتطبيق عملياً، إلا أن الناس يدركون أن الفلسفة تهتم بالنظر أكثر من اهتمامها بالعمل، وهم يعتقدون أن الفيلسوف سيواصل تأملاته بالإصرار نفسه سواء أدت هذه التأملات إلى نتائج عملية أم لم تؤد، أما المفكر الديني - وإن كان تفكيره يكتسب طابعاً لاهوتياً تجريدياً في بعض الأحيان - فإن هدفه الأول يظل دائماً إيجاد الأساس العقلي لنشاط عملي وهو بلوغ سلام الروح وطمأنينة القلب.

موضوعات فلسفة الدين:

ننتقل الآن التي التعرف على أهم الموضوعات التي يتم تناولها في مجال فلسفة الدين، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر^(٢١):

١. تحديد معنى الدين: في هذا الموضوع يتم البحث عن حقيقة الدين من خلال إيجاد صيغة تعريفية شاملة لمفهوم الدين بشكل عام، وما تشتمل عليه تلك الصيغة من جوانب نفسية واجتماعية وأخلاقية وما إلى ذلك.

٢. طبيعة اللغة الدينية: في هذا الموضوع يتم الفحص عن طبيعة اللغة الدينية من حيث تحري مضمون ألفاظها: إن كانت تحمل دلالة معرفية أم أنها فارغة لا تحمل معنى؟ وهل للغة الدينية منطق خاص بها يختلف عن منطق البحث العلمي، ومنطق اللغة الاعتيادية، ومنطق اللغة الفنية والأدبية، وغيرها؟ هل طبيعة قضايا اللغة الدينية إخبارية أم إنشائية؟ هل تحمل تلك القضايا دلالة حقيقية أم دلالة مجازية؟ وهل يستطيع الإنسان المخلوق المحدود بحدود كثيرة أن يعرف الله؟ وكيف يصفه؟ وما هي قيمة توصيفاته؟

٣. نشوء النزعة الدينية: في هذا الموضوع يتم البحث عن أصل الحس الديني لدى الإنسان: إن كان فطرياً أم مكتسباً؟ وإذا كان من النوع الأول: فهل يكون مصدره الله أم أن مصدره شيء آخر؟ وإذا كان من النوع الثاني فما هي أسباب ظهوره: هل هو الخوف أم الجهل أم ماذا؟ وتطرح في هذا المجال نظريات عدة لتعليل ظاهرة التدين، منها ما يصب في الجانب السيكولوجي، ومنها ما يصب في الجانب السوسولوجي وما إلى ذلك.

٤. التجربة الدينية: في هذا الموضوع يتم التنقيب عما يجده المؤمن في نفسه من إيمان بحقيقة متعالية وخضوع وانقياد لها، فما حقيقة هذه التجربة؟ وما مصدرها؟ وما الفرق بين التجربة الدينية والتجربة الأخلاقية؟ وما المعيار في اختبار التجربة الدينية وإثبات صدقها من عدمه؟

٥. علاقة الدين بالمجالات العلمية: يبحث في هذا الموضوع عن مدى التأثير والتأثر المتبادلين بين مجال المفاهيم الدينية ومجال نتائج العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية، وإمكان التوفيق بين المجالين منطقياً وموضوعياً، وتناقش فيه موضوعات مثل: ما حقيقة المعجزة؟ وما حقيقة وجود عالم آخر تسكنه الملائكة والجن ومخلوقات أخرى؟ وما حقيقة الإرادة الإنسانية؟ وغيرها كثير.

٦. نطاق الدين: في هذا الموضوع يتم التعرف على حدود المجال الديني، هل ينحصر في إطار السلوك الخلقي للفرد والمجتمع، أم يمتد ليشمل نواحي متعددة من الحياة البشرية كالسياسية والاقتصادية وما إلى ذلك؟ وما تأثير ذلك في الفهم الديني كله؟

٧. عقلانية الدين: في هذا الموضوع يتم التحري عن الطريقة التي يمكن من خلالها إثبات القضايا الدينية، إن كانت عن طريق العقل أم عن طريق الإيمان؟ وما الذي يعنيه كل من التعقل والتعبد في إطار الدين؟ وهل ثمة اتصال بين الاثنين، وما حقيقته إن كان موجوداً؟

٨. المبادئ المشتركة بين الأديان: يبحث في هذا الموضوع عن إمكان وجود جوهر مشترك بين الأديان والتعرف على حقيقته إن وجد، كذلك يبحث عن المبادئ التي تسري موضوعاتها في معظم الأديان، مثل الألوهية ومشكلة الشر ومصير الإنسان بعد الموت وما إلى ذلك.

العلوم التي يستفيد منها فيلسوف الدين في مجال بحثه:

بالتأكيد لكل مجال معرفي روابط مشتركة مع كثير من المجالات المعرفية الأخرى يتغذى على بعضها، ويغذي بعضها الآخر، وهنا سوف أتطرق الى مجموعة من العلوم التي يستند إليها فيلسوف الدين في مجال بحثه، ومنها:

١. علم النفس الديني:

يدرس هذا العلم الدين من وجهة نظر سيكولوجية، ويعمل على تقصي نوعية الأثر الذي يتركه الدين على نمط تفكير الفرد المتدين وسلوكه، ويناقش الأسباب

الموجبة لاعتناق الإنسان الدين، ويتناول بالتحليل والتعليل والاختبار الديني الواقع المعيشي للإنسان بمفرده، ويحدد هذا الاختبار الديني بأنه مجموع بنى ذهنية ودوافع وأنماط سلوكية ومواقف وتصورات أحدثها الدين في نفسية الفرد؛ من خلال اعتقاده بالله أو ما يعدّه ذلك الفرد إلهاً، وانتمائه إلى المجموعة الدينية^(٢٢).

٢. علم الاجتماع الديني:

يعد علم الاجتماع الديني علماً وصفيّاً تقريرياً، يرمي إلى دراسة المجتمعات الدينية وما تشتمل عليه من نظم وظواهر وعبادات وطقوس دينية؛ لبيان تأثيرها في المجتمع وتأثرها به، وبيان ما هو كائن لا ما ينبغي أن يكون، ويدرس هذا العلم تأثير المؤسسة الدينية والحركات الدينية في المجتمع، كما يدرس تأثير لغة النص الديني في لغات المجتمعات المؤمنة بذلك النص، ويدرس تأثير الدين في تقاليد مجتمع ما وأعرافه وأخلاقه وقوانينه، كذلك يدرس هذا العلم تأثير الدين في الفن الجمعي والجانب الاقتصادي لمجتمع محدد، ولا يهتم علم الاجتماع الديني بالدفاع عن عقيدة دينية محددة أو تبرير طقس ديني لجماعة دينية معينة، بل يحاول أن ينظر إلى الأمور نظرة موضوعية ويتجرد من النزعة الشخصية، ويعالج الظواهر الدينية بوصفها نظاماً اجتماعية لا من حيث مصدرها، وإنما من حيث أثرها في الحياة البشرية، وتأثرها ببقية النظم الاجتماعية القائمة^(٢٣).

٣. علم تاريخ الأديان:

يمثل علم تاريخ الأديان دراسة وصفية للأديان في جوانبها التنظيمية والعقائدية والطقسية، ويتناول هذا العلم رواية حركة الأديان وتوضيحها على مر العصور، ويوضح كيفية تطور الأديان المختلفة وتبدلها في أزمنة متفاوتة، ويتحرى العوامل التي أثمرت في رقي بعض الأديان وتطورها، والبحث عن العوامل التي أسهمت في تحجر أديان أخرى وتخلفها، ويعتمد علم تاريخ الأديان على أعداد كبيرة من الآداب والرسوم الدينية والرموز والأساطير والمعتقدات الدينية؛ بوصفها وثائق تدل على الواقعة الدينية، والباحث في هذا المجال يصف الوقائع التاريخية لدين ما أو لمجموعة أديان، من غير المفاضلة بين دين وآخر^(٢٤).

٤. علم الأديان المقارن:

يعنى هذا العلم بالدراسة المقارنة الوصفية تارة، وبالدراسة النقدية بين الأديان تارة أخرى، من حيث المعتقدات والرؤى والكتب المقدسة، ويتناول هذا العلم دراسة

ديانات العالم الماضية والحاضرة، وتتوخى هذه الدراسة الديانات في ذاتها، واكتشاف ما بين الأديان من نقاط تشابه واختلاف، واستخلاص مفهوم الدين بشكل عام، وإيضاح السمات المميزة للشعور الديني، ويفحص هذا العلم جميع المعتقدات التي قمتها المنظومة الدينية بصرف النظر عن منشئها سواء أكان سماوياً أم وضعياً، ويؤدي الى الكشف عن أوجه الشبه والخلاف في تصوراتها بشأن العالم والإنسان والألوهية والمنشأ والمصير وغيرها، ويبحث هذا العلم في نشأة دين ما وارتقائه وانحطاطه، وأشكال تحوله وبقائه أو فناءه، وذلك في إطار الحياة الجماعية، وفي إطار التاريخ المقارن للأديان^(٢٥).

٥. علم الظواهر الدينية:

يحاول علم الظواهر الدينية حدس الظاهرة ووصفها كما تبدو لتجربتنا المباشرة، أي وصف طبيعتها وطرق تجلياتها وتعبيراتها عن نفسها، وتركز الظاهراتية على كلية التجلي الظاهراتي في التجربة الإنسانية، والتوجه إلى موضوع بحثها بوصفه أمراً قائماً في ذاته لا يمكن رده إلى ظاهرة أخرى تحتويه، وما يميز هذا العلم من غيره، ميله إلى العمومية وتقصيه كل ما هو مشترك وعام بين الظواهر الدينية، واستقصاؤه البنية الجوهرية والمعنى في الظاهرة الدينية من خلال وصف موضوعاتها وتنظيمها، ويتحاشى الظاهراتي فرض أحكامه وقيمه على موضوع بحثه، والموقف الظاهراتي يعنى بالحوادث والخبرات، وتقوم حقيقته على الوقائع لا على الأحكام، ولا يلتفت الباحث إلى ما وراء الظاهرة من محيط وتاريخ، ويحاول الظاهراتي اكتشاف مرتكزات الظواهر الدينية مثل الدعاء والفداء وما إلى ذلك، كما يسعى لاكتشاف مرتكزات الظواهر ذات الصلة بالدين مثل السحر والأسطورة، كذلك يسعى الظاهراتي لاكتشاف العناصر التي يتكون منها الدين، والأمور الثابتة في سائر الأديان أو في دين خاص، وليس بإمكان علم الظواهر الدينية الإلمام بالإلهي إلا عبر الإنسان الذي يمارس الظواهر والأنشطة الدينية، فهي تستطيع تحليل الإجابة التي يقدمها الإنسان عن تجلي أمر مقدس أو عن تجربة وجودية يحياها، والظاهراتية لا تهتم بالتطور التاريخي، بل تضعه بين قوسين؛ باحثة عن جوهر الأشياء، وهي تروم إرساء معنى كوني، لا تاريخ أديان محدود بمادته في الزمان والمكان^(٢٦).

٦. علم أنثروبولوجيا الدين:

يهتم هذا العلم بالبحث عن أقدم الأشكال الدينية التي ظهرت في المجتمعات الإنسانية، وتحري حقيقة المعتقدات التي كانوا يمارسونها ومدى تأثيرها فيهم، كذلك يتقصى هذا العلم إمكان وجود علاقة بين السحر والأسطورة مع الدين، ويهتم علم أنثروبولوجيا الدين بالمقارنة بين الأديان البدائية والأديان المتحضرة من حيث النواحي التطورية، كما يهتم بالعلاقة الجدلية بين التراث المكتوب للأديان العالمية الكبرى والممارسات المحلية لتلك الأديان، ويحاول هذا العلم تقديم رؤية وصفية للإنسان من منظور ديني في نطاق مجتمعي محدد، ويدرس جوهر الأديان وفصله عما يشوبه من تحريف وتسييس أو استعمال لأغراض ربما لا تكون من الدين في شيء^(٢٧).

الفرق بين فلسفة الدين وعلم الكلام:

سبق أن تحدثنا في المقدمة من أن الكثيرين يخلطون بين فلسفة الدين وعلم الكلام لذلك أرى من الضروري أن أعقد مقارنة بين كلا المجالين للتعرف على حقيقتهما ومدى اشتراكهما ببعض المسائل واختلافهما بمسائل أخرى وعلى النحو الآتي^(٢٨):

١. تعنى فلسفة الدين بالبحث عن المبادئ النظرية لمعرفة الدين، كما وتهتم بالبحث عن المشتركات بين الأديان، في حين أن علم الكلام في كل دين يهتم في المقام الأول بالدفاع عن أصول عقيدة ذلك الدين بإزاء العقائد الأخرى، ومحاولة تنفيذ العقائد المخالفة، فضلاً عن الدفاع عن عقائد فرقة دينية معينة من الفرق المنضوية تحت الدين الواحد إزاء الفرق الأخرى في الدين نفسه.

٢. ليست وظيفة فلسفة الدين دفاعية ولا مشغولة بدين معين دون آخر، بل هي معنية بالدين كله من حيث هو دين، وتنطلق من نقطة بدء موضوعية وعقلانية خالصة، أي تبدأ بداية غير منحازة، لكنها قد تنحاز في نهاية التحليل لدين ما بناءً على أسس عقلية محضة؛ لأنها تنتهج المنهج البرهاني، ويتخذ فيلسوف الدين العقل والواقع المتعين معياراً للتمييز بين الحق والباطل، أما علم الكلام فينطلق من نقطة بدء ذاتية تقوم على التسليم المطلق بصحة عقيدة ما؛ لذلك فهو يسير على مبدأ "أمن ثم تعقل"، ويتخذ المتكلم فهمه للنص الديني معياراً للتمييز بين الحق والباطل، ويكون علم الكلام من بدايته إلى نهايته منحازاً إلى دين معين، وينتجج المنهج الجدلي لتبرير أصول عقيدة ما.

٣. فلسفة الدين تمثل التفكير الفلسفي في الدين، في حين أن علم الكلام يمثل الدفاع العقلاني عن الدين، وهنا يتضح أن الدين في فلسفة الدين يكون في خدمة العقل، أما في علم الكلام فيكون العقل في خدمة الدين.

٤. فلسفة الدين تحاول البحث عن مدى عقلانية المعارف والمعتقدات الدينية بمحاكمة تلك المعارف والمعتقدات، وهنا تمثل فلسفة الدين معرفة بشرية للدين، أما علم الكلام فإنه يؤمن بالمعارف والمعتقدات لدين معين أولاً، وينقلها للآخرين بإثبات عقلانياتها ثانياً، وهنا يمثل علم الكلام معرفة دينية لدى البشر، فنلاحظ أن موضوع فلسفة الدين هو وجود الدين منظوراً إليه فلسفياً من منطلقات خارج إطار الدين بما قد ينتهي الى إثباته أو نفيه، أما موضوع علم الكلام فهو وجود الدين وارتباطه بالمنظومة الوجودية الكونية، إذ يراد إثباته والدفاع عنه من منطلقات داخل إطار الدين مؤسسة على اعتقاد سابق بوجود الدين وأحقية.

٥. في سياق منهج فلسفة الدين يتخذ العقل موقع الريادة؛ لوجود تلازم قائم بين المنهج العقلي وأي جهد فلسفي، أما العقل في سياق المنهج الكلامي فيتخذ موقعاً ثانوياً؛ لأنه مسبق بالمعرفة التي مصدرها الوحي ومسخر لخدمتها، والعقل في فلسفة الدين يجمع في آن واحد بين كونه أداة في الاستدلال والإثبات، وكونه مصدراً في المعرفة الفلسفية التي يفترض أن تكون غير مسبقة إلا ببديهيات العقل ومسلّماته، أما في الكلام فالعقل محكوم بالنتائج المستمدة سلفاً من الوحي، والمطلوب منه البحث عن المقدمات المفضية إليها، وهنا نجد العقل في فلسفة الدين يمثل العقل التحرري والموضوعي ويوصف بـ"العقل المعرفي"، في حين أن العقل في علم الكلام يكون خاضعاً لمعتقدات لا يمكنه الحياد عنها ويوصف بـ"العقل التبليغي".

الخاتمة:

ختاماً نستطيع أن نقول إن فلسفة الدين تعني الرؤية العقلية النقدية للموضوعات الدينية في محاولة منها لغرس بذرة الوعي الديني على وفق منطق عقلي سليم بما يسهم في التقريب بين الديانات السماوية والوضعية عن طريق إيجاد مشتركات عامة بينها، ولا تحسب فلسفة الدين ضمن المنظومة الدينية على الرغم من أنها تعنى بدراسة الموضوعات الدينية، وإنما تعدّ مبحثاً من مباحث الفلسفة شأنها في ذلك شأن فلسفة الأخلاق وفلسفة الجمال وما شاكلهما، أي أن المادة الأولية تؤخذ من الدين نفسه، لكن الأدوات المنهجية التي تستعمل في تحليل تلك المادة وفهمها تؤخذ من الفلسفة فنتنتج حديثاً فلسفياً يبحث في معقولية الموضوعات الدينية، وكيفية إثبات تلك المعقولية.

نلاحظ في بعض التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الدين المذكورة آنفاً تركيزاً على الجانب النظري وإهمالاً للجانب العملي، وهناك من ينظر إلى الدين من زاوية محددة بوصفه ظاهرة اجتماعية، ونظاماً تسيّر به الحياة - وهو أحد جوانب الدين - لكنه يسلب الجانب الروحي الممثل للمحتوى الداخلي للدين، ويجعل من الدين ظاهرة تابعة لثقافة الشعوب، ويلغي الفكرة المحورية التي يستند إليها الدين (مشكلة الألوهية)، وهناك من يقصر تعريفه على الأديان السماوية، ومن يجعل من الدين نزعة ذاتية مقصورة على مشاعر الفرد وصلتها بالإله، وهناك من يحصر الدين في غرفة مظلمة، فلا يرى إلا بفتح نافذة الأخلاق.

نستنتج من المقارنة بين الدين والفلسفة وجود اشتراك بين الدين والفلسفة في نوعية الأسئلة المتناولة، مع وجود اختلاف في كيفية التعاطي مع تلك الأسئلة، ويختلف كل من الدين والفلسفة في نقطة الانطلاق، فالفلسفة تنطلق من الحذر وعدم التسليم بأية فكرة مهما كانت قبل فحصها والشك فيها وضرورة التجرد الكامل، والتخلص التام من الأفكار المسبقة، في حين يبدأ الدين من مسلمة عقائدية وحقائق إيمانية مصدرها الوحي أو الوضع ولا سبيل للشك فيها، والدين نشاط عملي، أما الفلسفة فنشاط نظري، وإذا كان الدين سعيًا للاتحاد بالله، فالفلسفة تحليل لمفهوم الله ومفهوم الاتحاد.

نلاحظ في العلوم التي يستفيد منها فيلسوف الدين في مجال عمله تركيزاً على الجانب الذاتي للدين كما هو موجود في علم النفس الديني، والتركيز على العلاقة الثنائية بين العبد والمعبود، وما لهذه العلاقة من تأثيرات إيجابية أو سلبية في الفرد المؤمن، سواء أكان ذلك في تفكيره الذاتي أم كان في انفعالاته العاطفية أم كان في سلوكه الخارجي، وما يترتب على تلك الآثار مما في محيطه الخارجي نتيجة التفاعل المعيشي، وهذه المسائل تنفع فيلسوف الدين بتقويمها على وفق أسس عقلانية موضوعية، ومن تلك المسائل نشوء النزعة الدينية لدى الإنسان، ومراكز العلاقة بين العبد ومعبوده، أما في مجال علم الاجتماع الديني فنجد قد انتهج نهجاً موضوعياً للخروج من الذاتية؛ ورؤية الدين على ما هو عليه على أرض الواقع، ويحاول وصف الوقائع ومعالجتها على ما هي عليه؛ لأنه علم وصفي تقريرى، وتكون نظرة هذا العلم بوصفه ظاهرة اجتماعية شأنها شأن بقية الظواهر الأخرى مثل الثقافة واللغة وما إلى ذلك، أي أن الدين انعكاس للمحيط الاجتماعي ومقرراته نسبية تختلف من مجتمع لآخر، ولهذا يلاحظ أن علم الاجتماع الديني حين يود دراسة مجتمع معين لا يغفل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والثقافية التي تتمظهر في ذلك الدين، ومع

ذلك فإن تلك التقارير الوصفية التي يستخلصها عالم الاجتماع الديني نتيجة دراسته لدين معين تؤمّن لفيلسوف الدين معطيات جديدة، فيبدأ الأخير بتدقيق تلك المعطيات وتقويمها بناءً على معايير عقلانية، وتحري دوافع التغيير في الأديان.

وفي علم تاريخ الأديان وعلم الأديان المقارن نجد أنهما يهدفان إلى بيان تطور المعتقدات والشعائر والمؤسسات لدين معين أو لمجموعة أديان، وهذه كلها تهيئ ساحة نشاط وعمل لفيلسوف الدين؛ كي يبين الجذور والأسس الكلية والمعاني الثابتة للأمور الإلهية أو الأمور القدسية، وكشف علاقة القضية الدينية بالسلوك والآداب والرسوم الدينية وتحليلها بالطريقة العقلانية؛ وعلى هذا الأساس يهيئ علم تاريخ الأديان وعلم الأديان المقارن المادة والمعطيات لفلسفة الدين، وتضع فلسفة الدين الملاكات والمعايير التقويمية والتفسيرات لهذه المعطيات الدينية على وفق نظرية عقلانية نقدية محضة.

أما في علم الظواهر الدينية نجد أن العامل فيه يبحث عن مكونات الدين، وطرق تجليات الظاهرة الدينية، على النطاق الفردي أو النطاق الجمعي، وعلى الرغم من أن الظاهراتي يقدم رؤية وصفية تحليلية لهيكلية كل دين بعناصره ووظائفه، أجده بالمقابل يعمل على إعطاء رؤية وصفية تحليلية للدين كله، ولا شك في أن كل هذه المعطيات ستسهم إسهاماً فاعلاً في تزويد فيلسوف الدين بمعطيات تتعلق بالدين تنفعه في عمله، لكن الأمر سيختلف عند انتقالها من نظرة وصفية عند الظاهراتي، إلى نظرة نقدية عند فيلسوف الدين، في حين نجد في علم أنثروبولوجيا الدين أن العاملين فيه قد أسهموا إسهاماً فاعلاً في دراسة نشوء النزعة الدينية، والمعتقدات الدينية لدى الشعوب البدائية، وعلاقتها بالسحر والأسطورة، وهذه المضامين كلها تهيئ أرضية لفيلسوف الدين؛ لدراسة الحس الديني عند الإنسان الأول، وتحليل مفاهيم المعتقدات الدينية القديمة، ومدى تفاعلها مع السحر والأسطورة، وكل ذلك مبني على دراسة عقلانية خالصة.

وعند التمعن في المقارنة بين فلسفة الدين وعلم الكلام نجد وجود اختلاف بين المجالين من حيث الموضوع والمنهج والغاية والمسلمات المبدئية، فمن حيث الموضوع نجد المجالين يشتركان في معالجة مشكلات دينية عدة، غير أن الفرق يكمن في كيفية المعالجة لا في نوعية الأسئلة المثارة، إذ يحاول المتكلم معالجة تلك المسائل في إطار عقيدته، في حين أن فيلسوف الدين يحاول تناول تلك المسائل ضمن رؤية شمولية كلية، أما من حيث المنهج فنلاحظ أن المجالين يستعمل كل منهما العقل في أدواته واستدلالاته، غير أن الفرق بينهما يتجلى في أن العقل في فلسفة الدين يحتل

مرتبة الصدارة، وهو الأداة الرئيسية في تحليل المفاهيم الدينية والحكم على صحة المعتقدات الدينية، في حين نجد العقل يحتل المرتبة الثانية بعد مرتبة النص المقدس، وعلى العقل هنا أن يبذل أقصى ما في وسعه لإثبات صحة المعتقد الديني، وفي حال وقف العقل عند نقطة تصادم مع المعتقد الديني فإنه في مجال علم الكلام يفسح الطريق أمام ذلك المعتقد للمرور، أما في مجال فلسفة الدين فإنه لا يكتفي بسد الطريق على ذلك المعتقد، بل سيسعى إلى دحضه؛ لذلك نجد أن فيلسوف الدين ينتهج الأسلوب البرهاني في معالجة المشكلات الدينية، في حين ينتهج المتكلم الأسلوب الجدلي في المعالجة نفسها، أما الفرق في الغاية فنلاحظ أن الهدف محدد منذ البداية في مجال علم الكلام، ويعتمد المتكلم حينها إلى استعمال كل الوسائل الفكرية الممكنة لإثبات هذا الهدف المتمثل بالدفاع عن معتقد محدد، في حين أن الهدف غير واضح المعالم لدى فيلسوف الدين، وقد تؤثر النتيجة النهائية في الرؤية الاعتقادية لفيلسوف الدين؛ ذلك بأن الفيلسوف يسير على منهج عقلاني نقدي من غير فسح المجال لعواطفه بالتحكم في سيره البحثي، وكذلك وجدت فرقاً متميزاً آخر بين المجالين يتمثل في المقدمات التي يعتمد عليها كل طرف، إذ يعتمد فيلسوف الدين مجموعة من البديهيات العقلية المتفق عليها أصلاً بين العقلاء، في حين يعتمد المتكلم النصوص المقدسة التي يؤمن بها سلفاً.

الهوامش:

- ١- الخشت (محمد عثمان): تطور الأديان (قصة البحث عن الإله)، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٥١.
- ٢- صعب (أيوب): المقدمة في فلسفة الدين، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ص (٨٤ - ٨٨).
- ٣- (وليم جيمس) 1910 - 1842م: فيلسوف أمريكي وأبرز مؤسسي الفلسفة البرجماتية، ومن رواد علم النفس الحديث، له إسهامات مهمة في علم النفس الديني والتصوف، وصف جيمس الدين بأنه تجربة فردية جوهرها العاطفة الدينية لا الطقوس، وأن الشعور الديني شعور باطني بالمشاركة في موجود أعظم، وهو شعور بالانسجام والسلام، وأن الله موجود؛ لأن فرض وجوده نافع، للمزيد يراجع: بدوي (عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، ج١، ط١، ذوي القربى، قم، ١٤٢٧هـ، ص (٤٤٧ - ٤٥٠).

4- James, William: The Varieties of Religious Experience, Published by Arc Manor, Printed in the United States of America – United Kingdom, 2008, p. 31.

- ٥- (إميل دوركايم) 1917 - 1858م: فيلسوف اجتماعي فرنسي، مؤسس المدرسة الاجتماعية في فرنسا، كان يرى أن الحالات الوجدانية والعاطفية عند البشر لا تأتي من طبيعة الإنسان السيكولوجية كما ذهب إلى ذلك علماء النفس، إنما هي نوع من الشعور الذي ينمو عن طريق التفاعل الاجتماعي بحسب حجم الجماعات البشرية، وبحسب بعدهم أو قربهم من بعضهم، ولما كانت هذه الحالات الوجدانية هي من نتائج الحياة في

الجماعة؛ كانت طبيعة الجماعة وحدها من يستطيع أن يفسرها، ويرى أن الدين ظاهرة اجتماعية؛ فينتج أن الأفكار الدينية والطقوس المتعلقة بها ليست إلا رمزاً للعقل الجمعي، وعدّ المجتمع المصدر الوحيد للتجربة الدينية، للمزيد يراجع: الحاج (كميل): الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٠م، ص (٢٢٦ - ٢٢٩).

٦- النشار (علي سامي): نشأة الدين (النظريات التطورية والمؤلهة)، ط١، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، حلب، ١٩٩٥م، ص ٢٥.

٧- (ايمانويل كانت) 1804 - 1724 م: فيلسوف ألماني، يعد من أهم فلاسفة العصر الحديث؛ لما تمتاز به فلسفته من أصالة الأفكار وعمق المعاني، قسّم العقل الإنساني في كتاباته على قسمين: الأول العقل النظري، والثاني العقل العملي، يعنى العقل النظري بشؤون المعرفة والعلم، وإمكانية تحديد حقيقة الشيء عن طريق التجربة الإنسانية البعيدة مع معطيات العقل القلبية، وهو في هذا يحاول أن يوفق بين النزعتين العقلية والتجريبية في محاولة منه لبيان قدرة العقل على التفكير في قضايا ما بعد الطبيعة، أما العقل العملي فيعنى بشؤون السلوك الإنساني (الأخلاق)، وعند تحليله للأفعال الخلقية وجد أن صورة الفعل الأخلاقي تكمن في إرادة العمل على وفق الواجب، ولا يعد الفعل خلقياً عنده إلا إذا كان متحرراً من الدوافع والرغبات والميول الذاتية، وأن الخير الأعظم سيتحقق في عالم علوي يحكمه الله، ويعد وجود الله ضرورة يستلزمها العقل العملي حين يعجز العقل النظري عن البرهنة عليه، للمزيد يراجع: بدوي (عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، ج٢، ص (٢٦٩ - ٢٩١).

8- Kant, Immanuel: Religion within the limits of Reason alone, Translated by Theodore M. Greene and Hoyt T. Hudson, Harper and Row, Publishers, New York, 1960, p. 142.

٩- (محمد حسين الطباطبائي) (١٩٠٣ - ١٩٨١) م: عالم دين ومفسر وفيلسوف إسلامي، يلقب بالعلامة الطباطبائي.

١٠- (العلي (أحمد): فلسفة الدين والتدين، دار الكاتب الإسلامي، بيروت، بلا تاريخ، ص (٢٥ - ٢٦).

١١- (ألفرد نورث وايتهيد) 1947 - 1861 م: فيلسوف ورياضي إنجليزي، يرى أن الله هو المهيمن والمنظم لعالم الإمكان، ولولاه لدبت الفوضى في كل شيء، وهو العلة الخلاقية التي ينبثق عنها كل كون، وهو الذي يدفع كل ما تحقق إلى اتخاذ صور وأحداث تتجدد على الدوام، وهو أصل الإبداع في العالم الفعلي، والله في طابعه الأصلي يمثل العلة الكافية للكون المتعالية على العالم، وهو كامل في ذاته، أبدي وأزلي؛ وبذلك لا يشارك مباشرة في صيرورة العالم، غير أن طبيعته لا تقتصر على هذه الصفة الأصلية فحسب، بل إنه يتميز بصفة مثالية لاحقة تتغلغل في العالم، وتتدخل في عملية الصيرورة الخلاقية، وتتجلى هذه الطبيعة اللاحقة لله في علاقة خاصة قوامها العناية والمحبة، فالله حريص على أن لا يضيع شيء في العالم، وهذا يعني أن وايتهيد قد تصور أن لله طبيعتين: إحداها أصلية مفارقة للعالم، والأخرى لاحقة داخلية في العالم، للمزيد يراجع: بدوي (عبد الرحمن): موسوعة الفلسفة، ج٢، ص (٥٤٤ - ٥٥٣).

١٢- (ستيس (ولتر): الزمان والأزل (مقال في فلسفة الدين)، ترجمة: زكريا إبراهيم، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٣٧.

- ١٣- الحيدري (إحسان علي): فلسفة الدين في الفكر الغربي، ط١، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٣م، ص ٤٥.
- ١٤- المصدر نفسه، ص ٤٦.
- ١٥- صعب (أديب): الدين والمجتمع (رؤية مستقبلية)، ط٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٥م، ص (١٤٨ - ١٥٠).
- ١٦- الخشت (محمد عثمان): مدخل إلى فلسفة الدين، ط١، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، ٢٠١٦، ص (٣٥ - ٣٦).
- 17- Alston, William: Problems of Philosophy of Religion, "Encyclopedia of Philosophy", Ney York, Macmillan Publishing Co, 1967.
- ١٨- النشار (مصطفى): مدخل جديد الى فلسفة الدين، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٥٤.
- ١٩- كاشفي (محمد رضا): فلسفة الدين والكلام الجديد، بحث ضمن كتاب (علم الكلام الجديد وفلسفة الدين)، إعداد: عبد الجبار الرفاعي، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢م، ص (٤٢٠ - ٤٢٢).
- ٢٠- يقارن: جعفر (كمال محمد): الإنسان والأديان (دراسة ومقارنة)، ط١، دار الثقافة، قطر، ١٩٨٥م، ص (١٩٠ - ٢٠٠). مع: ميد (هنتر): الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٩م، ص (٤٣ - ٤٩).
- ٢١- يقارن: حب الله (حيدر): علم الكلام الجديد قراءة أولية، بحث ضمن كتاب (علم الكلام الجديد وفلسفة الدين)، ص (٣٩ - ٤٤). مع: شقير (محمد): دراسات في الفكر الديني (فلسفة الدين والكلام الجديد)، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م، ص (٦٧ - ٦٨). مع: المحمودي (مجتبى): مدخل إلى الكلام الجديد وفلسفة الدين، بحث ضمن كتاب (علم الكلام الجديد وفلسفة الدين)، ص (٤٠٥ - ٤٠٨).
- ٢٢- يقارن: كاشفي (محمد رضا): فلسفة الدين والكلام الجديد، بحث ضمن كتاب ((علم الكلام الجديد وفلسفة الدين))، ص ٤٢٦. مع: الخوري (بولس): في فلسفة الدين، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٤. مع: الخشت (محمد عثمان): مدخل إلى فلسفة الدين، ص ٣٦.
- ٢٣- يقارن: الخشاب (أحمد): الاجتماع الديني (مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية)، ط٣، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧٠م، ص (٤٠ - ٤٢). مع: شاهين (مصطفى): علم الاجتماع الديني، ط١، دار إحياء التراث للطباعة، مصر، ١٩٩١م، ص (٣٨ - ٣٩). مع: الخشت (محمد عثمان): مدخل إلى فلسفة الدين، ص ٣٦.
- ٢٤- يقارن: صعب (أديب): الدين والمجتمع (رؤية مستقبلية)، ص (١٤٦ - ١٤٨). مع: كاشفي (محمد رضا): فلسفة الدين والكلام الجديد، ص ٤٢٥.
- ٢٥- يقارن: الخوري (بولس): في فلسفة الدين، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٥. مع: جيب: علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ترجمة: عادل العوا، ط١، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٧٧م، ص ٥. مع: الخشت (محمد عثمان): تطور الأديان، ص (٣٤ - ٣٦).
- ٢٦- يقارن: السواح (فراس): دين الإنسان (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني)، ط٤، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ٢٠٠٢م، ص (١٣ - ١٥). مع: مسلمان (ميشال): علم الأديان (مساهمة في التأسيس)، ترجمة: عز الدين غناية، ط١،

- كلمة والمركز الثقافي العربي، (أبو ظبي - بيروت - الدار البيضاء)، ٢٠٠٩م، ص (١٧٠ - ١٨٥).
- ٢٧-يقارن: درنوني (سليم): محاضرات مقياس الأنثروبولوجيا الدينية، جامعة تبسة، الجزائر، بلا تاريخ، ص (٦ - ٩). مع: الخطيب (محمد): الأنثروبولوجيا الثقافية، ط٢، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ٢٠٠٨م، ص (٥٣ - ٥٧).
- ٢٨-يقارن: فياض (حبيب): مقاربات في فهم الدين، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٨م، ص (١٣٦ - ١٤٦). مع: الخشت (محمد عثمان): مدخل إلى فلسفة الدين، ص ٣٧. مع: المحمودي (مجتبى): مدخل إلى الكلام الجديد وفلسفة الدين، ص (٤٠٣ - ٤٠٤).

الفصل بين الإيمان والإلحاد

The separation between atheism and faith

م. د. حلا كاظم سلومي غباش

كلية الإمام الكاظم (ع) الجامعة - (قسم علوم القرآن والحديث)

Dr: Hala Kadhm Saloomi Ghobash

AL-kadhm imam College University

(The Quraan department Science)

alhabeebhk@gmail.com

الملخص

منذ فجر التاريخ و الحجة على وجود الخالق قائمة على عدة أدلة من أهمها دليل الإتقان و الإحكام ، و الذي يمكن اختصاره في قول أن الكائنات الحية تتمتع بخصائص و صلاحيات تمكنها من العيش و تلك الصلاحيات تحتاج إلى صنع و إتقان محكم لكي تتواجد و هذا لا يمكن حصوله إلا بوجود خالق عليم حكيم صنعه ووضع كل شيء في موضعه، أما الفكر الإلحادي يذهب إلى القول: المنهج التجريبي هو الطريق الوحيد للمعرفة هو قادر على استيعاب كل أنواع الحقائق إذا كان الله يريد أن نؤمن به فلماذا لا نراه جهرة وينتهي الأمر ؟! ليس الدليل الحسي المباشر أقوى أنواع الأدلة وانسبها لقضية مصيرية مثل هذه ؟ هل فعلا لا يوجد أدلة حقيقية في قضية الإيمان بالخالق؟.

Abstract

Since the dawn of history and the argument for the existence of the Creator based on several evidence of the most important evidence of mastery and judgments, which can be shortened in saying that living organisms have the characteristics and powers to live and those powers need to manufacture and mastery of the arbitrator to exist and this can not be obtained But the existence of a wise and made him put everything in place, but the atheistic thought goes to

say: the experimental approach is the only way of knowledge is able to absorb all kinds of facts if God wants to believe in it, why not see it loud and end? Is not the direct sensory evidence the strongest and most appropriate type of evidence for such a fateful cause? Is there really no real evidence in the issue of faith in the Creator?

المقدمة:

خلال السنوات الأخيرة، انكسر جدار الصمت في المنطقة العربية ، وبدأت أصوات الذين يعتبرون أنفسهم من فئة الملحدين، تعلو وتجذب أنظار العالم. إلا أن الإلحاد ليس بجديد في المنطقة، إذ ثمة أدلة على وجود ملحدين في الإسلام عُرفوا بالدهريين الذين لا يؤمنون بوجود الخالق ويعتقدون بقدم العالم، وقد ذكرهم القرآن في سورة الجاثية، الآية: ٢٤ {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}. كما أن في المنطقة مفكرين "ملحدين" معروفين من أبرزهم ابن الرواندي وأبو بكر الرازي. برغم كون فكرة إنكار الخالق كانت مستبعدة في كل العصور، إلا أن الإلحاد شقّ طريقه بصعوبة أكبر في العالم العربي والإسلامي لأسباب عدة كطبيعة المجتمع الشرقي حيث ينتمي الفرد إلى مجتمع ويتخذ قراراته مراعيًا المجموعة، بالإضافة إلى ظهور الحركات الإسلامية التجديدية التي تسعى إلى جذب المعتدلين، ما زال المجتمع العربي المحافظ بأغلبيته لا يتقبل الأشخاص الذين يعبرون عن أنفسهم كملحدين علناً برغم أنه يتقبل عدم ممارسة الأفراد للتعاليم الدينية، في بعض الدول العربية لا يعتبر الإلحاد غير شرعي بحدّ ذاته إلا أنه غالباً ما تحرّم القوانين إهانة الدين^(١). المؤمن عكس الملحد يرى ان للحياة مبدأ ومعنى وغاية، وان الله هو مبدأ الكائنات ومعناها وغايتها، لذلك يستطيع ان يتغلب على ما يشعر به من قلق، فالموت لن يعود في نظره نهاية كل شيء بل دخول في حياة الله؛ والحياة لن تعود فراغاً وعبثاً، بل اشتراك مع الله في متابعة خلق العالم؛ والخطيئة لن تقوده إلى اليأس والخوف من الهلاك الأبدي، بل تحمله على الرجاء برحمة الله اللامتناهية، وهكذا يجد في الله الحلّ، الله الذي ينشده للخروج من قلقه والسيطرة على تناقضات حياته والعيش في أمان وسلام، اما الملحد فيرفضه الله يرفض أن يكون للحياة مبدأ دائم ومعنى مطلق وغاية أخيرة ، فهو يكتفي بأن يحيا في النسبي من الأمور، وإن رأى في الكون ما يبرّر الحياة ويجعلها حلوة في نظره، فلن يتمكن من حلّ مجمل ألغازها والإجابة على التساؤلات القصوى التي لا بدّ له من طرحها يوماً في ميادين المعرفة والعمل والرجاء ماذا نستطيع أن نعرف؟ لمّ الحياة ولمّ الكون؟ من أين يأتي الإنسان؟ وإلى أين هو ذاهب؟ ولمّ هذا العالم؟ ما هو مصيرنا الموت النهائي الذي سوف يقضي على كل شيء؟ ما الذي يحملنا على البقاء بجرأة على قيد الحياة؟ وما الذي يحملنا أيضاً على قبول الموت بجرأة؟ إن تلك الأسئلة تهمّ الناس جميعاً: الجهّال والحكماء، الضعفاء

والأقوياء، المرضى والأصحاء، الموتى والأحياء، في وسط كل ما هو معرض للتحوّل والتغيّر والزوال والفناء، هل من حقيقة ثابتة تسند الكون وتسند الانسان وتمنعه من الانقياد إلى اليأس؟ لا جواب لأي من تلك الأسئلة عند الملحدّين، فالملحد لا يرى إلا ما تقع عليه حواسه، ولا يقبل إلا ما يدركه عقله إدراكاً مباشراً، ولكنه برفضه الانفتاح على ما يتجاوز العقل والحواس، يحصر الانسان في حدود ضيقة هو مدعو الى تجاوزها، ويغلق على العقل في آفاق قصيرة المدى هو مدعو الى الذهاب أبعد منها، وبذلك يجرم الى الانسان والى العقل الانساني ويبقيهما في حيرة وخوف وقلق، يرى الملحد أن المادة، أصل كل شيء وكل فكر وكل روح؛ انها أزلية لا شيء قبلها ولا كائن آخر أوجدها^(٢). ومن جهة أخرى ، فإن نشاط الملحدّين في نشر الإلحاد في صفوف المسلمين، ليخرجوا من نطاق الغربة بكثرة أعدادهم، وليعلوا صوتهم فيها، كما تتناول وسائل نشر الإلحاد ومن أهمها: الكتب الإلحادية التي تباع أو تنتشر، والقنوات الفضائية من خلال عرض مفاهيم إلحادية واضحة أو مبطنّة، أو اللقاءات المباشرة مع الشباب، وقد يعتبر الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي واليوتيوب من أخطر وسائل نشر الإلحاد بين الناس. ومن هذه الوسائل أيضاً: المنتديات العامة، والمدونات والمواقع الإلحادية، والروايات المنحرفة عقائدياً، وغير ذلك من السبل والوسائل التي تتطور وتزداد يوماً بعد يوم. ولا بد من وسائل للمواجهة التي يجب أن تكون وقائية وعلاجية، أما الوقائية فمنها: العكوف على كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) تلاوة وتدبراً، وتذوق طعم الإيمان من خلال التأمل في صفات الله وسيرة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وغرس العقيدة الصحيحة في النفوس بكل الوسائل، والارشاد الثقافي للشباب، وتأصيل المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات، ورعاية شباب الأمة في الغرب، وإقامة حكم الله في من وقع بالكفر الغليظ للردع، وأما عن سبل المواجهة العلاجية لمن وقع بالفعل في حمأة الإلحاد فمن خلال المناصحة الإيمانية والعقلية لكل مسلم عرضت له شبهة إلحادية فوقع في شك غير أنه لا يدعو إليه ولا يسخر من الشريعة، والرد والمناظرة والمحاجة على الملحد المقيم على الإلحاد والداعي إليه الساخر من الشريعة^(٣).

قسمت البحث الى ملخص ومقدمة ، وأربعة مباحث، و جاء المبحث الأول بعنوان (الإلحاد تعريفه وذكره في القرآن وأسبابه) حاولت فيه أن أتعرض الى تعريف الإيمان والإلحاد لغة واصطلاحاً والتعرف على ذكره في القرآن الكريم وأسباب الإلحاد، اما المبحث الثاني حمل عنوان (جنور الإلحاد و رؤية الملحدّين إلى العلوم الطبيعية) ، تناولت فيه تاريخ الإلحاد و جنوره والفصل بين العلم والدين ونظرة الملحدّين إلى عالم الغيب ، أما المبحث الثالث فقد حمل عنوان (ترك الأُلحاد والعودة إلى الإيمان) حيث تحدثت عن ثلاثة نماذج من العلماء ، اما المبحث الرابع :فقد جاء بعنوان (الغاية من الوجود ونهاية العالم والايمان بالموت والبعث) ،وتناولت فيه العلاقة بين الوجود ونهاية العالم والايمان بالموت، وأنهيت البحث بالخاتمة .

المبحث الأول : تعريف الإيمان والإلحاد في اللغة والاصطلاح ، وذكر الألحاد في القرآن وأسبابه.

المطلب الأول: تعريف الإيمان والإلحاد لغة واصطلاحاً .

الإيمان : لغة:الإيمان أَيْمَنَ يُؤْمِنُ ، إيماناً ، فهو مُؤْمِنٌ : و الإيمانُ شَرَعاً : التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان.(٤)

الإيمان اصطلاحاً: أمن : الأمان : والأمانة بمعنى : أمنت فأنا آمن ، وأمنت غيري من الأمن والأمان . والأمن : ضد الخوف . والأمانة : ضد الخيانة . والإيمان : ضد الكفر . والإيمان : بمعنى التصديق ، ضده التكذيب . يقال : آمن به قوم وكذب به قوم ، فأما أمانته المتعدي فهو ضد أخفته ، وفي التنزيل العزيز : وَأْمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ.(٥)

الإلحاد لغة: يقال: أَلْحَدَ الرجل، إِذْ مالَ عن طريقة الحقِّ والإيمان، وسُمِّيَ اللَّحْدُ لأنه مائلٌ في أحدِ جانبي الجَدَث. وكلمة الإلحاد كلمة عربية فصيحة، قال ابن فارس: اللام والحاء والذال أصلٌ يدلُّ على ميلٍ عن استقامة. يقال: لَحَدْتُ المَيْتَ وألحدت، والمُلْتَحِدُ : الملجأ، سُمِّيَ بذلك لأنَّ اللاجئَ يميلُ (٦) وقال الليث: أَلْحَدَ في الحرم إذا ترك القصد فيما أمر به ومال إلى الظلم فالإلْحَادُ: العُدُولُ عن الاستقامة والانحراف عنها(٧)

الإلحاد اصطلاحاً :وجاء المعنى الاصطلاحي للإلحاد عند علماء الشريعة والعقيدة مرتبطاً بالمعنى اللغوي، غير بعيد عنه، قال الأزهري: معنى الإلحاد: الميل عن القصد. وقال :ابن سيده وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء، ولأحد فلان فلانا: اعوج كل منهما على صاحبه ومالا عن القصد، والملتحذ: الملتجأ و الملجأ، أي لأنَّ اللاجئَ يميل إليه،(٨) قال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِذًا﴾ (٢٢) سورة الجن.

المطلب الثاني : الإلحاد في القرآن الكريم

قال تعالى : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ) (الحج ٢٥) أي انحرفا بظلم، وقد أَلْحَدَ في الحَرَمِ: تَرَكَ الْقَصْدَ في ما أُمِرَ به ومالَ إلى الظلم، وألحد في الحرم: أشرك بالله تعالى، وقيل: الإلحاد فيه: الشك في الله، وقد نقل عن ابن عباس(رض) وقتادة أن الإلحاد هو التكذيب والشرك وقوله "يلحدون" أي يشركون ثم قال: وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، والجور عنه، والإعراض، ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم، ولذلك قيل للحد القبر: لحد، لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه(٩) فكلمة الإلحاد جاءت في القرآن بمعنى الشرك والتكذيب، وقد وردت كلمة الإلحاد ومشتقاتها في القرآن في

مواضع عديدة كما في، سورة النحل: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل: ١٠٣)، وكذلك (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْقُقُونَ عَلَيْنَا أَقْمَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ آمَنَ يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (فصلت: ٤٠) وكلمة الإلحاد في القرآن لا تأتي بمعنى الإلحاد بالمفهوم الحالي المعاصر المتعارف عليه، وكذلك الشخصيات المذكورة في القرآن من الذين كانوا لا يؤمنون بالرسالة النبوية كانت شخصيات غير ملحدة (بالمفهوم المعاصر) بل كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة "مشركون" فرغم اعتقادهم بوجود الإله الأوحد فإنهم كانوا في نفس الوقت يؤمنون بأن التماثيل التي كانوا يعبدونها باستطاعتها الشفاعة لهم عند الإله الأعظم: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (العنكبوت ٦١) وفكرة إنكار وجود الخالق من الأساس فكرة مستبعدة تماما في كل العصور، لأن الإنسان فطر على وجود إله خالق، وهذه حقيقة لا ينكرها حتى الملحد، لكنه يعاند ويكابِر (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...) (النمل: ١٤)، يقول المؤرخ الإغريقي بلوتارك: "لقد وُجِدَتْ في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدا مدن بلا معابد^(١٠) فإبليس هو أبو الملحدين قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } (البقرة: ٣٤) وقال عز من قال: {إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (ص: ٧٤) ، فالفسق والكفر هما أصل الإلحاد وعينه، وهذه هي بذرة الإلحاد الأولى^(١١).

المطلب الثالث : أسباب الإلحاد

يمكن تلخيص أسباب الإلحاد بما يلي:

- ١- الهزيمة الحضارية التي استولت على نفوس كثير من الشباب أدت لاحتقارهم لأمتهم وإرثهم العقائدي، مع انبهار وإعجاب بتفوق الغرب الملحد.
- ٢- عدم فهم قضية القضاء والقدر على وجهها الصحيح.
- ٣- غسيل العقول الذي يتعرض له من يسكن في الغرب كسائح أو مبعث أو غير ذلك.
- ٤- حب الشهوات والرغبة الجامحة في الانفلات تحت شعار "الحرية الفردية".
- ٥- وقوع مشكلات وتناقضات في نظر الملحد - لاسيما الشباب - تجاه الدين، وهو سبب مفهوم في النصرانية، وراجع للخرافات من أهل البدع بين المسلمين.
- ٦- الجهل بدين الإسلام ومحاسنه.
- ٧- سبب راجع للملحد نفسه، من خلال الكبر في نفسه^(١٢).

تذهب الباحثة إلى أن الإلحاد وصف لأي موقف فكري لا يؤمن بوجود إله، لأن شرط العلم - عندهم - هو أن يكون المعلوم قضية منطقية صحيحة، مثبتة، ويمكن الاعتقاد بها، ولما كان ادعاء وجود إله - حسب اعتقاد الملحد - غير مثبت فإن التصديق بوجود إله ليس علماً، وإنما هو نمط من الإيمان الشخصي غير قائم على أدلة وما يقدم بلا دليل يمكن رفضه بلا دليل، ومن هذا فإن الإلحاد - عند الملحدين - هو موقف افتراضي بمعنى أنه ليس ادعاء وإنما هو جواب على ادعاء بالرفض، ومن ثم يُعرّف الإلحاد بأنه: عدم الإيمان بوجود إله وليس إنكاراً للأدلة العلمية والعقلية ونحوهما على وجود صانع واع للكون والحياة ومستحق للعبادة (الله سبحانه وتعالى) ، فالإلحاد ليس إنكاراً لكنه عدم إيمان ولا يتطابق مع فعل إبليس وقوله حيث قال: (رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الحجر: ٣٦) وقال: (لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ثُرَيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: ٦٢) (فقوله " رَبِّ "، وقوله: " إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " دال على أنه يؤمن بالرب ويؤمن بالآخرة يوم القيامة وهذا يكشف عن أنواع ودرجات مختلفة للكفر والإلحاد.

المبحث الثاني : جذور الإلحاد و رؤية الملحد إلى العلوم الطبيعية

المطلب الأول : جذور الإلحاد:

روي عن أهل الكتاب وأهل الفلسفة والتصوف أثر بالغ السوء في باب ظاهرة الإلحاد، فقد أدى ذلك إلى القول على الله بغير علم، لم ترد لا في كتاب الله "القرآن الكريم"، ولا في سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو عند الفلاسفة مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت^(١٣) أبرز وأزهى مرحلة وصل لها الإلحاد، كانت على يد أبو بكر الرازي الكثير يجهل هذه الحقائق لسبب ما، فهو أحد النوادير الذين تحرروا من فكرة ارتباط الإلحاد بسبب ميله لفلسفات شرقية مثلاً أو غيرها، أو محاولة التستر بإظهار بعض الإيمان بالله وأمور عقائدية والعودة لاحقاً إلى مهاجمة الرسل والتشكيك في صحتهم، وهذا ما لم يكن يفعله أبو بكر الرازي، فقد كان فذّ العقل، لدرجة منعه من الرضوخ، ومن كتبه على سبيل الذكر: خوارق الأنبياء، وأنكر على المعتزلة محاولة إدخال العقل بالدين، بحجة أن الفلسفة والدين لا يجتمعان ومن^(١٤) (مقولاته: (أنكم تدعون أن المعجزة قائمة موجودة وهي القرآن من أنكر ذلك فليأت بمثله إن أردتم أن نأتي بمثله في الوجوه التي يتفاضل بها الكلام فعلينا أن نأتيكم بألف مثله من كلام البلغاء والفصحاء والشعراء ما هو أطلاق منه ألفاظاً وأشدّ اختصاراً في المعاني وأبلغ أداءً وعبارة وأشكل سجعاً، والله تعجبنا من قولكم القرآن معجز وهو مملوء من التناقض ، وهو أساطير الأولين ، وهي خرافات. وأيم الله لو وجب أن يكون كتاب حجة لكانت كتب أصول الهندسة ، والمجسطي^(*) الذي يؤدي إلى معرفة حركات الأفلاك والكواكب ، ونحو كتب

المنطق وكتب الطب الذي فيه علوم مصلحة للأبدان أولى بالحجة مما لا يفيد نفعاً ولا ضرراً ولا يكشف مستورا^(١٥) ومن أمثال الرازي. منهم أبو العلاء المعري الذي أعتزل الحياة في آخر حياته، وصام عن أكل اللحوم، وهو القائل:

عقول تستخف بها سطور ولا يدري الفتى لمن الثبور

كتاب محمد وكتاب موسى وإنجيل ابن مريم والزبور^(١٦)

أو أبو نواس الذي يعرف بشاعر الخمر، وهو القائل:

دع المساجد للعباد تسكنها وطف بنا حول خمار ليسقينا

ما قال ربك ويل للذين سكرُوا ولكن قال ويل للمصلين^(١٧)

ولكنه تاب عما كان فيه وأتجه إلى الزهد وقد أنشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك، هؤلاء الثلاثة مثلوا أهم تطورات الإلحاد بمراحله في التاريخ الإسلامي لغيرهم من الملحدين أو الزنادقة على حدّ تعبير الفقهاء اما مصطلح اللادينية وعلاقته بالإلحاد فهو يعني عدم الإيمان بأي دين ورفض جميع الأديان لكونها (حسب رأيهم) صنع ونتاج فكري بشري، واللا دينية هي عنوان عريض يندرج تحته الكثير من التوجهات والقناعات الفكرية والفلسفية والعلمية المرتبطة بالأسئلة الجوهرية عن خلق الكون ومغزاه وعن السياسة والأخلاق، ولكن تعريف اللادينية بشكل مبسط الاعتقاد أن أي دين من صنع الانسان وليس من عند الله^(١٨)

المطلب الثاني : الإيمان بالشيء بدون دليل:

كثير من الملاحدة إلحادهم بدون دليل و كثير من المؤمنين أيضا إيمانهم بدون دليل والذي أقصده بهذا أن الشخص يتبع مذهباً معيناً لرغبته المسبقة في ذلك بدون أن يطلب الدليل عليه أو أن يكون كل ما في جعبته عبارة عن أدلة مغلوطة و لذلك يسهل هدمها لكنه لن يترك معتقده حتى لو سقطت أمامه كل أدلته و سيظل يكرر مغالطاته دائماً و بدون أن يقف مع نفسه لحظة إنصاف واحدة أو أن يحاول البحث عن الأدلة الصحيحة ، فليس هناك دائماً أسهل من أن تصم أذنك و تبقي على ما أنت عليه ، هذا لا يعني أبداً أن الفريقين سواء ، لأنه شتان بين من أحب الدين وتمنى أن يكون هو الحق وبين من أحب الإلحاد و تمنى أن يكون هو الحق ، وهذا لا يعني أيضاً أن الإيمان لا يصح إلا إذا طلبت عليه الدليل أولاً لأن حب الخالق والخوف منه والتدين له هو الفطرة فلو قلنا لا تحب قبل أن تطلب الدليل نكون كمن يقول لمن يحب أمه وأبيه وزوجته وأبنائه لا تحب قبل أن تطلب الدليل^(١٩) لكن إذا كنا في زمان يحارب فيه

الدين و كنت صادقاً أيها المؤمن في إيمانك فلتكن حياتك لله حقاً و لتدافع عن أعز ما تملك و لتعد لتلك الحرب عدتها، فلا يتصور أبداً أنك تعلم أن هناك عدواً سيهاجم أعز ما تملك و أنك عازم على مواجهته ثم أنت لم تعد أي شيء لتلك المواجهة قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً....﴾ (٤٦ سورة التوبة) و لا يحسن بك كذلك أن تصنع سيفاً من ورق ثم تستميت في الجدل عن مدى قوته و حدته إلى أن يحين وقت لقاء العدو المنتظر.^(٢٠) وأنت أيها الملحد إذا كنت عازماً على المضي قدماً في ما أنت عليه مهما ظهر لك من أدلة علي نقيضه فلن تضر إلا نفسك ، و لو بحثت عن الحق لوجدته لكنك لا تريد و لا تحب ذلك و لن ينفعك جهلك بالحق يوم القيامة لأنك أنت الذي أغضت عينيك عنه كي لا تراه^(٢١)

المطلب الثالث: الرؤى الإلحادية للعلم والدين

يقول: العالم الأشهر أحد الفائزين بجائزة نوبل بعلم الفيزياء (٢٢) Max Planck ماكس بلانك (العلم الطبيعي لا يستطيع حل اللغز المطلق للطبيعة، وذلك لأنه في التحليل الأخير نكون نحن أنفسنا جزءاً من الطبيعة، وبالتالي جزء من اللغز الذي نحاول حله)^(٢٣) ولذلك فإن حاكمية العلم الطبيعي على الدين تتمثل فقط في البحث والتأكد من نصوصه العقلية والطبيعية الكونية، للحكم على صدق هذا الدين أو كذبه، وليس من شأنها نفي غيبياته بالكلية لمجرد أنها لا تخضع لأدوات بحثه المادية! فإذا تعارضت الحقائق اليقينية المكتشفة في العلم الطبيعي مع عقلانية ونصوص دين ما، فهي تعطي مؤشراً للعقل ساعتها بترك هذا الدين وأنه ليس من لدن الخالق الحق لكل هذا الكون وما فيه ، وأما إذا تطابقت هذه الحقائق اليقينية أو أكدت صحة نصوص هذا الدين ووصف الخالق فيه بالحكمة وكمال العلم: فهي حينئذ تأخذ العقل خطوة إلى الأمام للتمسك أكثر بهذا الدين وتصديقه واتباعه، يقول عالم الفيزياء الفلكي هوتن تايلور^(٢٤) الاكتشاف العلمي هو أيضاً اكتشاف ديني، ليس هناك تعارض بين العلم والدين، معرفتنا عن الله تصبح أكبر مع كل اكتشاف نكتشفه عن العالم^(٢٥)

المطلب الرابع: رؤية الملحد إلى عالم الغيب:

إن الرغبة الجامحة لملامسة الغيب ومحاولة فك أسرارهِ والخروج عن حدود الملموس والمرصود هي رغبة أصيلة في عقل الإنسان وفضوله العلمي إذا صح التعبير، إنها تشبه إلى حد كبير إنساناً محبوساً داخل سجن صغير، وهو يعرف أن قدراته الحركية تفوق هذا الحيز المحدود الخائق بكثير، وبمثل هذه الحاجة الملحة نجد العالم الملحد لا يكتفي بحدود هذا السجن من العلوم الطبيعية التي باتت محدودة بشقيها شق الزمان، مثل جهل ما قبل الانفجار الكبير وزمن بلانك وجهل المستقبل الكوني في انهياره أو ثبوته، وشق المكان، وهو صدمته في تتبع مرصود اتساع الكون بسرعات أكبر من

سرعة الضوء أو في تتبع مرصود الجسيمات دون الذرية التي يؤثر عليها وأجهزته نفسها ساعة الرصد حيث يرصد بفوتون الضوء فوتونا ضوئياً مثله فيصطدمان !إنه سجنٌ حقيقي لمن يعلم، سجنٌ يتألم فيه العالم الملحد نفسياً وهو عاجز عند تلك الحدود الطبيعية، إذا ما رأى مقارنة الناس بينه وبين علماء الدين والدنيا المؤمنين، والذين يجدون في أديانهم إجابات عن ما قبل وبعد خلق الكون والمكان والزمان، ومن هنا - وحتى لا ينسحب البساط من تحت قدميه - فلن نجده يرضى بمثل هذه الهزائم أبداً إلا أن يخترع لنفسه غيباً هو الآخر يستطيع به سد فراغاته المعرفية، ولتقديمه إلى الناس في صورة تصبرهم على الإلحاد مثله، أو كما قيل: "مَنْ يُنْكَرِ المِيتافيزيقا، يتفلسف ميتافيزيقا!" والآن.. هل يمكن لأي ملحد شجاع أن يُقارن كل هذه الإيمانيات الغيبية الميتافيزيقية الإلحادية باتهاماته الجاهزة لنظرية التصميم الذكي مثلاً، والتي يسوقها لينفي دلالتها على وجود الخالق فيقول كما نسمع ونقرأ منهم كثيراً نظرية التصميم الذكي ليست علماً لأنها تتعامل مع كيانات لا يمكن ملاحظتها^(٢٦) ولذلك فلا عجب من المقال العلمي النقدي اللاذع الذي وجهه عالم الكونيات الشهير للسخرية من فرضية الأكوان المتعددة التي لا يمكن إثباتها، والتي وصل عددها حسب ما قاله الملحد(ستيفن هوكينج Stephen Hawking) إلى ١٠ أس ٥٠٠ احتمال^(٢٧) وذلك في محاولة إلحادية بنيسة للهروب من تفسير الأحكام المُتقن لقوانين الكونالتي ألجمتهم وهم يحاولون نفي دلالتها على القصد والغاية الحكيمة للخالق فإذا فهمنا هذا التناقض الصارخ لرأينا العلم وهو يميل في كفة الإيمان عن الإلحاد بالكلية، إذ امتاز الإيمان أولاً بصدق فرضياته المتناسقة مع روح العلم وانتظامه، وثانياً مع معقولية استدلالاته على وجود الغيب من آثاره المادية في الطبيعة والكون المرصود.^(٢٨)

المبحث الثالث: ترك الإلحاد والعودة الى الإيمان:

يجدر بنا أن نسأل سؤالاً وجيهاً واقعياً بعيداً عن تهويلات الملاحدة وتشويهاتهم المتعمدة لوجه العلم للأسف- وهو على مدار التاريخ، ولا سيما مع عصر النهضة العلمي الحديث على يد المسلمين، هل هناك ما يمنع علماء الطبيعة والعلم التجريبي فعلاً من الإيمان بالله أو بإله خالق لم يروه؟ والإجابة على السؤال هو لا تعارض أبداً بين العلم الطبيعي التجريبي الذي يبحث في الموجودات، وبين استدلال العقلاء والعلماء واستخراجهم منه ما يدلهم على الخالق والصانع الحكيم العليم الخبير المرید سبحانه، تلك الصفات الممكنة استنباطها من غير الحاجة حتى إلى وحي -لأن هناك صفات لا نعرفها إلا بوحى من الخالق ذاته ورسله-ولذلك نرى الإسلام خصوصاً - وفي كتابه المحفوظ القرآن- لم يُعل شأنا بعد إخلاص الإيمان بالله مثل ما أعلى من شأن العلم والعلماء، بل ووصفهم بأنهم أحق الناس بخشية الله إذ يعرفون من صفاته ومن عظمتهم ما لا يعرفه غيرهم فيقول: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (فاطر: ٢٨) قد أبهروا العالم في شتى العلوم الطبيعية، ولم يروا أبداً أي

تعارض أو أي عائق بين البحث في الكون والموجودات وبين الإيمان بخالق يدل عليه كل شيء من مخلوقاته، حيث برعوا مثلاً في شتى علوم الكيمياء والطب والجراحة والتخدير والتشريح وعلوم النبات والحيوان وعلوم الفلك والتفسير والتسيير الذاتي والميكانيكي.. وغير ذلك الكثير الذي يصعب حصره وإنما يمكن التعرف على بعض ملامحه من موقع ألف اختراع واختراع. ولعل ذلك ما أورث (روجر بيكون) تعزيز إيمانه بالله رغم أنه يُعد في عين الغرب زوراً وبهتاناً- واضع أسس المنهج التجريبي^(٢٩)، في حين أنه لم يكن في الحقيقة إلا ناقلاً له من علماء المسلمين ويؤكد ذلك (ثلاثة علماء امثال Johnhlehg Maxson Stillman^(٣٠) وMark Smith^(٣١) وNader El-Bizri^(٣٢) كتبهم تشهد على ان روجر بيكون كان ناقلاً العلم التجريبي من علماء المسلمين الذين احتك بهم وتعلم منهم كيف يقف العالم المؤمن بالله في معمله ليُسجل ملاحظاته ويُجهز تجاربه ويختبر صحة فرضياته بعيداً عن الآراء الوهمية المُسبقة بلا دليل إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربي في مدرسة أكسفورد على يد خلفاء معلمي العرب المسلمين في إسبانيا، وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن يُنسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي^(٣٣)، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلامي التجريبي إلى أوروبا المسيحية.. " إلى آخر ما قاله في إثبات أولية المسلمين وتفوقهم وإبداعهم في المنهج التجريبي (لا يُمكن أن يُوجد أبداً أي تعارض بين الدين والعلم، بل كل منهم مُكملٌ للآخر، وأعتقد أن أي شخص جاد وصادق يُدرك ذلك، وذلك لأن العنصر الإيماني في طبيعته سيظهر حتماً إذا تكاثفت كل قوى نفسه وتكاملت معاً بكل انتران وتناسق، وفي الحقيقة لا يُعد من الصدفة أن أعظم المفكرين في كل العصور كانوا نفوساً ذات إيمان كبير^(٣٤). فإذا تركنا الإحصائيات المُضلة التي يُظهرها الملاحظة عن نسبة العلماء الملحدون في جمعية كذا أو معهد كذا.. إلخ، وهي الإحصائيات التي تتسم غالباً بعدم الموضوعية لخضوع معظم هذه الجمعيات والمعاهد ومن فيها من العلماء لاعتبارات رسمية تتعلق بتمويل الأبحاث والدعم المادي، نجد أن أكثر الفائزين بجائزة نوبل مثلاً هم من أصحاب الأديان سواء من العلوم الطبيعية أو غيرها كالأدب ونحوه!^(٣٥) ونرى أن هناك من العلماء الملاحظة من انزاحت عن أعينهم الغشاوة ليفيقوا على حقيقة الخداع العقلي الذي كانوا فيه حيث بدلاً من أن يكون وجود الخالق هو بديهية البديهيات التي يؤكدُها العلم والعقل والوجدان معاً، فبينهم من أفاق قبل الرحيل الأخير مثل (انتوني فلو) ومنهم من أفاق في منتصف العمر مثل (جفري لانج) أو (مصطفى محمود) وسوف يكون بحثنا القادم - إن شاء الله- فأمثال هؤلاء العلماء في كل زمان ومكان هم البشر الذين صدقوا مع أنفسهم، واتبعوا ما وصلهم من رسالات الله تعالى، سواء كانت الإسلام الخاتم أو غيره، فأمنوا به واستجابوا لنداء ربهم عز وجل تركوا الإلحاد وعادوا إلى الإيمان (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩)

المطلب الاول : - أنتوني فلو Antony Flew

فيلسوف بريطاني ظل ملحداً طوال حياته ، وفي آخر حياته ألف كتاب " هناك إله " ترك الإلحاد وعاد إلى الإيمان، وكان يعد من أشرس الملاحدة في القرن العشرين، يقول: (لقد صرت على قناعة كاملة بأن الكون ظهر إلى الوجود عن طريق خالق ذكي، وأن ما في الوجود من قوانين ثابتة متناغمة تعكس ما يمكن أن نسماه فكر الإله، كما أوّمن بأن نشأة الحياة والتنوع الهائل للكائنات الحية لا ينشأ إلا عن مصدر سماوي. لماذا أصبحت هذه قناعتني ، بعد أن ظللت ملحداً لأكثر من نصف قرن؟ إن العلم الحديث يتجلى بخمسة أبعاد تشير إلى الإله الخالق : الكون له بداية ، وخرج من العدم، أن الكون ، بما فيه من موجودات وقوانين ، يهيئ الظروف المثلى لظهور ومعيشة الإنسان ، وهو ما يعرف بالمبدأ البشري أن الطبيعة تسير وفق قوانين ثابتة مترابطة، نشأة الحياة ، بكل ما فيها من دقة وغائية-المقصود بالغائية بأن للحياة معنى وهدفا وغاية تتجاوز الحركة المادية المباشرة، من المادة غير الحية -العقل، خصوصية الإنسان لقد أصبح لا مفر من اللجوء إلى عالم ما وراء الطبيعة لتفسير قدرات العقل الخارقة، واتبعت القاعدة " أن تتبع البرهان إلى حيث يقودك " فقادني البرهان هذه المرة للإيمان).^(٣٦) وقال : (صرت أوّمن بإله واحد أحد ، واجب الوجود، غير مادي ، لا يطرأ عليه التغير ، مطلق القدرة ، مطلق العلم ، كامل الخير .لكني أرفض فكرة تجسد الإله في هيئة بشرية (المسيح) ولم أتوصل إلى أدلة عقلية وعلمية على التواصل بين الإله والبشر عن طريق الوحي. لقد كان توصلي إلى ذلك عن طريق العقل ، دون الحاجة إلى تدخل غيبي خارق من وحي أو معجزات ، لقد كانت رحلة عقل وليست رحلة إيمان).^(٣٧)

" يقول "أنتوني فلو" في كتابه (هناك إله): (بأن التعقيد العالي والمثير للدهشة في شريط (DNA) في الخلية الحية له الدور الأكبر في أفعاله بأن هناك مُصمما عظيما. يشير كذلك بأن اتساع معرفتنا عن علم الكون والفضاء لعبت دوراً هاماً في أفعاله بأن هناك مُصمما ذكياً وراء كل هذا الكون)^(٣٨) .

وترى الباحثة أن أنتوني فلو (فيلسوف في علم الكلام) يتحدث عن أدلة بيولوجية موجودة في (علم الحياة) مثل (DNA) أو أدلة فيزيائية موجودة في (علم الكون) مثل نشوء الكون. وهناك سؤال الذي يطرح نفسه بشدة، ماهو مدى إلمام أنتوني فلو بعلم الحياة أو الفضاء؟ أي هو ببساطة يتحدث في موضوع ليس من اختصاصه أبداً، على سبيل المثال، كعالم فيزياء عظيم يتحدث عن نظم اقتصادية حديثة!! بكل بساطة الموضوع ليس من اختصاصهم، وليس لخبراتهم أو شهاداتهم الخاصة في المجال الذي يبرعون فيه أي وزن في الموضوع الثاني الذي يتحدثون عنه.(أنتوني فلو) والذي بعد أن قضى أكثر من نصف قرن كامل ينشر الإلحاد في كتبه التي بلغت الثلاثين كتاباً،

رأى أن يكون صادقاً مع نفسه أخيراً ويعترف بالإعجاز العجيب في الأرقام العلمية المذهلة في دقة خلق الكون وأن له بداية وليس أزلياً، وكذلك حقائق الحمض النووي الوراثي التي يستحيل أن تكون إلا بمُدبر حكيم عليم قدير، ففاجأ العالم في عام ٢٠٠٣م وقبل موته بسبع سنوات فقط عن عمر ٨٧ عاماً بخبر تحوله من الإلحاد إلى الربوبية! وكتب كتاباً رائعاً هو الآخر باسم (There is a God) (هناك إله).

المطلب الثاني: الدكتور جفري لانج:

جيفري لانج (Jeffrey Lang) ، من مواليد ٣٠ يناير ١٩٥٤ ، (مدينة برديجبورت) بروفييسور في الرياضيات أمريكي. يعمل حالياً في قسم الرياضيات في جامعة كنساس. استلم شهادة الفلسفة من جامعة باردو سنة ١٩٨١. كانت الرسالة عن سطح زاريسكي (Zariski surface) وكتبها تحت توجيهات ويليام هاينز روبايثور بلاس، أسلم ووضع كتابه (الصراع من أجل الإيمان) الذي ضمّنه قصة إسلامه ، وأصدر مؤخراً كتاب (حتى الملائكة تسأل) (٣٩) .

يقول د. جيفري لانج عن إسلامه : (لقد كانت غرفة صغيرة ، ليس فيها أثاث ما عدا سجادة حمراء ، ولم يكن ثمة زينة على جدرانها الرمادية ، وكانت هناك نافذة صغيرة يتسلل منها النور ... كنا جميعاً في صفوف ، وأنا في الصف الثالث ، لم أكن أعرف أحداً منهم ، كنا ننحني على نحو منتظم فتلامس جباهنا الأرض ، وكان الجو هادئاً ، وخيم السكون على المكان ، نظرت إلى الأمام فإذا شخص يؤمّننا واقفاً تحت النافذة ، كان يرتدي عباءة بيضاء ... استيقظت من نومي ! رأيت هذا الحلم عدة مرات خلال الأعوام العشرة الماضية ، وكنت أصحو على أثره مرتاحاً . في جامعة "سان فرانسيسكو" تعرفت على طالب عربي كنت أدرّسه ، فتوثقت علاقتي به ، وأهداني نسخة من القرآن ، فلما قرأته لأول مرة شعرت كأن القرآن هو الذي "يقرّأني" ! وفي يوم عزمت على زيارة هذا الطالب في مسجد الجامعة ، هبطت الدرج ووقفت أمام الباب متهيّباً الدخول ، فصعدت وأخذت نفساً طويلاً ، وهبطت ثانية لم تكن رجلاي قادرتين على حملي ! مددت يدي إلى قبضة الباب فبدأت ترتجف، ثم هرعت إلى أعلى الدرج ثانية ... شعرت بالهزيمة ، وفكرت بالعودة إلى مكنتي .. مرت عدة ثوان كانت هائلة ومليئة بالأسرار اضطرتني أن أنظر خلالها إلى السماء ، لقد مرت عليّ عشر سنوات وأنا أفلوم الدعاء والنظر إلى السماء ! أما الآن فقد انهارت المقاومة وارتفع الدعاء : "اللهم إن كنت تريد لي دخول المسجد فامنحني القوة" .. نزلت الدرج ، دفعت الباب ، كان في الداخل شابان يتحدثان ، ردا التحية ، وسألني أحدهما : هل تريد أن تعرف شيئاً عن الإسلام ؟ أجبت : نعم ، نعم .. وبعد حوار طويل أبديت رغبتني باعتناق الإسلام فقال لي الإمام : قل أشهد ، قلت : أشهد ، قال : أن لا إله ، قلت : أن لا إله - لقد كنت أوّمن بهذه العبارة طوال حياتي قبل اللحظة - قال : إلا الله ، رددتها،

قال : وأشهد أن محمداً رسول الله ، نطقتها خلفه . لقد كانت هذه الكلمات كقطرات الماء الصافي تنحدر في الحلق المحترق لرجل قارب الموت من الظمأ ... لن أنسى أبداً اللحظة التي نطق بها بالشهادة لأول مرة ، لقد كانت بالنسبة إليّ اللحظة الأصعب في حياتي ، ولكنها الأكثر قوة وتحرراً . بعد يومين تعلمت أول صلاة جمعة ، كنا في الركعة الثانية ، والإمام يتلو القرآن ، ونحن خلفه مصطفون ، الكتف على الكتف ، كنا نتحرك وكأننا جسد واحد ، كنت أنا في الصف الثالث ، وجباهنا ملامسة للسجادة الحمراء ، وكان الجو هادئاً والسكون مخيماً على المكان !! والإمام تحت النافذة التي يتسلل منها النور يرتدي عباءة بيضاء ! صرخت في نفسي : إنه الحلم ! إنه الحلم ذاته ... تساءلت : هل أنا الآن في حلم حقاً ؟! فاضت عيناى بالدموع ، السلام عليكم ورحمة الله ، انفتلتُ من الصلاة ، ورحت أتأمل الجدران الرمادية ! تملكني الخوف والرغبة عندما شعرت لأول مرة بالحب ، الذي لا يُنال إلا بأن نعود إلى الله^(١) وطبيعي أن تنهال الأسئلة على الدكتور جيفري لانغ باحثة عن سر إسلامه فكان يجيب : (في لحظة من اللحظات الخاصة في حياتي ، من الله بوسع علمه ورحمته عليّ ، بعد أن وجد فيّ ما أكابد من العذاب والألم ، وبعد أن وجد لدي الاستعداد الكبير إلى ملء الخواء الروحي في نفسي ، فأصبحت مسلماً ... قبل الإسلام لم أكن أعرف في حياتي معنى للحب ، ولكنني عندما قرأت القرآن شعرت بفيض واسع من الرحمة والعطف يغمرني ، وبدأت أشعر بديمومة الحب في قلبي ، فالذي قادني إلى الإسلام هو محبة الله التي لا تقاوم^(٢)) ويقول أيضاً: (الإسلام هو الخضوع لإرادة الله ، وطريق يقود إلى ارتقاء لا حدود له ، وإلى درجات لا حدود لها من السلام والطمأنينة .. إنه المحرك للقدرات الإنسانية جميعها ، إنه التزام طوعي للجسد والعقل والقلب والروح)^(٣) وفي صفحة أخرى من الكتاب يقول : (القرآن هذا الكتاب الكريم قد أسرنى بقوة ، وتملك قلبي ، وجعلني أستمسك بالله ، والقرآن يدفع قارئه إلى اللحظة القصوى ، حيث يتبدى للقارئ أنه يقف بمفرده أمام خالقه^(٤)) وإذا ما اتخذت القرآن بجدية فإنه لا يمكنك قراءته ببساطة ، فهو يحمل عليك ، وكأن له حقوقاً عليك ! وهو يجادلك ، وينتقدك ويُخجلك ويتحداك ... لقد كنت على الطرف الآخر ، وبدأ واضحاً أن منزل القرآن كان يعرفني أكثر مما أعرف نفسي ... لقد كان القرآن يسبقني دوماً في تفكيري ، وكان يخاطب تساؤلاتي ... وفي كل ليلة كنت أضع أسئلتى واعتراضاتي ، ولكنني كنت أكتشف الإجابة في اليوم التالي ... لقد قابلت نفسي وجهاً لوجه في صفحات القرآن^(٥) . بعد أن أسلمت كنت أجهد نفسي في حضور الصلوات كي أسمع صوت القراءة ، على الرغم من أنني كنت أجهل العربية ، ولما سُئلت عن ذلك أجبت : لماذا يسكن الطفل الرضيع ويرتاح لصوت أمه ؟ أتمنى أن أعيش تحت حماية ذلك الصوت إلى الأبد^(٦))

"الصلاة هي المقياس الرئيس اليومي لدرجة خضوع المؤمن لربه ، ويا لها من مشاعر رائعة الجمال ، فعندما تسجد بثبات على الأرض تشعر فجأة كأنك رُفعت إلى الجنة،

تتنفس من هوائها ، وتشتت تربتها ، وتتنشق شذا عبيرها ، وتشعر وكأنك توشك أن ترفع عن الأرض ، وتوضع بين ذراعي الحب الأسمى والأعظم^(٤٦) وإن صلاة الفجر هي من أكثر العبادات إثارة ، فثمة دافع ما في النهوض فجراً – بينما الجميع نائمون – لتسمع موسيقا القرآن تملأ سكون الليل ، فتشعر وكأنك تغادر هذا العالم وتسافر مع الملائكة لتمجد الله عند الفجر^(٤٧).

ونختم الحديث عن د. جيفري لانج بإحدى نجاواه الله : (يا ربي إذا ما جنحت مرة ثانية نحو الكفر بك في حياتي ، اللهم أهلكني قبل ذلك وخلصني من هذه الحياة . اللهم إني لا أطيق العيش ولو ليوم واحد من غير الإيمان بك)^(٤٨).

المطلب الثالث: الدكتور مصطفى محمود:

يقول مصطفى محمود في كتابه (رحلتي من الشك الى الإيمان) : (بدأت في مطلع المراهقة أتساءل واسأل أقراني في تمرّد تقولون: ان الله خلق الدنيا لأنه لا بد لكل مخلوق من خالق ولكل صنعة من صانع ولا بد لكل موجود من موجد صدقنا وأمناء، فلتقولوا لي إذن من خلق الله؟ أم انه جاء بذاته وإذا كان قد جاء بذاته وصح في تصوركم ان يتم هذا الأمر فلماذا لا يصح في تصوركم أيضا ان الدنيا جاءت بذاتها بلا خالق وينتهي الإشكال)^(٤٩) ويضيف قائلاً: (لقد رفضت عبادة الله لأنني استغرقت في عبادة نفسي وأعجبت بومضة النور التي بدأت تومض في فكري مع انفتاح الوعي وبداية الصحوة من مهد الطفولة وغابت عني أيضا أصول المنطق وأنا أعالج المنطق فلم أدرك أي تناقض مع نفسي عندما اعترف بالخالق ثم أقول ومن خلق الخالق فاجعل منه مخلوقا في الوقت الذي اسميه خالقا وهذه هي السفسطة بعينها)^(٥٠) ولكن نرى مصطفى محمود بعد مرور ثلاثين سنة من الغرق في الكتب والخلو والتأمل والحوار مع النفس ثم تقلب الفكر على كل الأوجه ليقطع الطرق الشائكة إلى الله، وبعد تلك الفترة الطويلة يقول : (ولو أنني أصغيت إلى صوت الفطرة وتركت البداهة تقودني لأعفيت نفسي من عناء الجدل ولقادتني الفطرة إلى الله...) ^(٥١). ويقول أيضا : (كان العلم يقدم إلي صورة عن الكون بالغة الأحكام والانضباط .. كل شيء من ورقة الشجر الى جناح الفراش إلى ذرة الرمل فيها تناسق ونظام وجمال الكون كله مبني وفق هندسة وقوانين دقيقة ، وكل شيء يتحرك بحساب من الذرة المتناهية في الصغر إلى الفلك العظيم إلى الشمس وكواكبها إلى المجرة الهائلة التي تحوي أكثر من ألف مليون شمس.. إلى السماء المترامية التي يقول لنا الفلك إن فيها أكثر من ألف مليون مجرة . كل هذا الوجود اللامتناهي من اصغر إلكترون إلى أعظم جرم سماوي كنت أراه أشبه بمعزوفة متناسقة الأنغام مضبوطة التوزيع كل حركة فيها بمقدار .. أشبه بالبدن المتكامل الذي فيه روح. كان العلم يمدني بوسيلة أتصور بها الله بطريقة مادية ^(٥٢) والصلة دائما معقودة بين هذا الخالق ومخلوقاته فهو اقرب إليها من دمها الذي يجري فيها، وهو المبدع الذي عزف بإبداع هذه المعزوفة الكونية الرائعة . وهو العادل

الذي احكم قوانينها وأقامها على نواميس دقيقة لا تخطيء، وهكذا قدم لي العلم الفكرة الإسلامية الكاملة عن الله).^(٥٣)

ونختتم هذه الجولة مع رحلة د. مصطفى محمود الإيمانية بتشخيصه النهائي لما يعانيه شبابنا المعاصر من شكوى تجسد الانهزامية التي يعاني بعضهم منها، انظر إليه وهو يقول: (لم يكن العلم الحق أبداً مناقضاً للدين بل دالاً عليه وإنما العلم هو الذي يوقع العقل بالشبه والشك وبخاصة إذا كان ذلك العقل مزهواً بنفسه معتداً بعقلانيته.. وبخاصة إذا دارت المعركة في عصر يتصور فيه العقل انه كل شيء.. وإذا حاصرت الإنسان شواهد حاضرة مادية صارخة تزار فيها الطائرات وسفن الفضاء والأقمار الصناعية، هاتفة كل لحظة أنا المادة أنا كل شيء)^(٥٤).

المبحث الرابع: الغاية من الوجود ونهاية العالم والإيمان بالموت والبعث:

المطلب الأول: غاية الوجود

يوجه القرآن الكريم الأنظار إلى أن الله تبارك وتعالى لم يخلق هذا الكون باطلاً ولغير هدف. يقول جلّ ذكره: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا عَيْنًا * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (الدخان: ٣٨-٣٩). وبين سبحانه أنه لم يخلق الإنسان عبثاً، قال عزّ وجلّ: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) (المؤمنون: ١١٥) تبين العقيدة الإسلامية أن الإنسان له حرية عميقة في كيانه، لكنها ليست حرية الفوضى الخلقية التي تنتهي دائماً بتهديم الإنسان وتمزيق علاقته مع الوجود الخارجي من حوله، فالحق الذي خلق الله تعالى به الكون يتنافى مع الفلسفة الوجودية المُلحدة؛ فليس ثمة عبث كما يرى بعضهم ، وليس ثمة لامعقولية للحياة والوجود كما يرى آخرون ، وليس ثمة حرية لأخلاقية مطلقة من كلّ قيد كما يرى آخرون، ذلك أن الإسلام يستمدّ تجاربه الباطنية من خلال الحقيقة لا الزيف، ومن الاستقامة لا الانحراف، ومن المعرفة لا الضياع،^(٥٥) وإنّ ارتباط الوجود الإنساني بمصيره هو النقطة التي تفرق فيها الطرق بين الناس، لا في نظرتهم إلى الحياة وفلسفتهم فيها فحسب، بل في أخلاقهم ونمط سلوكهم ومدى إيمانهم، فالإيمان بمصير الإنسان بعد الموت يجعل لحياته غاية سامية وهدفاً أعلى، والقرآن الكريم حافل بآيات تُقيم الأدلة على أن الكون ليس مهملاً كما يزعم الملاحدة، بل خلق الخلق بالحق ليكون الابتلاء والاختبار الذي سيعقبه بعث للحساب والجزاء،^(٥٦) قال تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الملك: ٢).

المطلب الثاني: نهاية العالم

الإيمان بالله تعالى يُحقق المعرفة بالمصدر الأول؛ والإيمان بالبعث يُحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود؛ وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للإنسان أن يُحدّد هدفه ويرسم غايته، ويتّخذ من الوسائل والدّرائع ما يُوصله إلى الهدف ويبّلع به الغاية، ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة، فإنّ حياته سوف تبقى بلا هدف ولا غاية، وحينئذ يفقد الإنسان سموّه الروحي ويعيش كما تعيش الأنعام، وهذا هو الانحطاط الروحي المدمر لشخصيّة الإنسان والمنافي للحكمة الإلهيّة العُلّيا من هذا الوجود.^(٥٧)

تؤكد عقيدة البعث على فناء هذه الدّنيا وانتفاء أزليّة هذا الكون، ويؤكد علماء الفلك حتميّة اختلال الأجرام السماويّة،^(٥٨) ويؤكد ذلك قوله تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسُ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) (الانفطار: ١-٥).

جاء في كتاب "المعاد" قوله: (إنَّ قانون الدّيناميكيّة الحراريّة يثبت أنّ الحرارة ليست دائمة إلى الأبد، وأنّ يوم انتهائها سيأتي حتماً، والكون يتّجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معيّن الطّاقة، ويومئذٍ لن تكون هناك عمليات كيميائيّة أو طبيعيّة، وذلك بحكم الانتقال الحراريّ المستمرّ من الأجسام الحارّة إلى الأجسام الباردة ، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتيّة، بحيث تعود الحرارة وترتدّ من الأجسام الباردة إلى الأجسام الحارّة، وعندئذٍ تقف حركة الحياة ويموت الأحياء)^(٥٩).

المطلب الثالث: الإيمان بالموت

الموت نداء لحالة أخرى لا شعور فيها ولا إحساس معها، إنّما هو مرحلة تحوّل من طورٍ إلى آخر. إنّ الموت هو الفجيعة الكبرى للملحدين الذين سيعرفون بعد الموت كلّ شيء وسيُدركون أنّهم كانوا في ضلال بعيد، سيتمّ ذلك بعد فوات الأوان. تثبت العقيدة الإسلاميّة أنّ ما يقع للجسد من فساد لأجهزته وفنائه لا يؤثر في حقيقة الرّوح ولا في كيان الإنسان المعنوي، ولقد عبّر القرآن الكريم عن لحظة الفزع ولحظة خروج الرّوح من الجسد بسكرة الموت، قال جلّ وعلا: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) (ق: ١٩)، وقال: (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم مفارقتة الدّنيا وهو يمسح وجهه بالماء: "لا إله إلاّ الله إنّ للموت سكرات"، وإنّ أوّل منازل الآخرة هو القبر، فهو يضيق ويتّسع ويظلم ويُنور بحسب مكانة صاحبه عند ربّه، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله: (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما رواه بعض كتب الحديث ، أنّه لمّا

مات أبو سلمة دخل عليه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ثم قال: (اللهم اغفر لأبي سلمة وافسح له في قبره ونور له فيه)، والملحد هنا سوف يطالب بالدليل على قول النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أمّا الدليل على سؤال الميت في القبر ما أخرجه كثير من كتب الحديث أنّ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) كان إذا فرغ من دفن ميت وقف عليه وقال: "استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل"، فالقبر فيه فتنة ووشحة وابتلاء وسؤال الملكين، والدليل على وجود عذاب القبر ما جاء عن النبي صلى الله عليه واله وسلم: (إنّ أحكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة، ومما يؤكد هذا الحديث قوله تعالى في آل فرعون: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (غافر: ٤٦)، فإن وقت الموت أو المرحلة بين الدنيا والبعث هي حياة البرزخ التي قال فيها تبارك وتعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون: ٩٩-١٠٠)، يقول القشيري: "من مات فقد دخل البرزخ، وما بين الموت والبعث فإما راحة متصلة وإما آلام وأفات غير منفصلة"،^(١٠) وإنّ الأرواح متفاوتة في مستقرّها في البرزخ حسب شقاوة صاحبها وسعادته إلى أن يأتي اليوم الآخر، هذا اليوم العظيم الذين اهتمّ به القرآن الكريم اهتماماً بالغاً، فتناول حقيقة اليوم الآخر وما يكون فيه من بعث وحساب وجزاء، ثمّ ما يتبعه من حوض وصراط وشفاعة، واعتبره ركناً من أركان الشريعة الإسلامية، ويتجلّى هذا الاهتمام بكثرة ذكر القرآن الكريم لليوم الآخر، فلا تكاد تخلو سورة من الحديث عنه ولو في إشارة أو تلميح مع تقريبه إلى الأذهان، تارة بضرب الأمثال، وتارة بالحجّة والبرهان، وكثيراً ما نجد القرآن الكريم يتحدث عن الدنيا كأنّها ماضٍ كان، وعن الآخرة كأنّها الحاضر الآن^(١١).

المطلب الرابع: الإيمان بالبعث

إنّ الموت في واقعه ليس انعداماً لأجزاء الإنسان، بل تفريقاً لها، وعندما تتعلّق إرادة الله بعودة الأجسام، يجمع هذه الأجزاء المشتتة ويؤلفها على حالتها السابقة جسماً وروحاً، وذلك هو المعاد، وما وقع لإبراهيم الخليل (عليه السلام) لما سأل ربّه بقوله: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)، وجواب الله تعالى له خير دليل على إعادة الخلق من جديد، قال تعالى: (فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ) بمعنى أن يقطعها إبراهيم (عليه السلام) إلى أجزاء صغيرة يختلط بعضها ببعض خطأ غير قابل للتجزئة والتمييز (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا) (البقرة: ٢٦٠). قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: "يُميّز الله تعالى أجزاء كلّ طير عن صاحبه ويجمع أجزاء كلّ واحد منها مستقلاً عن الباقي، فإذا اكتملت لكلّ طائر هيئته الخاصة به أودع فيه الحياة حتّى يطمئن إبراهيم إلى هذه الحقيقة، ويتحقّق علمه، وينتقل من

معالجة الفكر والنظر إلى بساطة الضرورة بيقين المشاهدة، وانكشاف المعلوم انكشافاً لا يحتاج إلى معاودة الاستدلال ودفع الشبهة عن العقل^(٦٢)، وهذا المثل القرآني الدقيق صريح الدلالة على أنّ الموت تقريظ للأجزاء، وليس انعداماً لها كما يظنّ المفكرون الذين استعظموا عودة الحياة الإنسانية بعد انقطاع الحواس وانفصال الشعور عن الجسد تبين العقيدة الإسلامية أنّ الإنسان له حرية عميقة في كيانه، لكنها ليست حرية الفوضى الخلقية التي تنتهي دائماً بتهديم الإنسان وتمزيق علائقه مع الوجود الخارجي من حوله، والنصوص القرآنية التي تؤكد إعادة الخلق والبعث والنشور كثيرة ووفيرة منها قوله تعالى: (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتْ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا) (مريم: ٦٦-٦٧). (ذلك بأن الله هو الحقّ وأنه يحيي الموتى وأنه على كلّ شيء قدير^{*} وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) (الحج: ٦-٧)، (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّهُ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (فصلت: ٣٩)، هذا نوع من قياس الدلالة وهو "الجمع بين الأصل والفرع بدليل العلة وملزومها" مثلما قال علماء أصول الفقه، فدلّ سبحانه في هذه الآية عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء واعتبار الشيء بنظيره، والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة، والقرآن الكريم إذ يدعم عقيدة البعث بمختلف الوسائل والطرق، فليس ذلك فقط على قرار ألزم الله به نفسه، وإنما على أحد مستلزمات العدل الإلهي والحكمة السامية، حتى لا تكون حياة الإنسان بلا غاية ولا هدف، إنّ حاجة الإنسانية ملحة إلى الآخرة لضمان الخلود وإقامة العدل وتنظيم الحياة^(٦٣)، وهكذا، فإنّ الإيمان بالبعث كالإيمان بالله كلاهما لا يقبل شكاً ولا تردداً، لأنّ الفطرة السليمة تنساق إلى هذا الإيمان، فالإيمان بالله يعترف بالمصدر الأوّل للوجود، والإيمان بالبعث يعترف بمصير الإنسان فيه، ومن حُرّم هذه المعرفة أضحت حياته كحياة الأنعام تقوده الأهواء وتسيّره الغرائز، والله تعالى لم يخلق الإنسان بيديه، ولم ينفخ فيه من روحه ولم يأمر ملائكته بالسجود إليه، ولم يحمله الأمانة ولم يجعل له الخلافة، ولم يسخر له ما في السموات والأرض إلاّ ليُجعل من وجوده غاية سامية تتفق مع حكمته العليا وعدله المطلق، حتى لا تذهب جهود هذا الإنسان سدى مصداقاً لقوله جلّ ثناؤه: (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (الجاثية: ٢٢).^(٦٤)

الخاتمة

من خلال البحث تبين لي ان الإلحاد ظاهرة متواترة في كل العصور والمجتمعات البشرية حتى في وجود الأنبياء والرسل ، فالله قد منح الإنسان الاختيار الحر فيما يخص معتقداته الدينية ومنحه الإرادة الحرة في اختيار طريق حياته وجعله مسؤولاً عن كل ذلك، ومع هذا يلاحظ أن دائرة الإلحاد تتسع بشكل ملحوظ في بيئات معينة وفي ظروف معينة بما يعكس الحاجة لفهم الظروف التي تغذي الرغبة في الإلحاد وكيفية تلافيها أو إصلاحها ، والبعض يرى أن الإلحاد (بدرجة معينة يعتبر فيروس مناعة (كالتطعيم في الطب) يقوي حالة الإيمان ويوقظها ويصحح أخطاء المتدينين^(٦٥).

يعاني العالم المعاصر من مشكلات كثيرة، فبالرغم من التقدم المادي الهائل الذي نعيش فيه والخيرات العظيمة التي وفرها العلم لحياة الإنسان ورفاهيته، إلا أننا نعيش في ظل مشكلات رهيبة يتولد بعضها عن بعض، ويؤثر بعضها في وجود بعض، ومن هذه المشكلات الإلحاد، وهو الكفر بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار وتكريس الحياة كلها للعالم فقط، ومن خلال البحث توصلت أيضاً إلى أن الملحد يرى أن المادة أصل كل شيء وكل فكر وكل روح؛ إنها أزلية لا شيء قبلها ولا كائن آخر أوجدها، أما المؤمن فيرى أن المادة، إن لم يكن هناك روح يحركها، لا يمكن أن يخرج منها الروح، ويرى أن الإنسان، ذاك الكائن الضعيف المعرض للموت، لا يمكن أن يكون هو أصل كيانه، إذ لا يملك في ذاته ما يجعله يكتفي بذاته، الإنسان متعلق بالكائن الأسمى المطلق الذي يملك كل شيء وهو أصل كل شيء وغاية كل شيء، الملحد يعدّ الإنسان "كائناً خُلِقَ ليموت" بعد فترة من الوقت يقضيها على الأرض، أما المؤمن فيعدّ الإنسان "كائناً خُلِقَ ليحيا" مع الله إلى الأبد^(٦٦).

وكذلك تبين لنا، ان الانسان يمكن ان يصل الى الله بواسطة عدة طرق وهي: فطرته وجبلته التي جبل عليها، وعقله اذا ما ابصر نور العلم امامه ، وقلبه اذا ما استضاء بنور الايمان المستوحى من هدى الهي .

منذ مائتي سنة فقط لم تكن مشكلة الإلحاد بهذه الحدة والانتشار، ولكن في القرنين الأخيرين ظهرت عوامل كثيرة، جعلت من الإلحاد والكفر بالله ديناً عاماً منتشراً. والعلاج الناجع المستأصل لهذه الظاهرة الخطيرة، يتمثل ذلك بالدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، ما يوفر حصانة ذاتية ضد الإلحاد وأفكاره، والعناية بالتربية الخلقية، إذ الإلحاد قرين الفساد الأخلاقي، ولذلك حض الإسلام على حسن الخلق والعدل والإحسان، التصدي لشبهات الملاحدة، فلا بد للحق من حجة تدافع عنه وسلطان يقوم به، أن علاج ظاهرة الإلحاد لن يكون إلا إذا أقمنا دليلاً للرد على كل شبهة وجعلنا العالم الواقعي هو الميدان لجهادنا وإثبات حقنا وأما إذا أصبحت الكتب فقط والأوراق هي الميدان الذي نحارب من خلاله فإننا ولا شك نخسر المعركة^(٦٧).

الهوامش:

القرآن الكريم

- ١- اديب(منير): الإلحاد بين أفكار أصحابه وهجرة أتباعه، دار مقام للنشر والتوزيع ،بيروت. ص٩٦
- ٢- إبراهيم (احمد): اختراق عقل دلائل الإيمان في مواجهة شبهات الملحدين. مركز دلائل، ط١، ٢٠١٦، ص٥
- ٣- سندي(صالح بن عبد العزيز بن عثمان): الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته ، ط١، دار اللؤلؤة ، بيروت ، ٢٠١٣، ص٣٧.
- ٤- المعجم الوسيط: بجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠، ج١، ص٤٨٢.
- ٥- ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب ، دار النشر ،بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٦- ابو الحسين(احمد ابن فارس ابن زكريا): معجم مقاييس اللغة . تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٩٧٩، (٢٣٦/٥).
- ٧- ابو منصور(محمد ابن احمد الأزهرى): تهذيب اللغة . تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط١، مكتبة لسان العرب ، الدار المصرية ، ١٩٦٤، (٧٣/٢).
- ٨- ابن سيده(علي ابن اسماعيل ابو الحسن) : المخصص، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦، (٧٨/٢). و ينظر تاج العروس من جواهر القاموس (١٣٥/٩).
- ٩- الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير) : جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي. دار هجر، ط١، ٢٠٠١، (٢٨٣/١٣).
- ١٠- هل حقا الدين أفيون الشعوب ؟ : مجلة الوعي الإسلامي. الكويت، العدد ٥٥٧، نوفمبر - ديسمبر ٢٠١١.
- ١١- المصدر السابق .
- ١٢- سندي (صالح بن عبد العزيز بن عثمان): الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته. دار اللؤلؤة ، بيروت ، ٢٠١٣م، ص٦٥.
- ١٣- (بدوي) عبد الرحمن: من تاريخ الإلحاد في الإسلام. مؤسسة سينا ، ط٢، القاهرة ، ١٩٩٣، ص١٦٣.
- ١٤- الجهني(ماتع): الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الندوة، ط٤، ١٤٢٠هـ، (٨٠٣/٢)
- *- يسمى الكتاب (Almagest) من كلمة المجسطي وهو اقدم كتاب في الفلك عرفه العالم . ألفه بطليموس عام ١٤٨ م ، ومعناه (الأكبر) أو (الأعظم). ترجمه الى العربية: حنين بن اسحق. في العصر العباسي.
- ١٥- الرازي (أبو حاتم أحمد بن حمدان) : أعلام النبوة. تصدير ، جورج طرابيشي، دار الساقي، بيروت ، ط١، ٢٠٠٣، (١٨/١٧).
- ١٦- الذهبي(محمد بن أحمد بن عثمان) : سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م، ج ٢٤، ص ٢٩. وينظر: ديوان أبو العلاء المعري » » العصر العباسي ((أمور تستخف بها حلوم))

- ١٧- المصدر السابق، ص ٣١. وينظر: ديوان ابو نؤاس، ط١، مطبعة الفنون، بيروت، ١٨٨٤م ، ١٣٠١هـ ، الباب السابع، في الخمریات.
- ١٨- (بدوي) عبد الرحمن: من تاريخ الإلحاد في الإسلام. مصدر سابق ص ١٦٩.
- ١٩- المصدر السابق، ص ١٧٤.
- ٢٠- إبراهيم (احمد): اختراق عقل دلائل الايمان في مواجهة شبهات الملحدين(مصدر سابق) ١٢٧، ص ٢٣.
- ٢١- الألوسي (محمود شكري): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. تحقيق، محمد بهجة الاثري ، دار الكتاب المصري، ج٣، ص ١٠٩.
- ٢٢- ماكس بلاتك: هو من أشهر علماء الفيزياء النظرية الألمان وأحد أهم العلماء في القرن العشرين، ويعتبر مؤسس نظرية الكم، وقد حصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩١٨م.
- 23- Max Planck. (1932). Where is Science Going? New York, NY: W. W. Norton & Company, Inc.
- ٢٤- جوزيف هوتن تايلور: عالم فيزياء وفلكي أمريكي معروف، فائز بجائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٩٣م لاكتشافه أول نجم نابض ثنائي.
- 25- Taylor, as cited in Brown 2002-
- 26- Ellis, George F. R. (August 1, 2011). "Does the Multiverse Really Exist?". Scientific American (New York: (Nature Publishing Group) 305(2): 38–43
- 27- Stephen W. Hawking, Leonard Mlodinow. (2010). The Theory of Everything. In; The Grand Design (pp. 188-189) New York, NY: The Random House Publishing Group.
- ٢٨- المصدر السابق، ص ١٩٠.
- 29-James S. Ackerman (1978). "Leonardo's Eye" 41. Journal of the Warburg and Courtauld Institutes. p. 119
- 30-John Maxson Stillman (2003) [1924]. Story of Alchemy and Early Chemistry. Kessinger Publishing. p. 271. ISBN 978-0-7661-3230-6
- 31-Mark Smith (1996). Ptolemy's theory of visual perception: an English translation of the Optics. American Philosophical Society. p. 58. ISBN 978-0-87169-862-9
- 32-Nader El-Bizri, "A Philosophical Perspective on Alhazen's Optics", Arabic Sciences and Philosophy, Vol. 15, Issue 2 (2005), pp. 189-218 (Cambridge university Press)
- 33-Hub Zwart (2008). Understanding Nature: Case Studies in Comparative Epistemology. Springer. p. 236. ISBN 978-1-4020-6491-3
- 34-Robert Briffault. (1919). Making of Humanity. (pp. 200) London: George Allen & Unwin Ltd
- 35-Planck, Max Karl Ernst Ludwig. (1932). Where is Science Going? (pp. 168). New York, NY: W. W. Norton & Company, Inc

- ٣٦- شريف (عمرو): رحلة عقل. ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠١٠، نقلا عن كتاب " هناك إله " لمؤلفه " أنتوني فلو ، ص ٣٥.
- ٣٧- المصدر السابق: ص٤١.
- ٣٨- المصدر السابق: ص٤٦.
- ٣٩- جفري لانج: نقلاً باختصار عن كتابه: الصراع من أجل الإيمان، ترجمة: منذر العبيسي، ط٢ دار الفكر بيروت لبنان ٢٠٠٢، ص٧٥. وكتابه الثاني (حتى الملائكة تسأل). ترجمة: منذر العبيسي. ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت. ٢٠١٣. ص٢٠.
- ٤٠- المصدر السابق : ص ٢٢.
- ٤١- حتى الملائكة تسأل د. جيفري لانج ص ٢١١ و ٢٨٠.
- ٤٢- المصدر نفسه ص ٧٥ .
- ٤٣- المصدر نفسه ص ٢٠٩.
- ٤٤- الصراع من أجل الإيمان، ص (٣٤) .
- ٤٥- المصدر نفسه ، ص (١٢٠)
- ٤٦- (حتى الملائكة تسأل) ص (٣٦٦)
- ٤٧- (الصراع من أجل الإيمان) ص (١١١) .
- ٤٨- (حتى الملائكة تسأل) ص (٢٣٤) ..
- ٤٩- محمود (مصطفى) : رحلتي من الشك إلى الإيمان. دار المعارف ، مصر ١١١٩ ، كورنيش النيل القاهرة ج . مع ، ص٧.
- ٥٠- المصدر السابق: ص٨
- ٥١- المصدر السابق ص٩
- ٥٢- المصدر السابق ص ١١.
- ٥٣- المصدر السابق ص ١٦.
- ٥٤- المصدر السابق. ص ١٨.
- ٥٥- خليل (عماد الدين): في النقد الإسلامي المعاصر. مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٧٢، ص٤٢.
- ٥٦- المصدر السابق، ص ٤٤.
- ٥٧- المصدر السابق، ص ٤٥.
- ٥٨- خان (وحيد الدين): الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان . تعريب: ظفر الدين خان، تحقيق: عبد الصبور شاهين ، مكتبة الرسالة ط١، ص٨٢-٨٣.
- ٥٩- آل ياسين (محمد حسن): المعاد. ط١، بيروت ، ١٩٧٢، ص ٥٠.
- ٦٠- القشيري (عبد الكريم ابن هوازن ابن عبد الملك): لطائف الإشارات . ط٣ ، الهيئة المصرية العامة ، مصر، ٢٠١٠ ، ٢٤٤/٤.
- ٦١- المصدر السابق. ص ٢٤٦/٤
- ٦٢- ، ابن عاشور (محمد الطاهر) : تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية، ط١ ، ١٩٨٤ ، ٣٩/٣.
- ٦٣- التهامي (محمد نقرة) : عقيدة البعث في الإسلام، مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية ، ط١، ١٩٧٥، ص ١٤٠.
- ٦٤- المصدر السابق. ص ١٤٣
- ٦٥- المهدي (محمد): الشباب .. لماذا يلحدون وكيف يعودون؟ رئيس قسم الطب النفسي- جامعة الأزهر - فرع دمياط، مقال منشور في النت.
- (٦٦)- عبد الخالق (عبد الرحمن) : الإلحاد: أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها- الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط٢، ١٤٠٤ هـ، ص٧.

المصادر والمراجع

* اشرف ما نبتدئ به القرآن الكريم

اولا- المصادر العربية:

- ١- اديب(منير): الإلحاد بين أفكار أصحابه وهجرة أتباعه، دار مقام للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١.
- ٢- إبراهيم (احمد): اختراق عقل دلائل الإيمان في مواجهة شبهات الملحدين. مركز دلائل، ط١، ٢٠١٦.
- ٣- ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، دار النشر، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٤- ابن سيده(علي ابن اسماعيل ابو الحسن): المخصص. دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦.
- ٥- ابن عاشور(محمد الطاهر) : تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية، ط١، ١٩٨٤.
- ٦- ابو الحسين(احمد ابن فارس ابن زكريا): معجم مقاييس اللغة . تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.
- ٧- ابو منصور(محمد ابن احمد الأزهرى): تهذيب اللغة .تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، مكتبة لسان العرب، الدار المصرية، ١٩٦٤.
- ٨- الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير): جامع البيان عن تأويل آي القرآن .تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي. دار هجر، ط١، ٢٠٠١.
- ٩- المعجم الوسيط: بجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٦٠، ج١.
- ١٠- الجهني(مانع): الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، دار الندوة، ط٤، ١٤٢٠هـ .
- ١١- الرازي (أبو حاتم أحمد بن حمدان): أعلام النبوة .تصدير، جورج طرابيشي، دار الساقى، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
- ١٢- الذهبي(محمد بن أحمد بن عثمان): سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج ٢٤.
- ١٣- التهامي(محمد نقرة): عقيدة البعث في الإسلام، مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية، ط١، ١٩٧٥.
- ١٤- القشيري(عبد الكريم ابن هوازن ابن عبد الملك): لطائف الإشارات . ط٣ ، الهيئة المصرية العامة ، مصر، ٢٠١٠ .
- ١٥- آل ياسين (محمد حسن): المعاد. ط١، بيروت، ١٩٧٢.
- ١٦- المهدي(محمد): الشباب .. لماذا يلحدون وكيف يعودون؟ رئيس قسم الطب النفسي- جامعة الأزهر – فرع دمياط، مقال منشور في النت.
- ١٧- الألوسي (محمود شكري): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. تحقيق، محمد بهجة الاثري ، دار الكتاب المصري، ج٣.
- ١٨- (بدوي) عبد الرحمن: من تاريخ الإلحاد في الإسلام. مؤسسة سينا، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣.
- ١٩- جفري لانج: الصراع من أجل الإيمان، ترجمة: منذر العيسى، ط٢ دار الفكر، بيروت ٢٠٠٢.
- ٢٠- جفري لانج: حتى الملائكة تسأل، ترجمة: منذر العيسى، ط١، دار الفكر المعاصر ، بيروت. ٢٠١٣.

- ٢١- خان (وحيد الدين): الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان . تعريب: ظفر الدين خان، تحقيق: عبد الصبور شاهين ، مكتبة الرسالة ، ط١ .
- ٢٢- خليل(عماد الدين): في التقدير الإسلامي المعاصر. مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ١٩٧٢ .
- ٢٣- سندي(صالح بن عبد العزيز بن عثمان): الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته ، ط، دار اللؤلؤة ، بيروت ، ٢٠١٣ .
- ٢٤- شريف (عمرو): رحلة عقل ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة. ط١، ٢٠١٠ .
- ٢٥- عبد الخالق(عبد الرحمن) :الإلحاد: أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها- الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط٢، ١٤٠٤ هـ .
- ٢٦- محمود (مصطفى) : رحلتي من الشك إلى الإيمان. دار المعارف ، مصر ، ١٩١٩ .
- ٢٧--هل حقا الدين أفيون الشعوب ؟ : مجلة الوعي الإسلامي. الكويت، العدد٥٧ ، نوفمبر - ديسمبر ٢٠١١ .

ثانيا المصادر الاجنبية:

- 28- Ellis, George F. R. (August 1, 2011). "Does the Multiverse Really Exist?". Scientific American (New York: (Nature Publishing Group) 305(2): 38–43
- 29-Hub Zwart (2008). Understanding Nature: Case Studies in Comparative Epistemology. Springer. p. 236. ISBN 978-1-4020-6491-3
- (p. 112)-30- Taylor, as cited in Brown 2002
- 31-James S. Ackerman (1978). "Leonardo's Eye" 41. Journal of the Warburg and Courtauld Institutes.(p. 119).
- 32-John MaxsonStillman (2003) [1924]. Story of Alchemy and Early Chemistry. Kessinger Publishing.. (p. 271).
- 33-Nader El-Bizri, "A Philosophical Perspective on Alhazen's Optics", Arabic Sciences and Philosophy, Vol. 15, Issue 2 (2005), (Cambridge university Press). (p. 189-218).
- 34- Stephen W. Hawking, Leonard Mlodinow. (2010). The Theory of Everything. In; The Grand Design) New York, NY: The Random House Publishing Group. (p. 188-189).
- 35-Robert Briffault. (1919). Making of Humanity. London: George Allen &Unwin Ltd.(p. 200).
- 36-Mark Smith (1996). Ptolemy's theory of visual perception: an English translation of the Optics. American Philosophical Society.(p. 58).
- 37-Planck, Max Karl Ernst Ludwig. (1932).Where is Science Going? New York, NY: W. W. Norton & Company, Inc . (p. 168).

النار الإسلامية في جحيم دانتي

(دراسة وصفية مقارنة في الكوميديا الإلهية لدانتي)

*Islamic hell fire in Dante's hell descriptive
Comparative study, in divine comedy of Dante*

م. م. عماد بشير الجيرو

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل

Assistant teacher: emad basheer al-gero

College of education for human sciences Mosul
university

ملخص البحث

إنّ موضوع أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية لدانتي من المواضيع التي نالت فضولاً عميقاً في الأوساط العامة، وأحدثت هزة عنيفة بين نقاد الأدب، أمّا الدانتيون الإيطاليون على الأخص، فلم يعترفوا إلا على مضض بأن الأصول الإسلامية كانت الأساس الذي بنى عليه دانتي الكوميديا الإلهية، تلك القصيدة التي تمثل ثقافة أوربا المسيحية في القرون الوسطى فيما يتعلق بالحياة الأخرى.

إنّ المؤثرات الإسلامية في الكوميديا الإلهية ذات طابع ثقافي شامل، فهي لا تقتصر على نصوص أدبية بذاتها، ولا على الأفكار الدينية التي يعتدّ بها، بل تخللتها عناصر فولكلورية شعبية، لعب خيال الناس فيها دوراً هاماً وأشبعها بقدر كبير من المبالغة والتحرر.

إنّ مقارنة منهجية للخطوط العامة للقصة الإسلامية بالخطوط العامة لقصيدة دانتي أكدت التشابه بينهما، فقد تجاوز التشابه بين القصتين إلى التفاصيل الوضعية وتفاصيل الأحداث ومختلف الصور الحيّة المثيرة النابضة بالحركة، وإلى ما يُسمى بـ(هندسة الممالك الأخروية)، أي التصور الطبوغرافي لدركات النار ودرجات الجحيم، والذي كشف لنا بأن المهندس الذي صمّم العملين، مهندس واحد هو المهندس الإسلامي.

لقد اجتهد هذا البحث في محاولة إظهار صورة واضحة عن التأثير الإسلامي في الكوميديا الإلهية لدانتي، والوقوف على أهم النقاط المشتركة التي تناولتها أهم الدراسات المعنية بهذا الموضوع.

وقامت دراستنا على محورين تناولنا في الأول قسمين رئيسيين: كان الأول في حياة فنان إيطاليا الأكبر دانتي أليجييري صاحب الملحمة الخالدة (الكوميديا الإلهية)، وتأثره العميق بالتراث الإسلامي عند كتابته لهذه الملحمة. أما القسم الثاني فقد تناولنا فيه مصادر الثقافة الإسلامية، والتي تضمنت: تحليل آسين بالاثيوس، وترجمة كتاب معراج محمد، وتحليل بعض العناصر الصوفية، والتي توزعت هي الأخرى بين الفتوحات المكية لابن عربي، ورسالة الغفران لابي العلاء المعري.

أما المحور الثاني فقد تناولنا فيه التحليل المقارن لأجزاء الكوميديا الإلهية، الذي اشتمل على: البناء الهندسي للجحيم، تصور الأعراف، المطهر الإسلامي (الصراط)، عذاب الزمهرير، خطوات سكان الجحيم، والريح السوداء.

أما خاتمة الكتاب فكانت عبارة عن خلاصة الدراسة التي أكدت من خلال ملاحظات الدارسين لمحمية دانتي عدداً من الإشارات المباشرة إلى وجود شبه واضح ومحاكاة أو تقليد لآيات القرآن الكريم و السنة النبوية و الروايات الإسلامية.

Abstract

The Islamic impact on Dante's Divine Comedy is the most topic that earned more curiosity from public domain, making a severe shake among literature critics, while Italian dandiest in particular who had recognized only reluctantly that Islamic principles is the basic standard that Dante has relied on his Divine Comedy, this poem represents culture of Christianity Europe at middle ages that concerned with another life.

The Islamic effects on Divine Comedy with comprehensive cultural nature, so they're not restricted by literary texts, neither on religious ideologies but rather punctuated by folkloric popular elements, the imagination play a significant role and fill it with large amount of exaggeration and liberation.

The comparison between headlines patterns of Islamic story with headlines of Dante's' poem could admit their similarity. the similarity among two stories across the specific status and event details and various attractive vibrant images to what it's called " otherworldly engineering kingdoms", which means topographic imagination of slipping into hell steps or heaven rising steps, reveals that the one who design two works is one engineer who is Islamic engineer.

This research tries hardly to show a vivid image of Islamic impact on Danteis' Divine Comedy , focusing on the most important common points that has been dealt by most important studies in such topics.

That study represents by two aspects, One of them involves two major parts: first one is the major artist in Italy Dante Alighieri's story life, the authorof immortal poem "divine comedy", his deep affected by islamic couture when write this poem.

While the second sources deals with Islamic resources, that implies: Miguel Asín Palacios analysis, the translation of Meraaj Mohammed's book , translating some sufi elements that also divided into Mekka invasion Fotohatmakya by IbnArabi and Risalatalghofran by Abialalaaalma'ari.

The second aspect deals with comparative analysis of the structures of divine comedy, that including: engineering construction of hell, norms ,Purgatorio (Purgatory), Zamharer torture, hell population steps , black wind.

The conclusion includes abstract that confirmed through scholars' ; notes of dante conflict many of direct indicators of unclear present of imitate and stimulate Quranic prose and honorable Prophet traditions (Sunnah) and Islamic tales

أولاً / دانتي اليجيري ومصادر الثقافة المؤثرة

١ - دانتي اليجيري :

موضوع هذه الدراسة هو فنان ايطاليا الأكبر، وتأثره العميق بالتراث الإسلامي عند كتابته لملمته الخالدة (الكوميديا الإلهية) بأجزائها الثلاثة، يعد دانتي أكبر شاعر ديني دون أن يكون في ذلك انتقاص من عالميته، ففي الكوميديا الإلهية نجد تعبيراً تاماً عن كل ما يمكن للإنسان أن يكون جديراً بممارسته من تجارب ومشاعر دينية ابتداء من اليأس الأليم إلى الرؤية الإلهية نفسها.

إنّ عصر دانتي كان منغمساً في علوم ومعارف وفنون الإسلام. وقد عرف دانتي بنهمه الشديد للمعرفة، وتعلقه بجميع مصادرها، وقد أجمع كبار المفكرين الأوربيين في عصره مثل (البرتو ماجتو) و (روجر بيكون) و (رايموندو لوليو) على تفوق الثقافة العربية، ممّا أيقظ في نفسه، رغبة ملحة في الاطلاع عليها، ويرى بعض الباحثين الغربيين أنّه ربما كان اطلاع دانتي على فلذات هامة من التراث الإسلامي، ومعرفته بتصور المسلمين لمجاليّ العالم الآخر هما الدافع الأساسي عنده لتقديم رؤية مسيحية غربية لهذا العالم يعارض بها الرؤية الإسلامية، مدفوعاً بروح العصر العام، فيما يسمى في الأدب المقارن بالتأثير العكسي^(١).

٢ - مصادر الثقافة المؤثرة:

إذا كان اكتشاف التأثير الإسلامي في الكوميديا الإلهية من أنجح موضوعات الأدب المقارن المتصل بالعصر الوسيط في الغرب فإنّه يتمتع لدينا بأهمية خاصة باعتباره انموذجاً واضحاً للعلاقة بين العالمين العربي والأوربي في وقت كانت الحضارة الإسلامية فيه متفوقة دائنة معطاءة.

فإذا كانت اسبانيا قد قامت بدور الوسيط في البث الحضاري قديماً فإنّ علماءها في العصر الحديث قد توفرت لهم الدوافع القومية والأدوات المنهجية للكشف عن مختلف مظاهر هذه الوساطة بكثير من الأناة والدقة والموضوعية، وكان أنجح نموذج لهذا هو موضوع التأثير الإسلامي في دانتي الذي استقطب من اهتمام الدارسين في الغرب أكثر من أي موضوع مقارن آخر^(٢).

إنّ المؤثرات الإسلامية في الكوميديا الإلهية ذات طابع ثقافي شامل، فهي لا تقتصر على نصوص أدبية بذاتها، ولا على الأفكار الدينية التي يعتدّ بها، بل تخللتها عناصر فولكلورية شعبية، لعب خيال الناس فيها دوراً هاماً وأشبعها بقدر كبير من المبالغة والتحرر.

١ - تحليل أسين بالاثيوس:

عندما حلل (أسين بالاثيوس) العناصر التي دخلت في تركيبة الكوميديا الإلهية لدانتي من الثقافة الإسلامية أرجعها في جملتها إلى مجموعتين أساسيتين:

- ❖ مجموعة الأحاديث النبوية التي تفصّل حوادث الإسراء والمعراج وتتخذ محوراً لها الآية الكريمة (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) (٣). فيما يتصل بالإسراء، كما تتخذ محوراً لها فيما يتصل بالمعراج الآيات الكريمة ولقد راه نزلة أخرى عند سدره المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدره ما يغشى مازاغ البصر وما طغى (٤).
- ❖ أما المجموعة الثانية التي حللها (أسين بالاثيوس)، فتتكون من بعض الأعمال الأدبية والنصوص الصوفية، أهمّها رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وفصل من موسوعة ابن عربي الكبرى (الفتوحات المكية) بعنوان (كيميا السعادة) يحكي فيه قصة عن معراج بعض المريدين والفلاسفة (٥).

ب - ترجمة كتاب معراج محمد:

نسج الخيال الشعبي في العالم الإسلامي حول آية قرآنية أشارت إلى رحلة إعجازية قام بها محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى ممالك الحياة الأخرى، عدداً من الروايات المختلفة حول القصة، وقد وقع مؤلفو هذه القصص على صيغ مختلفة من صيغ التعبير والصياغة في أقوال رواة الأحاديث (٦).

إنّ قصتي الإسراء والمعراج، بعد أن توسّع فيهما المفسرون وزيتوها بمختلف المناظر الطبوغرافية والأحداث التفصيلية، سواء استقوها من قصص إسلامية أخرى تتعلق بالحياة بعد الموت، أو من مناظر يوم الحساب الغنيّة بالصور المختلفة، أو من نظريات ومفاهيم بعض الصوفيّين المسلمين حول الجنة والرؤية، وكلها أمور جديرة من الناحيتين المثالية والروحانية بمفهوم دانتي وتصوره للفردوس التي حاكى بها أو قلّد النظرة الإسلامية (٧).

وبعد وفاة (أسين بالاثيوس) بعدة سنوات، نشر الباحثون في اسبانيا وإيطاليا مخطوطة الترجمة اللاتينية والفرنسية لقصة المعراج، وهي تقع في خمسة وثمانين فصلاً، تحتوي على أكبر رواية موسّعة ومستوعبة لمعظم العناصر الثقافية التي لوحظت عند دانتي دون معرفة مصدرها، وتعد هذه القصة إذن المنبع الثقافي الأول

الذي استقى منه دانتي تصوراته عن البناء الهندسي للفردوس والجحيم ومجمل المشاهد المتصلة بالعالم الآخر طبقاً لرؤية الشعوب الإسلامية^(٨).

كلف الملك ألفونسو العاشر طبيبه إبراهيم الطليطلي بأن يترجم من اللغة العربية إلى القشتالية كتاب (معراج محمد) فأخذ هذا على عاتقه مهمة القيام بهذه الترجمة متبعاً تقاليد مدرسة طليطلة العريقة، ولما كانت الترجمة الفرنسية التي نقلت عن الإسبانية قد تمت عام ١٢٦٤ طبقاً لما ورد فيها، فإن الذي يستنتج من ذلك أنه لا بد أن يكون قد فرغ من الترجمة الأولى عام ١٢٦٣ على أكثر تقدير، ويحدثنا المؤرخون عن أن الكتاب اللاتينيين قد أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) دون أي اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان (لجهل الخيال المنتصر)، كما جاء في تعبير بعضهم. فكان محمد (صلى الله عليه وسلم) في عرفهم ساحراً هدم الكنيسة في أفريقيا وفي الشرق عن طريق السحر والخديعة، واستعملت أساطير من الفولكلور الشعبي ومن الأدب الكلاسيكي ومن القصص البيزنطية عن الإسلام وحتى من المصادر الإسلامية بعد تشويه باطل من قبل المسيحيين الشرقيين، كل هذه الأشياء استخدمت لتزيين الصورة الموجهة أساساً إلى العامة، وقد قدر لهذه الصورة أن تزداد زخرفاً في الكثير من الأعمال الأدبية، فقد اختلطت الروايات المحضة التي كان هدفها الوحيد إثارة اهتمام القاريء، على نسب متفاوتة بالعرض المشوه للعقيدة التي ألهمت حقد العدو، ووصلت الملاحم إلى أعلى ذرى الابتكارات الخيالية، إذ اتهم المسلمون بعبادة الأوثان وهم الذين رموا المسيحيين بتعدد الآلهة والشرك^(٩).

ج - تحليل بعض العناصر الصوفية:

❖ الفتوحات المكية لابن عربي

النموذج الأوفى للمتنصوفة نجده عند محي الدين بن عربي الذي توفي عام ٦٣٨م، أي في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، وقد وضع عدة كتب ومؤلفات ذات صلة وثيقة بالإسراء والمعراج مثل كتاب (الإسراء إلى المقام الأسمى) وكتاب (مشاهد الإسراء القدسية ومطامع الأنوار الإلهية) وكتاب (تنزيلات الأملاك في حركات الأفلاك)، وكلها تستقي من الفيض الصوفي وتقدم رؤية خاصة للمعراج تركز على الحقائق الروحية كدلالة أخيرة للظواهر الحسية^(١٠).

لقد كان ابن عربي المرسى الأندلسي من أشهر الصوفيين المسلمين الذين عاشوا قبل دانتي، وقد تشابهت عروجاته إلى السماء بكونميديا دانتي، وقد خصص فصولاً بأكملها في كتابه الضخم (الفتوحات المكية) لوصف النار، التي تصفها المأثورات الإسلامية بأنها بئر أو هوة عميقة عمقاً خيالياً، تتكون من سبعة أطباق، ومما لا شك فيه أن التجديدات التي أدخلتها الصوفية تمثل أهمية كبيرة^(١١).

إنّ الشاعر الصوفي يتمثل تجربة المعراج الروحي للحضرة الإلهية كمنبع يستقي منه صورته الفنيّة بطريقة تربط بين الواقع المادي من ناحية والوسائل الخلقية التي تقود إلى معاينة الأسرار من ناحية أخرى، فهم يقطعون المسافات المكانية والزمانية بالذكر، ويركبون براق الحب، ويقفون على حجر الصفا حتى يصلوا إلى الصورة المركزية المكثفة، حيث يقرعون سماء الجسوم بالمعانة والتطهر حتى تفتح لهم الأبواب، وتنطلق أرواحهم منعتة من برائن المادة وقيود الطبيعة فتصل عن طريق الكمال والإيمان إلى درجة الإحسان والشهود، فإذا قارنا هذه المراحل بالمستويات المجازية للكوميديا الإلهية كما صرح بها دانتي نفسه، وجدنا تشابهاً واضحاً بين الحالتين، إذ أنّ الشاعر الإيطالي قد رصد وراء أبياته ثلاثة مستويات دلالية، أولها: مجاز شخصي، وثانيها: مجاز خلقي معنوي، وثالثها: روعي صوفي، بالإضافة إلى المعنى الحرفي الأول^(١٢).

فدانتي إذن - مثل المتصوّفة المسلمين عامة وابن عربي بصفة خاصة - يستخدم معراج الإنسان إلى السماوات ليرمز به إلى الدراما الصوفيّة للتجدد الأخلاقي للأرواح والكمال والصلاح.

إنّ أهم نص صوفي أثر عن ابن عربي ولوحظت وجوه الشبه القوية العديدة بينه وبين الكوميديا الإلهية هو الفصل الذي ورد في (الفتوحات المكية) تحت عنوان (كيمياء السعادة)^(١٣).

وهناك جوانب متعددة تتشابه فيها هذه القصة الصوفيّة الرمزيّة مع ملحمة دانتي الشعرية، خاصة على ضوء ما ذكرناه من تعدد معاني الكوميديا الإلهية، فكل من المفكرين يعتبر الرحلة رمزاً للحياة المعنوية للأرواح البشرية في هذا العالم، إذ ابتلاهم الخالق سبحانه وتعالى لكي يستحقوا السعادة الأخيرة التي تتمثل في الرؤية الإلهية، على أنّ أحداً لا يستطيع عندهما أن يصل إلى هذه السعادة إلا بمعونة خارقة هي علوم الدين؛ لأنّ الفلسفة البحتة وإن كانت صالحة لهداية الإنسان في المراحل الأولى لرحلته الروحية، أي خلال ممارسته للفضائل الخلقية والعقلية، إلا أنّها لا تستطيع أن ترقى به إلى سماء الفردوس، رمز الفضائل الدينية التي لا يمكن الوصول إليها بدون النعمة النورانية العليا^(١٤).

إنّ الكوميديا الإلهية طبقاً لهذا الفهم، تعبير مجازي عن حياة دانتي الشخصية وعن خلاص البشرية، فدانتي نموذج للإنسان الذي أضله الجهل وأعمته الشهوات، لكنّه يستطيع أن يتحرر من عبودية البشر بهداية من عقله وفضل من الله تعالى، وذلك عن طريق التطهر والتوبة من الذنوب، هذا التطهر الذي يرمز إليه بالرحلة إلى الجحيم والمطهر، وعندما يظفر بهذا الكمال الخلقي يصعد عن طريق التأمل وبنعمة من الله إلى السعادة الخالدة التي تتمثل في لذة الاستمتاع برؤية الذات العلية.

لا شك في أن وجوه التشابه بين هذه الرحلة الصوفية الرمزية وعروج دانتي إلى السماء إنما تبدو واضحة جداً^(١٥)، إذ يتبين لنا بوضوح تام كيف يتفق تفسير دانتي لمراميه مع قصة ابن عربي الرمزية، فقد تخيل كل من المفكرين رحلته باعتبارها رمزاً لحياة الروح في هذه الدنيا التي وضعها الله فيها، لتستعد لبلوغ مرماها الأخير، وهو التلذذ بنعيم الرؤية الإلهية، ولا مزية في أن الكاتبين كليهما قد أعتقد أن هذا المرمى أمر لا يمكن الوصول إليه إلا بتدخل من فوق الطبيعة، أو بالتعمق في دراسة العلوم الإلهية.

إن كلا من قصة ابن عربي وقصيدة دانتي تتشابهان في مادة الصياغة، والأحداث، والمرمى الرمزي، وفي شخصياتهما الرئيسية والثانوية، وفي تصميم سموات النظام الفلكي، وفي الاتجاه التعليمي للأفكار التي قدمها كل منهما، وفي استخدام الأساليب الأدبية لإخراج موسوعة معارف قومية، وفضلاً عن هذه المتشابهات، هناك تشابه في الإبداع الأدبي والفني لكل من العاملين، ونحن ازاء كل هذه الأسباب لا نبالغ إذا قلنا بأن قصة ابن عربي هي أقرب المؤلفات العربية إلى فردوس دانتي خاصة، وإلى الكوميديا الإلهية عامة، في حدود اعتبارنا أن قصة دانتي قصة رمزية أخلاقية تعليمية^(١٦).

ب - رسالة الغفران لأبي العلاء المعري:

يتشابه التجلي في كل من العروجين (أي عروج محمد (صلى الله عليه وسلم) وعروج دانتي)، فقد وصف كل منهما رؤية الله عز وجل كما يأتي: الله مركز نور باهر، يحيط به متسع من دوائر متحدة المركز لا يحصيهم العدد، تنطلق منهم اشعاعات مذهشة، أما العرش عند مركز هذه الدوائر، رأى كل من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ودانتي عظمة هذه الدوائر مرتين وهي تدور بلا توقف حول النور الإلهي، مرة من بعيد قبل أن يصل إلى نهاية رحلته، ومرة ثانية عندما يمثل أمام العرش، كذلك كان الأثر الذي تركته الرؤية في خاطرة كل منهما متشابهة، فقد بهر النور كلا منهما بداية، حتى ظن الواحد منهما أنه قد فقد البصر، لكنه يستعيد قوة الإبصار تدريجياً حتى يستطيع النظر إلى النور، ويعجز كل منهما عن وصف الرؤية، ولا يتذكر إلا أنه انبهر بجمال الخالق، وأن ذاته قد أشرقت بهذا الجمال المقدس^(١٧).

إلى جانب الملامح العامة التي يلتقي فيها دانتي مع المعري، هناك بعض الحوادث الخاصة التي يصل فيها التشابه إلى درجة التطابق، بالإضافة إلى بعض الملامح المحددة الأخرى.

ومن قبيل هذا النوع من التشابه لقاء ابن القارح بآدم (عليه السلام) في الجنة، إذ نجد أن موضوع الحديث الرئيسي بينهما هو اللغة الفطرية الأولى التي كان يتحدث بها أبو البشر، فيقول آدم (عليه السلام): إنما كنت أتكلم بالعربية وأنا في الجنة، فلما هبطت إلى الأرض نقل لساني إلى السريانية فلم أنطق بغيرها إلى أن هلكت، فلما ردني الله

سبحانه وتعالى إلى الجنة عادت عليّ العربية، كذلك يلتقي دانتي في السماء الثامنة بآدم (عليه السلام)، إذ يكون موضوع الحوار الرئيسي بينهما هو أيضاً اللغة التي كانت يتحدث بها أبو البشر خلال إقامته في جنة الأرض، هذا مع اختلاف اللغات التي يعزوها دانتي إلى آدم (عليه السلام) عن تلك التي ذكرها المعريّ بطبيعة الحال^(١٨).

ثانياً / التحليل المقارن لأجزاء الكوميديا الإلهية

١ - البناء الهندسي للجحيم:

يجمع الباحثون على أنّ كلّ أوصاف الجحيم الواردة في العهد القديم والأدب الكلاسيكي وفي العصور الوسطى الأولى (السابقة لدانتي)، كانت أوصافاً بسيطة مبهمة لا لون لها، ولا تشبه تلك الصور الغنيّة المجسّمة التشكيلية الواضحة التي رسمها دانتي للجحيم، إلاّ أنّه عندما اكتشف تأثير الثقافة الإسلامية فيه، أدرك الباحثون بأنّها المصدر الحقيقي الذي نهل منه دانتي كثيراً من أوصافه.

لنبدأ بالتصميم المعماري للجحيم، فإذا كان القرآن الكريم لم يحدد موقع وشكل الجحيم، فإنّ عناصر السنّة والتراث قد تكفّلت بذلك، فهي تضع الجحيم مثل دانتي تحت القشرة الأرضية، ومدخل الجحيم في الروايات الإسلامية التي تتعرّض لتحديده يقع في القدس، مثل ما نجد في الكوميديا الإلهية، بل هو على وجه الدقة خلف الجدار الشرقي لمعبد سليمان (عليه السلام).

ولعل أكبر مؤلف إسلامي حاول أن يرسم بدقة التخطيط التفصيلي للجحيم وفقاً للتصور الصوفيّ هو ابن عربي، ومعنى هذا أنّ تقسيم النار إلى درجات يقوم على معيار خلقي يشبه نظيره عند دانتي في الكوميديا الإلهية ولا يعتمد على أساس عقائدي صرف.

إنّ العامل المشترك بين دانتي والتراث الإسلامي في التصور المعماري للجحيم، هو أنّ تحت سطح الأرض توجد هاوية ضخمة على شكل قمع حافته إلى أعلى، وهو عبارة عن طبقات أو درجات، كلّ منها خاص بعقوبة؛ لكنّ دانتي فضّل النموذج الإسلامي الذي يقسم الجحيم إلى طبقات عامة تحوي على تقسيمات أخرى فرعية تخدم الهدف الأخلاقي، وذلك ما سمّاه شراح دانتي بالبناء الأخلاقي للجحيم، وهو مستقى من الروايات الإسلامية.

يطلق دانتي أسماء محددة على قلاع الجحيم مثل مدينة (ديتي) ومنطقة (ماليبولجي) ذات الحفر العشر، ومنطقة (قابيل)، وكلّ منها يتميّز إمّا بجبّ سحيق أو واد أليم أو غابة مليئة بشجر الزقوم بنفس الطريقة التي وُصفت بها جهنم في التراث الإسلامي، إذ أخذت أسماء محددة مثل حطمة وسعير وسقر وسجّين والهاوية وامتألت كلّ واحدة منها بأنواع خاصة من المذنبين وأهل النار، ممّا يؤكد العلاقة الداخلية بين هذه التصورات بطريقة موضوعية لا تدع مجالاً لنسبتها إلى مجرد التوافق والصدفة^(١٩).

إنّ التصميم العام للجحيم صورة طبق الأصل من النار الإسلامية، فكل منها على صورة قمع كبير أو مخروط مقلوب، يتكون من أطباق بعضها فوق بعض، كلّ طبق منها مخصّص لفئة معينة من الهالكين: ينقسم كلّ طبق من هذه الأطباق إلى دركات مختلفة لمختلف درجات الجرم، وكلّ طبق أشدّ حرّاً من الذي فوقه، وكلّما عمق الطبق اشتدّت العقوبة تبعاً للإثم، ثم إنّ النظام الأخلاقي في كل من النارين متشابه، ذلك أنّ التكفير عن الذنوب في كليهما إمّا مشابه للإثم الذي ارتكبه الشقيّ وإمّا نقيضه، وأخيراً تقع كل منهما في أعماق الأرض تحت مدينة القدس^(٢٠).

إنّ المفسرين المسلمين يتفقون مع دانتي في تحديد لهم لجهنّم تحت الأرض، ويصورها لنا القصص الإسلامي على أنّها هوة مظلمة عميقة أو فتحة مقعرة في باطن الأرض، إذا ألقيت فيها الصخرة العظيمة تهوي بها سبعين خريفاً ما تصل إلى قرارها، ويقع شفير جهنم كما في الكوميديا الإلهية عند القدس، بجوار أو خلف الحائط الشرقي لمعبد سليمان.

ونلاحظ هنا أنّ دانتي وضع القدس السماوية على خط عمودي مع القدس الأرضية، وهذا وضع حدده المسلمون من قبل للـ(الجنة)، فقد وضعوها في السماء على خط عمودي مع القدس. إلا أنّ هناك متشابهات أخرى تتعلق بتصميم دانتي الشبيه بتصميم النار الإسلامية، الذي هو عبارة عن مجموعة من الطبقات المستديرة المتحدة المركز تقع الواحدة منها فوق الأخرى، وقد ابتكر المفسرون المسلمون هذا التصور لتركيب النار وهم يحاولون تفسير الآية القرآنية: (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)^(٢١). غير أنّ عقبة اعترضت هؤلاء المفسرين أعجزتهم عن تفسير هذه الآية، هي المعنى الحرفي لكلمة (باب)، عندئذ لجئوا إلى تفسير مجازي لهذه الكلمة بمعنى طبقة، ثم مكنهم هذا التفسير من تصور النار باعتبارها سجناً يتكون من سبعة خنادق أو أبيار، كلّ منها قد أعدّ لطبقة معينة من الأشقياء، وعمد المفسرون إلى نسبة هذا التفسير إلى الإمام علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) ليعطوه سنداً قوياً^(٢٢).

ولقد جمع علماء الإسلام الروايات المختلفة ودونوها في المجموعات التي وصلتنا، فمقارنة الصورة التي قدّمها المؤلفون للنار في الإسلام بجحيم دانتي، إمّا تفصح عن تشابه مدهش، إذ نرى أنّ جحيم دانتي قد صورّ مثل النار الإسلامية، الكثير من المناظر الجبلية، ومناظر الماء، ومختلف المناظر من الصخور والتلال والجبال والخنادق، والأنهار والبحار والبحيرات، والتوابيت والسجون والقصور، وتحمل هذه الملامح الطوبوغرافية أسماء خاصة في كلّ من الأوصاف الإسلامية وأوصاف دانتي، ثمّ أنّ دانتي اتّبع نفس المبادئ التي اتّبعها المؤلفون المسلمون، ذلك أنّ دانتي سمّى الأجزاء المختلفة بأسماء من ينزل فيها، مثل دار الخونة، أو سمّاها وفق الأوضاع الطبيعية والأخلاقية للمكان ذاته، كما سمّى الدائرة الثامنة (مالبولج)، كما أنّ أجزاء النار في الإسلام وضعت لها أسماء بناء على الملامح الطوبوغرافية التي تميّزها.

مما سبق يتبين أنّ النار في الإسلام تتطابق مع جحيم دانتي في كونه هوة عميقة في باطن الأرض، تتكون من أطباق أو دوائر الواحدة فوق الأخرى، تتناسب مع العذاب المهيء للأشقياء في كلّ منها، وإنّ كلّ طبق من هذه الأطباق في الإسلام، وكلّ دائرة عند دانتي مقسّمة إلى أجزاء ثانوية، وكلّ جزء من أجزاء النّار في الإسلام، وفي جحيم دانتي يحمل اسماً خاصاً، وينزل فيه طبقة معينة من الآثمين. ولا يمكن إرجاع كلا التّصوّرين إلى مثال مسيحي؛ ذلك لأنّ العلم الخاص بالأخرويات سواء في الكنيسة الشرقية أو الغربية يخلو من هذه الناحية^(٢٣).

لقد بيّن دانتي في جحيمه بأنّ أرواح أصحاب النّار تقيم إقامة دائمة في الدور التي تنزل بها، وأمّا أصحاب النعيم في الفردوس فينزلون سماء السماوات أو عليّين حيث يقيمون في سماوات النظام الفلكية المختلفة، ويستقبلون دانتي بالترحاب، ومن ثمّ يشعر بدرجات النعيم المختلفة، ويفترض دانتي عودتهم إلى سماء السماوات، إذ يراهم في سماء النجوم الثوابت مرة ثانية، وقد تجمعوا في حشد واحد كبير. وهذه الفكرة هي نفسها عند ابن عربي، فقد كان الأنبياء ينزلون إلى مختلف السماوات للترحيب به، وقد رأى في سماء النجوم الثوابت أرواح جميع المنعمين معاً، ورأى عند العرش آدم وإبراهيم (عليهما السلام)، وكان قد رأى أحدهما في السماء الأولى، والثاني في السماء السابعة^(٢٤).

فضلاً عن ذلك هناك تشابه كبير بين ضروب التعذيب في كلّ من الثّارين، مثال ذلك أنّ الزناة الذين تتقاذفهم هنا وهناك زوبعة جحيمية عند دانتي، وفي النار الإسلامية تتقاذفهم السنة هائلة من الثّيران ترمي بهم عاليّاً وإلى أسفل، أمّا العطش الشديد الذي يقاسيه المزورون في الكوميديا الإلهية، يقاسيه في النّار الإسلامية شاربو الخمر، كما يعاني المزورون عند دانتي من بطونهم المنتفخة، ويعاني المرابون في النّار الإسلامية بحسب إحدى الروايات عذاباً مشابهاً^(٢٥).

٢- تصوّر الأعراف:

يتحدث القرآن الكريم عن دار من دور العالم الآخر سمّاها (الأعراف): قال تعالى (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يَدْخُلُوها وهم يطْمَعُونَ^(٢٦))، وقال تعالى: (ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون^(٢٧))، تقع بين منازل السعداء ومنازل الأشقياء، فالأعراف سور بين الجنّة والنّار، والأعراف جمع عرف وهو كلّ ما ارتفع من الأرض، من هنا ندرك أنّ كلمتي الأعراف والمبوء تتشابهان في المعنى.

وقد بيّن علماء الإسلام ومنهم الغزاليّ، أنّ الأعراف هي دار أولئك الذين لم يكونوا لا أتقياء ولا فاسقين، وقد صنّف المفسرون المسلمون بناء على هذه النظرية، الطوائف التي ستدخل الأعراف كما يلي: شهداء الجهاد في سبيل الله الذين حرموا من الجنة لعقوقهم لأبائهم، والعلماء الذين أبطل غرورهم فضائلهم التي كانوا يستحقون من أجلها دخول الجنة، وأطفال المسلمين والكفار، والملائكة الذكور، أو الجانّ الذين آمنوا برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولاشك في أنّ هذه الطوائف تتطابق تطابقاً واضحاً مع الطوائف التي وضعها دانتي في الليمبو، وهم الأطفال الذين لم يعمدوا، والأبطال، والشعراء، والفلاسفة الذين أبطل عدم إيمانهم ما تحلّوا به من فضائل...^(٢٨).

كان أولّ مكان يزوره دانتي في العالم الآخر هو الليمبو، أي الأعراف، وهي منطقة تقع فوق الجحيم مباشرة، وتنقسم إلى شطرين: الأول ما يلي الجحيم، وتسكنه أرواح الأطفال ومن ماتوا دون أن يعملوا خيراً أو شراً، أي الذين عاشوا على حد تعبير دانتي نفسه دون خزي أو ثناء.

أمّا الشطر الثاني فهو يتكون من سهل عميق تحفّ به الأشجار، كأثّة غابة محاطة سبع مرات بأسوار عالية ومحمية من حولها بجدول جميل، وفيها تسكن أرواح من ماتوا على الفطرة قبل الأديان، وأرواح الحكماء والفلاسفة والأبطال ممّن لم يعتنقوا المسيحية عند دانتي بالرغم من نبلهم وحكمتهم، ولا يعاني جميع هؤلاء من العذاب سوى الحرمان من الجنة، دون أن يمسه شيء من الجحيم.

ولمّا كان الفكر المسيحي وتقاليده يخلوان تماماً من مرتبة الأعراف، حتى إنّ اسمها نفسه لم يوجد إلا في عصر دانتي، ويخلوان من أية إشارة محددة لموقعها وشكلها، فإنّ مصدر دانتي الوحيد في تصوّرها يكون الثقافة الإسلامية، التي أفاضت في الحديث عن الأعراف ابتداء من القرآن الكريم.

ووفق التحليل اللغوي، نجد أنّ الأعراف قبل الإسلام كان معناها الحجاب أو حافة الشيء، وخصّصها القرآن الكريم لهذا المكان المتميّز من الدار الآخرة، كذلك نجد أنّ كلمة (لمبوس limbus) في الاستخدام الكلاسيكي تعني الحافة أو الشاطيء، ولم تستخدم للدلالة على هذه المرتبة في الدار الآخرة إلا في القرن الثالث عشر، خاصة عند دانتي في الكوميديا الإلهية^(٢٩).

٣- المطهر الإسلامي (الصراط):

الصراط هو جسر ممدود على متن جهنم ويجتازه أهل الجنة بأعمالهم: (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون) (٣٠).

إنّ الإسلام أخذ بمبدأ المطهر باعتباره حالة تكفير مؤقت يخضع لها جميع الآثمين الذين ماتوا مسلمين، وصوّر المطهر (الصراط) على أنّه قريب من النار، ولكّنه منفصل عنها، وفي حين توصف النار بأنّها في باطن الأرض، يوصف المطهر بأنّه فوق الأرض لا في باطنها، ويؤيد هذا القول، فضلاً عن هذه الملامح الطبوغرافية، إذ يصف الخطوط العامة للتكفير عن الآثام.

أمّا الكنيسة فقد عمدت دائماً إلى تجنب الأوصاف الخيالية لممالك الآخرة وخاصة المطهر، والمرحلة الأخيرة التي اجتازها دانتي في المطهر، والتي في أثنائها محبت من على جبهته العلامة التي ترمز للإثم، واغتسل في مياه نهري الليث والأيويني، ثم دخل الجنة الأرضية، هي نفس المرحلة التي تُحدثنا بها القصة الإسلامية بتفاصيلها النموذجية الشبيهة بالمراحل المذكورة في الإسراء والمعراج.

ثمّ إنّ هناك رواية ضمن مجموعة أخرى من قصص الآخرة تصف الصراط وصفاً مطابقاً تماماً لوصف دانتي (جبل بين الجنة والنار يحبس فيه المذنبون) (٣١).

هناك تشابه كبير بين مطهر الإسلام ومطهر دانتي بحسب التصور الصوفي، إذ إنّ ابن عربي يرسم صورته بأقصى ما يمكن من تفاصيل، ونحن أزاء تعدد الصور وغازلة التفاصيل التي جاءت أوصافها في الأدب الإسلامي المتعلق بالآخرة، عن الصراط وهو مكان التطهر من الذنوب، إمّا يبيّن لنا بوضوح أنّ تصور دانتي لطبوغرافية هذا المكان، أمر يصعب الادعاء بأنّه ابتكاري.

لقد وضع دانتي عقوبات المطهر والجحيم على أساس مبدأ العلاقة المتبادلة بين الذنب والعقوبة، ومن ثمّ وضع الأرواح التي تطهرت من ذنب الكبر في الدائرة الأولى ووصفهم بأنّ كانوا يمشون وقد ثقلت كواهلهم تحت وطأة ما يحملون من حجارة ثقيلة، وهذه هي نفس العقوبة التي وضعها الإسلام للبخلاء والأغنياء من السراق (٣٢).

٤- عذاب الزمهير:

هناك صنف واحد من العذاب الذي سلّط على سكان الدائرة التاسعة من الجحيم وهو العذاب بالبرد الشديد، إذ رأى دانتي بحيرة كان لها من التجمّد صورة الزجاج لا الماء، وقد انغمس في ثلجها المعذبون حتى ازرقّت ألوانهم وتجمد الدمع على خنودهم من قسوة الزمهير وتشوّهت وجوههم من أثره، فتساقطت آذان بعضهم وأصبح الآخرون على هيئة الكلاب، ومن المعروف أنّ العذاب الشديد بالبرد لا نظير له في

التراث المسيحي ممّا حيرَ شرّاح دانتى، لكن عند التأمل في التراث الإسلامي نجد أنّ القرآن الكريم يصف حال أهل الجنة بأنهم: (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) (٣٣). وبناء على ذلك فإنّ المفسرين قد ملأوا الجحيم بالنوعين من الحرور والزمهرير.

ولم يكن دانتى بحاجة إلى الاطلاع على هذه المصادر الإسلامية كي ينقل فكرة العذاب بالزمهرير، فقد سيقّت إليه مكتملة في قصة معراج محمد (صلى الله عليه وسلم) في الفصل الستين عند الحديث عن الزمهرير الذي يعصف بمنزل إبليس في الجحيم (٣٤).

إنّ جميع سكان الدرك الأسفل يقاسون عقوبة واحدة، هي عذاب الزمهرير، وتحفظ بحيرة كوكتيس التي تستغرق هذا الدرك كلّ بدرجة تجمدها عن طريق الريح الثلجية التي تحدّثها أجنحة لوسيفر، وقد وضع دانتى في مياهاها المتجمدة أربع طوائف من أهل النار، وصوّرهم في أوضاع مختلفة.

من هنا يتضح أنّ الآخرة في الكتاب المقدس لم تتطرق إلى أي عذاب بالزمهرير، أمّا الروايات الإسلامية فقد وضعت هذا العذاب برفقة عذاب النار. فالقرآن الكريم قد أشار إلى هذا الضرب من العذاب في قوله تعالى (متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) (٣٥). وقد فسّرت الأحاديث النبوية الآية، بأنّ عذاب الزمهرير ضرب من ضروب العذاب في النار، وهو في الواقع عذاب أشدّ قسوة من عذاب النار.

وبناء على التفسير العلمي لكلمة (زمهرير) والذي هو أقصى ضروب الريح برودة، أو ذلك الهواء المتوسط بين الأرض وقلبك القمر، فإنّ الآثمين في الإسلام يقاسون كما عند دانتى عذاباً مزدوجاً، هو عبارة عن تعريضهم للمياه المتجمدة ولهجمات الريح شديدة البرودة (٣٦).

٥ - خطوات سكان الجحيم:

هناك تفصيل عن خطوات سكان الجحيم، وكيف أنّها تمضي دائماً نحو الشمال، وقد جهد شرّاح دانتى في إضفاء المعاني المجازية والرمزية على هذه الجزئية، وفاتهم أنّ التراث الإسلامي هو الذي أوحى لدانتى بها، فأهل النار هم أهل الميسرة والمشأمة في النصوص الإسلامية، وكان ابن عربي يقول بأنّ أهل النار ليس لهم يمين، كما أنّ أهل الجنة ليس لهم يسار، ويعتمد الصوفيّ المسلم في ذلك على نص قرآني هو قوله تعالى (نورهم يسعى بينهم وبأيمانهم) (٣٧). ؛ لأنّ السعي مشي وإنّما قال (بأيمانهم) بحسب تفسير ابن عربي ؛ لأنّ المؤمن في الآخرة لا شمال له، كما أنّ أهل النار لا يمين لهم (٣٨).

ومن الملاحظ على خطى دانتي ودليله أنهما لا يتجهان إلى اليمين، وإنما يتجهان دائماً إلى اليسار، ويشير دانتي إلى سيره في الجحيم (وأخذ الشاعر الجانب الأيسر وسرت من ورائه)، وهنا فسّر الدانتيون ذلك تفسيراً رمزياً، ويجمع الباحثون على أنّ هذا يشبه ما جاء في التراث الإسلامي وفي القرآن الكريم، كما جاء في (سورة التحريم: ٨)، في كون أنّ أهل الجنة لا يسار لهم وأنّ أهل النار لا يمين لهم^(٣٩).

٦- الريح السوداء:

ينسب الرواة إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، أنّ الله يعذب بريح سوداء مظلمة من يشاء من أهل النار، وهذه الريح هي نفسها الريح العقيم التي أرسلها الله تعالى إلى قوم عاد لمعاقبتهم على شرورهم، وهو منظر متكرر في الأوصاف التي جاءت على ألسنة المفسرين للقرآن الكريم وللأحاديث النبوية بعبارات شبيهة لأوصاف دانتي.

لقد ساق الله سبحانه وتعالى السحابة السوداء بما فيها من النعمة على عاد، وأمر الله الريح أن تخرج عليهم فتنتقم منهم (فخرجت بغير كيل ولا وزن، حتى رجفت الأرض فيما يلي المشرق والمغرب)، يقول عزّ وجل في كتابه (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية)^(٤٠)، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال، وهي تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فساروا إلى البيوت فلما دخلوها، دخلت عليهم الريح فأخرجتهم منها فهلكوا.

وعند مقارنة هذا المنظر بما ذكر من أحداث في الكوميديا الإلهية - زوبعة جحيمية، ريح سوداء مظلمة تتخللها إشعاعات ارجوانية تهب بعنف وبلا انقطاع، تزار كالبحر العاصف، وقد اكتسحت الفاسقين في دوامتها، تتقاذفهم هنا وهناك، وترمي بهم إلى أعلى وإلى أسفل - نجد أنّ التشابه قد امتد إلى صيغة التعبير ذاتها^(٤١).

إنّ لقاء دانتي في الدائرة الأولى من الجحيم بمرتكبي خطايا الجسد وهم يتعرضون للعاصفة الجهنمية التي لا تهدأ أبداً، ولا تكف عن الدوران بهوائها الأسود، هذه العاصفة هي نفسها التي نجدها في التراث الإسلامي، وهي امتداد للريح المشؤوم الذي أهلك الله به قوم عاد عندما كذبوا نبيهم هود عليه السلام، وإذا قارنا بعض التفاصيل الدقيقة في المصادر الإسلامية بما يخص هذه الريح، نستطيع أن نلمس وجوه الشبه القويّة بينها وبين ما ورد عند دانتي، من ذلك ما جاء في قصص الأنبياء وقارنه الباحثون بعبارات من دانتي على الوجه التالي:

من قصص الأنبياء	من الجحيم الدانتي
١ - فساق الله السحابة السوداء التي اختارها ٢ - الأسود	فهبت العاصفة الجهنمية بهوائها
٣ - رأيت ريحاً فيها كشهب النار	ريح متقدة النار
٤ - ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء	ريح مضنية أليمة
٥ - الريح العقيم	هواء خبيث
٦ - فتحملهم وتدفعهم حتى هلكوا	ترهقهم وهي تدور بهم
٧ - وتطير بهم الريح بين السماء والأرض	تقودهم في الفضاء بعنف لا يهدأ
٨ - فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمي به فيندق عنقه	تقودهم هنا وهناك إلى أسفل وإلى أعلى لا يحدوهم الأمل في الراحة ^(٤٢) .

الخاتمة

إنّ مقارنة منهجية في الخطوط العامة للقصة الإسلامية والخطوط العامة لقصيدة دانتي، تؤكد التشابه بينهما، فقد امتد التشابه بين القصّتين إلى التفاصيل الوضعية وتفاصيل الأحداث ومختلف الصور الحيّة المثيرة والناضبة بالحركة، وإلى ما يسمى ب (هندسة الممالك الأخروية)، أي التصور الطوبوغرافي لدركات النار ودرجات الجنة، والتي تشير إلى أنّ المهندس الذي صمّم العاملين مهندس واحد، هو المهندس الإسلامي. وتصميم الجحيم في قصة دانتي له ما يقابله في القصص الإسلامية، ابتداء من روايات القرن التاسع الميلادي.

يتضح لنا أنّ تلك الفكرة التي سيطرت على دانتي وحفّزته على استعراض معارفه وعلمه الغزير، على حساب المظهر الفني العملي له، لها ما يقابلها في القصة الإسلامية، فقد جعل دانتي من الكوميديا الإلهية بحثاً علمياً حقيقياً بتلك البحوث الفلسفية واللاهوتية المطوّلة، والتي وضعها على لسان بياتريتشى وغيرها بقصد تثقيف هذا الزائر الذي يجتاز السماوات، وكذلك لجأ ابن عربي إلى منهج شبيه لعرض مشكلاته الثيوصوفية، عندما عمد إلى أن يجعل الأنبياء يناقشونها، مناقشات مطوّلة ومعقدة.

كما يمكن أن نحصي من خلال ملاحظات الدارسين لملحمة دانتي عدداً من الإشارات المباشرة إلى وجود شبه واضح بين اشارات متعددة في الملحمة وآيات من القرآن الكريم، ولا يمكن أن يقوم الشبه بينهما من باب الصدفة المحضة، وإنما يجب أن يكون من خلال المعرفة الدقيقة بالآيات القرآنية أو مضامينها، وذلك بواسطة القراءة المباشرة للتفسير والشروح التي وضعها المفسرون والزّهاد والمتصوفة.

إن كثيراً من المواد الأولية التي صاغ منها دانتي صورته وتصوّراته عن الجحيم مستقاة من التراث الإسلامي، وإذا كانت القدرة الشعرية تعتمد أولاً على عبقرية الصياغة والسياق الفلسفي والفكري الجديد، فإنّ هذا التأثير لا يقلل بحال من قيمة الشاعر الإيطالي، بل يوضح طبيعة إبداعه ومدى أصالته.

المصادر:

- ❖ القرآن الكريم
- ❖ أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، مجيل آسين، ت: جلال مظهر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، ١٩٨٠.
- ❖ الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، د. داود سلوم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.
- ❖ تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، د. صلاح فضل، دار الشروق - القاهرة، ط٣، ١٩٨٦.

الهوامش:

- (١) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، مجيل آسين، ت: جلال مظهر، ١٣.
- (٢) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، د. صلاح فضل، ٣٦-٣٧.
- (٣) القرآن الكريم، سورة الإسراء: ١.
- (٤) القرآن الكريم، سورة النجم: ١٣-١٨.
- (٥) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ٤٦.
- (٦) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ٧٩.
- (٧) م. ن، ١٣.
- (٨) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ٤٩.
- (٩) م. ن، ٦١-٦٢.
- (١٠) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ٨٤-٨٥.
- (١١) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ١٠٠-١٠١.
- (٢) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ٨٥-٨٦.
- (٣) م. ن، ٨٩.
- (٤) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ٩٤.
- (٥) م. ن، ٨٦.
- (٦) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية لدانتي، ٦٣-٦٥.
- (٧) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية لدانتي، ٨٥.
- (٨) م. ن، ٨٤-٨٥.

- (٩) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ١١١-١١٤.
- (٢٠) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية لدانتي، ٨٠.
- (٢١) القرآن الكريم، الحجر، ٤٤.
- (٢٢) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ٩٦.
- (٢٣) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ٩٩-١٠٠.
- (٢٤) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ٦٤.
- (٢٥) م. ن، ٨٠.
- (٢٦) القرآن الكريم - الأعراف: ٤٦.
- (٢٧) القرآن الكريم - الأعراف: ٤٨.
- (٢٨) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ٩٢-٩٣.
- (٢٩) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ١١٠.
- (٣٠) القرآن الكريم- يس: ٦٦.
- (٣١) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ١١٩-١٢٠.
- (٣٢) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ١٢٣-١٢٤.
- (٣٣) القرآن الكريم - الإنسان، ١٣٠.
- (٣٤) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ١٢٤.
- (٣٥) القرآن الكريم- الإنسان: ١٣.
- (٣٦) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ١١٤-١١٥.
- (٣٦) القرآن الكريم- التحريم: ٨.
- (٣٧) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ١١٨.
- (٣٨) الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية، د. داوود سلوم، ٢٨٧.
- (٣٩) القرآن الكريم- الحاقة: ٧.
- (٤٠) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ١٠٥-١٠٦.
- (٤١) تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي، ١١٩.

الواقع السياسي للأمة من خلال

فقه الأولويات: طاعة ولي الأمر أنموذجا

The political reality of the nation through the jurisprudence of priorities: obedience of the ruler as a model

الدكتور: الكوري السالم المختار الحاج
محاضر في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

Dr. Al - Salem Al - Mukhtar Al - Haj, Lecturer in the
Faculty of Sharia and Islamic Studies, Qatar University
ksmaleg2006@hotmail.com

مع اندلاع ثورات الربيع العربي حدثت هزات كان أثرها خطيرا وعميقا في حياة الأمة، لما أحدثته من تغيرات على مستوى ممارسة وسلوك القادة والسياسيين وعامة الشعب، ولما تمثلته هذه الثورات للشعوب من أمل في التغيير الإيجابي الذي يوفر للمواطن حقوقه الكاملة في العدالة والحرية والديمقراطية، وهي القيم التي بها تتحقق كرامته البشرية وحقوقه الإنسانية، اعتبارا لكل هذه الحقائق يبرز دور فقه الأولويات وتتجدد أهميته في مجابهة إشكالات الفقه السلطاني في القرن الواحد والعشرين، مما يعني البحث في مجالات متعددة من بينها حدود الطاعة ومقتضياتها، وهنا يجب الانطلاق من مجموعة من الأسئلة المرجعية من أهمها:

- لما ذا يدخل في مسمى الطاعة ولما ذا يعتبر شقا لعصاها؟

- لما ذا يسمح به من الاحتجاجات ضد السلطان وما هو الخارج منها عن دائرة الجواز؟
- وما هو دور فقه الأولويات في بناء تصور للفقه السلطاني يراعي حاجيات ومتطلبات التطور؟ ويحدد ضوابط وخوارم الطاعة بما ينسجم مع الواقع والنص؟
- وما هي المرجعية المؤسسة لذلك؟

• هل هي الموروث الفقهي الذي يجعل من طاعة المستبد الفاسد الغاية والوسيلة للنجاة في الحياة الدنيوية والأخروية، أم الفقه المتمرد العصي على الطاعة والانسجام ولو اتقى الحاكم وأصلح! أم أن في النص الشرعي ما يقيم أود الحكام المنحرفين ويسددهم، ويمنح أهل الشورى وجماعة الحل والعقد من السلطة والنفوذ ما يعزلون به الحاكم الفاسد المستبد، ولولم يروا "الكفر البواح"؟

• هل ظلم الحاكم للناس وغمطه لهم وانتقاصه لحقوقهم يسقط البيعة باعتباره نكوثا بالعقد المبرم بين الحاكم والأمة؟ أم أن على المرء أن يصبر ولو "جلد ظهره وأخذ ماله"؟

تلك أسئلة إشكالية مطروحة خصوصا أن الواقع السياسي في العالم العربي الإسلامي يعاني في الوقت الراهن من تحكم واستشراء الاستبداد بشتى صوره ومختلف أنواعه في الغالب الأعم، مما جعل الشعوب الطامحة للحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وقبل كل ذلك الطامحة إلى الكرامة تناضل باستماتة لاستعادة حقوق مشروعة صادرتها الديكتاتوريات المتوحشة التي تريد الوطن لذاتها، ولا تريد نفسها للوطن، ولذلك جعلت من الإنسان عامل سخرة ومن ثروات الأمة نهبا مستباحا، وكل ذلك الواقع أفرز غبشا في الرؤية، وخللا في الممارسة، وقصورا في الاجتهاد والتنظير، مما جعل الرؤية الفقهية المعاصرة عاجزة أو قاصرة عن سد الفراغ رغم وفرة ومرونة النصوص الشرعية وبداهة مسألة المقاصد. وفي هذا الخضم بقي الرأي الفقهي مطالبا بالإجابة عن أسئلة من قبيل:

- هل الشورى ملزمة أو معلمة فقط؟
- هل قرشية الإمام فرض لازم؟ أو هي استجابة لظروف موضوعية وواقع معيش؟

- هل الولاية على سبيل التأييد تنسجم مع المصلحة وتحقق المقصد؟
- هل التمثيل النيابي والمحلي يعتبر في عالم اليوم ضرورة ملحة تملئها المصلحة أم هو ابتداع في الدين؟
- هل الانتخابات صيغة مقبولة لعقد البيعة؟
- وهل الاستفتاء ممارسة لفريضة الشورى؟

كل ذلك يندرج ضمن ما نحن بحاجة إلى أسلمته وتقنيته من فروع القانون الدستوري وتأصيله طبقاً لمقتضيات النص، بما يحقق المقصد المنشود، باعتبار أن الأحكام السلطانية كانت سبب أزممتنا الأولى، وما زالت عقبتنا الكؤود، يقول الشهرستاني إن "أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان" ^(١) وتبعاً لكل ذلك يكون العقل المسلم مطالباً ببناء تصور متكامل للفقهاء السلطاني يحدد الأحكام المتعلقة بالوالي اختياراً وخلعاً، وما يملكه من صلاحية يخولها له العقد المبرم بينه وبين الأمة، وضوابط هذا العقد وخوارمه، وآليات المتابعة ومحاسبة ولاة الأمور لتحقيق المصلحة العليا، والأمة بحاجة إلى فقه للأولويات يضع مصلحة الأمة فوق رغبات حكامها، ويجعل الحاكم تبعاً للنص منضبطاً بمقتضاه، باعتباره فرداً من الأمة، وليس جباراً متألهاً يسحقها بجبروته، ومن الضروري قيام النخب النابهة في الأمة بالتداعي إلى كلمة سواء، تضع في الاعتبار حقيقة أن أزممتنا الأولى في أصلها أزمة دستورية كانت تداعياتها وراء الكثير من الخلافات العقدية التي مزقت الأمة إلى أشلاء، ومن ثم فإن الحاجة ماسة لبناء مقاربة تحدد ملامح وشرائط الحكم الإسلامي المطلوب في القرن الواحد والعشرين، وسأتناول في هذا البحث موضوع: "الواقع السياسي للأمة من خلال فقه الأولويات: طاعة ولي الأمر انموذجاً". وللضرورة المنهجية أقسمه إلى محورين وخاتمة:

- المحور الأول: ضوابط وشروط طاعة ولي الأمر من خلال النص الشرعي.
- المحور الثاني: ضوابط معارضة ولاة الأمور.
- خاتمة تحدد خلاصات واستنتاجات الورقة.

أولاً: ضوابط وشروط طاعة ولي الأمر من خلال النص الشرعي

تحتل الولاية في الفقه الإسلامي مكانة كبيرة جعل بعض الفئات الإسلامية مثل الشيعة يعتبرونها من المرتكزات العقدية، بينما يعتبرها أهل السنة والجماعة من ضمن الأحكام الفقهية، وإدراجها ضمن الأحكام العقدية إنما هو اعتبار لأهميتها وتأثيرها البالغ على الأمة، وهي موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، وضرورة قائمة وقديما قال الأفوه الأودي وهو شاعر جاهلي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا^(٢)

والولاية في الفقه الإسلامي منوطة بالجماعة المسلمة، وذات صبغة تعاقدية طرفاها الحاكم والأمة كما يبين ذلك حديث بكير بن وهب الجزري حيث قال: قال أنس بن مالك: أحدثك حديثاً ما أحدثه كل أحد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب ونحن فيه، فقال: الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقاً، ولكم عليهم مثل ذلك، ما إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين^(٣)، ويبين الطابع التعاقدية للولاية ما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم وبين أبي بكر لما استخلف حيث جعلوا له ألفين فقال: زيدوني فإن لي عيالا وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة^(٤)، فقد جعلوا الراتب عوض الاشتغال والتفرغ لشؤون المسلمين، ومسألة قرشية الإمام الواردة في الحديث من المواضيع التي للفقهاء فيها كلام لسنا بصدد بسطه هنا، تجنباً للإطالة في الاستطراد، والتزاماً بواجب التعاطي المنهجي مع محاور الموضوع، فليست الولاية كهنوتية يختص بها رجال الدين، ولا وصية يختص بها الولي الفقيه، فهي شوروية في توجهها وممارستها والاختلاف الجوهري بين الحكم الإسلامي والحكم الديمقراطي، يتمثل في أن النص الشرعي في الحكم الإسلامي هو المرجع والمصدر للتشريع، بينما يمثل الشعب في الحكم الديمقراطي مرجع ومصدر النظم والقوانين^(٥)، ومع أن النص لم يحدد شكل الحكم بالتفصيل، وفي ذلك حكمة بليغة لأن صلاحية النص لكل زمان ومكان تقتضي خضوع شكل الحكم لسنن التطور ضمن القواعد العامة والضوابط الكلية المقررة شرعاً مثل قاعدة الشورى، والعدل ومنع الضرر^(٦). وتمثل طاعة ولي الأمر والنصح له فرضاً أكيدا وواجبا شرعياً لا يتطرق إليه الخلاف، لتواتر النصوص على ذلك ومنها على سبيل المثال:

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء: ٥٩]

- عن جنادة بن أبي أمية قال دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال: دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان.^(٧)

- عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة.

- عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية.^(٨)

ومع الأوامر الأكيدة والحكم الجازم بوجوب الطاعة فإنها ليست منبئة من الضوابط ولا منفلة من القيود فقد حددت النصوص الشرعية ضوابط الطاعة الواجبة لولاة الأمور، والنواظم المحددة لها ومن أهمها:

- أن الطاعة في المعروف كما يستشف من النصوص الواردة في هذا السياق ومنها:

- وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [المائدة: ٢]
- وَلَا تُطِيعُوا مَنْ هُمْ آيِمًا أَوْ كَفُورًا [الإنسان: ٢٤] والآثم المنافق، والكفور الكافر الذي يظهر الكفر^(٩)

• وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشا وأمر عليهم رجلا فأوقد نارا وقال ادخلوها فأرادوا أن يدخلوها وقال آخرون إنما فررنا منها فنكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال للذين أرادوا أن يدخلوها لو دخلوها لم يزلوا فيها إلى يوم القيامة وقال للآخرين لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف^(١٠). وفي صحيح بن حبان أنه قال للآخرين خيرا، وقال: "أحسنتم لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف"^(١١) ويقول الحافظ في الفتح إن الذين هموا أن يطيعوه {وقفوا عند امتثال الأمر بالطاعة، والذين امتنعوا عارضه عندهم الفرار من النار، فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم

إلى ما يفعلونه عند التنازع وهو الرد إلى الله وإلى رسوله أي إن تنازعتم في شئ فمنكم فارجعوه إلى الله وإلى رسوله تلك هي الهدى المتشعرة التي هي بالبرهان والبرهان هو ما يفعله الله على لسان رسوله عباده عن طاعة مخلوق في معصية خالقه، سلطاناً كان الأمر بذلك، أو سوقة، أو والداء، أو كائناتاً من كان. فغير جائز لأحد أن يطيع أحداً من الناس في أمر قد صح عنده نهى الله عنه. فإن ظن ظان أن في قوله (صلى الله عليه وسلم) في حديث أنس: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي) وفي قوله في حديث ابن عباس: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر) حجة لمن أقدم على معصية الله بأمر سلطان أو غيره، وقال: قد وردت الأخبار بالسمع والطاعة لولاة الأمر فقد ظن خطأ، وذلك أن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن تتضاد، ونهيه وأمره لا يجوز أن يتناقض أو يتعارض، وإنما الأخبار الواردة بالسمع والطاعة لهم ما لم يكن خلافاً لأمر الله وأمر رسوله، فإذا كان خلافاً لذلك فغير جائز لأحد أن يطيع أحداً في معصية الله ومعصية رسوله، ونحن ذلك قال عامة السلف^(١٣). ويضيف ابن بطال القرطبي أن من رأى شيئاً من معارضة الله ببدعة أو قلب سريعة، فليخرج من تلك الأرض ويهاجر منها، وإن أمكنه إمام عدل واتفق عليه جمهور الناس فلا بأس يخلع الأول، فإن لم يكن معه إلا قطعة من الناس أو ما يوجب الفرقة فلا يحل له الخروج^(١٤)، وهذا المعنى مقرر عند العلماء انطلاقاً من حديث عوف ابن مالك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم قال «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل يا رسول الله أفلا نناذبهم بالسيف فقال «لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولائكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة»^(١٥)، واختلف العلماء "إذا كان فاسقاً ظالماً غاصباً للأموال؛ يضرب الأعشار ويتناول النفوس المحرمة ويضيع الحدود ويعطل الحقوق فقال كثير من الناس: يجب خلع ذلك. وقال الجمهور من الأمة وأهل الحديث: لا يخلع بهذه الأمور، ولا يجب الخروج عليه؛ بل يجب وعظه وتخويله وترك طاعته فيما يدعو إليه من معاصي الله^(١٦). وفي الحقيقة إصدار حكم عام في هذه المسألة غير سائب، فكل حالة خصائصها المؤثرة في الحكم، والإحاطة بتلك الملابسات، وما قد يترتب عنها ضروري قبل إصدار الحكم عليها، تبعاً لضوابط النظر والحكم في النوازل الذي يعنى باعتبار المآلات وما قد ينجر عنها، ويأخذ في الحسبان المقاصد

الشرعية بتراتبيتها المعروفة (الضرورة الحاجية التحسينية) ، وبالانطلاق من هذه الضوابط يكون لكل نازلة ما يناسبها من حكم يحقق المقصد الرئيسي المتمثل في جلب النفع ودفع الضرر، وقد كان الفقهاء والقراء أكثر الناس رفضا للظلم والاستبداد، وأشدّهم إباء للضيم، فعبد الرحمن بن الأشعث حينما خرج على عبد الملك بن مروان وواليه الحجاج ابن يوسف بايع الناس على كتاب الله وسنة رسوله وخلع أئمة الضلالة^(١٧) {ووافقه على خلعهما جميع من في البصرة من الفقهاء والقراء والشيوخ والشباب^(١٨)} ويقول الحافظ الذهبي إن جيشه كان فيه القراء وخلق من الصالحين^(١٩) وهذا يعني أن ما تطفح به كتب الفقه من تحذير من الفتن واستسلام للظلمة والمستبدين كان يقابله رأي له أنصاره وله أدلته يرى أن على الأمة أن تقوم بالحق، وألا تخاف في الله لومة لائم، وحين يكون الإمام عاجزا عن تحقيق المقصد فإنه يفقد شرعيته ومبرر وجوده، و يكون خلعه واجبا، سواء كان السبب نابعا من إرادته أو كان رغما عنه يقول الماوردي {إذا طرأ على الإمام عجز يمنعه من القيام بمصالح العامة، أو فسق يجرح في عدالته، وهذا الفسق فسق شهوة ويمنع من انعقاد الإمامة ومن استدامتها، وفسق شبهة يمنع عند البعض من انعقادها واستدامتها، وتنحل به البيعة عند آخرين^(٢٠).} ويقول الباقلاني إن {مما يوجب خلع الإمام تطابق الجنون عليه وذهاب تمييزه حتى ييأس من صحته، وكذلك إن صم أو خرس وكبر وهرم، أو عرض له أمر يقطعه من مصالح الأمة؛ لأنه إنما نصب لذلك؛ فإذا عطل ذلك وجب خلعه، وكذلك إن جعل مأسورا في أيدي العدو إلى مدة يخاف معها الضرر الداخل على الأمة وييأس من خلاصه وجب الاستبدال به^(٢١). ومن النصوص المؤصلة لضابط أن الطاعة بالمعروف ما روي:

- عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم، أو نقول - بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم^(٢٢).
- عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ عَلَيْهِ وَلَا طَاعَةَ^(٢٣).
- عن جرير بن عبد الله قال: بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، فلقنني فيما استطعت، والنصح لكل مسلم^(٢٤).

- عن ابن عمر قال: كنا نبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ويقول لنا: فيما استطعتم. (٢٥)
 - عن محمد بن المنكر عن أميمة بنت رقيقة، أنها قالت: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا: فيما استطعتن وأطقتن (٢٦)
 - وقال أبو بكر رضي الله عنه عندما بويع بالخلافة "أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم" (٢٧)
- وتبين هذه النصوص أن الطاعة في المعروف، والحاكم إذا أدى حقه وجب له حقان الطاعة والنصرة ما لم يتغير حاله (٢٨).
- أن الطاعة لا تكون إلا لحاكم بويع ببيعة صحيحة من طرف أهل الحل والعقد اختياراً لا اضطراراً، فلا عبرة ببيع المكره فقد {روى ابن جرير عن الإمام مالك: أنه أفتى الناس بمبايعة محمد بن عبد الله، ف قيل له: فإن في أعناقنابيعة للمنصور، فقال: إنما كنتم مكرهين وليس لمكرهبيعة فبايعه الناس عند ذلك عن قول مالك (٢٩)}، وتمت البيعة في صدر الإسلام بطريقتين هما:
- بيعة أهل الحل والعقد
- عهد ولي الأمر لمن بعده مع أن العهد يشفع ببيعة الناس، ومن الأقوال المحققة للمصلحة والمناسبة لمستوى الوعي ما أورده الماوردي أن طائفة قالت إن الإمامة لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضاء به عاماً والتسليم لإمامته إجماعاً (٣٠) { وبما أن البيعة لا تنعقد بالإكراه، فإن من أفضع أنواع الإكراه أن يسطو انقلابي متهور أو مقتحم هجام - على حد وصف الجويني - ويتحكم في رقاب الناس، ويصادر الحريات، ويمارس الظلم والعسف والاستبداد يقول الجويني إن {من الصفات اللازمة للمعتبرة الذكورة والحرية ونحيزة العقل والبلوغ والشجاعة والشهامة وهي خطة عليّة، ولا يصلح لإيالة طبقات الخلائق وجر العساكر والمناقب وعليات المناصب جبان خوار، ولا يصلح مقتحم هجام لهذا الشأن وهذا المنصب إلى الرأي أخرج منه إلى ثبات الجنان :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني (٣١) {

وطبقاً للرأي السالف فإن سلطة الانقلابي معدومة من الناحية الشرعية، رغم ما يردده الكثيرون عن وجوب طاعة المتغلب فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه

نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون". قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا قال: "أوفوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استترعاهم" (٣٢) ، وأخرج مسلم في صحيحه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ... من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر (٣٣) ، وانطلاقا من هذا النص يكون اندفاع فقهاء السلاطين في تأييد كل متسلط طامح للسلطة عملا منافيا للنص الشرعي ومخالفا للهدى النبوي، وتهديدا لمصالح الأمة، فلا تنعقد البيعة إلا وفق الشروط والضوابط المحددة، وحينما لا تتوفر هذه الشروط تكون البيعة ملغاة، ويسقط وجوب الطاعة، وهذا ما ينسجم مع مقتضى النصوص الشرعية والمقاصد الكلية المرعية، فالهدف من الحاكم سياسة شؤون الرعية والعمل على جلب المصالح ودرء المفاسد، ومن أحوج ما نحتاج إليه في عصرنا الحاضر إعادة بناء الفقه السلطاني انطلاقا من مقتضيات الدين، ففي القرون الماضية ظل السلاطين ومن يجري في فلكهم من العلماء يكيفون النص الشرعي بل ربما حرفوه لإخضاعه لمتطلبات السلطة الزمنية، وكان الأحرى بهم أن يخضعوا السلطة الزمنية للنص بدل تطويعه لرغباتها بذرائع شتى من قبيل الأحكام المتعلقة بالضرورات، وواجب ارتكاب أخف الضررين، وما يرتبط بذلك من نصوص وآراء فقهية، استخدمها فقهاء السلاطين بشكل انتقائي ارضاء للسلطة ومجاراة لرغباتها وميولها، وحينما يتم إخضاع الواقع السياسي للنص الشرعي بدل العكس السائد وهو إخضاع النص الشرعي للواقع السياسي فسيعود ذلك بالنفع على واقع ومستقبل الأمة، ولن ترتفع لنزوات سلطان متأله وحكم جبري عضوض، ولا يسوغ منطق الضرورات ولا الخوف من الفتنة أن تظل الأمة خاضعة مغيبة عن مضمار الخلق والإبداع معطلة عن الإسهام الفاعل في الحضارة البشرية بسبب حكام مستبدين فاشلين في إدارة الشأن، وحفظ بيضة الأمة، والمحافظة على مكتسباتها المادية والمعنوية، وقد كان جيل السلف الصالح صارما في مواجهة السلاطين، حيث كانوا يؤمنون بضرورة تقويم الحاكم إذا مال أو انحرف باعتبار أن الأمة وصية على الحاكم فعليها النصح والتسديد وفق مقاربة تركز على مقاصد الشرع، فالحاجة ماسة لما يسميه سيد قطب " فقه الحركة " وليس "فقه الأوراق" حيث يقول { إن فقه الحركة يأخذ في اعتباره «الواقع» الذي نزلت فيه النصوص ، وصيغت فيه الأحكام. ويرى أن ذلك الواقع يؤلف مع النصوص والأحكام مركبا لا تنفصل عناصره. فإذا انفصلت عناصر هذا المركب فقد طبيعته، واختل تركيبه! ومن ثم فليس هنالك حكم فقهي واحد مستقل بذاته، يعيش في فراغ، لا تتمثل فيه عناصر الموقف والجو والبيئة والملابسات

التي نشأ نشأته الأولى فيها... إنه لم ينشأ في فراغ ومن ثم لا يستطيع أن يعيش في فراغ^(٣٤) } ويقرر أن الفقه الإسلامي ليس هو من أنشأ المجتمع المسلم إنما كان المجتمع المسلم بحركته الواقعية لمواجهة حاجات الحياة الإسلامية هو الذي أنشأ الفقه الإسلامي^(٣٥) ، وانطلاقاً من فقه الحركة يكون الحاكم خادماً للأمة، وعليها تقويمه إذا مال، وتسديده إذا أخطأ. وقد قال الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه بعد توليه: إذا أحسنت فأعينوني وإن أنا زغت فقوموني^(٣٦) " وقال أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، وقال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من رأى منكم في عوجا فليقومه فقال له أعرابي: لو رأينا فيك عوجا لقومناه بسيوفنا. فقال: الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم عوج عمر بسيفه. وكان يجمع أهل العلم والرأي من الصحابة ويستشيرهم في كل مسألة ليس فيها نص من كتاب الله ولا سنة أو قضاء من رسوله صلى الله عليه وسلم - وقال عثمان - رضي الله عنه - أمري لأمركم تبع، وكذلك كان عمل الخليفة الرابع علي المرتضى - رضي الله عنه - وكرم وجهه^(٣٧) ويضيف محمد رشيد رضا (وإذا أوجب الله المشاورة على رسوله فغيره أولى، ولا يصح أن يكون حكم الإسلام أدنى من حكم ملكة سبأ العربية فقد كانت مقيدة بالشورى، ووجد ذلك في أمم أخرى، وإن جهل ذلك من جهله من الفقهاء. ولكن ملوك المسلمين زاغوا بعد ذلك عن هذا الصراط المستقيم إلا قليلاً منهم وشايعهم علماء الرسوم المنافقون، وخطباء الفتنة الجاهلون، حتى صار المسلمون يجهلون هذه القاعدة الأساسية لحكومة دينهم^(٣٨) } وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعض على ما سنوا بالنواجز، ومن سار على نهجهم من الحكام والولاة يكون خليفاً بالنصح وجديراً بالطاعة، ومن كان مثل هؤلاء من {أعطاه صفقة يده، وثمره قلبه، فليطعه ما استطاع^(٣٩)}. والشروط المطلوبة في الحاكم بينتها آية يوسف وآية القصص وهما:

- الأولى آية يوسف وهي: قوله تعالى " قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ " [يوسف: ٥٥] والمعنى حفيظ لما استودعنتني، عليم بما وليتني^(٤٠)، و(إِنِّي حَفِيظٌ) لما وليت (عَلِيمٌ) بأمره^(٤١) ، وهذه صيغة تولية جامعة لكل ما يحتاج إليه ولي الأمر من الخصال، لأن المكانة تقتضي العلم والقدرة إذ بالعلم يتمكن من معرفة الخير والقصد إليه، وبالقدرة يستطيع فعل ما يبدو له من الخير، والأمانة تستدعي الحكمة والعدالة، إذ بالحكمة يؤثر الأفعال الصالحة ويترك الشهوات الباطلة، وبالعدالة يوصل الحقوق إلى أهلها^(٤٢). وهذه الآية أصل لوجوب عرض المرء نفسه لولاية عمل من أمور الأمة إذا علم أنه لا

يصلح له غيره لأن ذلك من النصيح للأمة، ولأن يوسف-عليه السلام-أفضل الناس هنالك لأنه المؤمن الوحيد في ذلك القطر، فهو الذي يستطيع أن يبث أصول الفضائل التي تقتضيها شريعة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب-عليهم السلام-. ولا يعارض ما ورد عن عبد الرحمان بن سمرة أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا عبد الرحمان لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»^(٤٣)

- الثانية آية القصص وهي قوله تعالى: " قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ " [القصص: ٢٦]، فالقوة المادية والمعنوية، والأمانة خصلتان حميدتان لا بد من توفرهما في الحاكم، وقد أوتر عن عمر بن الخطاب أنه قال «أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوي». يريد: أسأله أن يؤيدني بقوي أمين أستعين به.^(٤٤) يقول الزمخشري معلقا على قوله تعالى: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} كلام حكيم جامع لا يزداد عليه، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان؛ أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك؛ وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقته سياق المثل، والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته.^(٤٥) ، والخور والضعف لا يصلحان للحاكم فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لما قال له أبو ذر ألا تستعملني؟ يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها^(٤٦). }

ومع القوة والعدل والأمانة لا بد من الشورى والتدقيق والتحري بحثا عن الحق وتمحيصه بالرغم مما يحتف به من أمور مشتبهة، ولا بد من الاستفادة من القرائن الدالة وتحليل الوقائع والفراسة الصادقة، حتى ينجلي الحق ويتحقق العدل، وفي قضية حكم داوود وسليمان للمرايتين اللتين ادعتا الولد من الحكم والعبر ما هو جدير بأن يستفيد منه الحاكم لتمييز المحق من المبطل.

وثمة نوعان من الفقه لا بد للحاكم منهما:

❖ فقه في أحكام الحوادث الكلية

❖ وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس يميز به بين الصادق والكاذب والمحق والمبطل ثم يطابق بين هذا وهذا فيعطى الواقع حكمه من الواجب ولا يجعل الواجب مخالفا للواقع^(٤٧) ، وهذا ما يطلق عليه "فقه الواقع" ويعني الفقه الذي يتم من خلاله تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع المستجدة، بما يرفع العنت والإصر عن الناس ويضيف بن القيم أن السياسة تنقسم إلى:

- سياسة جائزة تحرمها الشريعة لما فيها من الفساد والإفساد
- سياسة عادلة تحقق العدل والإنصاف وهي جزء من أجزاء الشريعة وفرع من فروعها^(٤٨)

وهذا كما أسلفنا من النوازل التي تختص فيها كل واقعة بحكم وفتوى تنطلق من الواقع والمتوقع وتنسجم مع الحكم والمقصد.

والطاعة المطلقة لا تكون إلا للرسول وقد أمر الله بطاعة الرسول استقلالا، وأمر بطاعة ولي الأمر تبعاً لهم فما وافق منها فذاك، وما خالف أوامر الرسول فهو ملغى شرعا ومرفوض طبعاً، يقول العز بن عبد السلام {لا طاعة لجهلة الملوك والأمراء إلا فيما يعلم المأمور أنه مأذون في الشرع. وتفرد الإله بالطاعة لاختصاصه بنعم الإنشاء والإبقاء والتغذية والإصلاح}^(٤٩) ، ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن المسلمين اتفقوا " على أنه ليس من المخلوقين من أمره حتم على الإطلاق إلا الرسول الذين قال الله تعالى فيهم وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله، وأما من دونهم فيطاع إذا أمر بما أمروا به وأما إذا أمر بخلاف ذلك لم يطع"^(٥٠) ، وبترسم الهدي النبوي واتباع السلف الصالح يكون الحاكم خادماً للأمة وليس جباراً عليها، له السمع والطاعة ما اتقى وأصلح، وإن أمر بمنكر فلا سمع له ولا طاعة.

ثانياً: ضوابط معارضة ولاية الأمور

تناولنا في المحور السالف ضوابط طاعة ولي الأمر من خلال النص الشرعي، وأوضحنا أن النصوص بينت أن الطاعة في المعروف، وأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وتتناول في هذا المحور ما يطلب من القيام بالحق، وهناك من المعارضة والاحتجاج ما يكون مطلوباً من الناحية الشرعية، ويتمثل في القيام بالحق والقول به، ولذا كانت كلمة حق أمام سلطان جائر من أفضل أنواع الجهاد في سبيل الله، وقد وردت نصوص عديدة تحت على القيام بالحق والقول به منها:

- عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله» صحيح الإسناد، ولم يخرجاه "من تلخيص الذهبي"^(٥١)
- عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»^(٥٢)
- عن أبي أمامة، قال: عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل عند الجمرة الأولى فقال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ فسكت عنه، فلما رمى الجمرة

الثانية، سأله فسكت عنه، فلما رمى جمرة العقبة وضع رجله في الغرز ليركب، قال: «أين السائل؟» قال: أنا، يا رسول الله قال: «كلمة حق عند ذي سلطان جائر»^(٥٣) ، وأن نقول بالحق أينما كنا معناه: نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر في كل زمان ومكان الكبار والصغار، لا نداهن فيه أحدا، ولا نخافه^(٥٤) ، وهذا القيام هدفه ومقصده تقويم وتسديد الحكام لتحقيق مصلحة الأمة، وهو فرض كفاية.

ومن خاف على نفسه أو ماله أو على غيره فإن الفرض يسقط عنه بيده ولسانه عند بعض العلماء ويجب عليه الإنكار بقلبه، وحكى القاضي هنا عن بعضهم أنه ذهب إلى الإنكار مطلقا في هذه الحالة وغيرها^(٥٥) ، وقد كان الرعيل الأول صارما في مواجهة السلاطين عندما ينحرفون عن جادة الحق، والنهج النبوي القويم، فقد أخرج مروان المنبر في يوم عيد، فبدأ بالخطبة قبل الصلاة فقال رجل: يا مروان خالفت السنة، أخرجت المنبر في هذا اليوم، ولم يكن يخرج ، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة، ولم يكن يبدأ بها، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «من رأى منكم منكرا، فاستطاع أن يغيره بيده، فليغيره بيده، فإن لم يستطع، فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٥٦) ، وبشر بن مروان لما خطب فرفع يديه في الدعاء قال عمارة^(٥٧) قبح الله هاتين اليديتين القصيرتين ! لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يزيد على أن يقول هكذا وأشار هشيم-راوي الحديث-بالسبابة قال الألباني: صحيح^(٥٨)

وهذا التصرف يتأسس ما ورد في فضل كلمة عدل عند سلطان جائر، وعلى ما ورد في الآية الكريمة {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} ولما وجبت مجاهدة الكفار حتى يظهر دين الحق فذلك كل من عاند الحق من أهل الباطل واجب مجاهدته على من قدر عليه حتى يظهر الحق^(٥٩)

ومن القيام بالحق ما ينظم من مظاهرات سلمية، ووقفات احتجاجية، هدفها إحقاق الحق، ونصرة المظلوم، وإعادة الحقوق إلى ذويها، وهذا ما تؤصل له القواعد الشرعية ومنها على سبيل المثال:

- قاعدة المصلحة المرسله، وتسمى مصلحة لاشتمالها على المصلحة، ومرسلة لعدم التنصيص على اعتبارها أو إلغائها. والمصالح تنقسم إلى مصالح معتبرة ومصالح ملغاة، ومصالح مسكوت عنها، إذ لا تستند إلى دليل خاص معين، ولكنها تستند إلى مقاصد الشريعة وعموماتها وهذه هي المصلحة المرسله^(٦٠) وتسمى بالاستصلاح، وبالمناسب المرسل، ويعتبرها العلماء إذا كانت ضرورية قطعية

كلية^(٦١) ، ويرى الآمدي أن من لا يعتبر المصلحة المرسله قوله مرجوح لأن ذلك يفضي إلى خلو بعض الوقائع عن الأحكام الشرعية لعدم وجود النص... والله تعالى يقول {فاعتبروا يا أولي الأبصار. الحشر ٢}{^(٦٢)

- قاعدة للوسائل في شؤون العادات حكم المقاصد، فإذا كان المقصد مشروعاً في هذه الأمور، فإن الوسائل إليه تأخذ حكمه، ولم تكن الوسيلة محرمة في ذاتها^(٦٣) ، ومن مظاهر الاحتجاج التي مارستها الشعوب المعاصرة المظاهرات السلمية، والوقفات الاحتجاجية، والمهرجانات والتجمعات الاستعراضية، والاجتماعات التعبوية التي تمارس بغرض معارضة نظام ما أو سياسة ما، وهذه النوع حين يكون لغرض شريف، ووفق الضوابط الشرعية فإنه يندرج ضمن القيام بالحق، والقول به يقول الشيخ يوسف القرضاوي في فتوى له إن " من حق المسلمين - كغيرهم من سائر البشر - أن يسبوا المسيرات وينشئوا المظاهرات، تعبيرا عن مطالبهم المشروعة، وتبليغا بحاجاتهم إلى أولي الأمر، وصنّاع القرار، بصوت مسموع لا يمكن تجاهله. فإن صوت الفرد قد لا يسمع، ولكن صوت المجموع أقوى من أن يتجاهل، وكلما تكاثرت المتظاهرون، وكان معهم شخصيات لها وزنها: كان صوتهم أكثر إسماعاً وأشد تأثيراً. لأن إرادة الجماعة أقوى من إرادة الفرد، والمرء ضعيف بمفرده قوي بجماعته. ولهذا قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة: ٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً" وشبّك بين أصابعه^(٦٤)

ومما يبين مشروعية هذه المسيرات وهو أنها من أمور (العادات) وشؤون الحياة المدنية، والأصل في هذه الأمور هو: الإباحة. فلا حرام إلا ما جاء بنص صحيح الثبوت، صريح الدلالة على التحريم. أما ما كان ضعيفاً في سنده، أو كان صحيح الثبوت، ولكن ليس صريح الدلالة على التحريم، فيبقى على أصل الإباحة، حتى لا نحرّم ما أحل الله. ومن هنا ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الإسلام ضيقاً شديداً، واتسعت دائرة الحلال اتساعاً بالغاً. ذلك أن النصوص الصحيحة الصريحة التي جاءت بالتحريم قليلة جداً، وما لم يجر نص بحله أو حرّمته، فهو باق على أصل الإباحة، وفي دائرة العفو الإلهي^(٦٥) ، ودعوى أن هذه المسيرات مقتبسة أو مستوردة من عند غير المسلمين: لا يثبت تحريماً لهذا الأمر، ما دام هو في نفسه مباحاً، ويراها المسلمون نافعا لهم. " فالحكمة ضالة المؤمن أئى وجدها فهو أحق الناس بها"، وقد اقتبس المسلمون في عصر النبوة تجارب ومعارف الأمم السالفة فقد أخذوا طريقة حفر الخندق من الفرس. واتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم خاتماً، حيث أشير عليه أن

يفعل ذلك، فإن الملوك والأمراء في العالم، لا يقبلون كتابا إلا مختوما واقتبس الصحابة نظام الخراج من دولة الفرس العريقة في المدنية والتنظيم. واقتبسوا كذلك تدوين الدواوين من دولة الروم، لما لها من عراقة في ذلك^(٦٦) وتحريم المظاهرات لمجرد أن ممارستها لم تكن من مآلوفات السلف لا مسوغ له ففي الحديث عن أبي الدرداء رضى الله عنه رفع الحديث قال: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن نسيا». ثم تلا هذه الآية (وما كان ربك نسيا)^(٦٧) ، ولا يعني القيام بالحق والدعوة إلى تغيير المنكر باليد واللسان تهيج العامة، وإثارة الدهماء، فالهدف الإصلاح وشعار المسلمين في كل عمل ما قال نبي الله شعيب "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت. هود: ٨٨ " فإذا جر القيام بالحق إلى مفسدة أعظم يكون ممنوعا شرعا وممنوما طبعا، ومع حق الأمة في رفع الظلم عن كاهلها من خلال تغيير منكر الظلم والاستبداد حسب الاستطاعة بسلها التراتبي المعروف، إلا أن مراعاة الأحكام والضوابط الشرعية فرض أكيد فما يجر إلى الفتن والقلقل وانفراط العقد، لا يجوز الإقدام عليه بحال، وقد قال الجويني في الغياث إننا إذا علمنا أنه لا يتأتى نصب إمام دون اقتحام داهية دهياء، وإراقة دماء ومصادمة أحوال جمّة الأهوال وإهلاك أنفس ونزف أموال، فالوجه أن يقاس ما الناس مدفوعون إليه، مبتلون به بما يفرض وقوعه في محاولة دفعه، فإن كان الواقع الناجز أكثر مما يقرر وقوعه في روم الدفع فيجب احتمال المتوقع له لدفع البلاء الناجز، وإن كان المرتقب المتطلع يزيد في ظاهر الظنون إلى ما الخلق مدفوعون إليه، فلا يسوغ التشاغل بالدفع بل يتعين الاستمرار على الأمر الواقع^(٦٨) ، وحين نستعرض صفحات من تاريخ الحكم الإسلامي نجد ومضات مشعة تبين لنا قيام العلماء بالحق في وجه السلاطين، مع أنه بعد العهد الراشدي كان الحكم في الغالب ملكا عضوضا مع استثناءات منها فترة عمر بن عبد العزيز، فقد ملأ الأرض عدلا وقسطا، وللعلماء العاملين على مر التاريخ الإسلامي مواقف مشرفة تبرز صلابتهم وقوتهم في الحق، وترفعهم على إغراءات المنصب والجاه، حيث آثروا أن يدوروا مع القرآن وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن "رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، إن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم"، قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع؟ قال: "كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم، نشروا بالمناشير، وحملوا على الخشب ، موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله"^(٦٩)

ولو تأمل فقهاء السلاطين هذا الحديث لنأوا بأنفسهم عن أن يكونوا من غواش وحواش الناس التي تتكفف الأمراء^(٧٠) ، لأن القرآن أولى من السلطان، وتسويغ هفوات السلاطين طمعا فيما عندهم من زائل المتاع، سفه بين، ومجانبة لطريق الحق والخير، فالله ورسوله أحق أن يرضوه، والحق أحق أن يتبع، وما عند الله خير وأبقى، ومن صفحات التاريخ المشرقة التي سطرها أجلأونا نستعرض النماذج التالية:

✚ قدم سليمان بن عبد الملك على المدينة فأرسل إلى أبي حازم فاتاه فقال له سليمان يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال وأي جفاء رأيت مني؟ قال أتاني أهل المدينة ولم تأتني، قال يا أمير المؤمنين وكيف يكون إتيان من غير معرفة متقدمة، والله ما عرفتني قبل هذا اليوم، ولا أنا رأيته فاعذر، قال فالتفت سليمان إلى الزهري، فقال أصاب الشيخ وصدق، قال سليمان يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال لأنكم أخرجتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب، قال سليمان صدقت، يا أبا حازم كيف القدوم على الله تعالى؟ قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله مسرورا، وأما المسيء فكالأبق يقدم على مولاه محزونا^(٧١) ، ومما يؤثر عن أبي حازم قوله إن خير الأمراء من أحب العلماء، وإن شر العلماء من أحب الأمراء^(٧٢).

✚ لما حج المهدي، دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد إلا قام، إلا ابن أبي ذئب فقال له المسيب بن زهير: قم، هذا أمير المؤمنين فقال: إنما يقوم الناس لرب العالمين فقال المهدي: دعه، فلقد قامت كل شعرة في رأسي^(٧٣).

✚ قال أبو نعيم: حججت عام حج أبو جعفر، ومعها بن أبي ذئب، ومالك بن أنس، فدعا ابن أبي ذئب، فأقعه معه على دار الندوة، فقال له:

- ما تقول في الحسن بن زيد بن حسن - يعني: أمير المدينة-؟
- فقال: إنه ليتحرى العدل.
- فقال له: ما تقول في- مرتين -؟
- فقال: ورب هذه البنية، إنك لجائر.
- قال: فأخذ الربيع الحاجب بلحيته، فقال له أبو جعفر: كف يا ابن اللخاء. ثم أمر لابن أبي ذئب بثلاث مائة دينار^(٧٤).
- عن علقمة بن مرثد قال: لما ولي عمر بن هبيرة العراق. أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي، فأمر لهما ببيت، وكانا فيه شهرا أو نحوه، ثم إن الخصي غدا عليهما ذات يوم فقال: إن الأمير داخل عليكم، فجاء عمر يتوكأ على عصاه، فسلم ثم جلس مفطما لهما، فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب

إلى كتبنا أعرف أن في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيت الله، وإن عصيته أطعت الله، فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجا؟ فقال الحسن: يا أبا عمرو أجب الأمير، فتكلم الشعبي فانحط في حبل ابن هبيرة، قال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أيها الأمير، قد قال الشعبي ما قد سمعت: قال: ما تقول أنت؟ قال: أقول: يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة، إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله، يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا والله عن الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارا من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقاما خوفك الله تعالى، فقال : (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيدي) ، يا عمر بن هبيرة، إن تك مع الله في طاعته كفاك بآفة يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله، وكلك الله إليه، قال: فبكى عمر وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما، فأكثر منها للحسن، وكان في جائزة الشعبي بعض الاقتار، فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: يا أيها الناس، من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفع، فالذي نفسي بيده ما علم منه الحسن شيئا فجهلته، ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه. (٧٥)

- ونقل الباجي أن عز الدين ابن عبد السلام طلع مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة فشهد العساكر مصطفىين بين يديه ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك ألم أبوى لك ملك مصر ثم تبيح الخمر، فقال هل جرى هذا فقال نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمر وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون فقال يا سيدي هذا أنا ما عملته هذا من زمان أبي فقال أنت من الذين يقولون (إنا وجدنا آباءنا على أمة) فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة.. يقول الباجي سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر يا سيدي كيف الحال فقال يا بني رأيته في تلك العظمة فأردت

أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه فقلت يا سيدي أما خفته؟ فقال والله يا بني استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامي كالقط^(٧٦)

ومن خلال ما سلف ندرك كيف كان علماؤنا الأجلاء يتعاملون مع الحكام، وكيف كان قيامهم لله بالقسط، ففي تلك الفترات الذهبية كانت كلمة الحق أمام السلطان الجائر قيمة عظمي يحتسبها المخلصون عند الله، ولئن ابلت الأمة في عصرها الراهن بعلماء سلاطين، يخشون الملوك ولا يخشون رب الملوك، ويستخدمون الدين ولا يخدمونه، فإن ذلك نتاج للقطيعة مع روح الدين، ومقصد الدين، وليس انسجاما مع مقتضى الدين، فلم تك ممالأة الظلمة مطلباً دينياً، ولا قيمة خلقية، وباستحضار سير هؤلاء الأعلام والتأسي بهديهم ستخرج الأمة المسلمة من أزمتها المزمنة، وواقعها النكد، إلى مرتبة الشهود والتمكين، مما ينعكس إيجاباً على البشرية جمعاء، وإلى أن تنعم البشرية بخلافة على منهاج النبوة، يبقى العلماء مطالبين بالسعي المخلص والعمل الجاد لتحقيق ذلك، انطلاقاً من قول الله تعالى ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

الخاتمة

بعد استعراضنا لضوابط وشروط طاعة ولي الأمر من خلال النص الشرعي، وضوابط معارضة ولادة الأمور، وما هو من حق الشعوب من احتجاجات سلمية تبني ولا تهدم، وتحقيق المصلحة بلا حيف، يبقى أن نبرز أن حاجة الأمة ماسة لفقه مقنن يستجيب لحاجات ومتطلبات العصر، على أن ينسجم مع النص ويحقق المقصد، وهذه الرؤية ضرورية في واقعنا الراهن لتحقيق نهضة الأمة، وللممة شتاتها، وهو مطلب ضروري لمواجهة هجمات شرسة تتكالب تأثيراتها مع ما نعانيه من تحد داخلي، أنتج عقماً فكرياً وقصوراً في الاجتهاد الراشد، مما جعل المجتمع المسلم يتخبط في متاهات كانت نتاجاً لمؤثرات مختلفة، واجتهادات لا تخلو من شطط هنا أو هناك، منها ما يلتزم بحرفية النص دون تبصر، ومنها ما يتخلى عن الثوابت والمقدسات، والمقومات الثقافية والحضارية لأمة، وكلا طرفي الإفراط والتفريط ساهم في إبعاد الأمة عن الوصول إلى مرحلة الخلق والإبداع، وسبيلاً لتقادي هذا الخلل أتقدم ببعض التوصيات:

- أن تضطلع مجتمعات البحوث الفقهية بإنجاز بحوث علمية منسقة ومنظمة لتأصيل وتقنين الفقه السلطاني باعتبار ذلك من أولى الأولويات، على أن يشمل ذلك جوانب الفقه السلطاني بمحاورها المتعددة، وفي ذلك السياق يمكن أن تدرس آلية الانتخابات باعتبارهابيعة للحاكم وفقاً للشروط والالتزامات

المحددة، والاستفتاء باعتباره ممارسة لفريضة الشورى، والاحتجاج السلمي باعتباره إنكارا للمنكر ودعوة للإصلاح.

• أن تتضمن تلك البحوث دراسة معمقة ومؤصلة للمنظومة القيمية الإسلامية، وفي طليعتها قيمة العدل ورفض الظلم والاستبداد، باعتبار أن الجور والاستبداد يمثلان انتهاكا لقيم الشرع، واستباحة لأعراض الناس وأموالهم، ونظرا لذلك فهو من المنكرات التي يجب تغييرها، والساكثون عن هذه المنكرات شياطين خرس، وقديما قال أبو علي الدقاق "من سكت عن الحق فهو شيطان اخرس"^(٧٧)، ناهيك بمن يبحثون لمنكرات الظلم والاستبداد عن مسوغات وأعذار.

• أن يواكب الفقه السلطاني وتيرة التطور المتلاحق حرصا على أن يتبوأ المسلمون المكانة اللائقة بهم بين الأمم، ولكي يقدموا للحضارة البشرية ما يجعل العقل البشري يرتقي عن عيبة الجاهلية ونوازع السيطرة والاستغلال، إلى فضيلة الاقتداء بالهدي النبوي الذي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة، ونعمة مسداة للبشرية، فأخرجها من ظلمات الجهل الدامس إلى نور الإسلام الوضاء، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ففتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا، وهدى به ناسا عرفوا الحق فلزموه، وتبينوا الباطل فتنبكوه، فكانوا بناء الحضارة النافعة، ودعاة الحق والعدل، والقذوة المثلى للبشرية.

• فصل المرجعيات الفقهية عن السلطة السياسية، ومنحها الاستقلال المطلق للاضطلاع بمهمتها الشريفة، بعيدا عن نزوات الحكام، ونهمهم الجامح في السلطة والثروة والجاه، فوظيفة العالم أن يقوم لله بالقسط، ومن القيام بالقسط أن نقول بالحق أينما كنا، وألا نخاف في الله لومة لائم.

• منح المجامع الفقهية المستقلة سلطة استشارية في القضايا الجزئية، وسلطة جبرية في القضايا الكبرى للأمة، لصيانتها من تلاعب الانتهازيين والفاستدين.

الهوامش:

- ١- الملل والنحل محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ص / ٢٠) دار المعرفة بيروت ١٤٠ تحقيق: محمد سيد كيلاني
- ٢- الأحكام السلطانية (١ / ٣) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ت: ٤٥٠هـ. تحقيق الدكتور أحمد مبارك البغدادي ط ١ سنة ١٩٨٩م مكتبة دار ابن قتيبة الكويت

- ٣- السنن الكبرى للنسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (٥ / ٤٠٥) (ت: ٣٠٣هـ) مؤسسة الرسالة لبنان تحقيق: حسن عبد المنعم حسن شلبي
- ٤- تاريخ الخلفاء عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (١ / ٧٢) مطبعة السعادة - مصر ط الأولى، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد
- ٥- أبو الأعلى المودودي الخلافة والملك ص ٢١ تعريب أحمد إدريس الطبعة الأولى ١٩٧٨ مدار القلم الكويت
- ٦- الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ص ٥٤ محمد عمارة دار الشروق الطبعة الأولى ١٩٨٩م
- ٧- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (٦ / ٢٥٨٨) دار ابن كثير، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا
- ٨- صحيح البخاري (٩ / ٧٨)
- ٩- تفسير القرطبي (١٩ / ١٥٠) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م
- ١٠- صحيح البخاري ٩ / ١٠٩
- ١١- صحيح ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) (١٠ / ٤٢٩) الناشر: مؤسسة الرسالة
- ١٢- فتح الباري ابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨ / ٢٥٤) الناشر: دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩
- ١٣- شرح صحيح البخاري (٨ / ٢١٤ / ٢١٥)
- ١٤- شرح صحيح البخاري (٨ / ٢١٥ / ٢١٦)
- ١٥- صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (٦ / ٢٤) الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت
- ١٦- شرح صحيح البخاري - لابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي (٨ / ٢١٥ / ٢١٦) دار النشر: مكتبة الرشد السعودية/ الرياض-١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ط: الثانية
- ١٧- البداية والنهاية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) (٩ / ٤٤) الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- ١٨- البداية والنهاية (٩ / ٤٦)
- ١٩- البداية والنهاية (٩ / ٥٠)
- ٢٠- الأحكام السلطانية (١ / ٢٨)
- ٢١- شرح صحيح البخاري (٨ / ٢١٦)
- ٢٢- صحيح البخاري كتاب الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس.
- ٢٣- السنن الكبرى للنسائي (٨ / ٧١)
- ٢٤- السنن الكبرى للنسائي (٨ / ٧٢)
- ٢٥- السنن الكبرى للنسائي (٨ / ٧٢)
- ٢٦- السنن الكبرى للنسائي (٨ / ٧٢)
- ٢٧- مصنف عبد الرزاق أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١١ / ٣٣٦) الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت ط الثانية، ١٤٠٣
- ٢٨- الأحكام السلطانية (١ / ٢٧)

- ٢٩- البداية والنهاية (١٠ / ٩٠) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) حققه ووفق اصوله وعلق حواشيه: على شيرازي الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م
- ٣٠- الأحكام السلطانية (١ / ٦)
- ٣١- غياث الأمم والتهذيب للعلامة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي ت ٤٧٨ (ص/ ٦٥) تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم، د. مصطفى حلمي. دار الدعوة الإسكندرية سنة النشر: ١٩٧٩
- ٣٢- متفق عليه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل رقم الحديث ٣٤٥٥، مسلم كتاب الإمارة باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.
- ٣٣- صحيح مسلم الإمارة باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول. (٦ / ١٨) رقم الحديث ٤٨٨٢
- ٣٤- في ظلال القرآن سيد قطب إبراهيم (٤ / ٢٠٠٦) دار الشروق - القاهرة
- ٣٥- في ظلال القرآن (٤ / ٢٠٤٩)
- ٣٦- تاريخ الخلفاء (١ / ٦٣)
- ٣٧- تفسير المنار محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ) (١١ / ٢١٩) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٠ م
- ٣٨- تفسير المنار (١١ / ٢١٩)
- ٣٩- السنن الصغرى للبيهقي محمد ضياء الرحمن الأعظمي (٧ / ١٧٨) مكتبة الرشد ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م السعودية/ الرياض
- ٤٠- جامع البيان الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) (١٦ / ١٤٩) تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م
- ٤١- تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٩ / ٢١٣) (ت: ٦٧١هـ) الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م
- ٤٢- التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) (١٢ / ٨١) مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م
- ٤٣- التحرير والتنوير (١٣ / ٩)
- ٤٤- التحرير والتنوير (٢٠ / ١٠٦)
- ٤٥- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعبود الأقاويل في وجوه التأويل العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٣ / ٤٠٣) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧ هـ
- ٤٦- صحيح مسلم الإمارة باب كراهة الإمارة بغير ضرورة. (٦ / ٦) رقم الحديث ٤٨٢٣
- ٤٧- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (١ / ٥) مطبعة المدني القاهرة تحقيق: د. محمد جميل غازي
- ٤٨- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (١ / ٥)
- ٤٩- الملل والنحل محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ص / ٢٠) دار المعرفة بيروت ١٤٠ تحقيق: محمد سيد كيلاني
- ٥٠- الملل والنحل محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ص / ٢٠) دار المعرفة بيروت ١٤٠ تحقيق: محمد سيد كيلاني

- ٥١- المستدرك على الصحيحين محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (ج ٣ / ص ٢١٥) دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩٠
- ٥٢- سنن ابن ماجه ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى : ٢٧٣هـ) (ج ٢ / ص ١٣٢٩) الناشر : مطبعة الرسالة
- ٥٣- سنن ابن ماجه (ج ٢ / ص ١٣٣٠)
- ٥٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (٦ / ٣١٣) دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٢
- ٥٥- شرح النووي على مسلم (٦ / ٣١٣)
- ٥٦- سنن ابن ماجه - (ج ٢ / ص ١٣٣٠)
- ٥٧- عمارة بن ربيعة الثقفي، من بني جشم بن ثقيف . كوفي. روى عنه ابنه أبو بكر، وأبو إسحاق السبعي، وغيرهما انظر أسد الغابة- (٢ / ٣١٢)
- ٥٨- سنن الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (٢ / ٣٩١) دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون
- ٥٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) (٢٣ / ٢٨١) المحقق: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري الناشر: مؤسسة القرطبة
- ٦٠- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة- (١ / ٢٣٥) محمد بن حسين بن حسن الجيزاني الناشر : دار ابن الجوزي الطبعة الخامسة ، ١٤٢٧ هـ
- ٦١- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) (٢ / ١٨٥) المحقق : الشيخ أحمد عزو عناية ، دمشق دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
- ٦٢- الإحكام للإمام علي بن محمد الأمدي أبو الحسن (٤ / ٣٢) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٤
- ٦٣- موقع الشيخ يوسف القرضاوي
<http://www.qaradawi.net/fatawaahkam/30/4929-2011-08-08-08-17-10.html>
- ٦٤- موقع الشيخ يوسف القرضاوي
<http://www.qaradawi.net/fatawaahkam/30/4929-2011-08-08-08-17-10.html>
- ٦٥- موقع الشيخ يوسف القرضاوي
<http://www.qaradawi.net/fatawaahkam/30/4929-2011-08-08-08-17-10.html>
- ٦٦- موقع الشيخ يوسف القرضاوي
<http://www.qaradawi.net/fatawaahkam/30/4929-2011-08-08-08-17-10.html>
- ٦٧- السنن الكبرى أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (١٠ / ١٢) كتاب الضحايا باب ما لم يُذكر تحريمه ولا كان في معنى ما ذكر تحريمه مما يؤكل أو يشرب الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الطبعة: الأولى - ١٣٤٤ هـ
- ٦٨- غياث الأمم والنيات الظلم (١ / ٨٢ / ٨٣)

- ٦٩- المعجم الكبير للطبراني (١٤ / ٤٩٩) من رواية الحديث يزيد بن مرثد ولم يسمع من معاذ والوضيين بن عطاء وثقه ابن حبان وغيره، وبقية رجاله ثقات كما نقل الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥ / ٤١٠)
- ٧٠- أخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تكون أمراء تغشاهم غواش وحواش من الناس».
- ٧١- تاريخ بغداد - (٦ / ٦٩) أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي دار الكتب العلمية بيروت
- ٧٢- سير أعلام النبلاء شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (١١ / ١٢٤) المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة
- ٧٣- سير أعلام النبلاء - (٧ / ١٤٣)
- ٧٤- سير أعلام النبلاء (١٣ / ١٦٦)
- ٧٥- تهذيب الكمال (٦ / ١١٣ / ١١٤)
- ٧٦- طبقات الشافعية الكبرى - (٨ / ٢١١ / ٢١٢)
- ٧٧- شرح النووي على مسلم (٢ / ٢٠)

ملاح من عادات وتقالييد العرب قبل الإسلام

Features of the habits and traditions of the Arabs before Islam

م.د. حسنين عبد الرزاق حسن هادي

الجامعة المستنصرية/كلية التربية/قسم الجغرافية

Lecturer: Hasanain Abdulrazzaq Hasan Hadi

Mustansiriyah University

College of Education – Geography dept

المُلخص

لكل أمة من الأمم القديمة لها خصوصيتها وطابعها المميز عن غيرها من الأمم الأخرى، وهذه الخصوصية تكون نابعة من الارث الحضاري القديم الذي قد تشترك فيه أمتنا مع غيرها من الأمم، أو قد تختلف عنها ، من ذلك نرى ان العرب قد احتفظوا بالكثير من العادات والتقاليد القديمة التي ورثوها عن أسلافهم منذ عصر نبي الله أسماعيل بن إبراهيم(ع) حتى ترسخت عندهم عبر الأجيال، ولما ظهر الإسلام اقرّ قسماً منها وسمح باستمرارها، بل وجعل البعض منها سنة من سنّيه، كونها من العادات الإنسانية الخلاقة، كإكرام الضيف والجود بالنفس وحماية المستجير ورعاية الجار، والتختم بالأحجار الكريمة، واستخدام السواك، وختان الذكور، ونحر العقيقة، وحلق الشعر، والاستنجاء، والاعتسال من الجنابة والحيض، وتحريم الزواج من الأقارب(الأصول)، وطلاق المرأة بثلاث طلاقات حتى تنفصل عن زوجها، وتباركوا بيوم الجمعة وميّزوه عن سائر الأيام، وأظهروا الهيبة والاحلال لبني الله الحرام ورفدوه بالهدايا والنذور وداوموا على أعمارهم وأكسائه بأفضل أنواع الأكسية، والتزموا بحرمة الأشهر الحُرْم ، وترقبوا أهلال الأهلّة لإقامة شعائر الحج والعمرة، وقدسوا الحجر الأسود وتباركوا بشرب ماء زمزم، وطافوا حول الكعبة سبع مرات في الحج، ونحروا الأضاحي، واقاموا الرفادة والسقاية وعمارة البيت، وصانوا حرمة الميت، فغسلوه بالطيب وكفّنوه وشيّعوه، وصلّوا وترحموا عليه، وحفروا له قبراً ولحداً، وفق مراسيم شبيهة بما جاء به الدين الإسلامي .

ABSTRACT

Each of the ancient nations has its own particularity and distinctive character from other nations. This peculiarity emerging from the ancient cultural heritage that might our nation share with other nations, or it might differ from it.

From this, we notice that the Arabs have retained many old habits and traditions Which they inherited from their predecessors since the era of the Prophet Ismail Ibn Ibrahim until they established throughout the generations till Islam emerged, some of that traditions were admitted and allowed to continue, and even made some of that mores "Sunna" of its enactments, because its from creative human habits, such as hospitality ,self-sacrifice, protection of refugees, neighbor care, wear a ring of Precious stones, cleaning teeth with (Swak), Male circumcision, Offering animals as sacrifice, hair shaving, the purification, ritual ablution from impurity and menstruation, and the prohibition of marriage from first degree relatives , divorce of women three times until she get separating from her husband. Arabs were blessed on Friday and glorified it from all other days, and showed prestige and reverence to Makkah and Give gifts and vows.

They continued the reconstruction of The Kaaba and cover it with the best types of covers, and adhered to the sanctity of the sacred months, and waited for the dates of the Crescent to hold the rituals of Hajj and Umrah,

They sanctified the black stone and they blessed with drinking Zamzam water, and circling around the Kaaba seven times during the Hajj, and they sacrificed the

sacrifices. They worked on feeding the pilgrims and get drinking water for them and building the Kaaba.

They took care of the sanctity of the dead. The washed, shroud the dead. They dug the grave and they prayed for the dead according to ritual similar to the Islamic religion.

المقدمة

عُرفَ عند العرب قبل الإسلام جُملة من العادات والتقاليد الأصلية النابعة من إرثهم الحضاري العتيق والمصقولة في بيئتهم الصحراوية القاسية ، ولم تنأ حضارة العرب عن نفسها وانعزلت، بل تأثرت بأفكار وعادات الأمم المعاصرة لها، لاسيما وأن بلادهم كانت ممرا آمنا لعبور القوافل التجارية، التي جلبت مع بضاعتها، عادات وثقافات المجتمعات المجاورة .

يُعد موضوع العادات والتقاليد العربية قبل الإسلام من الموضوعات المهمة في التاريخ العربي والعالمي ، كونها تُسلط الضوء على حياة العرب القديمة بمكانها وتفاصيلها، وبتطرفها وسذاجتها، وبنظامها وعفويتها، والتي أثير الجدل عنها في عدد من المصنّفات العربية والأجنبية، التي أعطت صورة مشوّهة عن حياة العرب قبل الإسلام، نتيجة لتعميمها بعض المثالب التي أنصفت بها عدد من القبائل العربية – كالوُد والسبي والسفاح- لتصف بها عموم المجتمع العربي، في حين إن هذه المثالب لم تكن غريبة عن حياة المجتمعات المتحضرة في بلاد الرومان وفارس والهند .

ومن خلال هذا البحث سنتعرف ،على أهم العادات والتقاليد العربية لاسيما تلك التي أقرّها الدين الإسلامي وسمح ببقائها ، كما سنحاول الكشف عن أصول ومنابع عدد من العقائد والأعراف العربية القديمة .

اولا: عادات العرب وتقاليدهم في الحياة العامة

للعرب عادات وتقاليد كثيرة شملت جميع مفاصل الحياة، منها ما انفردوا بها عن دون سائر شعوب العالم الأخرى، ومنها ما اشتركوا فيها مع غيرهم، ومن بين تلك العادات نجد ان العرب كرهوا الأكل والشرب في الطرقات والأسواق وقوفاً، وحرصوا على غسل ايديهم قبل وبعد تناول الطعام، متجنبيين النفخ في الطعام الساخن

لأن ذلك يُعد مخالفاً لأداب المائدة^(١) ، مُفضّلين استخدام يدهم اليمنى في الأكل والشرب، أمّا طريقة شربهم للماء، فكانوا يرتون بثلاث شربات متقطعة لكي يتسنى لهم التنفس والارتواء بالتناوب^(٢) مُتجنّبين البصق أو الانتعال أو التدافع في البيت الحرام، وذلك للمهابة التي أحتلتها الكعبة عندهم^(٣) واعتادوا على اداء التحية بمصافحة الأيدي، وبدءا ممن هو على جهة يمين القوم^(٤).

أمّا فيما يخص تراتيب الزعامة والخطابة، فإن العرب كانت تدم الخطباء الذين يكثرون لمس ذقونهم أو شواربهم أو لحاهم أو من يتمم بكلامه^(٥) لأن ذلك يُعد خرقاً في أصول الوجاهة والخطابة، ومن عاداتهم الأخرى في الهدام حمل العصا بصورة شبه دائمة^(٦) فهي من مكمّلات لباسهم وزينتهم، وقد تشكل العصا سلاحاً متواضعاً لدرء مخاطر الطريق وتصلح متكئاً للمريض وعوناً للعجوز، لذا اعتز بها العرب وحملوها معهم وادخلوها في أشعارهم وأدبياتهم، حالها كحال العمامة التي قال فيها أبو الأسود الدؤلي^(٧) ((جَنَّةٌ فِي الْحَرْبِ، وَمَكْنَةٌ فِي الْحَرِّ وَالْقَرِّ، وَزِيَادَةٌ فِي الْقَامَةِ، وَهِيَ بَعْدَ عَادَةٍ مِنْ عَادَاتِ الْعَرَبِ))^(٨) وبذلك عُدّت العمامة من متممات هندام الرجولة والوقار، ومظهرها من مظاهر الهيبة والاحترام عند قدماء العرب وفي الإسلام.

ومن عادات العرب الأخرى التي عُرفت قبل الإسلام، التختّم بالأحجار الكريمة كالعقيق والفيروز والزبرجد، اذ زيّنوا خواتيمهم للتبرك بها، كما رصّعوا بعض خوذهم وعمائمهم بأغلاها ثمناً وأجملها منظرأ، لاسيما أنها كانت محل تقديس واعتزاز كبيرين^(٩).

واتصف العرب ترحيبهم بالضيف وإكرامه وضيافته وأن كان غريباً، بأحسن ما يكون، حتى إن العرب سمّت موائد خاصة للضيافة عرفت عندهم بـ القرى اي طعام الضيف، وهي عادة ما تكون ثلاثة أيام على غرار ما عُرف في الإسلام^(١٠) ، يقوم صاحب الدار بخدمة ضيوفه بنفسه، تواضعا واحتراما لهم، ويعطّرهم بأزكى انواع العطور^(١١) ، وعُرف عن العرب ايقادهم للنيران في أعلى الربايا والتلال ليراها عابر السبيل ليلاً فيلتجئ اليها ليضيفوه ويكرموه ويرشدوه الى مقصده^(١٢). أمّا الجار فالعرب قبل الإسلام احترموه ووقروه وساعدوه في السلم والحرب، ومن عاداتهم الأخرى الإيفاء بالعهود والالتزام بالموثيق وأن كلّفهم ذلك حياتهم أو مالهم وعادوا من ينكثها^(١٣)، كما اعتادوا على كتابة (بسمك اللهم) في بداية مكاتباتهم ورسائلهم^(١٤) وهي سُنّة قد تكون مستمدة من شريعة نبي الله إبراهيم(ع) لا سيما وان نبي الله سليمان(ع)

قد دونها في كتبه ورسائله بدليل الآية الكريمة {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ^(١٥)، ورجّح الكرملی ^(١٦) ان العرب كانت تكتب بسم الله الرحمن الرحيم كاملة وليس (بسمك اللهم) فقط، إلا ان المصادر التاريخية بيّنت ان المكتوب على صحيفة المقاطعة التي علّقت على جدار الكعبة هو (بسمك اللهم) بعد ان أكلت دودة الأرضة مضمون بنود المقاطعة ^(١٧)، ويبدو ان التغيير قد طرأ على صيغة البسملة بفعل تقادم السنين وطول الزمن.

وعُرف عند العرب سلوكيات قديمة ذات مغزى حضاري، أذ أوردت المصادر التاريخية أن العرب كانت تفعل عشرة أشياء هي ((المضْمضة، والاستنشاق، والسواك، والفرق، وقص الشارب، والختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، والاستنجاء)) ^(١٨) وهذه من العادات التي من شأنها الحفاظ على نظافة العربي ورعاية صحته وحسن منظره، لذلك نرى أن الإسلام قد أقرّها، وحثّ المسلمين على الإتيان بها، لأنها توافق الشرع السماوي، وتصون قيمة الانسان.

كما اعتاد العرب القدماء، الاغتسال من الجنابة لاسيما في أوقات العبادة وامتنعوا من الدخول الى الحرم وهم جُنُب حتى يتطهّروا ^(١٩)، وكرهوا أكل لحوم الخنازير والقرود والميتة ومن ذلك ما قاله الشاعر الجاهلي أبن أوس الكلبي:

لا آكل الميتة ما عمرت نفسي وأن أبرح أملاقي ^(٢٠) ومنهم من حرّم شرب الخمر لاسيما من زعماء القوم وكبارهم كقصي بن كلاب ^(٢١) الذي أوصى أبناءه باجتناب الخمر قائلا: ((اجتنبوا الخمر فإنها تصلح الأبدان، وتفسد الأذهان)) ^(٢٢)، كذلك فعل عبدالله بن جدعان ^(٢٣) وعبد المطلب بن هاشم ^(٢٤) وغيرهم ^(٢٥) ومن العرب من آمن بيوم الحساب وفيها قال شاعرهم الاخنس بن شهاب التميمي

ولقد شهدت الخصم يوم دفاعه فأخذت منه خطة المقتال

وعلمت ان الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الأعمال ^(٢٦)

وقطعوا يد السارق ^(٢٧) واعتقدوا بالمسخ ووقع غضب الله على كل من يهتك حرمة بيته الحرام ^(٢٨) كما في مسخ آساف ونائلة وهلاك أصحاب الفيل ^(٢٩) ومن شدة هيبتهم للكعبة المكرّمة، أنهم امتنعوا عن بناء بيوتهم على نمطها وشكلها، وتجنّبوا إطالة بُنيانهم خوفاً من أن تعلوا بيوتهم بيت الله الحرام ^(٣٠).

وقلّد العرب أسلافهم بتقليب كف أيديهم اذا ما اصابتهم مصيبة في موت أو في مرض أو فقدان أموال، وهذا تعبير عن حالة الحسرة والندم التي لا قبل للعربي على تداركها بدليل الآية الكريمة {وَأَمِيطَ يَمْزِرُهُ فَاصْبِرْ يَقْبَلْهُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَمْثَلُ فِيهَا وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَى تَرَوْحَهَا وَيَقُولُ بِالْيَتْنِي لَمْ أَهْرِكْ يَرْبِي أَحَدًا} (٣١)

وتفاءلت العرب عند سكب الماء وراء المسافرين أو الضيف للذهاب والعودة سالماً آمناً من أهوال الطريق، حالها كحال رمي الصبي لسنّه نحو قرص الشمس متفانلاً بمنحه سناً قوياً بديلاً عن السابق (٣٢) ، في حين تشاءمت العرب من الثور الأعضب-أي مكسور القرن- ، ومن الأبتز- أي مقطوع الذنب- ، ومن البومة والغراب (٣٣)، وهذه من المعتقدات الخرافية القديمة التي أملتتها البيئة الصحراوية ورسخها الكهان للانتفاع من التحكم في عقول الناس عبر تفسيرهم لأموال الغيب وفق ما تترأى مصالحهم.

أمّا من أهم أيام العرب في الجاهلية، فهو يوم الجمعة الذي عُرف قديماً بيوم العروبة لاجتماع العرب فيه لحلّ مشاكلهم وعقد أحلافهم، كذلك هو يوم استراحتهم، وغالباً ما استحبوا الزواج في ليلة أو يوم الجمعة (٣٤) تفاولاً وتباركاً به، في حين تبارك اليهود بيوم السبت، والنصارى بيوم الأحد (٣٥).

ولاتقاء الحسد، اعتاد العرب تعليق كعب رجل أنثى الأرنب على صدورهم ، بينما علّقوا على صدور أطفالهم سن الثعلب أو سن الهرة ، معتقدين من وراء ذلك انها تحميهم من شرّ السحروعيون الحساد (٣٦).

ثانياً: عادات العرب وتقاليدهم في المناسبات المفرحة

كان للعرب قبل الإسلام عدّة مناسبات مفرحة، تختلف نسبة البهجة والسرور فيها تبعاً لحالتها، فحفلات الزواج أكثرها سروراً وبهجة، وكسب المال من عمل أو تجارة فرحاً ويُسراً، والنصر في حرب أو غزوة علّوا وفخراً وهيبة .

ومن أهم المناسبات المُفرحة ما يأتي :

١. الزواج

اعتاد العرب عند شروعه في الزواج على الارتباط بالنساء الحرائر المعروفات بالحسب والنسب والجمال والمال^(٣٧)، وفيها يتقدم الزوج مع نويه الى ولي أمر البنت (الزوجة) لمفاتحتهم بموضوع الزواج، كما تقدم أبو طالب عم الرسول لطلب يد السيدة خديجة بنت خويلد(رض) للزواج من سيدنا محمد (ص)^(٣٨)، وما ان تتم الموافقة، تُحدّد قيمة المهر ويُبرم العقد الذي قد يكون مكتوبا أو شفويا تبعا لمنزلة المتقدمين على الزواج، ووفقا للعُرف الاجتماعي السائد^(٣٩).

فضّل العرب الزواج من الأقارب أو من نفس القبيلة، إلا ان هذا لم يمنع ان يُفضّل القسم الآخر منهم الزواج من الغرباء لاسيما أنهم عدّوه أنجب للنسل وأصح للبدن وإنكاء للفتنة^(٤٠).

أحيا العرب ليالي الزفاف بالولائم والتصفيق والرقص، فنحروا الذبائح وأوقدوا النيران وطَيّبوا العريسين بالروائح العطرة، كما اعتادوا على تجميرهم بالبخور لدفع الشر والحسد عنهم^(٤١) واشترطوا على عفة البنت المقبلة على الزواج ان تكون باكرا عذراء، ولم يكن هذا الشرط ملزما على الجوّاري والاماء^(٤٢)، وأمتنع العربي عن أتيان زوجته اثناء الحيض، ولا يباشرها إلا بعد خلاصها منه وغسلها لضرورة طهارتها اثناء الجماع^(٤٣).

ومن التقاليد التي تمسّكت بها المرأة الحرّة، ستر وجهها بالخمارة^(٤٤) على ان هذا الخمار لم يكن ملزما عليها، قاصدة من وراء ذلك إخفاء جمال وجهها عن أعين الناظرين والمتجاوزين من الغرباء عليها كما حرصت على اخفاء ملامح جسدها، لا سيما وأن العرب من الأمم المُتشدّدة على نساءها تخاف العار وتصون الشرف، وهذا ما حَمَلَ المتطرفين منهم على وأد بناتهم للخلاص منهنّ قبل بلوغهنّ^(٤٥).

٢. الولادة :

احتفل العرب قبل الإسلام بالولادات الحاصلة عندهم وعند أبنائهم وأحفادهم، فنحروا الذبائح وأقاموا الولائم احتفاءً بقوم مولود جديد يزيدهم عددا وقوة^(٤٦)، على ان العرب حالهم كحال الأمم الأخرى، فضّلوا البنين على البنات لأسباب اجتماعية

واققتصادية، اذ أنتابهم الحزن حال تلقيهم نبأ ولادة زوجاتهم للبنات، بدليل الآية الكريمة {وَإِذَا بُهِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَاطٍ} (٤٧).

أقام العرب مراسيماً خاصة عند الولادة، منها نحر الذبائح التي عُرفت بالعقيقة، في اليوم السابع من الولادة، والقصد من وراء تلك العقيقة، دفع الأذى والشر عن المولود الجديد^(٤٨) كما يُصار الى حلق شعر رأس المولود والتصدق بمقداره ذهباً او فضة كتقليد سار عليه العرب وأقره الدين الإسلامي، ومن ذلك ما اشار اليه الرسول محمد (ص) قائلاً ((مع الغلام عقيقة، فاهريقوا عنه دماً، واميطوا عنه الأذى))^(٤٩).

وأعتاد العرب على تسمية أبنائهم بإحدى الأسماء المعروفة عندهم التي تحمل دائماً معاني تدل على القوة كـ سيف واسد وليث ومقداد، بينما اطلقوا اسماء جميلة على عبيدهم كأنيس وجميل وورد وقمر، ويأتي هذا التباين لاعتقادهم ان أسماء ابنائهم تمنحهم الهيبة من قبل أعدائهم وأصدقائهم، بينما سمّوا عبيدهم وخدمهم بأسماء جميلة ليستأنسوا هم بها^(٥٠).

٣. الختان

يُعدّ ختان الذكور من العادات العربية القديمة^(٥١) التي ورثوها عن نبي الله ابراهيم(ع) الذي كان يختن أبناءه وأحفاده وأولاد قريته ويوصى بختان من تصل اليه تعاليمه، إذ تُكرّر في العهد القديم ما نصّه ((في نفس ذلك اليوم، أخذ أبراهيم أبنه أسما عيل وكلّ المولودين في بيته وكلّ من اشتراهم بماله كل ذكر في داره، وختنهم كما أمره الله))^(٥٢) ، ومن ذلك أخذت العرب هذه العادة وتمسّكت بها ، واختصّت قريش بختان ذكورها في دار الندوة^(٥٣) خلال أيام معلومة وعلى يد كاهن له دراية بقطع حشفة الذكر(الغرة)^(٥٤) ويقيمون على إثر ذلك وليمة خاصة بالختان عرفت عندهم بوليمة الأعدار للاحتفاء والمباركة بقدم المولود الجديد^(٥٥).

أمّا ختان الإناث الذي عُرف بالخفض^(٥٦) فهو أمر لم يكن مألوفاً عند العرب القدماء قياساً بالأُمم الأخرى، وهي عادة دخيلة على المجتمع العربي قديمت من بلاد الحبشة ، وتغلّغت في المجتمعين المصري واليمني نظراً للتقارب الحضاري والجغرافي. وعلى العموم يُعدّ الخفض عادة غير مرغوب فيها في المجتمع العربي قبل

الإسلام وبعده، لذلك أنحسر ضمن نطاق ضيق ومحدود وليس له أثر يُذكر قياسا بختان الذكور^(٥٧).

ثالثا: عادات العرب وتقاليدهم في المناسبات المُحزنة

تباينت المآسي والأحزان عند العرب قديما، واختلفت بحدّتها ومقدار شدّتها، ما بين المرض أو العوز المادي أو الحرب، إلا إن أشدّها وطأة هو فقدان الزوجة لزوجها، وفقدان الأب أو الأم لأبنهم.

اعتادت المرأة الثيب الفاقدة لزوجها على الصّياح والنّياح عند سماع خبر وفاة زوجها أو مقتله، فتتزع عنها كل مظاهر الحلي والزينة وتترك الطيوب^(٥٨) وقد تقصُّ كامل شعرها كدليل على حزنها ونكدها، وتطالب بالثأر والقصاص من قاتليه أن كان مقتولا، أو قد تُداعي بالديّة^(٥٩)، وتشرع بارتداء الملابس السوداء الداكنة الدالة على الهم والحزن، وتقعد في بيتها حاسرة على نفسها تعترئها الكآبة لمدة حول كامل، هي بمثابة عدّة للمرأة العربية قبل الإسلام^(٦٠).

أمّا مراسيم تشييع المتوفي ودفنه، فهي تشبه نسبيا ما كان معمولاً به في الإسلام، إذ تبدأ تلك المراسيم بالإعلان عن خبر المتوفي عبر رجل خيال يُعرف بالناعي، يذيع الخبر وهو يسير عبر الطرقات وما بين البيوت، ليتمكن من له صلة بالمتوفي الحضور لتقديم العزاء لذويه^(٦١).

قلّد العرب أسلافهم في غسل موتاهم بالماء وتطيبهم ببعض الطيوب^(٦٢) التي عرفت بالحنوط وهي متكونة من طحن أعواد الكافور مع أوراق نبات السدر(النبق)، ومن ذلك ما قاله الشاعر الأفوه الأودي :

وجاءوا بماء بارد يغسلونني فيالك من غسل سيّبعة غير^(٦٣).

كما كفّوا موتاهم بأقمشة مُخصّصة لهذا الغرض لستر جسد المتوفي، وهمّوا قدر المستطاع في الإسراع بمراسيم الدفن خوفا من تلف الجثة، متمسكين بمبدأ اكرام الميت دفنه، ويصار الى تشييع جثمان الميت عند وصول الحاضرين من أقربائه وافراد قبيلته لإيصاله الى مثواه الأخير في المقبرة الخاصة بالمدينة أو القبيلة التي غالبا ما تكون على أطراف حماها^(٦٤).

وقد أعتاد العرب على حمل جسد المتوفي في نعش، عرف عندهم بالسريّر^(٦٥)، وهذا النعش كان على شكل أعواد مُتراصّة فيما بينها متمتّطة بالحبال، مُشكّلة لوحاً خشبياً مُسطّحاً، يوضع عليه المتوفي مستلقياً على ظهره وقد يُغطّى بقمّاش أو يترك بلا غطاء فتكون أكفانه وملامح جسده ظاهرة للعيان^(٦٦)، وهذا ما دفع سيدتنا فاطمة (ع) بنت رسول الله محمد(ص) للسؤال عن نعش يُغطّى ويستتر جسد المتوفي، فأشارت إليها أسماء بنت عميس^(٦٧)، بأن المسيحيين في بلاد الحبشة يحملون موتاهم بنعش على شكل صندوق خشبي مستطيل الشكل، فأوصت بعمل مثله عند وفاتها لستر هيئة جسدها عن أعين الناظرين^(٦٨).

ومن أحكام العرب قبل الإسلام، الصلاة على جُثة المتوفي بالدعاء له مكررين عبارة (عليك رحمة الله)^(٦٩) ويذكرون محاسنه ومآثره ويحفرون له قبراً ويشقون له لحدّاً لئيسجى الميت بداخله ويهال عليه التراب ثم ينحرون له القرابين ويحرقون البخور طلباً للرحمة والمغفرة^(٧٠).

وقد تَخْتَلَف طرق دفن الميت نوعاً ما في المجتمعات العربية القديمة، إلا أنّها عموماً لا تخرج عن نطاقها المألوف في غسل الميت وتطيبه وتكفينه وتشيعه ودفنه في التراب والدعاء له بالمغفرة وهذا ما وافق الدين الاسلامي وسمح به^(٧١) على عكس مجتمعات الهند والإغريق القديمة الذين كانوا يحرقون جثث موتاهم ويجعلونها رماداً، وعلى خلاف معتقدات بلاد فارس القديمة الذين كانوا يتركون جثامينهم على قمم الجبال وفي العراء لتأكلها الطيور والحيوانات المتوحشة، لأنهم لم يجوزوا ملامسة الجثة لتراب الارض^(٧٢).

رابعاً: أحكام العرب وشعائرهم الدينية

كان للعرب القدماء شعائر ومناسك دينية ذات أصل توحيدي أرساها نبي الله إبراهيم الخليل(ع) عند إتمامه لبית الله الحرام في مكة المكرمة، وعلى الرغم مما أصاب تلك الشعائر والمناسك من تشويه وانحراف بسبب ما دخل عليها من أفكار ومعتقدات وثنية، إلا أنها ظلت محتفظة بجوهرها السماوي^(٧٣)، ومن أهم تلك الأحكام والشعائر الدينية ما يأتي:

١. تحريم القتال في الأشهر الحرم

عُرِفَ عند العرب القدماء أربعة أشهر مُقدَّسة حُرِّمَ فيها القتال في عموم شبه الجزيرة العربية، وقد اقرَّ الإسلام هذه الأشهر وثبَّتَ أحكامها بصريح الآية الكريمة {إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ خُفِيَ عَنْهُ الشَّهْرُ مِنْهُ إِنْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَكُمْ بَدَلَتُهُ فَأْتُوا بِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (٧٤) وهذه الأشهر منها ما هو منفرد كشهر رجب ومنها متتالية كأشهر ذي القعدة وذي الحجة ومحرم، ويعود سبب تحريم القتال فيها هو ليأمن الناس وصولهم الى بيت الله الحرام بسلامة ويُسرُّ دون التعرض لهم، لأداء مناسك الحج والعمرة (٧٥) وهذا ما شجَّع تُجَّار قريش ومن حالفهم على إقامة أسواق عامرة خلال تلك الأشهر، فربحوا أموالاً طائلة نتيجة وصول أعداد غفيرة من الزائرين لمكة المكرمة . ويروى ان العربي كان يرى قاتل أبيه أو أخيه في طريق الحج أو في مكة، فلا يتعرض له بسوء ، بل يكفَّ بوجهه عنه ويتركه لحال سبيله، لحُرمة تلك الشهور (٧٦) اذا ما تعمَّد العرب بفعل خرق في تلك الأصول ونشبت حروب بينهم، اطلقوا على تلك الحروب، بحروب الفجَّار لفجورهم فيها، كون القتال فيها مُحَرَّمًا، وهذا ما جعلهم يبتدعون النسئ لتأخير الأشهر الحرم لكي ينتهي القتال أو حتى يدركوا ثأرهم قبل حلولها (٧٧).

٢. تحريم الزواج من الأقارب (الأصول)

حَرَّمَ العرب القدماء الزواج من الأقارب (الأصول)، إذ امتنعوا من الاقتران بالأصول وحلَّو الفروع، فلم ينكحوا البنات ولا الأمهات ولا الأخوات ولا العمات ولا الخالات (٧٨) وهذا ما أمتاز به العرب القدماء عن غيرهم من الأمم المعاصرة لهم كالإغريق والهنود والفرس الذين كانوا ينكحون المحارم (٧٩).

كما كره العرب النكاح من زوجة الأب بعد وفاته، إذ مارسه بعض الفئات المحدودة من اهل الوبر (البدو) إلا ان عموم العرب عابت هذا الزواج وسمَّوا من يخلف أباه في زوجته بالضيزن، وأطلقوا على المولود القادم من هذا الزواج بالمقت (٨٠) اي البغيض والمكروه، وعدوا هذا الزواج من عادات الفرس الدخيلة على المجتمع العربي، وبذلك قال الشاعر اوس بن حجر:

والفارسية فيكم غير منكرة فكلكم لأبيه ضيزن سلف (٨١)

ولم يُحبَّذ العرب الجمع بين الأختين كزوجتين لرجل واحد^(٨٢) لكونهم عدّوه مُخلًا بالأداب والأخلاق الإنسانية، وعاقبت العرب الزانية والزاني من المحصنين بالرجم بعد ان تثبت فعلتهم^(٨٣).

اما حكم طلاق الزوجة عند العرب القدماء، فهو مساير لما جاء به الدين الإسلامي، حيث كانت المرأة تطلق ثلاث طلاقات بأزمنة مختلفة حتى تُحرّم على زوجها^(٨٤) ولا يحق لزوجها ارجاعها كزوجة له إلا إذا تزوّجت وتطلقت من رجل آخر، ويبدو ان تلك الأحكام استمدت من شريعة نبي الله أبراهيم(ع) لاسيما وان أبنه أسمعيل (ع) أول من طلق زوجته من العرب القدماء^(٨٥).

٣. إدارة الحج والعمرة:

تُعَدُّ إدارة الحج والعمرة من أهم الأعمال والعادات التي استحدثتها قريش نتيجة لتزايد أعداد الحجاج والمعتمرين القاصدين بيت الله الحرام ، لاسيما وأن تلك الأعداد تحتاج الى الماء والطعام والمأوى خلال مدة الزيارة فضلاً عن حاجتها الى التنظيم والترتيب لأداء مناسكها ، ويبدو أن قريش أفلحت في مسكها لتلك الإدارة بأفضل ما يكون، بحيث لم تُثبت لنا المصادر التاريخية عن أي أخفاق أو مثلبة صدرت عن إدارة قريش ، بل على العكس من ذلك فقد لاقت جموع الزائرين ترحاباً وضيافة تليقان بسمعة قريش ومكانتها بين العرب، كيف لا وهم يعدّون أنفسهم جيران بيت الله وفيهم قال قصي بن كلاب ((قد حضر الحج، وقد سمعت العرب ما صنعتهم وهم لكم معظّمون، ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل أنسان منكم من ماله خرجاً))^(٨٦) فجعل من هذا الخرج طعاماً من الخبز واللحم واللبن والماء لضيافة الزائرين، كذلك فعل من جاء بعد قصي وصارت ضيافة الزائرين وتنظيم مناسكهم من الأحكام والأعراف الخاصة بقريش وعليها تقع مسؤولية تنظيمها وأدارتها^(٨٧).

ومن أهم وظائف إدارة الحج والعمرة قبل الإسلام، ما يأتي:

الإجازة : هي من الأعمال التي أنيطت الى أحد زعماء قريش من المعروفين بالأمانة والدراية في شعائر الحج ومواقيتها، ومن مهامه أن يأذن للزائرين في المباشرة بإقامة مناسك الحج والعمرة، ويجيزهم بالأحرام والطواف ويشرف على تعبّدهم حتى ختام زيارتهم^(٨٨).

ب. **الرفادة:** تُقام الرفادة من الأموال التي تخرجها قريش الى صاحب الرفادة ليصنع منها طعاما وشرابا للحجيج والمعتمرين القادمين الى مكة، لاسيما من عسيري الحال، وقد اعتاد العرب إقامة تلك الولائم في منى^(٨٩).

ج. **الحجاجة:** يقصد بها حاحب بيت الله الحرام الذي بيده مفاتيح بابها، وهو الذي يأذن للزائرين من عليّة القوم وأشرف الناس في دخول الكعبة المشرفة، وتقع عليه مهمة تهيئة البيت للوافدين، وكانت هذه الوظيفة قديماً بيد خزاعة ثم آلت الى قصي بن كلاب ومن بعده الى عبد الدار، وقد أبقاها الرسول محمد (ص) بمعية أحفاد عبد الدار بعد ان حسن اسلامهم^(٩٠).

د. **عمارة البيت:** هي وظيفة مهمتها أدامة بنيان بيت الله الحرام والمحافظة عليه من التصدّع نتيجة لتقادم الزمن ونتيجة للمؤثرات الخارجية كالسيول والأمطار والحرائق التي تؤدي الى الأضرار في ركائز وجدران الكعبة^(٩١).

هـ. **السقاية:** هي من الوظائف التي تُعنى بإرواء ظمأ الحجاج والمعتمرين القادمين الى بيت الله الحرام، ونظراً لكثرة أعداد الزائرين مقابل شحة مياه الشرب في مكة المكرمة، فقد أولت قريش عناية خاصة بهذه المهمة، وخوّلت صاحبها بحفر آبار تستوعب أرواء الأعداد المتزايدة لاسيما في موسم الحج، وهذا ما فعله قصي بن كلاب عندما أمر بإقامة حياض من ادم وضعت بفناء الكعبة ثملاً بواسطة قِرب تَحْمُلُهَا الدواب^(٩٢) كذلك فعلوا مثل هذه الحياض في منى مع ولائم الرفادة^(٩٣).

٤. شعائر الحج والعمرة

عَرَفَ العرب القدماء شعائر الحج والعمرة منذ زمن نبيّ الله أبراهيم (ع) الذي أرسى مناسكها بعد إتمامه لبُنيان بيت الله الحرام مع ابنه إسماعيل (ع) حيث دعا العرب القاطنين في مكة وما يجاورها للوفود الى الكعبة المكرمة لإقامة شعائر الله ، بدليل الآية الكريمة { وَأَذِّنْ لِلنَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ }^(٩٤). وبذلك قلّد العرب مناسك الحج والعمرة الإبراهيمية لاسيما من قبيلة جرهم^(٩٥) ، إلا أنّه مع مرور الزمن وتقدم الأيام دبّ الضعف في قبيلة جرهم ،من جهة ،وتسلّط قبيلة خزاعة^(٩٦) اليمنية على مكة ،من جهة أخرى، أن أدّت الى ضعف الديانة التوحيدية أثر شيوع الديانة الوثنية التي جاءت بها خزاعة من اليمن، فاختلطت المناسك الأصيلة التوحيدية بالمناسك الدخيلة الوثنية ،وقد بيّن ذلك ابن الكلبي^(٩٧) بقوله ((وفيهم على ذلك بقايا من عهد أبراهيم وإسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت

والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف على عرفة ومزدلفة، واهداء البدن، الالهلال بالحج والعمرة، مع ادخالهم فيه ما ليس منه)).

ومن جملة ما أعتاد فيه العرب قبل الإسلام في أداء شعائهم أنهم ترقبوا ولادة القمر لتحديد موعد الحج، الذي يبدأ مع بداية شهر ذي الحجة بغية توجّههم الى مكة المكرمة للحج وللابتياح من أسواقها- كسوق عكاظ وذو المجاز-^(٩٨) مبتدئين حجهم في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، من منى التي تقام فيها موائد الرفاة والسقاية، والذي يُعرف بيوم التروية-لارتواءالحجاج فيه الماء-، وبعد ذلك ينتقلون للوقوف على عرفة، ثم الى مشعر مزدلفة في اليوم التاسع، ومع حلول اليوم العاشر ينحرون الهدي، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويشرقون اللحوم في اليوم الحادي عشر، ويلقون الجمرات، ويحلقون شعر رؤوسهم^(٩٩) ، ويطوفون حول البيت الحرام سبع مرات ، ومن ذلك ما قاله قال الشاعر حسان بن تبع :

ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعاً وسجدنا عند المقام سجدوا^(١٠٠)

ومن العادات الدينية الأخرى لعرب قبل الإسلام ، أنهم تباركوا بالحجر الأسود وقبّلوه^(١٠١) وعظّموا مقام نبي الله ابراهيم(ع) ، وهم فضلاً عن ذلك هابوا الكعبة المشرفة واعتادوا على القسم بها عند المحن والشدائد، ومن ذلك ما قاله الشاعر الجاهلي:

فأقسمُ بالذي حَجَّتْ قريشُ وموقفِ ذي الحجيجِ على اللآلى^(١٠٢)

وتسابقوا في تقديم أزكى النفائس كقرايين ونزور لبيت الله الحرام، وتفاخروا بأكسائه بأغلى الأقمشة المطرزة بخيوط الذهب والفضة والديباج الملون^(١٠٣)، كما حرمت قريش المؤونة المخصّصة لأعمار الكعبة من أموال أهل البغي والربا وقطاع الطرق^(١٠٤) أن ذلك يتنافى مع قدسية وأجلال الكعبة عندهم ، ومن تقاليدهم الأخرى أنهم تباركوا بالشرب من ماء زمزم وسعوا للتزود به عند السفر والمرض^(١٠٥)، كما اعتاد الحجاج القدماء على الاغتسال قبل شروعههم بالأحرام، وإن الحوائض من النساء لم يدينين من الكعبة ولم يطفن^(١٠٦). وكما طاف عرب قبل الإسلام حول الكعبة فأنهم اعتادوا كذلك على إنشاد نداء التلبية في الحج الذي كان على نمط نداء الحج عند المسلمين من ناحية الفكرة ونظم الكلام وسجعه، باستثناء عقيدة الشرك التي حُشرت في نداء التلبية^(١٠٧)

الخاتمة

لقد تطرّقنا فيما سبق الى جانب مهم وأصيل من حياة العرب قبل الإسلام ، من خلال تسليط الضوء على جملة من العادات والتقاليد الاجتماعية والعقائدية ، التي أظهرت عدّة مزايا وصفات أُنسم بها المجتمع العربي في عصر الجاهلية ، كشفت عن المستوى الحضاري من حياتهم الذي لم يكن أقلّ شأنًا من المستوى الحضاري للأمم المعاصرة لهم كالفرس والروم والأحباش، بل يبدو جلياً ان العرب قبل الإسلام كان لهم من الصفات والمزايا الإنسانية والأخلاقية، ما فاقوا به عن تلك الأمم ، ومن ذلك نرى اقرار الدين الإسلامي لجملة من العادات والأعراف العربية القديمة التي حافظت على سمو الإنسان ، ولا يخفى على القارئ أن جزءاً من تلك العادات والأصول تعود لعصر نبي الله أسماعيل بن إبراهيم الخليل (ع)، كالامتناع من زواج الأقارب (المحارم)، وأحكام الزواج والطلاق، وإجارة المستجير ونصرة المظلوم والالتزام بأداب التحية وتناول الطعام ، فضلاً عن إقامة شعائر الحج والعمرة، والطواف حول الكعبة، وأستلام الحجر الأسود، والطهارة، والسواك، ومراسيم غسل الميت ودفنه وغيرها من الأحكام والتقاليد القديمة . كما وأتضح من البحث ان اغلب العادات والتقاليد المخالفة للأصول والآداب العربية ، انما جاءت من خارج شبه الجزيرة العربية ، كزواج الضيزن وختان الإناث وعبادة الأصنام والأوثان ، لأن مكة المكرمة أنما قامت على أسس توحيدية أرساها نبي الله إبراهيم الخليل(ع) وذريته من بعده، ولم يكن فيها اي مظهر من مظاهر الوثنية إلا بعد تقادم السنين وتسلبت قبيلة خزاعة عليهم التي نقلت ما ألفته في بلاد اليمن اليهم .

الهوامش:

- ١ الالوسي، محمود شكري، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، شرحه يوسف ابراهيم سلوم، ط١، (المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩)، ج١، ص٣٤٧.
- ٢ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٢هـ) نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: حسن نور الدين(دار الكتب العلمية، بيروت، دت) ج٣، ص٣٠٩-٣١٠.
- ٣ المكي، تقي الدين محمد بن احمد الحسني(ت٨٣٢هـ) العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦)، ج١، ص٦٦.
- ٤ الالوسي، م.س، ج١، ص٣٥١.
- ٥ الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ) البيان والتبيين(دار الفكر للجميع، القاهرة، ١٩٦٨)، ج١، ص١٩٥.
- ٦ الميداني، ابو الفضل احمد بن محمد(ت٥١٨هـ) مجمع الامثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد(مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة، ١٩٥٥)، ج٢، ص٣٣٧، علي ، جواد، المُفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٢، (مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٣) ج٥، ص٤٩٩.
- ٧ هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدولي الكنائي، لغوي معروف، وراو للحديث، وحافظ للقرآن الكريم، ابتكر طريقة التقيط للمحافظة على النصوص القرآنية من اللحن والتحريف، شهد

- معركة الجمل وصفين مع جيش علي بن ابي طالب(ع) ثم مات بالبصرة في مرض الطاعون. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، حسين محمد نصار وآخرون، ط٢ (المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠) مج ١، ص ٥٣.
- ٨ ابن قتيبة، ابي محمد عبدالله بن مسلم(ت ٢٧٦هـ)، عيون الاخبار(دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت) ج ٣، ص ٣٠٠.
- ٩ المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٠٢؛ السباعي، احمد، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران (الامانة العامة، الرياض، ١٩٩٩) ص ٥٤.
- ١٠ اللوسي، م.س، ج ٣، ص ١٨.
- ١١ الميداني، م.س، ج ١، ص ٩٩.
- ١٢ ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى بن محمد الاندلسي(ت ٦٨٥هـ) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن (مكتبة الاقصى، عمان، ١٩٨١) ج ٢، ص ٨٠٠؛ اللوسي، م.س، ج ٣، ص ١٨.
- ١٣ ابن حبيب، ابي جعفر محمد الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ) المحبر، تحقيق، ايلزه ليختن شتيتز(دار الافاق الجديدة، بيروت، د.ت) ص ٣٢٩.
- ١٤ اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر البغدادي(ت ٢٩٢هـ) تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المصنور، ط١، (مطبعة مهر، طهران، ١٤٢٥هـ) ج ٢، ص ٢١.
- ١٥ سورة النمل، اية ٣٠.
- ١٦ الاب انستاس ماري، اديان العرب وخرافاتهم، تحقيق: وليد محمود خالص، ط١ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥) ص ٣٩.
- ١٧ ابن قتيبة، ابي محمد عبدالله بن مسلم،(ت ٢٧٦هـ) فضل العرب والتنبيه على علومهم، تحقيق: وليد محمود خالص، ط١(منشورات المجمع الثقافي، ابو ظبي، ١٩٩٨) ص ٨٨؛ اليعقوبي، م.س، ج ٢، ص ٢١.
- ١٨ بن حبيب، م.س، ص ٣٢٩، القلقشندي، ابي العباس احمد (ت ٨٢١ هـ) نهاية الارب في معرفة انساب العرب، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط٢ (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠) ج ٢، ص ٤٥٢؛ الدهلوي، أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم(ت ١١٧٦هـ) حجة الله البالغة، تحقيق: سيد سابق، ط١ (دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٥م) ج ١، ص ٣٠٨.
- ١٩ ابن الكلبي، ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب(ت ٢٠٤هـ) كتاب الاصنام، تحقيق: احمد زكي (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٢٤م) ص ٣٢؛ القلقشندي، م.س، ج ٢، ص ٤٥٢؛ الجارم، محمد نعمان، اديان العرب في الجاهلية، ط١ (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٢٣م) ص ٧٠.
- ٢٠ ابن حبيب، م.س، ص ٣٢٩؛ العلي، صالح احمد، تاريخ العرب القديم والبغثة النبوية، ط١ (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م) ص ١٦٦.
- ٢١ هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، سيد قريش في عصره ورئيسهم، وهو الجد الرابع للرسول الاعظم محمد(ص) له الفضل في توحيد قريش بمسكه لإدارة مكة وتنظيمه شؤون الحج والعمرة وتشجيعه الناس على البنين حول الكعبة كما واسس دار الندوة وغيرها من الاعمال التي ارسى قواعد الحكم والنظام في مكة. للمزيد ينظر: الزركلي، خير الدين، الاعلام قاموس تراجم، ط٥ (دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢)، ج ٥، ص ١٩٨.
- ٢٢ الشهرستاني، ابي الفتح محمد بن عبد الكريم(ت ٥٤٨هـ) الملل والنحل، تحقيق: احمد حجازي السقا ومحمد رضوان مهنا، ط١ (مكتبة الايمان، القاهرة، ٢٠٠٦) ج ٢، ص ٤٤٣؛ الجارم، م.س، ص ١١٨.

- ٢٣ هو عبدالله بن جدعان التيمي القرشي، احد زعماء العرب المشهورين بالجود والكرم، جمع ما بين الزعامة والتجارة واللهو مع القيان، ادرك النبي محمد(ص) في حياته، إلا انه توفي قبل البعثة النبوية. للمزيد ينظر: الزركلي، م.س، ج٤، ص٧٦.
- ٢٤ هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، يكنى ابو الحارث، الجد الاول للرسول محمد (ص) زعيم قريش في الجاهلية وأحد ساداتها، كان عاقلاً حكيماً فصيح اللسان قوي الحجة جمعت له السقاية والرفادة، عرف بشيبة لوجود خصلة من الشيب في مقدمة شعر رأسه منذ صغره. ينظر: الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ) تاريخ الامم والملوك، ط١ (الاميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م) ج١، ص٤٢٣-٤٢٦.
- ٢٥ ابن حبيب، م.س، ص٢٣٧.
- ٢٦ الشهرستاني، م.س، ج٢، ص٤٤٢.
- ٢٧ ابن حبيب، م.س، ص٣٢٧-٣٢٨؛ القلقشندي، م.س، ج٢، ص٤٥٢.
- ٢٨ وهذا ما حدث لأساف ونائلة اللذين اتيا مكة حاجين ففجرا بداخل البيت الحرام، فمسخهما الله عز وجل صنمين ووضعا بجوار الكعبة ليكونا عبرة لمن اراد هتك حرمة بيت الله الحرام ينظر: ابن الكلبي، ص٩؛ الشهرستاني، م.س، ج٢، ص٤٣٢.
- ٢٩ الطبري، م.س، ج١، ص٣٦٧-٣٦٩.
- ٣٠ السباعي، م.س، ج١، ص٣٩-٣٧.
- ٣١ سورة الكهف، اية ٤٢.
- ٣٢ ابن سعيد، م.س، ص٧٨٧؛ القلقشندي، م.س، ج٣، ص١١٧.
- ٣٣ ابن قتيبة، فضل العرب، ج٢، ص١٤١-١٤٢؛ سالم، سيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية (مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دت) ص٢٨.
- ٣٤ ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج٣، ص٧٢؛ المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين(ت٥٣٤هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١ (دار الانوار، بيروت، ٢٠٠٩م) ج٢، ص١٦٣.
- ٣٥ الدهلوي، م.س، ج٢، ص٤٤.
- ٣٦ الآبي، أبي سعد منصور بن الحسين (ت٥٤٢هـ) من نثر الدر، تحقيق: مظهر الحجي، (مطبعة وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٧م) السفر الرابع، ص١٩٩ و ٢٠٥.
- ٣٧ علي، م.س، ج٥، ص٥٣٠-٥٣١.
- ٣٨ اليعقوبي، م.س، ج٢، ص١٤١، الطبري، م.س، ج١، ص٤٤١.
- ٣٩ فروخ، م.س، ص١٥٥؛ العلي، م.س، ص١٧٨.
- ٤٠ الحوفي، احمد محمد، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط٢ (مكتبة نهضة مصر ومطبعاتها، القاهرة، ١٩٥٢) ص١٦٠؛ فروخ، عمر، تاريخ الجاهلية (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤م) ص١٤٩-١٥٠.
- ٤١ الفاسي، محمد عبد الحي الادريسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية، تحقيق: عبدالله الخالدي، ط٢ (دار الارقم، بيروت، دت) ج١، ص١٣٢؛ الترماتيني، عبد السلام، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام (المجلس الوطني، الكويت، ١٩٨٤)، ص٦٣-٦٥.
- ٤٢ الميداني، م.س، ج١، ص١٠١ و٩٦؛ السباعي، م.س، ج١، ص٤٩.
- ٤٣ القلقشندي، م.س، ج٣، ص٤٥٢؛ الجارم، م.س، ص١١٨؛ العلي، م.س، ص١٦٦.
- ٤٤ ابن قتيبة، فضل العرب، ج١، ص٤٤؛ السباعي، م.س، ج١، ص٥٤؛ الزيات، حبيب، المرأة في الجاهلية، (مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م) ص١٧-١٨.
- ٤٥ القلقشندي، م.س، ج٣، ص١٢١؛ الحوفي، م.س، ص١٦٤.

- ٤٦ محمود، محمود عرفة، العرب قبل الإسلام، ط١، (عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ١٩٩٥) ص ٢٧٨.
- ٤٧ سورة النحل، اية ٥٨.
- ٤٨ الدهلوي، م.س، ج٢، ص ٢٢٣-٢٢٤؛ العلي، م.س، ص ٢٦٨.
- ٤٩ البخاري، ابي عبدالله محمد ابن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) صحيح البخاري، ط١ (دار بن كثير، دمشق، ٢٠٠٢م)، كتاب العقيدة، ص ١٣٩٢.
- ٥٠ الحوفي، م.س، ص ١٦٣.
- ٥١ ابن حبيب، م.س، ص ١٣١.
- ٥٢ التوراة، سفر التكوين، اصحاب ١٧: ٢٣-٢٤.
- ٥٣ ابن حبيب، م.س، ص ١٣١ و ٣٢٩؛ اليعقوبي، م.س، ج١، ص ٢٠٦؛ السباعي، م.س، ص ٤٩.
- ٥٤ هي قطعة الجلد التي تغطي حشفة الذكر. ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧٧١ هـ) لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي (دار المعارف، مصر، د.ت) مج١، ص ١١٠٢.
- ٥٥ الدهلوي، م.س، ج١، ص ٣٠٩؛ الالوسي، م.س، ج١، ص ٢٥٣.
- ٥٦ الختن للرجال والخفض للنساء. ينظر: ابن منظور، م.س، مج ١، ص ١١٠٢.
- ٥٧ مورست هذه العادة في مجتمعات لدول اغلبها اجنبية من افريقيا واسيا واوروبا وبصورة سرية. للمزيد من المعلومات ينظر: ابو سحلية، سامي عوض الذيب، ختان الذكور والاناث عند اليهود والمسيحيين والمسلمين دراسة وثائقية (دار رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٠م) ص ٣٣.
- ٥٨ الميداني، م.س، ج١، ص ١٠٧؛ السباعي، م.س، ص ٤٩.
- ٥٩ الحوفي، م.س، ص ٢١٦-٢١٧؛ الزيات، م.س، ص ١٦-١٨.
- ٦٠ علي، م.س، ج٥، ص ١٥٦؛ فروخ، م.س، ص ١٥٨.
- ٦١ القلقشندي، م.س، ج٢، ص ٤٥٣؛ العلي، م.س، ص ١٨٣.
- ٦٢ ابن قتيبة، فضل العرب، ج١، ص ٨٩؛ الجارم، م.س، ص ٨٥-٨٦؛ علي، م.س، ج٥، ص ١٥٢.
- ٦٣ الشهرستاني، م.س، ج٢، ص ٤٤٩.
- ٦٤ ابن حبيب، م.س، ص ٣١٩ و ٣٢٠؛ البخاري، م.س، كتاب الجنائز، ص ٣٠٣-٣٠٦؛ الالوسي، م.س، ج٢، ص ٢٣٠-٢٣١.
- ٦٥ يسمى النعش بالسرير الخاص بحمل الميت، وقد خصصت العرب قديما النعش للمرأة والسرير للرجل. ينظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت ١٧٠ هـ) كتاب العين، تحقيق: عبد الحمدي هنداوي، ط١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣) ج٤، ص ٢٤١.
- ٦٦ ابن حبيب، م.س، ص ٣٢٠؛ المكي، م.س، ص ١٠٥-١٠٦؛ محمود، م.س، ص ٣١٩-٣٢٠.
- ٦٧ صحابية جليلة القدر من بني تميم، اسلمت مبكرة وهاجرت مع زوجها جعفر بن ابي طالب الى بلاد الحبشة، اطلعت هناك على مراسيم تشييع الجنائز ونعوش المسيحيين ثم عادت وهاجرت الى يثرب (المدينة المنورة) وبعد استشهاد زوجها في معركة موته عام ٨ هـ تزوجها ابو بكر الصديق (رض) فأنجبت منه محمدا، ولما توفي ابو بكر الصديق (رض) تزوجها علي بن ابي طالب (ع) فأنجبت منه يحيى وعون، وصفت بأنها مهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين. ينظر ابن دريد، ابي بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ) الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١ (دار الجيل، بيروت، ١٩٩١) ص ٥٢٢.
- ٦٨ ابن رسته، ابي علي احمد بن عمر، (توفي نهاية القرن الثالث الهجري) كتاب الأعلام النفيسة، (مطبعة بريل، لندن، ١٨٩٣)، ص ١٩٣.

- ٦٩ اليعقوبي، م.س ، ج٢ ، ص ٧٨ ؛ علي، م.س ، ج٥ ، ص ١٥٧ .
- ٧٠ ابن حبيب، م.س ، ص ٣٢٠ ؛ الشهرستاني، م.س ، ج٢ ، ص ٤٩٩ .
- ٧١ الدهلوي، م.س ، ج٢ ، ص ٥٨ ؛ علي ، م.س ، ج٥ ، ص ١٥٩ .
- ٧٢ المسعودي، م.س ، ج٢ ، ص ١٤٠ ؛ التاجر، سليمان (توفي اواسط القرن الثالث الهجري)عجائب الدنيا وقياس البلدان، تحقيق : سيف شاهين المريخي(مركز زايد للتراث والتاريخ، دبي، ديت) ص ٥٥ .
- ٧٣ ابن الكلبي، م.س، ص ٦ ؛ القلقشندي، م.س ، ج٢ ، ص ٤٥٢ .
- ٧٤ سورة التوبة ، آية ٣٦ .
- ٧٥ المسعودي، م.س ، ج٢ ، ص ١٦٢ ؛ الشهرستاني، م.س ، ج٢ ، ص ٤٤٧ .
- ٧٦ اليعقوبي، م.س ، ج٢ ، ص ١١ ، البيروني، أبي الريحان محمد بن أحمد(ت ٤٤٠ هـ) الآثار الباقية عن القرون الخالية (دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٨م) ، ص ٣٢٨ ؛ المكي، م.س، ج١ ، ص ١٤٠ و ١٥٠ .
- ٧٧ ابن حبيب، م.س ، ص ٣٢٥ ؛ الشهرستاني، م.س، ج٢ ، ص ٤٤٥ ؛ القلقشندي، م.س، ج٢ ، ص ٤٥٢ ؛ السباعي، م.س ، ص ٤٩ .
- ٧٨ ابن قتيبة، فضل العرب، ج١ ، ص ٨٨ ؛ ابن رسته، م.س ، ص ١٣٢ .
- ٧٩ القلقشندي ، م.س ، ج٢ ، ص ٤٥٢ ؛ الألوسي ، م.س، ج٢ ، ص ٤٥ .
- ٨٠ ابن حبيب، م.س ، ص ٣٢٥ ؛ الشهرستاني، م.س، ج٢ ، ص ٤٤٥ .
- ٨١ ابن قتيبة، فضل العرب، ص ٨٧ ؛ الجارم ، م.س، ص ١٢٥ ؛ سليم، أحمد أمين، جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة(دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٩٧ م) ص ٢٥٥ .
- ٨٢ الجارم ، م.س، ص ١١٨ .
- ٨٣ ابن قتيبة، فضل العرب، ج١ ، ص ٨٩ ؛ المكي، م.س، ص ١٣٣ ؛ الدهلوي، م.س، ج٢ ، ص ٢١٤-٢١٥ .
- ٨٤ ابن حبيب، م.س ، ص ٣١٠ ، الطبري ، م.س ، ج١ ، ص ١٢١ ؛ الشهرستاني ، م.س، ج٢ ، ص ٤٤٦ .
- ٨٥ الأزرقى ،أبي الوليد محمد بن عبد الله(ت ٢٥٠ هـ) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله ، ط١ (مكتبة الأسد ، لايب ، ٢٠٠٣ م) ج ١ ، ص ٢٨٨ ؛ اليعقوبي، م.س، ج١ ، ص ٢٠٤ .
- ٨٦ الطبري ، م.س، ج١ ، ص ٤٢٩ ؛ المكي ، م.س، ج١ ، ص ١٤٦ .
- ٨٧ الأزرقى ، م.س، ج١ ، ص ٢٧٧-٢٧٩ .
- ٨٨ اليعقوبي ، م.س، ج١ ، ص ٢٠٧ .
- ٨٩ الفاكهي ،أبي عبد الله محمد بن اسحاق(من علماء القرن الثالث الهجري) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله ، ط٢ (دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤م) ج١ ، ص ٣٥٢ .
- ٩٠ اليعقوبي ، م.س ، ج١ ، ص ٢٠٦ ؛ السباعي ، م.س ، ج١ ، ص ٣٦ .
- ٩١ الأزرقى ، م.س، ج١ ، ص ٦٤٤ ؛ المكي، م.س، ص ١٤٨ .
- ٩٢ اليعقوبي ، م.س ، ج١ ، ص ٢٠٦ ؛ البخاري ، م.س ، ص ١٣٣٩ .
- ٩٣ ابن رسته ، م.س ، ص ٤-٧ ؛ البيروني ، م.س، ص ٥-١٣ .
- ٩٤ سورة الحج ، آية ٢٧ .
- ٩٥ قبيلة عربية قديمة من طبقة العرب الباقية ، أصولها من بلاد اليمن، من نسل يعرب بن قحطان، هاجرت جره من اليمن لأسباب اقتصادية وسياسية لتستقر في بلاد الحجاز، ولم يلبث

- أن تزوج نبي الله اسماعيل (ع) بأمرأة منهم حتى أنتشر نسلهم وعاشوا سوية في مكة المكرمة. ينظر: اليعقوبي، م.س، ج١، ص١٩١؛ البكري، أبي عبيد عبد الله بن محمد (ت ٥٤٨٧هـ) المسالك والممالك، ط١ (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣) ج١، ص٥٩-٦١.
- ٩٦ من قبائل الأزد العربية القديمة، تعود بنسبها الى جد اليمنيين يعرب بن قحطان، تركوا ارض اليمن بسبب سيل العرم ونزلوا بضواحي مكة، لم يلبثوا طويلا حتى سيطروا على مكة وأخذوا رئاستها من جرحم بالحيلة والقوة، من أبرز زعمائهم عمرو بن لحي الذي مسك حجابة البيت الحرام وغير دين الحنيفية. ينظر: الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٢٧٠هـ) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (دار الحياة، بيروت، د.ت) ص١١٣؛ المسعودي، م.س، ج٢، ص٤٥.
- ٩٧ الأصنام، ص٦.
- ٩٨ هما وسوق المجنة من الأسواق المشهورة عند العرب قبل الإسلام، اذ اعتاد الحجاج حضورها والأبتياح منها قبل شروعه باداء مراسيم الحج. ينظر: الأزرقى، م.س، ج١، ص٢٨٠؛ العلي، م.س، ص٢٥١.
- ٩٩ ابن رسته، م.س، ص١٩١ و١٩٨؛ المسعودي، م.س، ج٢، ص١٦٢؛ الشهرستاني، م.س، ج٢، ص٤٤٧.
- ١٠٠ ابن حبيب، م.س، ص٣١١ و٣١٩؛ القلقشندي، م.س، ج٢، ص٤٥٢.
- ١٠١ الأزرقى، م.س، ج١، ص٤٥٦؛ الفاكهي، م.س، ج١، ص٨١؛ المكي، م.س، ص١٣٦؛ الدهلوي، م.س، ج١، ص١٠١.
- ١٠٢ الشهرستاني، م.س، ج٢، ص٤٤٧.
- ١٠٣ الأزرقى، م.س، ج١، ص٣٥١؛ المسعودي، م.س، ج٢، ص٢١٩؛ المكي، م.س، ج١، ص٥٧.
- ١٠٤ اليعقوبي، م.س، ج١، ص٢١٠؛ الطبري، م.س، ج١، ص٤٢٥-٤٢٦.
- ١٠٥ الجارم، م.س، ص٣٣ و٧١؛ السباعي، م.س، ج١، ص٥٠.
- ١٠٦ اليعقوبي، م.س، ج١، ص٢١٨؛ الشهرستاني، م.س، ج٢، ص٤٣٦-٤٣٧.
- ١٠٧ يروى ان عمرو بن لحي هو الذي غير نداء التلبية في الحج وادخل فيه ما ليس منه من عقيدة الشرك، وسار من جاء بعده من الحجاج على وفق ما احدثه عمرو بن لحي، فثبت عندهم التحريف مع مرور الزمن وتقدم الأيام، فضلا عن إدخاله الاصنام والاوثان الى مكة التي عبدت زلفى الى الله عز وجل. ينظر: ابن الكلبي، م.س، ص٨؛ الأزرقى، م.س، ج١، ص٢٨٧؛ الأصفهاني، م.س، ص١١٣.

الصحفي المحترف والمصادر الجديدة للأخبار

(دراسة في الخدمات و آليات التحقق من المحتوى تويتر انموذجا)

*The professional journalist and new sources
of news*

*(Study in the services and mechanisms
of content verification Twitter model)*

طالبة الدكتوراه: خديم خيرة جامعة أحمد بن بلة وهران ١

ا.د. برقان محمد جامعة أحمد بن بلة وهران ١ – مشرفا-

PhD student third phase : Kheira KHEDIM

Ahmed Ben Bella University ORAN1

P. Mohamed Bergane

Ahmed Ben Bella University ORAN 1 - supervisor-

الملخص :

من أبرز المكتسبات التي أوجدها التطور التكنولوجي و على الصحفيين استثمارها في نشاطهم الإعلامي شبكات التواصل الاجتماعي التي شهدت انتشارا هائلا في السنوات الماضية لاسيما شبكة تويتر التي أصبحت مصدرا مهما للأخبار كما وفرت فرصة لنشرها وتداولها من قبل شريحة واسعة من المستخدمين ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة كمحاولة بحثية تسعى لرصد أهم استخدامات الصحفيين لشبكة تويتر كمصدر للأخبار تعرض بعض الخطوات الواجب اتباعها للتحقق من الفيديوهات وقدمت في الأخير بعض الإرشادات للصحفيين عند التعامل مع أخبار شبكة تويتر.

الكلمات المفتاحية:

مصادر الأخبار ، الصحفي المحترف ، شبكات التواصل الاجتماعي ، شبكة تويتر .

Summary:

One of the most prominent acquisitions of technological development that journalists should invest in their media activities is “ Social networks” which have seen a huge spread in the last years especially the Twitter network which has become an important source of news, it also provided an opportunity to be published and circulated by a wide range of users, Hence, this study is a research attempt to monitor the most important use of Twitter by journalists as a source of news, and shows some steps to follow in order to check videos, Finally it gave some guidance to reporters when dealing with Twitter news.

Keywords:

News sources, professional journalist, Social networks, twitter.

مقدمة :

أدت التطورات التقنية والتكنولوجية المتلاحقة لتكنولوجيا الإعلام والاتصال خاصة ظهور شبكات التواصل الاجتماعي، وانتشارها واستخدامها من طرف قطاعات واسعة من أفراد المجتمع إلى إمكانية تحول أي شخص إلى مصدر للخبر الصحفي، من خلال نشر الأخبار و الصور والفيديوهات عن الأحداث حال وقوعها، بالإضافة إلى مواكبة تطوراتها لحظة بلحظة. الأمر الذي دفع بالصحفيين المحترفين في وسائل الإعلام المختلفة إلى الاعتماد على ما ينشر في شبكات التواصل الاجتماعي كمصدر في البحث عن الأخبار و الوصول إليها والتأكد منها .

ومن أبرز شبكات التواصل الاجتماعي التي أصبحت جزءا مهما في عملية جمع الأخبار، و وفرت فضاء لتداولها ونشرها على نطاق واسع والتواصل كذلك مع مصادر جديدة و التفاعل مع الجمهور شبكة تويتر التي تعتبر من خدمات التدوين المصغر . فكثيرا ما يعتمد الصحفيون مثلا على تغريدات متداولة على تويتر كمصدر لإنتاج موادهم الإعلامية، لكن الرهان المفروض على الصحفيين كسبه هو التحقق من المحتوى الذي تحمله التغريدة ، فلا يمكن للصحفي استخدام أي معلومة دون التحقق

منها لأن مصداقيته ومصادقية المؤسسة الإعلامية التي يعمل بها ترتبط بصحة ما ينشر من معلومات و أخبار ومع التطور التكنولوجي و انتشار صحافة البيانات و المهارات التي أصبح يكتسبها الصحفيون في التعامل مع التكنولوجيات الجديدة أصبح بإمكانهم التأكد من محتويات التغريدات بسهولة وهم في مكاتبهم أو بيوتهم من خلال بعض الأدوات و الخطوات التي سنعرضها من خلال هذه الورقة البحثية .

حيث تقف هذه الدراسة على نواحي استخدام الصحفيين لشبكة تويتر كمصدر لإنتاجاتهم الإعلامية الصحفية و تقدم بعض الآليات التي يمكن اتباعها للتحقق من التغريدات كما تقدم بعض الإرشادات التي يجب على الصحفيين اتباعها عند التعامل مع مواد من شبكات التواصل الاجتماعي. ومن هنا تنطلق الدراسة من التساؤلات التالية :

١. ماهي أهم استخدامات الصحفيين لموقع تويتر ؟
٢. ماهي أهم الخدمات التي يقدمها موقع تويتر للصحفيين ؟
٣. ماهي الخطوات الواجب اتباعها للتحقق من التغريدات المنتشرة عبر تويتر قبل استخدامها صحفيا ؟

أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية :

١. التعريف بمصادر أخبار الصحفي.
٢. التعريف بشبكة تويتر و آلية اشتغالها .
٣. التعرف على أبرز استخدامات الصحفيين لشبكات التواصل الاجتماعي.
٤. الكشف عن أهم الخدمات التي توفرها شبكة تويتر للصحفيين .
٥. التعرف لأهم الخطوات التي تمكن الصحفيين التحقق من محتوى التغريدات .

المبحث الأول :مصادر الأخبار و أهم تصنيفاتها

المطلب الأول : مصادر الأخبار

إن الإنسان المعاصر إما أن يعرف الأحداث و إما أن يقع فريسة للخرافات أو الشائعات لذا على الصحفي، وهو مؤرخ الحاضر أن يكون له هدف واحد ، وهو البحث عن الأخبار الصحيحة و نشرها والتعليق عليها ، إن الخبر الذي يرغب فيه الجميع هو الخبر الموضوعي^(١) و تقديم الخبر الصحيح الموضوعي الموثوق منه لا يكون دون رجوع الصحفي إلى مصدر له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالحدث. لأن الصحفيين لا يشاهدون كل الأحداث الإخبارية لحظة حدوثها هنا وجب عليهم تحديد مصادر إخبارية مطلعة وذات كفاءة^(٢) فكلما زادت مصادر الخبر كان ذلك أفضل وكلما زادت أهمية الخبر زادت ضرورة توثيقه بمصادر قوية معرفة بالاسم ، لذا فإن قيام الصحفي بتكوين علاقة مع مصادر جديدة ليس إهدارا للوقت مطلقا ،حيث قال

"صمويل جونسون" الكاتب الإنجليزي في القرن الثامن عشر: "اعتبر اليوم الذي يمر دون أن أتعرف على شخص جديد يوما ضاع من عمري"^(٣) و يقصد بمصدر الخبر: "الإشارة إلى الاداة التي تحصل من خلالها الصحفي على الخبر الصحفي".^(٤) ويرى "وستلي" و "ماكلين أن المصدر قد يكون "شخص ، مؤسسة، حزب سياسي، مرشح يسعى من خلال المؤسسة الإعلامية لإيصال رسالة إلى الجمهور المستهدف، كما تتمثل مصادر الصحفي في جميع الوسائل و القنوات و الأوعية التي يمكن عن طريقها نقل المعلومات و البيانات إلى المتلقين".^(٥) و تضمن العلاقات مع مصادر الأخبار للصحفي الاستمرارية في النشاط الصحفي الإعلامي ما يلزمه المحافظة على مصادره و توطيد علاقاته مع هذه المصادر لكن مع مراعاة الحيادية وعدم الانحياز لهذه المصادر حتى لا يكون الصحفي محل استغلال من طرف جهات ساعية لتحقيق أجندات و نشر ايديولوجياتها ما يفقد العمل الصحفي مصداقيته و رسالته الهادفة الكشف عن الحقيقة. فشخصية الصحفي و أخلاقه تلعب دورا أساسيا في حصوله على الأخبار، و كلما كانت هذه الشخصية و هذه الأخلاق قوية ، سهل على صاحبها الحصول على الأخبار و ذلك أن مصدر الخبر يهمه جدا أن يتعامل مع انسان يقدّر المسؤولية فلا يشوه الخبر أو يحرفه أو لا يذيع سرا أو تمن عليه فكثيرا ما يحدث أن يشترط المصدر على الصحفي ألا ينشر تفصيلا معيناً لأن في نشره ما يسيء إلى الصالح العام ، و على المخبر في هذه الحالة أن يحفظ السر ولا يفرط فيه أيا كانت المغريات و بهذا يحوز ثقة مصدر الخبر و تقديره و يحتفظ به.^(٦) حيث تعتبر العلاقة مع مصادر الخبر من أصعب العلاقات في حياة الصحفي. والسبب في هذا مغبة أن يمارس المصدر نفوذا مفرطا على ما يكتبه الصحفي لذا فإن العلاقة مع المصادر يجب أن تقوم على المهنية والاحترام والإنصاف والثقة كما الاقتراب أكثر من اللازم من مصدر بعينه يمكن أن يؤثر سلبا على رؤية للقصة الصحفية، ولذا فمن المهم تكوين مصادر في كل جوانب القصة الصحفية أو القضية.^(٧) العلاقة القائمة بين الصحفي و المصدر تشكل عاملا مهما في توجيه الأخبار ، فهذه العلاقة تقوم على أساس بين طرفين متناقضين ، أحدهما و هو المصدر صاحب القرار أو المعلومة ، يريد الاحتفاظ أحيانا بسرية المعلومات و توصيلها للناس بشكل معين ، و الطرف الثاني و هو الصحفي يريد الوصول إلى الحقيقة ، كل الحقيقة و أن ينشرها كما هي ، ومع هذا التناقض يجد الصحفي نفسه في وضع محير ، فالنصيحة التي يتلقاها عندما يبدأ حياته المهنية هي أن يكون على علاقة وطيدة بمصادر الأخبار ، لأن الصحفي ما هو إلا مجموعة مصادر فإذا فقد مصادره تجرد مهنيا ، و في الوقت نفسه نجد أن الاقتراب الشديد من المصدر ومحاولة إيجاد علاقة وثيقة للحصول على المعلومة أو الخبر تجعله يفقد قدرا كبيرا من الحيادية المطلوبة في الصحفي و الامتنال لأهواء المصدر ، ومحاولة إيجاد علاقة متوازية تعد صعبة ، بسبب المشار إليه أنفا ، وبالتالي فلما أن تكون علاقة وثيقة و تابعة تمكن الصحفي من الحصول على المعرفة بالسرعة المطلوبة، و إما علاقة استقلال وعداء مستقر ، وفي كلا الحالتين قد يحدث التوجيه.^(٨)

ومن أهم النماذج التفسيرية لطبيعة العلاقة بين المصدر والصحفي تلك التي وضعها "ولتر جيبر" في ثلاثة أشكال هي كالتالي :

علاقة الاستقلالية: فيها يتمتع كل من المصدر و الصحفي باستقلالية، ويتصف تدفق المعلومات بأنه رسمي ، ومن نماذجه التصريحات الرسمية للمسؤولين الحكوميين.

علاقة الاعتماد المتبادل: تأخذ العلاقة بين الصحفي ومصادره شكل الاعتماد المتبادل بينهما، إذ يشعر كل منهما بحاجته إلى الآخر فالمرسل يرغب في الحصول على الاخبار والمعلومات، وفي المقابل يسعى المصدر لتحقيق فرصة نشر تلك المعلومات والاخبار.

علاقة التبعية: فيها تسود علاقة التبعية إذ تتم سيطرة المصدر على الصحفي.^(٩)

إن توجه الصحفي نحو المصدر له تأثير كبير في توجيه الأخبار و في دراسته لتدفق الأخبار الداخلية لفت الباحث "باس bass" الانتباه إلى أهمية التمييز عند الحديث عن تأثير هذا التوجه بين مرحلتين :

المرحلة الأولى- تجميع الأخبار : يكون التوجه الذي يحمله جامعو الأخبار نحو المصدر قويا و مؤثرا عند قيامهم بتجميع المادة الإخبارية الخام .

المرحلة الثانية- معالجة الأخبار: يتلشى تأثير المصادر لدى معالجي الأخبار من محددين و مصححين و مترجمين و في تقدير "باس bass" فإن النشاط الأكثر أهمية يحدث داخل المؤسسة الإعلامية عندما يعاد فرز و صياغة المادة الخيرية من جديد.^(١٠)

المطلب الثاني :تصنيفات مصادر الخبر

هناك تداخل بين مصادر أخبار الصحفي و مصادر أخبار المؤسسة الإعلامية التي يعمل بها، وللتفرقة بينهما يطلق على مصادر المؤسسة الإعلامية عادة مسالك الأخبار، وفي كثير من الأحيان تكون هذه المسالك نفسها مصادر أخبار الصحفي. وتوجد عدة تصنيفات لأنواع مصادر الأخبار التي يعتمد عليها الصحفي في إنتاج مادته الإعلامية وتقديم الخبر الصحفي ومن هذه التصنيفات يمكن ذكر :

- ✓ مصادر رسمية أو مصادر غير رسمية .
- ✓ مصادر أخبار حية أو مصادر أخبار وثائقية أو جهة و هيئة .
- ✓ مصادر أخبار مباشرة أو مصادر غير مباشرة .
- ✓ مصادر أخبار حسب الجدة الحداثة أو مصادر أخبار سابقة .
- ✓ مصادر معرفة أو مصادر غير معرفة .
- ✓ مصادر أخبار أولية أو مصادر أخبار ثانوية.

المطلب الثالث: الطرق التي يقدم بها الصحفي المصدر في الخبر

عند قيام القائم بالاتصال بتقديم معلوماته قد يشير صراحة إلى الشخص أو الهيئة مصدر الخبر كما قد يلجأ إلى إخفاء هويته فقد استقرت الممارسة المهنية الصحفية

على إخفاء هوية مصادر بعض الأخبار والاكتفاء بالإشارة إليها بتعبيرات مثل: "مصدر مطلع" و "مصدر موثوق به" و "مصدر مسئول ... إلى آخر تلك المسميات فإن المصادر المجهلة تمثل الأشخاص والهيئات الاعتبارية والمؤسسات التي تدلي بمعلومات إلى الصحفي وتطلب إليه عدم الإشارة إليها بالاسم في المادة الصحفية، كما أنها مصادر المعلومات التي يرى الصحفي أو رئيس التحرير أنه ليس في صالحها ولا في صالح الصحيفة الكشف عنها^(١١) وأسمى "كارل هوسمان" عملية تجهيل المصادر "بصراع الإلزامات" "conflicts of accountability" فالصحفيون لديهم التزامات تجاه مصادرهم تشمل حماية هويتهم إذا وعدوهم بعدم ذكر أسمائهم في المادة المنشورة، ولديهم التزامات مختلفة تجاه القراء تشمل تزويدهم بالمعلومات الكاملة عن مصادر المعلومات المنشورة. وعندما يستخدم الصحفيون المصادر المجهلة يكون لدى القراء فرص ضئيلة لتقييم صدق المعلومات. ويعني السماح للصحفيين بتجهيل مصادر أخبارهم دون ضوابط محددة دعوة للمبالغة والتضخيم وتلوين وتشويه الأخبار. ويصل الأمر في بعض الحالات إلى قيام بعض الصحفيين باختلاق قصص إخبارية لا أساس لها من الصحة استنادا إلى مصادر مجهلة وتقوم الصحف بنشرها دون التحقق من وجود هذه المصادر. وقد سببت مثل هذه الأمور إخراجا شديدا لكبريات الصحف العالمية مثل صحيفة نيويورك تايمز التي نُتِهم بـ "إدمان استخدام المصادر المجهلة. وينصب التجهيل في الغالب على المصدر الفرد، إذ من النادر أن يتم تجهيل المصدر إذا كان شخصا اعتباريا كجماعة أو منظمة أو دولة على أساس أن هذه المصادر تسعى إلى الظهور الإعلامي وليس من صالحها تجهيل نفسها^(١٢) هذا وتنصح معظم مدونات أخلاقيات المهنة الصحفيين بعدم اللجوء إلى النقل عن مصادر سرية غير مسماة إلا عندما تكون المعلومات المنقولة عنها في مصلحة الجمهور وتكون كل الجهود الرامية لنقل المعلومات من منسوبة للمصدر بالاسم قد باءت بالفشل. وحتى عندما يتعين إخفاء هوية مصدر كمن الممكن في أغلب الأحيان أن توضح للجمهور كيفية معرفة المصدر لأمر ما، أو السلطة التي يتمتع بها هذا المصدر^(١٣).

المبحث الثاني: استخدامات الصحفيين لشبكات التواصل الاجتماعي كمصدر للأخبار

المطلب الأول: شبكات التواصل الاجتماعي

شهدت المجتمعات الإنسانية خلال العقد الأخير من القرن الماضي، تطورات متسارعة ومتلاحقة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، مما ساهم في تسهيل إمكانية التواصل الإنساني والحضاري، و أهم المنجزات التكنولوجية التي ساهمت في ذلك شبكة المعلومات العالمية "الإنترنت"، و خاصة مع ظهور الجيل الثاني لهذه الشبكة الويب (٢٠، ٢) الذي سمح بظهور شبكات التواصل الاجتماعي القائمة على خاصية التفاعلية

المتبادل كسمة رئيسية لهذه الشبكات التي عبارة : " عن مواقع على شبكة الانترنت يستطيع من يملك حسابا فيها القيام بالتواصل بعدة طرق (كتابة، صوتا، وصورة) مع من يريد ممن يملكون حسابا في هذه المواقع، سواء أكانوا أشخاصا طبيعيين كالأصدقاء القدامى أو أصدقاء عمل أو زبائن أو أشخاص معنويين كالشركات والمؤسسات، حيث يمكن تبادل الأفكار والآراء والمشاعر أو الترويج لسلعة أو منتج معين و انجاز الأعمال في مجتمع افتراضي".^(١٤) هكذا فإن تقديم "البروفایل" وعرض قائمة الأصدقاء والاتصالات وتبادلها مع الآخرين بشكل عام وعلمي يشكل القاعدة الأساسية للتفاعل على مواقع الشبكات الاجتماعية وهكذا، فإن هذه المواقع تدعم الأنماط المتباينة من التفاعل حتى لو اختلفت وتنوعت المواقع، وعلى سبيل المثال فإن مواقع الشبكات الاجتماعية مثل "فريند ستر" و"مأي سبيس" و"فيس بوك" لها تأثير كبير على توجه معظم مواقع الشبكات الاجتماعية الأخرى.^(١٥)

المطلب الثاني: شبكات التواصل الاجتماعي كمصدر للأخبار

تتعرض مهنة الصحافة لتحديات غير مسبقة في زمن الشبكات الاجتماعية بسبب الانتشار الواسع لهذه الشبكات بتطبيقاتها وأدواتها ومنصات المتعددة ، حيث باتت صناعة الخبر تأخذ شكلا مغايرا عما استقرت عليه سابقا ومع تعزيز بيئة الإعلام الجديد لظاهرة "صحافة المواطن" باتت مهمة المراسل الميداني أكثر تعقيدا للوصول إلى الخبر مع وجود منافسين من الجمهور حيث تحول المواطن البسيط إلى صحفي متمرس في نقل الفيديو و الصور و ينقل المعلومة بالصوت و الصورة من الميدان تماما كالمراسلين الصحفيين و ربما تفوق عليهم في سرعة نقل الحدث . عبر شبكات التواصل الاجتماعي مع التطور التكنولوجي واجتياح الإعلام الجديد البيئة الإعلامية أصبحت الصور ومقاطع الفيديو وروايات شهود العيان المنتشرة على مواقع التواصل الاجتماعي من مصادر المعلومات الأساسية في غرف الأخبار التي يعتمد عليها الصحفي في تقديم و إنجاز مواده الإعلامية فلم يعد بالإمكان الاعتماد فقط على إفاد المراسلين الصحفيين أو وكالات الأنباء. كمصدر للمعلومات وإنما الممارسة الإعلامية تطورت بدرجة كبيرة و أصبح عنصر الوقت هو المؤثر الأساسي في رهان التغطية الخبرية ما يجبر الصحفيين على الاعتماد على المواد المنشورة على شبكات التواصل الاجتماعي فقد أتاحت هذه الشبكات إمكانية نقل وقائع الأحداث التي تحصل في الأماكن التي لا يتواجد فيها الصحفيون أو يتعذر وصولهم إليها كما أتاحت إمكانية النقل الفوري المباشر الأنني و في الحين. إن التخلي عن الميدان يتزايد باستمرار، فالتكنولوجيات الجديدة بما توفره من تسهيلات الوصول إلى مصادر المعلومات أخذت

تبعد أكثر فأكثر الصحافيّ عن الميدان وهكذا أصبحت الصحافة مهتّدة في جوهرها، ولم يعد الصحافيّ أوّل من يكون في موقع الميدان ليصف الأحداث ويستنشق الألوان ويسأل الفاعلين والشهود. فالصحافيّ لم يعد يواجه بنفسه الوقائع ذاتها وإنما أصبح يعتمد على روايات الغير نقلا عن مصادر غير موثوق بها أحيانا كما أن قاعات تحرير تتحول تدريجيا إلى فضاءات افتراضية فالصحافيون لم يعودوا يلتقون وإمكانية العمل عن بعدك انت وراء ذلك اختفت الأقسام ومعها أسر التحرير وغابت مقارعة الأفكار بين العاملين والتّقاشات حول التوجه التحريري بل أكثر من ذلك إذ أن اجتماعات هيئات التحرير أصبحت نادرة ممّا أدى إلى تركيز الصّلاحيّات في أيدي أقلية مسير. (١٦)

و من أهم استخدامات الصحفيين لشبكات التواصل الاجتماعي كمصدر للأخبار :

- ✓ البحث عن البيانات وعن معلومات مخصوصة.
- ✓ الاطلاع على الأحداث الجارية.
- ✓ الاتصال بأشخاص يصعب البحث عنهم.
- ✓ متابعة المجال الذي يتخصصون فيه.
- ✓ تفاعل بين المصادر التقليدية والمصادر الجديدة واستخدامهما معا.
- ✓ الاستكشاف.
- ✓ الحصول على أفكار لقصص إخبارية.
- ✓ نظرة عامة على الأحداث الجارية والمزاج العام.
- ✓ تأكيد المعلومات.
- ✓ تعزيز القدرة على إضفاء البعد الإنساني على قصة إخبارية ما.
- ✓ الحصول على معلومات يصعب الحصول عليها بالطرق التقليدية.
- ✓ الحصول على معلومات من سياقات ثقافية أجنبية.
- ✓ متابعة أشخاص هامة.
- ✓ الاطلاع على اتجاهات الناس ورصد الاهتمامات العامة.
- ✓ الاطلاع على أعمال الصحفيين الآخرين (الزملاء).
- ✓ التفاعل مع المستخدمين والإجابة عن رسائلهم.
- ✓ إخبار المستمعين عن البرامج والاطلاع على ردود فعلهم.
- ✓ إثارة النقاشات العامة حول مواضيع مخصوصة. (١٧)

كما أن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي يوفر للصحفي الفوائد التالية :

- ✓ السرعة والفورية في النفاذ إلى المصادر وفي الحصول على المعلومات والبيانات وفي التواصل مع الناس الحصول على ردود فعل على معلومات ذات علاقة بالبعد الإنساني وعلى أفكار لقصص إخبارية.

- ✓ التنوع : النفاذ إلى تنوع واسع من آراء الناس التي تعبر عن رأيها بكل حرية في الميديا الاجتماعية
- ✓ تعزيز العلاقة بالجمهور وإنشاء جماعة وفية من المتابعين.
- ✓ قدرة الصحفيين على إتاحة أخبار حصرية وجديدة تعزز من صورة ومكانة الصحفيين باعتبارهم مزودين للأخبار.
- ✓ الحصول على معلومات غير خاضعة للرقابة وبطريقة مباشرة.^(١٨)

المبحث الثالث: مصادر الأخبار عبر تويتر :

المطلب الأول :حول شبكة تويتر Twitter:

تقوم فكرة شبكة تويتر على ما يسمى بتقنية Micro blogging أو التدوين المصغر من خلال تكوين شبكة اجتماعية من الأصدقاء أو الأقارب أو المعارف على الموقع ،twitter.com وقد ساعدت مجانية الخدمة وسهولة الموقع وعدم وجود إعلانات مزعجة وزيادة مستخدميه وتواجد جهات ومؤسسات وأفراد ومراسلين وصحفيين على إنعاش الموقع و إمداده بمعلومات سريعة وحصرية قبل أن تنتشر بالصحف ووكالات الأنباء الرسمية^(١٩). ما جعل تويتر يقدم موقع تويتر تعريفا مقتضيا له بأنه : " خدمة تساعد الأصدقاء وأفراد العائلة وزملاء العمل على التواصل وإدامة الاتصال بعضا ببعض ، عبر تبادل أجوبة سريعة ومعتادة لسؤال واحد بسيط هو : ماذا تفعل الآن ؟" يمكن للمستخدمين الاشتراك في تويتر بشكل مباشر عن طريق الصفحة الرئيسية للموقع ، وبذلك يتكون لديهم ملف شخصي باسم الحساب، حيث تظهر آخر التحديثات بترتيب زمني. و لا تتجاوز التحديثات ١٤٠ حرفا .وبعد أن يقوم المستخدم بتحديث حالته ترسل التحديثات إلى المسجلين لديه كأصدقاء.كما يتم التواصل فيها بين الأعضاء بعدة وسائل، و أهم ما يقدمه الموقع التواصل عن طريق رسائل الجوال القصيرة SMS ، وبرامج المحادثة كـ MSN Messenger و Yahoo Messenger وكذلك Google Talk، وعن طريق الموقع مباشرة.ومما يميز الموقع عن غيره توفير وسيلة لنشر المحتويات في ملفات يمكن قراءتها من خلال برنامج يسمى RSS. ^(٢٠) كانت بداية ميلاد هذا الموقع عام ٢٠٠٦م عندما أقدمت شركة (Obvious) الأمريكية على إجراء بحث تطويري لخدمة التدوين المصغر ، ثم اتاحت الشركة المعنية ذاتها استخدام هذه الخدمة لعامة الناس في أكتوبر من نفس العام ، ومن ثم أخذ الموقع بالانتشار، باعتباره خدمة في مجال التدوينات المصغرة ، بعد ذلك أقدمت الشركة ذاتها بفصل هذه الخدمة المصغرة عن الشركة الأم ، واستخدمت لها أسما خاصا يطلق عليه (تويتر) وذلك في أبريل عام ٢٠٠٧ م ، وأخذ (تويتر) اسمه من مصطلح (تويت) الذي يعني التغريد ، واتخذ من الطائر رمزا له ، فكلمة twitter إنجليزية وتعني بالعربية

الطائر عندما يغرد أو عندما يطلق زقزقات قصيرة أي أصوات متقطعة^(٢١). لم يتوقف الموقع عند اللغة الانجليزية فقط ، ففي أبريل 2008 قام الموقع بإطلاق نسخته اليابانية وذلك لكثرة عدد المستخدمين من اليابان ونشاطهم البارز على الموقع ولقيت النسخته اليابانية استحسان المستخدمين في اليابان، وتفوقت بشكل أكبر على النسخته الانجليزية حيث أصبح في الإمكان وضع إعلانات في النسخته اليابانية على عكس النسخته الانجليزية التي لا تدعم نظام الإعلانات حتى الآن، كما تم إطلاق الموقع بلغات أخرى بينها العربية^(٢٢). عرف هذا الموقع انتشارا منذ انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2008 التي تنافس فيها باراك أوباما من الحزب الديموقراطي وجون مكين من الحزب الجمهوري، تجاهل أوباما الصحافة والإذاعة والتلفزيون وفضل موقع تويتر ليعلن من خلاله اختياره لجوي بايدن كنائب له، و ما هي إلا ثوان معدودة حتى استقبل مئات الآلاف من التعليقات وردود الأفعال على اختياره^(٢٣). يوفر تويتر لمستخدميه إمكانيات عديدة منها : معرفة ما يقوم به أصدقاؤهم دائما وفي أي وقت ، كما أنه أسرع وسيلة لطرح التساؤلات على الأصدقاء وتلقي الإجابات الفورية ، بالإضافة إلى أنه يتيح للمستخدم إمكانية ارسال الأخبار الهامة جدا والسريعة كالاستعانة أو الإخبار عن حادث مهم جدا ، وفي الوقت ذاته يتيح تويتر للمستخدمين متابعة كل أحداث العالم الهامة فور وقوعها ، ويستطيع المستخدم أيضا معرفة ما يفعله أصدقاؤه ومعارفه الذين يهتمهم أمرهم ومتابعة أخبارهم وشؤونهم^(٢٤).

و بالاقتراب أكثر من الممارسة الإعلامية على تويتر فإنه يمكن تحديد ثلاثة مسارات لهذه الممارسة ، أولها هو توسيع نطاق المواد المنشورة عبر وسائل أخرى ، وذلك عبر بث العنوان ، أو مقدمة موجزة للمادة ، مع رابط يحيل إلى متن المادة المكتوبة أو المصورة ، أو بث تنويه بحوار تلفزيوني أو إذاعي متوقع ... والمسار الثاني يتمثل في كون حسابات الشخصيات العامة على تويتر مصدرا للمعلومات تستفيد منه وسائل الإعلام ، وكذلك نشاط المدونين على حساباتهم في تغطية أحداث يتعذر على وسائل الإعلام بلوغها . وثالث المسارات هو اقتفاء مؤشرات الانتشار للقضايا والشخصيات ، وإمكان طرح استطلاعات للرأي العام^(٢٥). ومن هنا يمكن للصحفي استخدام تويتر في نشاطه الإعلامي من خلال:

١- الانضمام إلى تويتر : وهنا ينصح أن يكون الصحفي واضح الهوية في ملفه الشخصي على حسابه عبر تويتر و أن يستخدم صورة واضحة و قريبة للوجه و أن يتجنب وضع الصور التي تحمل التفاصيل حتى يمكن المغردين من التعرف عليه بسهولة ، كما ينصح باستعمال أوصاف ظاهرية تعرف بالصحفيين و بمجال عملهم وأن يضمنوا سيرهم الذاتية على تويتر بكلمات مفتاحية في مجال اختصاصهم ونشاطهم.

٢-بناء شبكة من المغردين: هناك أكثر من طريقة يستطيع من خلالها الصحفي الوصول إلى المصادر و الحسابات منها :

نافذة البحث السريع

نافذة البحث المتقدم

مجموعات تويتر التي تسهل تصنيف المغردين حسب موضوعات اهتماماتهم.

٣-التفاعل على تويتر : على الصحفي أن يتعرف على قرائه ويحاول الرد على تغريداتهم و كذلك يمكن التغريد حول القصة التي يبحث عنها و يعمل عليها من إيجاد من لديه معلومات حول هذه القصة .و كذلك عليه أن يتأكد من مصادر الخبر بتتبع أول من غرد حول الموضوع وقت التغريدة والتحقق من السيرة الشخصية للمغرد ونشاطه على تويتر.

٤-التغريد لتوثيق فعالية مباشرة: على الصحفي المغرد على تويتر إعطاء إحساس بالمكان و الزمان و أن يفعل حواسه لوصف الحدث و إرفاق صور و فيديوهات أو تسجيل صوتي مع التغريدة ،و استعمال هاشتاق واحد على الأقل ليسهل على القراء تتبع تغريدات الصحفي المتعلقة بالحدث ، و في حال استخدام اقتباسات أو إعادة صياغة أقوال المشاركين يجب الحرص على ذكر المصدر .

المطلب الثاني: مصادر الأخبار على تويتر

يوفر موقع تويتر مجموعة من الخدمات التي تعتبر بمثابة مصادر للأخبار ما يتيح للصحفيين امكانية استغلالها و العمل على تغذية قصصهم و مواضيعهم الإخبارية بمصادر متنوعة و من أبرز هذه الخدمات يمكن ذكر الآتي :

١-خدمة مومنتس Moment :

تعنى هذه الخدمة بتوفير طريقة سهلة لتتبع الأحداث والأخبار حال وقوعها. فيوميا يغرد على تويتر مئات الملايين بمواد يصعب أن نجدها في أي مكان آخر سواء، كالمحادثات بين قادة العالم المشاهير أو الأحداث التي تقع في مكان معين، فيقوم بعض المغردين المتواجدين في المكان بالتغريد فور وقوع الحادث بالصور أو الفيديوهات أو الأخبار وغيرها من الأحداث المباشرة، بحيث يكون إيجاد مثل هذه التغريدات بمثابة التحدي الكبير، وهذا ما حرصت على تقديمه تويتر لمستخدميها- خصوصا الصحفيين منهم -عبر ميزة" مومنتس"^(٢٦) فقد تم إطلاق خاصية اللحظات لأول مرة في أكتوبر ٢٠١٥ حصرا لموظفي تويتر وبعض الشركاء المحددين، حيث كان باستطاعتهم انتقاء التغريدات وعرضها بأسلوب القصص حول مجموعة من المواضيع التي تضمنت الأخبار، الرياضة، والترفيه. وفي أوت ٢٠١٦، فتحت تويتر المجال أمام مجموعة أوسع من المؤثرين والمبدعين لاستخدام هذه الخاصية، قبل أن تعلن إتاحتها لعامة المستخدمين في ٢٨ سبتمبر ٢٠١٦.و يمكن لأي صحفي إنشاء لحظات تويتر على صفحته بأربع خطوات هي :

أولاً: الذهاب إلى تبويب Moments في صفحة الملف الشخصي على تويتر
ثانياً: النقر على وجود خيار إنشاء لحظة جديدة Create New Moment على الشريط الجانبي الأيمن من الصفحة .

ثالثاً: إضافة عنوان، وصف، وصورة غلاف

وينصح تويتر بأن يكون العنوان قصيراً لكن في نفس الوقت يصف المحتوى. ويجب أن يعطي الوصف للمستخدمين "لمحة عما يمكن توقعه من اللحظة".

رابعاً : تحديد محتوى اللحظة و نشرها حيث ويمكن إضافة التغريدات بعدة طرق منها :

- الاختيار من التغريدات المفضلة و المعجب بها سابقا .
- انتقاء التغريدات من حسابات محددة.
- العثور على التغريدات بواسطة بحث تويتر.
- إضافة التغريدات مباشرة باستخدام رابط التغريدة.

بعد تحديد التغريدات المرغوبة والقصة المراد سردها، يتم النقر على زر النشر لمشاركة اللحظة مع العالم أجمع.

ينصح تويتر بأن لا يزيد طول اللحظة عن ١٠ تغريدات، كما ينصح بأن تشتمل اللحظة على مزيج من الصور، الفيديوهات، الصور المتحركة لشد انتباه المشاهدين وزيادة تفاعلهم.

٢-أداة كبير :

تقوم أداة كبير بتيسير تعقب الصحفيين للأخبار العاجلة ومساعدتهم على العثور بسهولة على مصادر إخبارية ذات جودة عالية. كبير أداة مفتوحة المصدر نشأت كمشروع بحثي في مؤسسة نيمان في جامعة هارفرد وتشكل أداة هامة للصحافة الرقمية. تعتمد كبير إلى سحب أكثر ١٠٠ تغريدة متواترة وعدد الكلمات والعبارات الأكثر تكراراً. ففي الوسط تعرض جملة من التغريدات حسب التفاعل وتردد الكلمات الرئيسية والتي بدورها تشكل تطور القصة الإخبارية. أما على جهة اليسار من الشاشة فتبين القطع الإخبارية كما ترد في ميزة "أخبار جوجل" وعلى جهة اليمين تعرض كبير لحسابات تويتر الأكثر نشاطاً حول القصة الإخبارية التي يقوم الصحفي متابعتها. وعند أسفل شريط البحث، تمتلئ الصفحة بالأخبار العاجلة عن مواضيع جديدة. فمن أهم خصائص كبير:

- **تمحيص الأخبار والمصادر:** تتيح الأداة معرفة ما إذا كانت التغريدة ذات أهمية إخبارية وتستحق النشر أم لا. فتقوم بتوفير الفرصة أمام المستخدمين لبحث تويتر باستخدام كلمات رئيسية لإيجاد مصادر، ومقالات، وتغريدات مناسبة للموضوع الذي ينوي الصحفي البحث عنه. بالإضافة إلى ذلك، تسمح الأداة بالعثور على حسابات نشيطة على تويتر متخصصة بموضوع البحث.
- **إيجاد مصادر القصة:** تعمل على ترشيد عملية كتابة المقال من خلال الغوص في قراءة الأحداث المتعددة ومتابعتها على تويتر وبعدها بالتحقق من مصادر الأخبار والسعي وراء تطورات الأحداث لإبراز القصة ومواكبتها. فتوسع عملية البحث تلقائياً. تقوم الأداة بتسليط الضوء على التغريدات الأكثر أهمية وارتباطاً بموضوع القصة وبالتالي يستفيد الصحفيون من إيجاد المصادر الملائمة لمواضيعهم. تتخلل المصادر روابط الميديا، والمستخدمين، وكلمات البحث.
- **سهولة تقييم القصة والتأكد من مصداقية الخبر:** تواكب أداة كبير التطور المستمر لوسائل التواصل الاجتماعي وتوفر خاصية تقييم مصداقية الأخبار الواردة في ظل سرعة انتشار الأخبار المغلوطة على تويتر وغيرها من وسائل الإعلام الاجتماعي. فتقدم التحديثات بحد أدنى من المعلومات الخاطئة. كما تساعد ميزة البحث في كبير الصحفيين على تقييم القصة بسرعة وفهم ما يحتاجونه من عناصر القصة ومعرفة خلفية الأشخاص الذين يقومون بالتواصل معهم.^(٢٧)

٣-خدمة **High lights:** توفر للمستخدمين ملخصاً يومياً لأفضل التغريدات.

٤-خدمة **Meerkat:** يقدم هذا التطبيق مجموعة من الأدوات التي تمكن من بث ورفع ملفات فيديو إلى المتابعين بطريقة سلسلة وبسيطة.

٥-خدمة **Curator لتجميع التغريدات:** طريقة لعرض محتوى التغريدات الإخبارية وفيديوهات من خدمة فاين، مستهدفة بذلك وسائل الإعلام والصحفيين مانحة إياهم فرصة جمع أهم التغريدات والفيديوهات حول مواضيع محددة وتنفيذ عمليات بحث متقدمة للحصول على نتائج تحليلية أفضل.^(٢٨)

٦-الهاش تاغ، والتخصيص/المراسلة، وإعادة التغريد:

هناك ثلاث وظائف رئيسية تساعد في عملية التغريد على تويتر، هاش تاغ ويرمز لها بإشارة (#) وإعادة التغريد والتخصيص أو المراسلة ويرمز لها (@) و الهاشتاغ عبارة عن كلمة مفتاحية تضاف إلى التغريدة كي تمكن المستخدمين الآخرين من الوصول إلى جميع المعلومات المتعلقة بالتغريدة، وعادة ما ترفق هذه الإشارة بكلمة مفتاحية تدل على موضوع. من خلال الضغط على هاش تاغ لكلمة ما، تظهر جميع التغريدات التي تتضمن هذا المصطلح، وغالباً ما تظهر المواضيع الأكثر شهرة على

تويتر في البداية. و يمكن استخدام الهاش تاغ من قبل الصحفيين للإشارة إلى السبق الصحفي ومعرفة آخر التطورات التي حصلت. ويمكن تخزين الهاش تاغ المختارة في قائمة البحث الخاصة بكل صحفي.^(٢٩)

٧-خاصية البحث Tweet Deck:

يتعين على أي صحفي يعمل من خلال الإنترنت أن يستخدم أداة تويتر ديك حيث أنها تتيح إنشاء مجموعة من الأعمدة لمتابعة عدة مستجدات وأخبار بنفس الوقت وهي أداة متميزة تناسب القوائم المحلية فمن المزايا التي يوفرها Tweet Deck، خيارات متقدمة في البحث عن الكلمات والأشخاص والهاشتاجات بإمكان الصحفي الذهاب إلى Tweet Deck، ثم كتابة الكلمة أو الهاشتاج الذي يريد متابعته، ثم الضغط على خيار Add Column سيظهر هذا الاختيار كأحد أعمدة Tweet Deck، بعد ذلك يمكن التدقيق في خيارات البحث التي يرغب بها الصحفي، وأهمها الفترة الزمنية لكتابة التغريدات، وكذلك المكان الذي كتبت منه التغريدة . أما إذا كان الصحفي مسئولاً عن ملف معين، أو اسند إليه تغطية منطقة ، فأحد الخيارات الهامة هي متابعة ما يقوله الناس على تويتر في هذا الملف أو هذه المنطقة، عن طريقة هذه الخاصية الهامة التي يتيحها Tweet Deck . عموماً تمكن خدمة Tweet Deck الصحفي من :

- متابعة التغريدات.
- البحث عن المصادر المناسبة لمجال عمله الصحفي على تويتر.
- التحكم في طريقة عرض نتائج عمليات البحث و تكرار الإشارات التنبيهية.
- جدولة تغريدات الصحفي المستقبلية.

٨-حفظ مصادر الصحفي بقوائم Twitter

في كل يوم تتدفق ملايين التغريدات والصور والفيديوهات، إذا لم ينجح الصحفي في تنظيمها فلن يستطيع الاستفادة منها، لذلك يوفر تويتر خاصية القوائم التي تساعد على تنظيم الأشخاص الذي يريد المستخدم (الصحفي) متابعتهم. فلإنشاء قائمة يضغط الصحفي على اختيار "Creat new list" لإضافة قائمة جديدة، ويقوم بعدها باختيار اسم القائمة والوصف، بعد ذلك يمكن الدخول على أي حساب بموقع تويتر، وإضافته للقائمة الجديدة، سواء كان الصحفي يتابع هذا الحساب أو لا، فسيتم إضافته للقائمة التي قام بصنعها مسبقاً. بهذه الطريقة يحدد الصحفي مجموعة من الأشخاص يجمعهم قاسم مشترك لمتابعة كل ما يقولونه بشكل منفصل عن باقي من يتابعهم. يمكن صناعة قوائم لمصادر الصحفي الخاصة، أو الشخصيات العامة في نطاق عمله، أو أكثر الناشطين في المنطقة التي يقوم بتغطيتها.

٩- متابعة الـ Trends :

القاعدة الأولى التي يعلمها أي صحفي في بدايات العمل، هي أن يعتاد على قراءة الصحف في صباح كل يوم قبل الشروع في أي عمل يومي، هذه القاعدة مازالت معتمدة عليها من حيث المبدأ في عصر شبكات التواصل الاجتماعي، فعلى الصحفي متابعة ما يقوله الجمهور على مواقع التواصل الاجتماعي كل يوم، لذلك ينبغي متابعة يومياً أكثر الكلمات والموضوعات تداولاً على هذه المواقع أو ما يطلق عليه "Trends"، وخاصة على تويتر فهو من أكثر مواقع التواصل الاجتماعي التي تتيح بوضوح ودقة أكثر الموضوعات تداولاً عالمياً وإقليمياً. فالصحفي لن يجلس يتابع تويتر لحظة بلحظة، ولن يستطيع إدراك كافة الموضوعات تداولاً بين المستخدمين على مدار اليوم، لذلك يوجد أكثر من موقع يتيح له معرفة الهاشتاجات والموضوعات الأكثر تداولاً على مدار اليوم ومن أهمها:

١- موقع ٢٤ Trend 24 (٣٠)

هذا الموقع يتيح معرفة التريندات كل ساعة على مدار الـ ٢٤ ساعة الماضية، وبه خاصية تحديد الدولة التي يراد متابعة التريندات بها.

٢- موقع trendsmap (٣١)

يتيح الموقع معرفة أهم الموضوعات تداولاً على تويتر ولكن على شكل خريطة تفاعلية.

المبحث الرابع : ارشادات للصحفيين عند استخدام تويتر كمصدر للأخبار

المطلب الأول: طرق التحقق من أخبار تويتر

تشكل مواد الفيديو والصور والأخبار التي ينشرها أناس عاديون مصدراً مهماً من مصادر الأخبار البديلة أو الموازية للأخبار التي ينتجها الصحفيون المحترفون في غرف الأخبار في كثير من الأحيان، و تنتشر هذه المواد بسرعة كبيرة على شبكات التواصل الاجتماعي قبل أن تجد طريقها إلى الصحفي، وبقدر أهمية هذه المواد في صناعة الأخبار الساخنة والتحقيقات الصحفية، إلى أنها عرضة للفبركة أحياناً أو النشر في غير سياقها الصحيح من حيث الزمان و المكان. لذلك يتعين إخضاع هذه المواد إلى آلية التثبت والتحقق من صحتها باستخدام المهارات التحريرية وأدوات التقنية معا قبل إعادة نشرها أو استخدامها في القصص الإخبارية والتحقيقات الصحفية. (٣٢)

و فيما يلي بعض الطرق الموجهة للصحفيين التي يمكن اتباعها في سبيل التحقق من أخبار تويتر :

أولاً- الطابع الزمني: في كل لحظة هناك خبر جديد عاجل يصدر ويحدث مئات التدوينات على تويتر في دقائق، مثل أخبار الكوارث الطبيعية. فمن المهم للصحفي

طبع كلمات مفاتيح متنوعة، و الاستمرار بالتصفح بسياق تراجعي، لتظهر الرسائل الأولى للخبر.

ثانيا- رسائل تويتر ذات السياق المحدد : يكون على الصحفي التحقق من صفحة المستخدم الذي نشر الخبر على تويتر، بحثا عن رسائل تويتر ذات صلة بالموضوع. وغالبا ما سيقع الصحفي على رسائل أخرى يتبعها، أو رسائل قصيرة تسبق هذا "الخبر العاجل" وتكون لديها صلة معينة بالموضوع. وهذا، يمكن أن يوفر سياقاً إضافياً للخبر، ويمكن أن يساعد أيضاً في التحقق من الشخص، خصوصا اذا كان ينشر صوراً أو محتويات أخرى من المشهد الذي يجري على أرض الواقع.

ثالثا- السلطة : التحقق من سيرة مستخدم تويتر الذاتية. هل هو صحفي؟ هل هو شخص عادي من الشارع؟ هل هو مخادع؟ هل هو ممثل كوميدي؟ التحقق من موقعه على الانترنت، أو من مدونته، إذا ورد اسمه ضمن لائحة، من المهم أن يكون لدى الصحفي فكرة عن هوية المستخدم ، ليتمكن من تقييم صحة أية تدوينة أو رسالة يبعثها عبر تويتر.

رابعا - معاينة محتوى رسائل تويتر السابقة : على الصحفي الحذر من مستخدمين تويتر الجدد. فإذا كان المحتوى هو واحد من تدويناتهم المصغرة الأولى عبر تويتر. فمن الممكن أن يكون شخص ما فتح حسابا جديدا عبر تويتر، ويدعي أن لديه معلومات عن خبر عاجل. كلما كان الحساب جديدا، كلما كان على الصحفي التشكيك والحذر.

خامسا -البحث عن المستخدم في غوغل: ضع اسم المستخدم المعتمد في تويتر، في محرك البحث غوغل، فمعظم الناس يستخدم الاسم نفسه في عدة مواقع. ابحث عنهم على LinkedIn أو صفحة فيسبوك ومواقع أخرى، التي تساعدك في اكتشاف المزيد عن هؤلاء المستخدمين. اذا لم يستخدموا اسما كاملا على حسابهم على تويتر، وإن لم يظهر اسمهم في اماكن أخرى، فعلى الصحفي التشكيك و الاحتراس. فكلما أخفى الأشخاص مزيدا من المعلومات، كلما كان من الصعب أن التحقق من هويتهم. وكلما كانوا منفتحين في عرض المعلومات، كلما كانوا أكثر مصداقية.

سادسا -البحث عن تغريدات مترابطة:

متابعة ما اذا كان شخص آخر يتحدث عن الخبر عينه. فمن المحتمل أن يقع الصحفي على سلسلة متنوعة من الناس الذين يرسلون الخبر عينه عبر تويتر وفي الوقت نفسه،

ولا يبدو أنهم على علاقة ببعضهم البعض عند النظر في حساباتهم، فذلك يعني أن أمرا ما يحدث فعليا.

سابعا -التحدث مع المستخدمين مباشرة : وذلك عن طريق ارسال رد، باستخدام @ الى جانب اسم الشخص، المراد التواصل معه. ثم البدء في متابعتهم، ومحاولة ارسال رسالة مباشرة لهم. والاستمرار في المحادثة. واطلب المزيد من المعلومات وبناء افضل علاقة ممكنة. فهذا يساعد على تشكيل صورة لهذا الشخص، وعلى جمع المعلومات التي تربطه بهذه القصة. (٣٣)

المطلب الثاني :ارشادات عامة حول استخدام تويتر من قبل الصحفيين
عندما فرضت الانترنت نفسها كوسيلة إعلام عالمية ازدادت قضية صدقية مصدر الخبر و المعلومات حدة ، على اعتبار أن الانترنت مصدر مفتوح للمعلومات. وبالتالي فإن المصدر مهما كان ينبغي التشكيك في صدقيته بما في ذلك شبكة الانترنت و عليه ينبغي على الصحفي المحترف تنويع مصادر المعلومات على شبكة الانترنت، ثم القيام بمقارنة بين المعلومات المتحصل عليها من مختلف المصادر، وبناء عليه يستطيع الصحفي الفصل بين المعلومات، كما يستطيع أن يشير في موضوعه إلى مختلف المصادر و يكشف التضارب الموجود بينها. (٣٤) إذا كان الصحفيون يستخدمون الشبكات الاجتماعية في نشاطهم الإعلامي فمن المهم أن يكون:

- في صفحاتهم تعريف بأنفسهم و مؤسستهم الإعلامية التي ينتمون إليها.

-نشر الملاحظات و التعليقات التي تساعد في بناء اتصالات مع المتابعين لهم من خلال صفحة الفيس بوك و تشجيع المتابعين لهم على تقديم معلومات لهم .
-إذا نشر الصحفي معلومات خاطئة و غير دقيقة في صفحته حول موضوع ما فمن المهم له نشر تصحيح لها .

-على الصحفي نشر عبارات تخلي مسؤولية الصفحة في حالة نشر أحد المتابعين للصفحة تعليقات و آراء على ما كتبه أو قدمه الصحفي على صفحته ومن هذه العبارات مثلا " تعليقات المتابعين على ما أنشر في الصفحة لا يعني تأييدي لها" أو " تعليقات المتابعين تعبر عن آرائهم" .

-على الصحفي أن يتجنب التعليقات المبتذلة أو المعبرة عن رأي مباشر علني صريح حول القضايا و الأحداث ما سوف يؤثر عليه في طريقة تغطيته للأخبار .
-على الصحفي أن يتجنب رد الفعل الفوري و الانفي في كتابة أي تعليق .
-على الصحفي أن يعرف أن كل ما يتم نشره على الصفحة يتم حفظه والرجوع إليه عن طريق محركات البحث.

-على الصحفي أن يتذكر أن تويتر هو موقع مضيف يمنح المجال للمستخدم للتعبير عن نفسه و آرائه على مسؤوليتهم الشخصية فالصحفي مسؤول على صفحته و يمكن محاسبته قانونيا عن أي قضية تنتج عن نشر آراء أو معلومات في صفحته.

المطلب الثالث :ارشادات للصحفيين عند استخدام مواد من تويتر كمصدر للتغطية الإخبارية

من أجل استفادة قصوى من مصادر تويتر الإخبارية و تحقيق فاعلية قصوى و للتعامل مع هذه الشبكة بمهنية يجب على الصحفي :

التنويه إلى المصدر: إن الأغلبية العظمى من الناس لا يريدون أن يتلقوا أموالا، وإنما يريدون فقط أن تنسب أعمالهم إليهم، ما على الصحفي التزام مسألة الشفافية مع الجمهور، و لا توجد معايير ثابتة موحدة عندما يتعلق الامر بنسبة المواد إلى أصحابها الذين قاموا بنشرها عبر تويتر ، لكن هناك بعض الأمور المتفق عليها في هذا الجانب فإذا كان الخبر الذي استخدمت فيه المواد كمصدر من تويتر تلفزيونيا حيث لا يوجد مجال لوضع رابط المادة كما هو الحال على شبكات التواصل الاجتماعي أو مواقع الإنترنت، وبالتالي يجب التنويه إلى صاحب المادة على الشاشة، وأفضل طريقة للإشارة إلى صاحب المادة تتم من خلال معلومتين هامتين :

الأولى: ذكر أن شبكة التواصل الاجتماعي التي تم الحصول على المادة من خلالها وفي هذه الحالة نقول على شبكة "تويتر" .

الثانية: ذكر اسم صاحب المادة بالطريقة التي يفضلها، يمكن أن يكون ذلك بذكر اسمه الحقيقي أو اسم المستخدم على تويتر.^(٣٥)

-التوصيف: و هو أن يتم "توصيف" من نشر الخبر ، فمن المهم أن يعرف الجمهور من التقط الصورة أو سجل الفيديو ،فعندما يلتقط شخص، لا علاقة له بغرفة الأخبار، و يحملها على صفحته و تستخدمها غرفة الأخبار يجب شرح ذلك للجمهور لأسباب تتعلق بالشفافية، و يجري توصيف هذا النوع من المواد مثلا تحت عنوان "لقطات هواة".^(٣٦)

يجب على الصحفي أن يكون أخلاقيا:

إذا قام شخص ما بنشر مادة ما على شبكات التواصل الاجتماعي فهذا يعني أنه فكر في تبعات ظهور هذه المادة على قنوات الأخبار المحلية والعالمية، وبالتالي يتوجب على الصحفيين التحلي بمسؤولية استخدام المواد بشكل أخلاقي. يجب أن تسعى للحصول على موافقة مبنية على معرفة وليس مجرد موافقة، بمعنى : هل يفهم من رفع المادة ما الذي يعطي موافقة بشأنه؟ وعند التنويه إلى صاحب المادة، يجب أن نتحدث

معه بشأن الطريقة التي يرغب أن ينوه إليه بها و بالتالي الردود التي نتلقاها في هذا الصدد تتوقف عن مفاجئتنا.^(٣٧)

الخاتمة :

إن فرص الاستثمار الصحفي الإعلامي لشبكات التواصل الاجتماعي و على رأسها تويتر عديدة و تتضاعف مع التحديثات الجديدة لهذه الشبكة. لذا ينبغي على الصحفيين وخاصة في المجتمعات المستهلكة للتكنولوجيا ، العمل على تجاوز الاستخدامات الشخصية لتويتر وتطوير الاستخدام في اتجاه ينحو إلى خدمة المهنة الصحفية و العمل على الاستفادة من الأدوات التي تتيحها شبكة فيس بوك للصحفيين و الاقتداء بتجارب صحفيين استثمروا في الامكانيات الصحفية تويتر ونجحوا إن سهولة الوصول إلى شتى أنواع المعلومات و تبادلها مع الآخرين على شبكات التواصل الاجتماعي ساهم في تحقيق قدر كبير من الديمقراطية المعرفية لجميع أفراد المجتمع دون تمييز سواء من حيث انتاج المادة الإعلامية فقد أصبح الجميع منتجا للمضمون أو من ناحية الاستقبال والتلقي أو من ناحية التفاعل وابداء الرأي حول الاحداث والقضايا، لكن الرهان الواجب على الصحفي كسبه هو التحقيق في مصداقية هذه المعلومات وتمحيصها و تقديمها بشكل موضوعي و وفق معايير مهنية تسمو برسالة الإعلام و تخرجه من دوائر التلاعبات.

الهوامش والمصادر

- ١- خليل ، صابات. الصحافة مهنة و رسالة ، دار المعارف القاهرة : د ت ، ص ٢٧.
- ٢- ماكس ماكومز ، ر. لانس هولبرت ، سيبيروكيوسيس ، واين وانتا . ترجمة محمد صفوت حسن ، الأخبار و الرأي العام تأثير الإعلام على الحياة المدنية ، دار الفجر للنشر و التوزيع : القاهرة ، ٢٠١٢، ص ٣٥.
- ٣- دليل المراسل الصحفي ، مؤسسة رويترز الخيرية: لندن، ٢٠٠٦ ، ص ٢٩.
- ٤- فاروق ، أبو زيد . فن الخبر الصحفي ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، ص ٢٠٩.
- ٥- جلال ، فرحي . كيف تحقق النجاح في المجال الإعلامي ، دار الفارابي : بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٤٧.
- ٦- خليل ، صابات. مرجع سابق، ص ٢١-٢٢.
- ٧- دليل المراسل الصحفي ، مرجع سابق ، ص ٢٧.
- ٨- بوبكر بوعزيز . مصادر الخبر الصحفي من وكالة الأنباء إلى فيس بوك ، مجلة أفق العدد السابع ٢٠١٧ ، الجلفة ، ص ١٦٦.
- ٩- عظيم الجميلي، ثناء العاني، صناعة الاخبار الصحفية والتلفزيونية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١٢، ص ١٦٦-١٦٧.
- ١٠- بوبكر ، بوعزيز . مرجع سابق، ص ١٦٨.
- ١١- حسني ، محمد نصر . سناء ، عبد الرحمان . ظاهرة تجهيل مصادر الأخبار في الصحافة العربية لعينة من الصحفيين والصحف اليومية و الأسبوعية . المجلة المصرية لبحوث الرأي العام المجلد الخامس العدد الثاني ، ٢٠٠٤ ، ص ١-٢.
- ١٢- نفس المرجع ، ص ١٧.

- ١٣- دليل المراسل الصحفي، مرجع سابق، ص ٢٧.
- ١٤- علي، خليل الشقرة. الاعلام الجديد- شبكات التواصل الاجتماعي- دار أسامة عمان، ٢٠١٤، ص.
- ١٥- شريف درويش اللبان، الصحافة الإلكترونية، ص ٨٦.
- ١٦- رضا النجار، جمال الدين ناجي تكنولوجيا المعلومات والاتصال الفرص الجديدة المتاحة لوسائل الإعلام بالمغرب العربي، ايسيسكو و اليونيسكو تونس، الجولة الثانية للقيمة العالمية لمجتمع المعلومات، ٢٠٠٥، ص ٥٦-٥٧.
- ١٧- الصادق الحمامي. الصحافة في عصر الميديا.
- ١٨- الصادق الحمامي. الصحافة في عصر الميديا.
- ١٩- محمد، سيد ريان. الإعلام الجديد، : مركز الاهرام للنشر والترجمة والتوزيع :القاهرة، ٢٠١٢، ص ٥٠.
- ٢٠- إبراهيم اسماعيل الإعلام المعاصر وسائله، مهاراته، تأثيراته، أخلاقياته وزارة الفنون والثقافة التراث قطر : الدوحة، ٢٠١٤، ص ١٨٥.
- ٢١- مرجع سابق ص ١٨١.
- ٢٢- فتحي، شمس الدين. شبكات التواصل الاجتماعي والتحول الديمقراطي في مصر، دار النهضة العربية :القاهرة، ٢٠١٣، ص ٧٨.
- ٢٣- إبراهيم، اسماعيل. مرجع سابق ص ١٨١.
- ٢٤- محمد، المنصور. تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين -دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية العربية المفتوحة: الدنمارك، ٢٠١٢، ص ٨٩.
- ٢٥- سعد، بن محارب المحارب. الإعلام الجديد في السعودية -دراسة في المحتوى الإخباري للرسائل النصية القصيرة، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١ ص ١١٩.
- ٢٦- عبد الله، الرشيد. عالم الأخبار في فيس بوك وتويتر، مجلة الصحافة، شبكة الجزيرة الإعلامية : الدوحة، ص ٣٥.
- 27- <https://ijnet.org/ar/blog/280446> كبير: أداة تساعد الصحفيين على بحث تويتر بشكل أفضل
- 28- <https://ijnet.org/ar/blog> ثلاث أدوات جديدة على تويتر لخدمة الصحفيين ووسائل الإعلام
- 29- <http://onmedia.dw-akademie.com/arabic/?p=591>
- 30- <https://trends24.in>
- 31- <https://www.trendsmap.com>
- ٣٢- دليل الصحافة الاستقصائية، مرجع سابق، ص ٥.
- ٣٣- <https://ijnet.org/ar/blog> دليل الصحفيين للتحقق من أخبار تويتر
- ٣٤- محمد، لعقاب. مهارات الكتابة للإعلام الجديد، دار هومة : الجزائر، ٢٠١٣، ص ١٧٢-١٧٣.
- ٣٥- دليل الصحافة الاستقصائية، مرجع سابق، ص ٥٩.
- ٣٦- مرجع السابق، ص ٦٠-٦١، بتصرف.
- ٣٧- مرجع سابق، ص ٦٢، بتصرف.

حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣ في الصحافة السويدية

م. د. قاسم مهدي حمزة الموسوي

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

نتيجة طبيعية لرفض اسرائيل نداءات السلام والانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها في حرب عام ١٩٦٧، ورغبة مصر وسورية في محو آثار تلك الهزيمة كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق في كلا البلدين للدخول في جولة جديدة مع الاسرائيليين. فكانت حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ التي تعتبر نقطة تحول في الصراع العربي الاسرائيلي حيث أثبتت تلك الحرب أن لاشيء يقف أمام التصميم والإرادة وأن القوة لا يمكن أن تمنح السلام لوحدها. فتحطمت أسطورة الجيش الذي لا يقهر بسرعة عبور العجلات العسكرية المصرية والسورية خطوط صد الاسرائيليين، وأعادت الثقة للمقاتل العربي.

وبينما كان الدعم العربي للمجهود الحربي في المعركة متواضعا في بعض الأحيان، وشكليا ومخبيا للآمال في أحيان أخرى، جاء الدعم العسكري الامريكي للكيان الاسرائيلي ليشكل نقطة تحول في مسار تلك الحرب لصالح الاسرائيليين من خلال الجسور الجوية التي مدت العدو بأحدث انواع الأسلحة المتطورة بما فيها الطائرات الحربية.

Abstract

It is normal that the Zionist regime rejects the calls for peace and the withdrawal from the Arabic lands that it invaded during the war in 1967, and the desire of both Egypt and Syria to erase that defeat, preparations were undergone in both countries in order to enter a new phase of war with the Zionist regime. The war in October 1973 was considered to

be a turning point in the Arabic and Zionist battle as it proved that nothing stands against the design and will of the war and that through the sole use of force, peace could still not be achieved. As a result, the myth of the army was shattered... and the confidence returned to the Arab soldiers. While the Arabic support for their army was average and disappointing in some cases, the Zionist regime received huge support from its American allies through the supply of the latest weapons, including war planes

المقدمة

تمثل حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ صفحة مهمة من صفحات الصراع العربي الاسرائيلي المستمرة لحد الآن، ولو بأشكال مختلفة. حيث زلزلت تلك الحرب الأرض تحت اقدام الاسرائيليين وأثبتت فشل إجراءاتهم الدفاعية امام تقدم القوات العربية بحيث لم تستغرق تلك القوات سوى ساعات محدودة لعبور خطوط العدو. من هنا جاءت أهمية البحث وأسباب اختيار هذا الموضوع الذي يمثل نقطة تحول مهمة في الصراع مع اسرائيل، بالذات من خلال متابعته في صحافة السويد التي تتميز بالانفتاح، وكثير من الموضوعية على اعتبار ان مملكة السويد تدعي الحيادية في كثير من قضايا العالم بالذات في الصراع العربي الاسرائيلي. مع ذلك تبقى الصحافة تنقل الغث والسمين، وتتأثر بما حولها من مؤثرات. ربما تدفعها إلى تشويه بعض الحقائق، والدفع باتجاه النيل من مجموعة على حساب أخرى من دون مراعاة للقيم الأخلاقية أو حتى الصحفية. لذا جاءت بعض المقالات بعيدة عن الواقع، فيها تجن كبير من قبيل تحويل الجلاذ إلى ضحية والضحية إلى جلاذ.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التاريخي ومن ثم التحليلي من خلال سرد الأحداث حسب تسلسلها الزمني، وتحليل بعض الفقرات لكي نقف على حقيقة ما نشرته الصحف السويدية.

اندلاع الحرب ومجرياتها

نتيجة طبيعية للاحتقان الذي سببته خسارة حرب عام ١٩٦٧، كانت الحكومات العربية وبالأخص مصر وسورية، وهما المتأثرتان الأبرز من تلك الحرب، تفكران بجولة جديدة من جولات الصراع العربي الاسرائيلي. حيث خططت القيادتان المصرية والسورية لشن هجوم مباغت على اسرائيل، لاسترداد (شبه جزيرة سيناء المصرية)^(١)، و(هضبة الجولان السورية)^(٢)، التي سبق أن احتلها الاسرائيليون في حرب عام ١٩٦٧، فكانت الحرب التي اندلعت في السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٣.

وجاءت النتيجة النهائية لتلك الحرب في تدمير الدفاعات الإسرائيلية المتمثلة في (بارليف سيناء)^(٣) و(ألون الجولان)^(٤) تلك التحصينات التي طالما تبجح بها الاسرائيليون، وصرفوا عليها من الوقت والأموال الكثير، ولكنها سرعان ما انهارت عندما وجدت الإرادة الحقيقية الصادقة لتدميرها والعبور عليها.

أما في الصحف السويدية فكان اندلاع حرب جديدة في منطقة (الشرق الأوسط)^(٥) يشكل مناسبة لكتابة مزيد من التقارير عن ذلك الجزء الساخن حرب من العالم، وحتى قبل إنذلاع الحرب بعدة أيام تنقل لنا الصحف بعض تحركات (جولدا مائير)^(٦) رئيسة وزراء إسرائيل، في أوروبا وبالتحديد في النمسا للتحريض على العرب وبالأخص مصر^(٧). لذا وبعد اندلاع القتال مباشرة، كانت التقارير الأولى للصحف تركز على استعراض أحداث حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧م وتعتبر الحرب الجديدة امتدادا لتلك الحرب.

فتحت عنوان (هجوم العرب المفاجئ) كتبت صحيفة افنونيليدت الصادرة في العاصمة ستوكهولم يوم الأحد الموافق للسابع من تشرين الأول عام ١٩٧٣، تقريراً مطولاً استعرضت فيه أوضاع المنطقة منذ حرب عام ١٩٦٧، مؤكدة بأن السنوات الست التي تلت تلك الحرب لم تشهد أي استقرار، بل على العكس كانت مصر وسورية تسابقان الزمن، من أجل تعويض خسائر الحرب الماضية، ذلك عن طريق شراء الأسلحة من الاتحاد السوفيتي. وبصورة تسلسلية، يسرد التقرير عدداً من الحوادث التي وقعت بين الجانبين العربي والاسرائيلي، لتعزيز الفكرة التي تقول إن تلك المرحلة لم تكن سوى تهدئة للإعداد لحرب ثانية، والذي اكدت عليه الصحيفة في نصها: "ما الذي حدث في حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧؟ حرب قصيرة ومكثفة لم يحصل فيها على الإطلاق سلام. لم تتوقف الصراعات مطلقاً. خلال كل السنوات التي تبعت حرب الأيام الستة، بل على العكس من ذلك ظهرت حوادث واتهامات وتصعيد وتحشد دائم من كلا

الطرفين. لم تكن الحرب ظاهرة مخفية. ثم بعد ذلك أصبحت الدولة الإسرائيلية أكثر قسوة، وأصبحت القضية الفلسطينية ملحة بشكل خطير، ولكن حرب الأيام الستة كانت الحدث الأهم، على الأقل في الوقت الراهن^(٨).

وفي مقابلة مع موشيه دايان^(٩) وزير الدفاع الاسرائيلي تحدث فيها عن كثير من القضايا من بينها الجبهة السورية قائلاً: "إن الخطوط الإسرائيلية اخترقت هنا وهناك، لكن العدو لم يقم بشيء قطعي وحاسم، وإن كل الأماكن التي استولى عليها الأعداء، هي في مرتفعات الجولان بعيدة عن المستوطنات الإسرائيلية. أما في الأراضي المحتلة من الأردن فكانت الحالة هادئة، معلقاً، كان للملك حسين (أيلول أسود)^(١٠)، ونأمل أنه لا يرغب بأكثوبر أكثر سواداً"^(١١).

ومن أجل إبقاء القارئ في نفس أجواء التصعيد تنقل صحيفة كفالسبوستن تصريحاً للرئيس السوري (حافظ الأسد)^(١٢) مساء يوم السبت قال فيه، سورية تقاتل من أجل أن تحمي بلدها وتاريخها المجيد وإرثها الأبوي^(١٣). وان إسرائيل – والقول لحافظ الأسد- وحسب المقال عبأت نفسها خلال أكثر من أسبوع، استعداداً لحرب يوم السبت، إنها مصابة بداء العظمة، قادتها يأملون دائماً بالحروب الهجومية، مع قلوب مملوءة بالحق ضد العرب وضد كل الإنسانية. مع ذلك (إسرائيل يجب أن تنتصر) حسب صحيفة الأكسبريس التي تسوق مجموعة مبررات واهية تحت هذا العنوان لاحتامية انتصار إسرائيل باعتماد الأخيرة الحرب الخاطفة في الحرب الجديدة.^(١٤)

واستعرضت كثير من الصحف السويدية مواقف كثير من الدول العربية إزاء تلك الحرب، فذكرت صحيفة كفالسبوستن وعلى لسان الزعيم الليبي (معمر القذافي)^(١٥)، حيث تعهد بتقديم كل ما تحتاجه سورية، كما حث الراديو الليبي الأردن على الدخول في المعركة إلى جانب أشقائه مصر وسورية ضد إسرائيل^(١٦)، خاصة وان ليبيا كانت قد عقدت صفقات شراء أسلحة من فرنسا مثل طائرات الميراج^(١٧) في حين أكد الرئيس السوداني (جعفر النميري)^(١٨) في رسالة إلى الرئيس السوري حافظ الأسد، أن قواته مستعدة للمشاركة في أية جبهة عربية. على العكس من ذلك يصور لنا مراسل الصحيفة في بيروت موقف الملك حسين^(١٩) ملك الأردن من الحرب، بموقف الشخص المعارض وغير الراغب في أن يكون طرفاً فيها، وذلك وفقاً لتبريرات الملك حسين التي نقلتها الصحيفة المذكورة تحت عنوان (لقد تعلمت) ذكرت فيه تعلم ملك الأردن (حسين) من درس عام ١٩٦٧، فقبل ست سنوات أقنعه (جمال عبد الناصر)^(٢٠) للدخول في حرب الأيام الستة، مما تسبب في فقدان نصف المملكة، لذلك قرر الملك

حسين أمس أن يدع، ألد الأعداء، مصر وسورية يتلقون الضربة الأولى، وان الملك حسين الذي أشار إلى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، انه لا يريد ان يجازف في فقدان ما تبقى من بلاده، فترى الصحيفة ان الملك حسين اظهر واقعية أكثر من جميع الحكام العرب ، مثل جده (عبد الله)^(٢١) قبل خمس وعشرين سنة، انه يريد السلام مع إسرائيل، فجده عبد الله كان اختار السلام مع الحياة، واستنتجت الصحيفة بان الملك حسين هو الوحيد من بين كل العرب ستكون له حظوظ جيدة في الحرب الجديدة مع إسرائيل^(٢٢).

يبدو إن موقف ملك الأردن كان يتناسب مع تطلعات الكاتب، لذا يستمر بالثناء عليه، فحسب رأيه، ان الملك حسين سوف لا يكسب شيئاً من اشتراكه في الحرب ضد إسرائيل، خاصة ان مصر وسورية هاجمت نظام الأردن، كما ان الملك حسين عندما دعي لاجتماع القمة في القاهرة، لم يبلغ بخطة الهجوم التي تعدها مصر وسورية، إذ أنه لم يكن محل ثقة بالنسبة للطرفين السوري والمصري، اللذين يعتقدان بأنه يرتبط بعلاقات سرية مع الإسرائيليين، من بينها أن حسين سيلتقي وزير خارجية إسرائيل عند زيارته المرتقبة إلى لندن و واشنطن. سبب آخر يضيفه الكاتب لتبرير موقف ملك الأردن، وهو وضعه الاقتصادي الذي لا يتحمل الحرب، كما ان الملك حسين - من وجهة نظر الكاتب - يريد أن يجعل الأردن للأردنيين، ويعطي الفلسطينيين حكماً ذاتياً في بلد صغير غير الأردن. أما الكاتب السويدي يوهان بركنكرين فيمتدح إسرائيل، ويرى من حقها أن تقتخر بالانتصارات التي حققتها في حرب عام ١٩٦٧، التي كانت بحق ضربة ماحقة لخصومها. ويسجل عدة أسباب تتعلق بالقيادة المصرية آنذاك، يعتقد إنها السبب وراء اندلاع الحرب الجديدة في المنطقة، والتي ربما تقود إلى حرب عالمية ثالثة، حسب ما يظن. وجاءت تفاصيل مقالة بعنوان (لإسرائيل الحق أن تفتخر) قال فيه: "كانت حرب الأيام الستة نصراً عظيماً لإسرائيل، بحيث أن جزءاً كبيراً من قوة خصومها العسكرية تحطمت، الا ان مصر وسورية قد عوضت كثير من خسائرها نتيجة الدعم السوفيتي في السنوات الست التي أعقبت حرب ١٩٦٧، بحيث أصبح العرب في بعض المواقف أقوى من عام ١٩٦٧، أما التساؤل الكبير فهو لماذا بدأت سورية ومصر الهجوم؟ يوجد لذلك تعليلان: أولهما أن الرئيس المصري (أنور السادات)^(٢٣) كان وعد شعبه بأخذ الثأر من إسرائيل، وهو مجبر الآن للوفاء بوعده، وأن كل الجهود السلمية الرامية إلى إعادة الأراضي المحتلة لم تفلح. لا يمكن لجيش أن يبقى على أهبة الاستعداد للحرب إلى الأبد، يجب عليه أن يتحرك. أصبح نفاد صبر العسكريين خطراً سياسياً يهدد السادات. لذا كان عليه أن ينقذ جيشه من السقوط

بإعطائه المبادرة في التقدم"^(٢٤). في اليوم التالي تشير صحيفة الاكسبريس إلى ان الهجوم المصري السوري على المناطق المحتلة قد توقف وجاء الآن دور إسرائيل للتحرك ورد الهجوم^(٢٥). في الوقت الذي شرحت فيه صحيفة اربتيد دور كل دولة عربية على حدة ولو بشكل سطحي، فيذكر ان^(٢٦) العراق اشترك بنفسه في الصراع ب ١٢ طائرة. في حين صرّح ملك المغرب (الحسن)^(٢٧) بأنه يريد إرسال قوات عسكرية لمساعدة الدول العربية مع ذلك فإن الملك الحسن لم يشر إلى حجم القوة المزمع إرسالها، ولا الوقت. ونقلت الصحيفة وعد الرئيس التونسي (الحبيب بورقيبة)^(٢٨) في خطاب أذيع من الراديو التونسي، بإرسال قوات إلى الجبهة. مع ذلك أشار إلى أن هذا الأمر يتطلب الكثير من الوقت، لتصل تلك القوات إلى هناك. كما أكدت إرسال الكويت ممرضين وتجهيزات صحية إلى سورية ومصر. في حين صرح (علي ناصر محمد)^(٢٩) رئيس وزراء اليمن الجنوبي ، بأنه وضع كل إمكانيات بلاده تحت تصرف سورية ومصر والفلسطينيين في تلك الحرب. ثم ركزت الصحيفة على موقف الأردن بالقول ان ملك الأردن (حسين) لا يزال يضع قواته العسكرية تحت الإنذار، والراديو يذيع الموسيقى العسكرية من عمّان، لكن لحد الآن لم تدخل قوات أردنية أية معركة. الحادثة الوحيدة التي حصلت هي أن مقاومة الطائرات الأردنية، أطلقت النار على سرب من الطائرات الإسرائيلية، التي كانت تخترق أجواء البلاد يوم الأحد. اما ملك السعودية (فيصل)^(٣٠) وعد بالدعم للبلدان العربية المقاتلة بأي شكل، هو ينتظر وزير خارجية الولايات المتحدة الجديد (هنري كيسنجر)^(٣١) ليخبره بأن الشرق الأوسط سينفجر إذا لم توقف الولايات المتحدة الامريكية عدوانية إسرائيل. (أكد أن الملك هنا ينتظر إجابة إيجابية من الولايات المتحدة الامريكية!) ونقلت في نفس الوقت عدم استعداد لبنان للاشتراك في الحرب، كما قالت بان السودان يقول ، ان قواته مستعدة للاشتراك مع مصر وسورية في الحرب. وانتقلت بعدها الى موقف الجزائر الذي رأت فيه دعماً لمصر وسورية مادياً وأخلاقياً. وأخيراً ذكرت الصحيفة موقف ليبيا واصفة قائدها بالقائد العسكري الشاب، وقد نقلت عن القذافي قوله بأنه مستعد لدفع تكلفة الحرب إلى مصر وسورية، وفي نفس الوقت، وحثه الأردن على الدخول في تلك الحرب"^(٣٢).

وبالنظر إلى العروض المقدمة من أغلب البلدان العربية، نجد أنها عروض غير واقعية، وهي مجرد وعود غير قابلة للتنفيذ، لسبب بسيط هو مغازلة وارتواء اغلب الحكومات العربية في أحضان الولايات المتحدة الامريكية، الداعم الأساسي للكيان

الاسرائيلي، وبذلك فإنها أي الحكومات العربية فاقدة لإرادة التحرك بغية رفع هذه الغدة السرطانية من جسم الأمة العربية.

ومع كل الهوان والخذلان العربي، فإن الهجوم المصري السوري المبالغت على إسرائيل، وقع كالصاعقة فأحدث هزة كبيرة في قلب ذلك الكيان الغاصب^(٣٣)، هذا ما نقلته لنا صحيفة سكانسكاد كبليتد تحت عنوان (اهتزت إسرائيل) عندما أشارت في التفاصيل، إلى أن إسرائيل اهتزت بشكل واضح يوم الأحد ١٨ تشرين الأول، بعد ذلك الهجوم العربي الخاطف يوم السبت، الذي حدث على جبهتين بحيث سمحت القوات الإسرائيلية غير المستعدة بأن تكون الغلبة للقوات المصرية في شبه جزيرة سيناء، أما القوات السورية التي هجمت على مرتفعات الجولان، فانها استمرت بالاندفاع في عمق الأراضي المحتلة، على الرغم من انها واجهت يوم الأحد مقاومة عنيفة من القوات الإسرائيلية. كان ذلك في مقدمة المقال، أما فيما تبقى منه فقد حرص الكاتب على نقل تصريحات عدد من الجنرالات الاسرائيليين، تتوع جميعها بالرد الإسرائيلي الذي سيقبل الأمور بعد اكتمال التعبئة العامة للجيش التي صدرت أوامرها في تل ابيب^(٣٤).

وفي موضوع آخر خطير ومختلف كان تهديد العرب باستخدام النفط كسلاح في المعركة، قد أثار حفيظة الدول الأوروبية بشكل عام، والولايات المتحدة بشكل خاص، وبدأت تشعر بخطورة ذلك، لذا تعالت الأصوات منذرة بفعالية ذلك السلاح، بحيث تصفه صحيفة اربيتيد بالسلاح الحاسم^(٣٥) ولكن المشكلة كما يقال، ليست في السلاح، بل اليد التي تمسك السلاح، فكثير من الحكومات العربية تهدد فقط، ولكن ليست لديها جراءة على التنفيذ، لسبب بسيط، هو ارتباطها الوثيق بتلك الدول التي يمكن أن تتضرر من مثل هكذا قرارات، لا بل أكثر من ذلك، إنها تستمد وجودها من تلك الدول الاستعمارية.

(قرار الحرب الأخير حول استخدام النفط كسلاح) كان هذا العنوان الذي طالعتنا به الصحيفة أعلاه، والذي قالت فيه: "الحرب الجديدة في الشرق الأوسط، يمكن أن تكون حاسمه بالنسبة لحركة النفط، إنه سلاح حيوي للعرب. يرى الخبراء في لندن، أن استخدم هذا السلاح، سيكون له عدة تبعات، أهمها: نقص النفط في الولايات المتحدة الامريكية، وأوروبا الغربية، واليابان، ومن ثم ارتفاع أسعار المحروقات، وربما الأسوأ، وهو أن يكون النفط والبنزين على شكل حصة لكل فرد، كما حصل اثناء الحرب العالمية الثانية، وتساءلت الصحيفة فيما إذا اتخذت بعض الحكومات العربية قرار تخفيض إنتاج النفط، للضغط على الولايات المتحدة، والحكومات الأخرى، من أجل

التوقف عن دعم إسرائيل. ماذا سيحصل عند ذاك؟ فأجابت بان ذلك سيترك أثراً وخيمة على الدول الداعمة لإسرائيل، خاصة وان الدبلوماسيين وممثلي شركات النفط في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط كانت لا تتوقع من أن ترى سلاح النفط العربي في هذا الوقت، فكان التخطيط أن أول أزمة للنفط يمكن أن تظهر في حوالي عام ١٩٨٠، عندما تستورد الولايات المتحدة ما يقارب ٣٥% من احتياجاتها من نفط الشرق الأوسط حسب إحصائيات المتخصصين. أوروبا الغربية لديها وقت، إذا قرر العرب قطع إمدادات النفط عنها، لأنها دائمة البحث عن مصدرين آخرين إضافة وتطور وسائل الطاقة البديلة، من الفحم والطاقة النووية ومصادر أخرى. لذلك توقع أولئك الخبراء انهياراً اقتصادياً في حرب عام ١٩٧٣، مقارنة بالحرب الماضية عام ١٩٦٧، عندما استعمل سلاح النفط بنجاح ضئيل جداً. حينما احتج العرب على مساعدة الغرب لإسرائيل في الحرب. الحالة الآن مختلفة تماماً، فعندما أصبحت الولايات المتحدة العام الماضي مستورداً كبيراً للنفط، يرى الخبراء أن الهامش بين قدرة العالم الإنتاجية للنفط والطلب الحالي له، حوالي مليون برميل يومياً، أي ما بين ٣ و٢ بالمائة من المخزون الأمريكي حالياً، من الناحية العملية ذلك يعني إذا توقف أحد منتجي النفط العرب عن الإنتاج، ليبدا مثلاً، فإننا سنشهد أزمة كبيرة. خاصة وان هناك تحولاً آخر لصالح الدول العربية النفطية وهو توفر النقد، لان بعض الدول العربية بدأت تحصل من تصدير النفط مما مكنها من توفير احتياطي نفطي، حتى ان المملكة العربية السعودية، وهي من أكبر مصدري النفط في العالم وضعت موازنة لعام ١٩٧٣، علماً ان التقديرات لا تتوقع ان تستعمل السعودية اكثر من ٦٠% من إجمالي المبلغ^(٣٦).

وفعلاً صرحت صحيفة افتونيلديت أن أول المتأثرين بتوقعات الخبراء الاقتصاديين في لندن، كانت السوق السويدية، إذ ينشر عدد اليوم التالي من نفس الصحيفة خبراً مفاده، زيادة أسعار المحروقات في السويد فكتب تحت عنوان (بنزين أغلى) إنه التأثير المفاجئ لأزمة الطاقة وحرب الشرق الأوسط، اذ أول من رفع الأسعار فعلاً هي محطات تعبئة (شل)^(٣٧) Shall ذات الأثر الاقتصادي الكبير في السويد^(٣٨).

اما التأثيرات الاقتصادية والمالية بالنسبة لإسرائيل وحسب ما تناقلته الصحافة، من خلال تصريح وزير المالية الإسرائيلي (بنحاس سابير)^(٣٩) الذي قال فيه: "لقد كلفتنا أربعة مليارات"^(٤٠)، كان ذلك من خلال ما أذاعه راديو إسرائيل، الذي أكد فيه أن إسرائيل خسرت تجهيزات بما يقدر بأربعة مليارات، ونحتاج إلى أربعة مليارات أخرى لتغطية تكاليف الحرب.

والجدير ذكره، ان مثل هذا التصريح أعلاه لا يأتي من فراغ، بل على العكس هو يشير الى الدول المتعاطفة مع إسرائيل، أن وقت الدفع قد حان، وهذه كانت وما تزال، طبيعة الكيان في إسرائيل دائماً، يهول الأمور، من أجل استجداء مزيد من الأموال والمعدات التي تعزز وجوده، أما التصريحات العسكرية، فكانت تصب هي الأخرى في نفس الخانة، فيشير التقرير إلى أن الكل يتحدث اليوم عن حرب الاستنزاف، ونبرة جديدة من جانب العسكريين في تل أبيب، ثم ينقل حديث للجنرال هارون ياريف قال فيه: ("هذه حرب صعبة جداً، شيء مختلف تماماً عما كنا نعمل له في السابق، إنها المرحلة الأسوأ في تاريخ إسرائيل، ولكن سننتصر، رغم أن ذلك سيأخذ وقتاً^(٤١)).

(خبير عسكري سويدي: الحسم يوم الأربعاء) هكذا تبدو تطورات الحرب لأحد الخبراء العسكريين السويديين، وهو المقدم بيرتل يوهانسون من الأكاديمية العسكرية السويدية، من خلال مقابلة أجراها معه الراديو السويدي، حول رأيه في تطورات الحرب، والذي أكد ان العمليات العسكرية الإسرائيلية تهدف إلى إيقاف التقدم أولاً في الجبهة الشمالية، وان الجيش الإسرائيلي بدأ يتعبأ بشكل كامل، مع مراعاة الجبهة الداخلية للبلاد، لذا فإن قوة الصراع أخذت تتركز في الجزء الشمالي، أكثر من الجزء الجنوبي. وان سورية تكون قد خسرت ثلث قواتها المدرعة، إنها خسارة كبيرة جداً، لأنه ليس هناك قوة حرب تستطيع أن تستمر بهجوم كبير، بعد فقدانها هذا الجزء الكبير من سلاحها الأول. لكن مصر قد حققت انجازا عسكريا لمصر، اذ أنها استطاعت أن تعبر قناة السويس، هذا يعني أن، القوات المقاتلة، التي كانت قد نشرتها إسرائيل هناك، فشلت في الاحتفاظ بخط القناة^(٤٢) ثم تنتقل هذه الصحيفة الى رصد ردود الأفعال الدولية حيال الحرب، التي تتدرج حسب الصحيفة، من إرسال الجنود للمشاركة في الحرب، إلى الصلاة من أجل أن لا تشتد الحرب، وهذا هو المعنى الذي يمكن أن يصل إليه أي قارئ لعنوان المقال الذي كتب بالشكل التالي: (ردود الأفعال الدولية على الحرب: كل شيء من الجنود إلى صلاة البابا) فتبدأ ردود الأفعال بدءاً من الصين، التي تشجب العدوان الإسرائيلي، مروراً بأوغندا (عبيدي أمين)^(٤٣)، الذي وعد بوضع قواته ضد إسرائيل، إلى (البابا)^(٤٤) الذي وعد أن يصلي من أجل أن لا تستعر الحرب، معبراً عن الأخبار التي حملت أنباء اندلاع المعارك في الشرق الأوسط، بانها اخبار مرة. أما الرئيس الكوري الشمالي (كيم سونك الثاني)^(٤٥)، فنقلت الصحيفة حسب وكالة أنباء كوريا الشمالية الرسمية، فقد دان إسرائيل، ووعد بدعم مصر وسورية. مهاجماً الاسرائيليين الذين يقفون وراء كل الاعتداءات، مطالباً السكرتير العام للأمم المتحدة^(٤٦) بعمل أقصى ما يستطيع، من أجل إيقاف تلك الحرب^(٤٧).

ومما شك فيه لكل حرب ضحايا، ولكن هذه المرة كان عدد الضحايا من المدنيين كبيراً، الأمر الذي أضطر وكالات الأنباء لتناول الموضوع، من ذلك ما جاء على لسان وكالة أنباء رويترز، التي تقتبس الخبر عنها صحيفة سكانسكاد كبليتد لتضعه بعنوان (وحوش الحرب يرفعون عدد الضحايا من المدنيين) والذي جاء فيه، من إنها المرة الأولى التي يشعر فيها المدنيون بعد اندلاع الحرب يوم السبت بمرارتها، ذلك عندما هاجم الطيران الإسرائيلي دمشق، فأوقع ما يقارب المائة من القتلى والجرحى، كان هدف الطائرات الإسرائيلية الجيش، وقيادة القوة الجوية، ولكن الصواريخ أصابت أيضاً بيوتاً مستأجرة وسيارات الأجرة ومستشفى ومركز الثقافة الروسي الذي دمر، كذلك ذكرت جرح خمسة موظفين يعملون في مكتب الأمم المتحدة، بالإضافة إلى زوجة الكابتن النرويجي ديدريك شورزواك الذي يعمل مراقباً في الأمم المتحدة^(٤٨). ونقلت تضرر بيت القنصل السويدي وتدمير كثير من المنازل بجواره. أما عن القاهرة فذكرت الصحيفة دوي صفارات الإنذار مرتين يوم الثلاثاء، حسب مراسل الصحيفة الذي يصف الحالة هناك بالمرّوعة نتيجة القصف الجوي على المدينة^(٤٩). ومع كل إجرام الاسرائيليين تظهر بعض مقالات الصحف السويدية الخشية على زوال إسرائيل فيما إذا خسرت الحرب^(٥٠) وتحت عنوان (إسرائيل تدمر دمشق) كتبت صحيفة كفالسبوستن في عددها الصادر يوم الخميس الموافق الحادي عشر من تشرين الأول أكتوبر عام ١٩٧٣م قالت فيه إنه مشاهدة حقيقية من قبل امرأة سويدية هي أنيتا دالمان، كانت متواجدة في دمشق مع زوجها الذي يعمل في (الأمم المتحدة)^(٥١) بوظيفة مراقب^(٥٢). هي بالنسبة لنا ولكل متتبع لتلك الحوادث التاريخية عبارة عن شاهد عيان مستقل (لا ينتمي إلى أي طرف) شاهد على همجية وبربرية اسرائيل، الذي يدعون الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولكن الواقع غير ذلك من خلال ما تنقل لنا هذه السيدة التي تؤكد تدمير عشرات البيوت على رؤوس ساكنيها، ومقتل الآلاف من المدنيين. تقول أنيتا وهي شاحبة: "كان شيئاً مريباً. كنت قد شاهدت المعركة. ولكن الآن أشاهد القنابل تسقط على البيت الذي أتواجد فيه، كانت تجربة حياة مروعة. كان يوم الثلاثاء دام بأربع طائرات إسرائيلية فانتوم، حصدت منطقة سكنية كبيرة، يسكنها أكثر من ٢٠,٠٠٠ نسمة. أشعر بأني ولدت من جديد. حصل كل شيء بشكل غير متوقع، نعرف أنها كانت حرباً، ولكن لم يتوقع أحد على الإطلاق أن تهاجم إسرائيل أقدم مدينة في العالم. لم تكن هناك ملاجئ في البيوت"^(٥٣). يستمر الحديث مع أنيتا من قبل مبعوث الصحيفة في بيروت، للوقوف على تفاصيل أكثر فتقول في وصفها للسوريين: "إنهم أناس دافئون جداً بحيث كانوا دائماً يأخذون بأيدينا ويهدئون من روعنا عندما يكون

هناك خطر، ويقدمون لنا السجائر^(٥٤). يكمل زوجها بيورن دالمان الذي يعمل مراقباً في الأمم المتحدة، كما ذكرنا سابقاً، يقول: "لم يكن السوريون يعرفون شيئاً عن الغارات الجوية في البداية، ولذا ففي المرة الأولى من الهجوم الجوي بقوا في الشوارع ينظرون إلى الطائرات، فقتل عدد كبير من الدمشقيين. في المرة الثانية كانوا يتراكمون نحو البيوت"^(٥٥). كان ذلك فيما يتعلق بالقصف الجوي، أما في البر فكان القتال محتدماً هو الآخر، هذا حسب تصريحات رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير، التي تنقلها الصحف من خلال ما جاء في المقابلة التي أجراها معها التلفزيون الإسرائيلي في تل أبيب مساء يوم الأربعاء في العاشر من نوفمبر عام ١٩٧٣م ومع كل همجية وعدوانية إسرائيل التي تظهر عملياً في الميدان وشفهياً على لسان الساسة الاسرائيليين تخرج علينا صحيفة الأكسبريس بمقال يحمل عنوان (يجب أن يتعامل العرب معنا) وهو تصريح لحكومة الاسرائيليين لتلميع صورتها أمام العالم على اعتبار انها ترغب بالحوار، مع ذلك تنتقل نفس الصحيفة في صفحاتها الأخرى تقريراً لشاهد عيان من دمشق عن التدمير الذي تحدثته غارات الطيران اسرائيلي على دمشق^(٥٦).

وقد توقع مراسل صحيفة كفالسبوستن في منطقة العريش المصرية السويدي بوريه تونبيرري حدوث معركة كبيرة حول سيناء، ولكن قبل ذلك يجب أن تنتهي معركة إسرائيل في الجبهة الشمالية، هكذا يدعى، ويضيف في وصف الوضع في العريش، على البحر المتوسط، تقريباً في المنطقة المحتلة من قبل إسرائيل على بعد عدة أميال من الجبهة، سماع هدير المدافع بشكل ضعيف. وفي العريش يحصل على تقارير من الذين يغادرون الجبهة إلى أهاليهم. ويؤكد ان التقارير كثيرة، وان العائدين من الجبهة كانوا سعداء جداً، حملوا كثيراً من الإطراء على نجاحات الطيران الإسرائيلي، وتفاخروا، بأنهم الأحسن في الجو، وأن طيارهم يثبتون أنهم الأمهر في العالم، حسب اقوال الجنود الاسرائيليين لي"^(٥٧).

ورغم شكوى العرب في محافل متعددة من سياسة (نيكسون)^(٥٨) المنحازة لإسرائيل، وبأنه ربما يريد أن يجعل من الشرق الأوسط فيتنام^(٥٩) ثانية. يمعن الأخير في تأكيد ذلك الانحياز في كل مرة، سواء كان بمناسبة، أو بغير مناسبة، فهاهو يدلي بتصريح يوم الاثنين في السادس عشر من تشرين الأول أكتوبر عام ١٩٧٣م أمام ما يسمى بخبراء فيتنام، يؤكد فيه بشكل لا يقبل اللبس أن الولايات المتحدة تضمن أمن واستقلال إسرائيل، خلال الحرب مع العرب، منوهاً أن سياسة الولايات المتحدة الامريكية هي نفس تلك السياسة المتبعة في عام ١٩٥٨م وعام ١٩٧٠م عندما أرسل الرئيس

(أيزنهاور)^(٦٠) قوات (المارينز)^(٦١) إلى لبنان في ١٩٥٨م، مقابل التهديد الشيوعي، وفي عام ١٩٧٠م عندما وضع الرئيس نيكسون الأسطول الأمريكي السادس في حالة تأهب قصوى بعد دخول القوات المدرعة السورية الأردن لمساندة الفلسطينيين ضد الملك حسين. من جهة أخرى، وفي موضوع ذي صلة، يشكك الخبراء بالمعلومات التي تشير، إلى أن الولايات المتحدة الامريكية يمكن أن تحصل على النفط من مكان آخر، في حال منعت منه في الشرق الأوسط، ويؤكدون أن البيت الأبيض يمكن أن يواجه شتاء بارداً هذا العام، في حال أوقف العرب النفط خاصة وان (الحرب الباردة)^(٦٢) مستمرة. فالعراق سيناقش مع مجموعة من قادة الدول العربي لاحقاً استخدام النفط كسلاح في المعركة الحالية^(٦٣). وبالعودة الى موضوع النفط، وما يمكن أن يشكله من ورقة ضغط على الولايات المتحدة الامريكية، حيث تنقل صحيفة نوركو بينكس أن تصدير النفط من البلاد العربية كان قد خضع أصلاً للتخفيض بنسبة مليون برميل يومياً. وهذا يعني حسب الصحيفة، ضربة جديدة للموازنة الحساسة بين العرض والطلب من تلك المادة الحيوية^(٦٤).

اما موضوع الجسر الجوي بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، والذي تنقل بموجبه الأخيرة كافة الأسلحة والمعدات العسكرية الثقيلة والخفيفة إلى إسرائيل، كي لا تنهار بسبب الضربات المصرية السورية، فقد أصبح أمراً علنياً شائعاً، بحيث أخذ يرد في كثير من الصحف السويدية كشيء عادي، لا يثير الاستغراب^(٦٥)، كما لو كانت إسرائيل الولاية الأمريكية الحادية والخمسين!! والأمر من ذلك، التبريرات الأمريكية الواهية حول ما تقوم به تجاه ابنتها المدللة إسرائيل، حيث بدأت تروج، أن هذا الجسر هو رد على ما يقوم به الاتحاد السوفيتي السابق من نقل المعدات العسكرية إلى الجانب العربي! وتساءلت صحيفة افتونبلتند هل نقل السوفييت طائرات حديثة إلى العرب، كما فعلت الولايات المتحدة الامريكية مع إسرائيل؟ لم يكتف حلفاء إسرائيل من الدول الغربية بتزويدها بكل ما تحتاج إليه، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك، نأخذ على سبيل المثال، فرنسا التي تطالب بضمانات من ليبيا، التي كانت قد اشترت منها طائرات ميراج، بأن لاتستخدم تلك الطائرات ضد إسرائيل. انظر! الوقاحة أين تصل بهؤلاء؟ فبينما تصدر الولايات المتحدة الامريكية أحدث الطائرات للكيان الاسرائيلي، تمنع الدول العربية حتى من استخدام الأسلحة التي اشترتها^(٦٦)، بالطبع كل ذلك جاء بطلب من إسرائيل، فما كان من الحكومة الفرنسية إلا أن هرعت للاتصال بليبيا، مؤكدة أنها لن تسمح باستخدام تلك الطائرات ضد إسرائيل، مطالبة ليبيا بضمانات^(٦٧).

ومن المثير للسخرية والاستغراب، - على حد تعبير صحيفة افتونبليتد - أن يختار أحد أعضاء هذه الحكومة، التي لم تنفك تغذي الحروب في الشرق الأوسط وبشكل علني لا يخفى على أحد، من بين ٤٥ شخصية في العالم ليمنح جائزة نوبل^(٦٨) للسلام مناصفة مع شخص آخر كان ذلك وزير خارجية نيكسون المدعو هنري كيسنجر، والأدهى من هذا أن يصرح من منحه تلك الجائزة أنه ليس هناك من حصل على مثل ذلك، وهو على ارتباط نفسي وثيق بالحرب! أما كيسنجر فأكد عند تسلمه الجائزة، أن ليس هناك سلام بدون ضغط عسكري^(٦٩) مع ذلك فقد واجه منح كيسنجر الجائزة مزيداً من الاستهجان في العاصمة السويدية ستوكهولم حتى عبّر العديد من الشخصيات البارزة هناك، بأن ذلك شكل صدمة للمراقبين، وتحدياً للشعب الفيتنامي، لأن الأخير يمثل كفة الحرب في العالم لا كفة السلام، كيف تمنح الجائزة لشخص لا زال يشارك للتو في حرب مريرة وقاسية^(٧٠) في النهاية ونتيجة لذلك الجدل الحاد، والانتقادات القاسية التي وجهت إلى اللجنة التي تمنح جائزة نوبل، نقلت نفس الصحيفة وبعد عدة أيام خبر استقالة اثنين من أعضاء تلك اللجنة، وهما أينار هوفدهوكن وهليه روكنلين وهما العضوان اللذان صوتا بالرفض لمنح الجائزة لكيسنجر^(٧١).

وبالعودة إلى أجواء الحرب، نقلت صحيفة نوركو بينكس تصريحاً نقلته وكالة أنباء رويترز نسب لرئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير، أنها كشفت أمام الكنيست^(٧٢) يوم الثلاثاء، أن قوة إسرائيلية اجتازت قناة السويس، واحتلت أهدافاً عسكرية على الساحل الغربي، مكتفية بذلك دون إعطاء أية تفاصيل إضافية، ولكن المتحدث العسكري قال: "أن تلك كانت قوات العمليات الخاصة التي وضعت نفسها خلف خطوط العدو في الجهة الغربية من قناة السويس خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، استطاعت تلك القوات أن تضرب مقرات المدفعية المصرية الثقيلة والصواريخ في العمق"^(٧٣). وشكرت بالمقابل دور الولايات المتحدة الأمريكية، على دعمها ومساعداتها. مدعية في الوقت نفسه أن طائرات الميراج الفرنسية التي بيعت إلى ليبيا، تشترك في الجبهة مع المصريين، قبل ذلك كانت فرنسا قد نفت تلك التقارير، مؤكدة أن التحقيقات الواردة من جبهات القتال، لا تؤكد الخبر، ثم أخذت تعهداً على ليبيا، كما مر بنا سابقاً، بأن لا تشترك تلك الطائرات في الحرب. هذا ويبدو إن تأكيد جولدا مائير في خطابها أمام الكنيست على رفض إيقاف القتال، جاء رداً على خطاب السادات الذي أشار فيه إلى أن مصر مستعدة لإيقاف القتال في الحرب ضد إسرائيل، إذا انسحبت إسرائيل من الأراضي العربية التي احتلتها في حرب يونيو عام ١٩٦٧. والذي كان خطاباً موجهاً إلى الشعب المصري في يوم الثلاثاء، مؤكداً بأن مصر تريد السلام، ولكن سلام يرجع

الحقوق إلى أصحابها، ذاكراً في الوقت نفسه، أن مصر لديها صواريخ يمكن أن تضرب أهدافاً في عمق إسرائيل متى شاءت. وإنها، أي مصر مستعدة لحرب طويلة تدفع ثمنها من دماء أبنائها، بغية تحقيق الأهداف المرسومة لها، باعتبارها حرباً ضد الفاشية^(٧٤) والنازية^(٧٥)، لأن الصهيونية^(٧٦) تؤمن بنفس مبدأ التوسع والعدوان التي جاءت به تلك الحركات. مندداً بالدور الأمريكي في الحرب بشكل خاص، نقل الأسلحة الحديثة إلى إسرائيل، مشيراً بقوله: "نحن نقول للولايات المتحدة الأمريكية إن ذلك لن يفرغنا، ولكن علينا نحن وأنتم، أن نضع أنفسنا أمام مسؤولياتنا"^(٧٧). أما بالنسبة لسياسة نقل الأسلحة الأمريكية إلى إسرائيل، فهي الأخرى مستمرة وعلى أعلى المستويات. بل أضيف إليها وصول عدد من المستشارين من الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل، الذين قدر عددهم كما جاء في أحد التقارير الصحفية بـ ١١٠٠ عنصر، منهم ١٠٠ خبير في كيفية عمل الأسلحة الحديثة التي وصلت توالاً إلى إسرائيل، بغية تدريب الجيش الإسرائيلي عليها، والباقي هم خبراء يتمتعون بخبرة كبيرة في القتال، الهدف من وجودهم هناك هو إعداد الخطط القتالية للجيش الإسرائيلي. بالطبع جاء إرسال كل هؤلاء نتيجة لضغط (اللوبي)^(٧٨) الصهيوني على إدارة الرئيس الأمريكي نيكسون. وحتى الكونكرس كان يحث على الاستمرار بنقل الأسلحة إلى إسرائيل، وتقديم كافة أشكال الدعم لها. هذا علاوة على الأحد عشر ملياراً، التي طالب بها نيكسون كمساعدات إضافية للكيان الاسرائيلي حسب صحيفة افتونبلتد^(٧٩). وهنا نتساءل، أي صنف يمكن وضع تلك المؤازرة الأمريكية لإسرائيل أليست هي دعماً للاحتلال والعدوان، وتشريد الشعوب، وتقويضاً للسلام الدولي؟

(الهدنة قريبة بعد سفر كيسنجر إلى موسكو) كان هذا هو العنوان الذي يشير إلى خبر زيارة كيسنجر إلى موسكو والتي تأتي كما تشير صحيفة افتونبلتد بهدف التباحث مع قادة (الكرملين)^(٨٠) حول حرب الشرق الأوسط^(٨١) وتوقعت بعض الصحف السويدية دخول موضوع الهدنة مرحلة متقدمة بعد عدة أيام حينما يكون هناك اتفاق نهائي بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، حول الموضوع. فكتبت الصحف يوم الاثنين الموافق للثاني والعشرين من تشرين الأول أكتوبر عام ١٩٧٣، من نيويورك بعبارات متفائلة، أننا وصلنا الهدنة في الشرق الأوسط بعد أن صوت مجلس الأمن في حوالي الساعة الخامسة وخمسين دقيقة صباحاً بتوقييت السويد على مقترح يوم الجمعة الأمريكي السوفيتي. يطالب الحل بإيقاف إطلاق النار خلال ١٢ ساعة، وهذا يعني أنه سيسري مفعول هدنة بين الدول العربية وإسرائيل حوالي الساعة الثامنة مساءً. أما كيف حصل ذلك؟ فيشير المقال إلى أنه حصل بسرعة غير متوقعة؟ عندما بدأ نشاط

أمريكي سوفيتي مفاجئ في مجلس الأمن، ثم بعد منتصف الليل بقليل دعا الطرفان إلى اجتماع طارئ وبعد أقل من ثلاث ساعات، تمخضت النقاشات عن المقترح الذي صوت عليه في مجلس الأمن، وكانت نتيجة التصويت هي دعم ١٤ من الأعضاء لمشروع الحل الأمريكي السوفيتي التاريخي في الأمم المتحدة^(٨٢).

الخاتمة

من خلال البحث يتضح لنا التالي:

- ١- ليس هناك مستحيل أمام الإرادة القوية والتخطيط إذا توفر الإخلاص في العمل حيث تجاوزت الجيوش العربية خطوط صد الاسرائيليين التي ظلموا تبجحوا بأنها غير قابلة للاجتياز.
- ٢- مشكلة العرب الدائمة هي في خضوع وعمالة حكامهم للخارج.
- ٣- النفط سلاح فعال في المعركة مع الاسرائيليين لو كانت هناك إرادة حقيقية في استخدامه.
- ٤- أغلب الوعود العربية في حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ لاتعدو كونها دعاية إعلامية.
- ٥- سيطرة اللوبي الاسرائيلي على الإدارة الأمريكية في واشنطن بشكل مطلق ، الأمر الذي جعل الولايات المتحدة الامريكية خاضعة لرغبات اسرائيلية بلا تردد.
- ٦- أعادت حرب تشرين الثقة للمقاتل العربي وزعزعت بالمقابل نظرية الجيش الذي لايقهر.
- ٧- فتحت الحرب باب المفاوضات للوصول إلى حلول مرضية.

هوامش البحث

- ١- شبه جزيره سيناء: تقع في المنطقة الممتدة من قناه السويس شرقا الى خليج العقبة وخط الحدود بين مصر وسورية ، و هي تسيطر على الطرق البحرية بين البحر المتوسط والبحر الاحمر ، و تمثل الجسر البري بين اسيا وافريقيا . عبد الوهاب الكيالي(واخرون)، موسوعة السياسة، ج٣، ط١، الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان، ١٩٧٩. ص ص ٤١١-٤١٢.
- ٢- هضبة الجولان : و تعرف ايضا بمرتفعات هضبه الجولان ، تقع في سورية ، ويحدها نهر اليرموك في الجنوب ،ووادي الحولة في الغرب ، و جبل حرمون في الشمال ، و منطقته وادي الرقاد في الشرق . و هي تابعه ادارياً لمحافظة القنيطرة بسورية. و تبلغ مساحتها حوالي ١٨٠٠ كم٢ .احتل الجيش الاسرائيلي حوالي ثلثي مساحتها عام ١٩٦٧ . للمزيد من الاطلاع، ينظر: داليا اسماعيل محمد . المياه و العلاقات الدولية. مكتبة مدبولي ، القاهرة، مصر، ٢٠١٣. ص ص ١٣٢ - ١٦٧ .

٣- خط بارليف : هو سلسلة من التحصينات الدفاعية التي كانت تمتد على طول الساحل الشرقي لقناة السويس ، بُني خط بارليف من قبل اسرائيل بعد احتلال سيناء بعد حرب ١٩٦٧ ، كان الهدف الاساسي من بناء الخط هو تأمين الضفة الشرقية لقناة السويس ومنع عبور اي قوات مصرية لها . سمي بذلك الاسم نسبة الى حاييم بارليف القائد العسكري الاسرائيلي ، وقد كلف بناؤه ما يقارب (٥٠٠) مليون دولار امريكي . تمكن الجيش المصري في يوم ٦ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٧٣ من عبور قناة السويس واجتياح خط بارليف. للمزيد من الاطلاع ، ينظر : المؤسسة العربية للدراسات الاستراتيجية . المسح الاستراتيجي عام ١٩٧٣ قضايا استراتيجية عالمية وحرب تشرين. ترجمة :- بيار عقيل ، ط١، المؤسسة المصرية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٧. ص٣٩.

٤- خط ألون : هو خط الدفاع الاسرائيلي في الجولان الذي يماثل خط بارليف على الجبهة المصرية ، ويمتد خط ألون على الجبهة السورية نحو ٧٠ كم ، وهو خندق عريض يمتد على الجبهة المواجهة لسورية . في تشرين ١٩٧٣ دمر الخط بعدما عبرته القطعات السورية نحو بحيرة طبرية ونهر الاردن. للمزيد من الاطلاع ، ينظر: ادجار اوبلاش . حرب اكتوبر العبور والثغرة . ترجمة : سامي الرزاز ، سيناء للنشر ، مصر ، ١٩٨٨ ، ص٢٠٧.

٥- الشرق الاوسط : هي المنطقة الواقعة في جنوب و شرق البحر المتوسط ، ويمتد الى الخليج العربي . ظهر هذا المصطلح في الوثائق الهندية - البريطانية عام ١٨٥٠ ، ولكنه شاع استخدامه بعد الحرب العالمية الثانية، و استعمال مصطلح الشرق الاوسط لم يعرف الوضوح و الاستقرار ، فكل كاتب و كل من منظمة اهلية كانت ام حكومية او دولية تمد في حدوده او تضيق في المدى الذي يتسع لأغراضه واغراضها . للمزيد من الاطلاع ، ينظر: ابراهيم شريف . الشرق الاوسط . بغداد ، العراق ، ١٩٦٥ . صص من ١٥ - ٢٠ .

٦- جولدا مائير : وُلدت جولدا مائير في مدينة كيبب بأوكرانيا ، وهاجرت مع عائلتها إلى مدينة ميلواكي، في ولاية ويسكونسن الأمريكية عام ١٩٠٦م. تخرجت من كلية المعلمين وعملت في سلك التدريس وانضمت إلى منظمة العمل الصهيونية في عام ١٩١٥م. ثم هاجرت إلى فلسطين بصحبة زوجها مورييس مايرسون في عام ١٩٢١م. عملت في مختلف المهن قبل أن يتم انتخابها في الكنيست الإسرائيلي في عام ١٩٤٩م. عملت جولدا وزيرة للخارجية في الفترة ١٩٥٦ إلى ١٩٦٦م، تقلدت جولدا منصب رئيس الوزراء، توفيت جولدا مائير في ٨ ديسمبر ١٩٧٨م ودفنت في مدينة القدس. للمزيد من الاطلاع، ينظر: جولدا مائير. حياتي . ترجمة : عزيز عزملي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٩. ص ص ٨ - ١١.

7- Expressen: torsdagen den 3 oktober 1973.

8- Kvällsposten, söndagen den 7 oktober 1973.

٩- موشيه ديان : وُلد في فلسطين في ٢٠ مايو ١٩١٥ ، التحق بمنظمة الهاجانا العسكرية الصهيونية قبيل الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، ترقى بالمناصب العسكرية بعد حرب ١٩٤٨ بين الفترة ١٩٥٥ - ١٩٥٨ إلى أن وصل لمنصب رئيس الأركان للجيش الإسرائيلي ، ثم اصبح وزيراً للدفاع عام ١٩٦٧. قدم استقالته اثر الخسائر التي تكبدها الجيش الاسرائيلي في الايام الاولى لحرب تشرين . مات دايان عام ١٩٨١ ، دفن في مدينة تل ابيب . للمزيد من الاطلاع ، ينظر: غازي السعدي . موشيه ديان ... انا وكامب ديفيد . المنهل للنشر ، عمان ، الأردن ، ٢٠١٥ . ص ١٧٥.

١٠- ايلول الاسود : وهي حرب بدأت في ١٥ ايلول عام ١٩٧٠ ، حيث اعتبرت الحكومة الاردنية تصرفات بعض المجموعات الفلسطينية تشكل تهديداً للحكم الهاشمي في الاردن .

فتحرك الجيش الاردني بناءً على تعليمات الملك حسين لوضع نهاية للمنظمات الفلسطينية في الاردن . فقتل الالاف من الفلسطينيين ، واتفق في لقاء بالقاهرة مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر وعلى خروج المنظمات الفلسطينية من المدن الاردنية والتوجه الى خارجها وتسليم السلاح الى الجيش الاردني وعلى خروج القيادات الفلسطينية خارج الاردن. للمزيد من الاطلاع ، ينظر: عبد الله الثاني بن الحسين . فرصتنا الاخيرة :- السعي نحو السلام في وقت الخطر . عمان ، الاردن ، ٢٠١١ ، ص ص ٥٥ - ٥٨ .

11- Kvällsposten, söndagen den ٧ oktober. ١٩٧٣

١٢- حافظ الاسد : ولد في القرداحية باللاذقية في سورية من الطائفة العلوية في ٦ تشرين الاول عام ١٩٣٠ ، انضم الى حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٤٦ . انتسب الى الكلية الحربية عام ١٩٥٢ ، وتخرج بدرجة بكالوريوس طيران برتبة ملازم طيار . نفي الى مصر (١٩٥٩ - ١٩٦١) خلال فترة الوحدة بين سورية ومصر . اشترك في تنظيم سري عام ١٩٦٠ عرف باللجنة العسكرية والتي حكمت سورية .تولى منصب وزارة الدفاع عام ١٩٦٦ بعد انقلاب صلاح جديد على القيادة القومية لحزب البعث في ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٧٤. تمكن بمساعدة عدد من ضباط الجيش الكبار من الانقلاب على صلاح جديد ورئيس الجمهورية نور الدين الاتاسي ، ثم ما لبث ان اصبح رئيساً للجمهورية العربية السورية واميناً عاماً لحزب البعث العربي الاشتراكي والقائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة في ٢٢ شباط عام ١٩٧١ حتى وفاته في ١٠ حزيران سنة ٢٠٠٠. للمزيد من الاطلاع، ينظر: فؤاد العشة .حافظ الأسد: قائد ورسالة . كاليفورنيا ، الولايات المتحدة الامريكية ، ١٩٩٢ . ص ص ٣ - ٨٣ .

13- Kvällsposten, söndagen den 7 oktober 197٣ .

14- Expressen, söndagen den 7 oktober 197٣ .

١٥- معمر القذافي : ولد معمر محمد عبد السلام القذافي في ٧ حزيران عام ١٩٤٢ ، في مدينة سرت بلبيبا ، اشتهر باسم القذافي عين ضابطا في الجيش الليبي عام ١٩٦٣ . حكم ليبيا اكثر من ٤٢ سنة بعد وصوله الى السلطة بانقلاب عسكري خلع به الملك ادريس ملك المملكة الليبية في عام ١٩٦٩ وظل رئيسا لمجلس قيادة الثورة حتى عام ١٩٧٧ ، اذ نصب نفسه قائداً للثورة. في عام ٢٠٠٨ حدثت انتفاضة ضده ادت الى التدخل العسكري من قبل قوات التحالف بقيادة حلف الشمال الاطلسي . قتل في مدينة سرت في ٢٠ تشرين الاول عام ٢٠١١ . للمزيد من الاطلاع ، ينظر : احمد المسلمان . حقوق الانسان وليبيا . القاهرة ، مصر، ١٩٩٩ ص ص ٧ - ٤ .

16- Kvällsposten, söndagen den 7 oktober 197٣ .

١٧- مركز الدراسات الفلسطينية . الحرب العربية - الإسرائيلية . مج ٤ ، ١٤ ، بيروت، لبنان، ١٩٧٤ . ص ص ١٨٩ - ١٩٩ .

١٨- جعفر النميري : ولد جعفر محمد النميري في الاول من كانون الثاني في ١٩٣٠ في ام درمان في السودان، تخرج من الكلية العسكرية السودانية سنة ١٩٥٢ ، تأثر بأفكار الرئيس المصري جمال عبد الناصر الاشتراكية والوحدة العربية ، عمل انقلابا عسكريا اطاح بالحكومة المدنية برئاسة اسماعيل الازهري عام ١٩٦٩ ليتولى منصب رئيس الوزراء ورئيس مجلس قيادة الثورة ، انقلب عليه وزير دفاعه عبد الرحمن سوار الذهب عام ١٩٨٥ . مات في الخرطوم عن عمر ناهز ٧٩ سنة في السودان للمزيد من الاطلاع ، ينظر: عبد اللطيف البوني . تجربة النميري الاسلامية في السودان مايو ١٩٦٩ ابريل -

١٩٨٥م. معهد البحوث والدراسات الاسلامية . الخرطوم ، السودان ، ١٩٩٥ . ص ص ١٣ - ٣١.

١٩- الملك حسين : هو الحسين بن طلال بن عبد الله الهاشمي ، ولد عام ١٩٣٠ ، واصبح ملكا للمملكة الاردنية الهاشمية من ١٩٥٢ - ١٩٩٩ . وتوج ملكا على العرش في ١١ اب ١٩٥٣ ، خلفاً لأبيه الذي المّ به المرض رغم انه لم يبلغ السن القانوني . ابرز الاحداث في عهده تثبيت دعائم الملكية ، وحرب ايلول الاسود مع المقاومة الفلسطينية ، والاتحاد العربي الهاشمي عام ١٩٥٨ . الا انه اصيب بمرض السرطان ، وتوفي في شباط عام ١٩٩٩ . للمزيد من الاطلاع ، ينظر: محمد العنقارة . أوراق اردنية . دار الخليج للنشر والتوزيع، عمّان ، الأردن ، ٢٠١٧ . ص ص ٨ - ٧٤+*.

٢٠- جمال عبد الناصر: ولد في الإسكندرية عام ١٩١٨ ، حصل على شهادته الابتدائية عام ١٩٣١ ، و على الشهادة الثانوية عام ١٩٣٦ . التحق بالكلية الحربية عام ١٩٣٧ ، شارك في حرب عام ١٩٤٨ ، وهو احد قادة ثوره تموز عام ١٩٥٨ . تولى الحكم في مصر للفترة ١٩٥٤ - ١٩٧٠ . توفي في ٢٨ ايلول عام ١٩٧٠ . للمزيد للاطلاع ، ينظر: احمد عطية الله . القاموس السياسي . ط٣ ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٥ ، ص ٩٥٨ .

٢١- عبد الله بن الحسين بن علي: ولد في شباط عام ١٨٨٢ في مكة المكرمة . قدم الى سورية لمحاربة الفرنسيين بعد اسقاط الحكومة العربية في دمشق عام ١٩٢٠ . ساهم في تأسيس امارة شرق الاردن عام ١٩٢١ ، لذلك يعد مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية . اغتيل في القدس في ٢٠ تموز عام ١٩٥١ ، و دفن في المسجد الاقصى . للمزيد من الاطلاع ، ينظر: تيسير ظبيان . الملك عبد الله كما عرفته : مذكرات و وثائق وبيانات هامة عن حياة الفقيد . المطبعة الوطنية ، عمّان ، الاردن ، ١٩٦٧ . ص ص ٩- ٤١ .

22- Kvällsposten, söndagen den 7 oktober 197٣ .

٢٣- محمد أنور السادات: هو عسكري ، ورجل دولة مصري ولد بمحافظة المنوفية عام ١٩١٨ ، تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٣٨ ، ثم عين ضابطاً برتبة ملازم ثان، شارك بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبعد نجاح الثورة اصبح عضواً في مجلس قيادة الثورة الذي تولى السلطة بعد طرد الملك فاروق، وبعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٧٩ تولى السادات منصب رئيس الجمهورية المصرية . تم اغتياله في الأول من تشرين الأول عام ١٩٨١ . للمزيد من الاطلاع ، ينظر: صبري أبو المجد . مع السادات على طريق النضال . مطبوعات الشعب ، جامعة الكويت ، الكويت ، ١٩٧٦ ، ص ٣٩ .

24- Kvällsposten, söndagen den 7 oktober 197٣ .

25- Expressen, måndagen den 8 oktober 197٣ .

26- Arbetet, måndagen den 8 oktober 1973.

٢٧- الحسن الثاني : ولد في الرباط في ٩ تموز عام ١٩٢٩ ، درس القانون في الرباط وحصل على الاجازة فيه من فرنسا ، تم تنصيبه ملكا يوم ٣ اذار عام ١٩٦١ خلفا لوالده محمد الخامس باعتباره اكبر الابناء سنا ، واجه عددا من المشاكل، ابرزها قضية الصحراء الغربية ، ومسألة حقوق الانسان . الا انه في حنكته السياسية وصبره وسعيه الدؤوب الى مد الجسور مع معارضيه ، ترك بصماته الواضحة على تاريخ المغرب والوطن العربي . توفي في الرباط في ٢٣ تموز ١٩٩٩ . للمزيد من الاطلاع ، انظر : عبد الرحمن بن زيدان ، المدد الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة . المطبعة الاقتصادية، الرباط ، المغرب ، ١٩٣٧ ، ص ص ١٤٢ - ١٤٧ .

٢٨- الحبيب بورقيبة : ولد يوم ٣ اب عام ١٩٠٣ في مدينة المنستير، التحق بمعهد كارنو الفرنسي وحصل فيه على الثانوية العامة ، وفي عام ١٩٢٧ حصل على البكالوريوس في الحقوق ، اشتغل بالمحاماة و الصحافة قبل ان يتولى رئاسة الجمهورية التونسية عام ١٩٥٧ اعلن بوضوح تحالفه مع الغرب ، ورحب بالسياسة الامريكية في المنطقة ، وبنى علاقات قوية مع الانظمة الملكية، انقلب عليه وزيره الاول (رئيس الوزراء) زين العابدين بن علي، واعلن نفسه في ٧ تشرين الثاني عام ١٩٨٧ رئيسا جديدا للجمهورية التونسية . وافته المنية في ٦ نسيان عام ٢٠٠٠ للمزيد من الاطلاع، ينظر: الصافي السعيد . بورقيبة سيرة الشبه محرمة. ٢٠٠٠ ، ص ص ٩- ١٥ .

٢٩- علي ناصر محمد : ولد علي ناصر محمد في ٣١ كانون الاول من عام ١٩٣٩ في محافظة أبين باليمن . اكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في مدينة زنجبار بأبين ، وتخرج عام ١٩٥٩ في دار المعلمين . انضم إلى حركة القوميين العرب (فرع اليمن) والتي اصبح اسمها فيما بعد الحزب الاشتراكي اليمني . ظل يعمل معلما حتى سنة ١٩٦٤ عندما انتهى علاقته بالوظيفة وتفرغ للعمل السياسي . تنقل بين عدد من الوظائف الادارية والوزارية حتى اصبح رئيسا للوزراء عام ١٩٧١ ، ثم رئيسا للجمهورية عام ١٩٨٠ وزعيما للحزب الاشتراكي الحاكم في اليمن الجنوبي (سابقا) . وضل رئيسا للدولة حتى اندلاع الاحداث الدامية بين قيادات الحزب الاشتراكي عام ١٩٨٦ ، حيث فقد السلطة ، وغادر الى صنعاء عاصمة اليمن الشمالي ، ثم منها الى دمشق عام ١٩٩٠ . للمزيد من الاطلاع ، انظر: Fred Halliday. revolution and foreign policy : the case of south yemen.1967-1987.pp.15-21 .

٣٠- فيصل بن عبدالعزيز : ولد عام ١٩٠٦ في الرياض ، عرف عنه الذكاء و القدرة على الاستيعاب و التحليل ، تربي التربية الدينية ، اصبح وليا للعهد في الفترة (١٩٥٣ - ١٩٦٤)، ثم اصبح ملكا للمملكة العربية السعودية للفترة (١٩٦٤ - ١٩٧٥) . تم اغتياله في ٢٥ اذار ١٩٧٥ . للمزيد من للاطلاع ، ينظر : صلاح الدين المنجد . فيصل بن عبد العزيز من خلال اقواله و اعماله. دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢ . ص ١٦ .

٣١- هنري ألفريد كسنجر : باحث و سياسي أمريكي، ألماني النشأة، كان أبوه معلما، وبسبب أصله اليهودي هرب هو وأهله في عام ١٩٣٨ من ألمانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية خوفاً من النازيين الألمان. التحق بمعهد جورج واشنطن في نيويورك. حصل على الجنسية الأميركية عام ١٩٤٨. شغل منصب وزير الخارجية الأمريكية من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٧ ، وكان مستشاراً الأمن القومي في حكومة الرئيس ريتشارد نيكسون. لعب دوراً بارزاً في السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، مثل سياسة الانفتاح على الصين وزياراته المكوكية بين العرب وإسرائيل والتي انتهت باتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨. للمزيد من الاطلاع ، ينظر : Jeremisuri . Henry A. Kissinger and the American century . the bleknap press of Harvard university press , Cambridge , massaehrsett , united state of America , 2007 , p p 3 -82.

32-Arbetet, måndagen den 8 oktober 1973.

33-Skånskadagbladet, måndagen den 8 oktober 1973.

34- Skånskadagbladet, måndagen den 8 oktober 1973.

35-Arbetet, tisdagen den 9 oktober 1973.

36-Arbetet, tisdagen den 9 oktober 1973.

٣٧- شركة شل :هي شركة رويال داتش شل (Royal Dutch Shell) المعروفة باسم شل، هي شركة نفط متعددة الجنسيات بريطانية وهولندية الأصل، تعتبر ثاني أكبر شركة طاقة خاصة في العالم. تأسست شل عام ١٩٠٧ ويقع مقرها الرئيسي في لاهاي بهولندا، ولها مكتب مركزي في لندن بالمملكة المتحدة. وتمتلك الولايات المتحدة نسبة ٤٠ % من راس مالها. للمزيد من الاطلاع ، ينظر : <http://reports.shell.com/annual-report/>

38- Aftonbladet, onsdagen den 10 oktober 1973.

٣٩- بنحاس سابير: ولد عام ١٩٠٦ ، في بولندا ، هاجر الى فلسطين عام ١٩٣٠ . ابرز دعواته: " بقاء إسرائيل منفصلة عن الفلسطينيين لبقاء الدولة اليهودية نقية " ، اصبح وزيراً للمالية في حكومة كولدا مائير. توفي عام ١٩٧٥. للمزيد من الاطلاع، ينظر: المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية. حكومات إسرائيل ١٩٤٨ – ٢٠٠٧ . رام الله ، فلسطين، ٢٠١٥ . ص ١٤٢.

40- Skånskadagbladet, onsdagen den ١٠ oktober 1973.

41- Skånskadagbladet, onsdagen den ١٠ oktober 1973.

42- Arbetet, tisdagen den 9 oktober 1973.

٤٣- عيدي امين: ولد عام ١٩٢٥ في كمبالا ، وتحول من الكاثوليكية الى الإسلام ، والتحق بالمدرسة الاسلامية في بومبو عام ١٩٤١ ، ثم عمل ضابطاً في الجيش البريطاني . اصبح رئيساً لأوغندا بين ١٩٧١ – ١٩٧٩ انتهى النفوذ البريطاني في اوغندا ، مما حدا ببريطانيا لتأليب مختلف القوى الداخلية والمحيطية به ، اتهم من القوى الغربية بتطبيق الشرع الاسلامي ، مما ادخله في دوامة الاتهام بالدكتاتورية ، أبعد الى السعودية حيث توفي هناك عام ٢٠٠٣ . للمزيد من الاطلاع ، ينظر: Avirgan ,Tony . war in vqanda : The Legacy of Idi Amen , Lawrence Hill & Co .united state of America ,1982 p p 7 – 64.

٤٤- بولس السادس : ولد في كونشسيو بايطاليا سنة ١٩٩٨ . اشتهر بعقيدته وايمانه القوي بمبادئ الكنيسة المسيحية ، واعتقاده فيها انها سوف تبقى الى الابد ، وبجهوده لتوطيد الاتحاد و السلام في العالم ، حتى انه اشتهر ببابا الاصلاح و بابا الحوار . تسلم كرسي البابوية في ٢١ حزيران ١٩٦٣ حتى وفاته في ٦ آب ١٩٧٨ . للمزيد من الاطلاع ، ينظر: الياس مورييس معلوف. الآباء اليسوعيين من الايمان للمعرفة . دار المنهل للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ٢٠١٣ . ص ١٦٤ .

٤٥- كيم ايل سونغ: ولد ٢٠١٥ نيسان ١٩١٢ ، في قرية مانغوينغ بونغ القريبة من مدينة بيونغ يانغ . تولى السلطة في كوريا عقب الاطاحة بالحكم الاستعماري الياباني في عام ١٩٤٥ ، و اصبح رئيساً لحكومة كوريا الشمالية حينما اعلنت استقلالها عام ١٩٤٨ . و هو الذي امر بغزو كوريا الجنوبية عام ١٩٥٠ ، و التي انتهت بهدنة ٢٧ تموز ١٩٥٣ . بقي في منصبه رئيساً للحكومة للفترة ١٩٤٨ - ١٩٧٢ ، و رئيساً للدولة من عام ١٩٧٢ حتى وفاته عام ١٩٩٤ . للمزيد من الاطلاع ، ينظر: <http://data.bnf.fr/ark/12148>

٤٦- كورت فالدهايم : ولد فالدهايم عام ١٩١٨ ، بالقرب من فيينا ، وحصل على الدكتوراه في فلسفة التشريع عام ١٩٤٤ ، وتخرج ايضا من اكااديمية فيينا القنصلية قبل ان يلتحق بالدائرة الدبلوماسية النمساوية ليتدرج في عدة مناصب دبلوماسية وسياسية الى ان تم انتخابه امينا عاما لمنظمة الامم المتحدة عام ١٩٧٢ . وفي عام ١٩٨٦ انتخب رئيسا للنمسا حتى عام

١٩٩٢.توفي في ١٤ حزيران سنة ٢٠٠٧ . للمزيد من الاطلاع ، ينظر:
[HTTP://DATA.BNF.FW/ARK:/12148/CB11928798](http://DATA.BNF.FW/ARK:/12148/CB11928798)

47- Arbetet, tisdagen den 9 oktober 1973.

48-Skånskadagbladet, onsdagen den ١٠oktober 1973.

49- Arbetet, onsdagen den 10 oktober 1973.

50- Expressen, torsdagen den 1١oktober 1973.

٥١-الامم المتحدة : هي منظمه دوليه تأسست بعد الحرب العالمية الثانية بتاريخ ٢٤ تشرين الاول ١٩٤٥، تعمل هذه المنظمة على حفظ السلام في العالم ، و تنتمي اليها الدول المستقلة في جميع انحاء العالم ، يوجد مقرها في نيويورك ، ولها ستة اجهزه رئيسيه ، هي الجمعية العامة ، و مجلس الامن ، و الأمانة العامة ، و المجلس الاقتصادي ، والاجتماعي ، ومحكمه العدل الدولية ، مجلس الامن المزيد من الاطلاع ينظر: مؤسسة اعمال الموسوعة. الموسوعة العربية العالمية و، ج١ ، صص ٨٨ - ٨٩ .

52- Kvällsposten, torsdagen den 11 oktober 1973.

53- Kvällsposten, torsdagen den 11 oktober 1973. Kvällsposten, torsdagen den 11 oktober 1973.

54- Kvällsposten, torsdagen den 11 oktober 1973.

55- Expressen, torsdagen den 11 oktober 1973.4

56- Kvällsposten, lördagen den 13oktober 1973.

٥٧-ريتشارد نيكسون : ولد في ٩ كانون الثاني ١٩١٣ . و هو الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية عن الحزب الجمهوري (١٩٦٩ - ١٩٧٤) . تولى منصب نائب الرئيس في الفترة (١٩٥٣ - ١٩٦٠) عن الحزب الجمهوري في ظل رئاسة ايزنهاور. وهو الشخص الوحيد الذي انتخب مرتين لنائب الرئيس و مرتين للرئاسة. عرف بسياسته الخارجية الدبلوماسية، لاسيما التفاهم الودي مع الاتحاد السوفيتي و الصين ، ووضعه نهاية لحرب فيتنام، واعتداله في السياسة الداخلية. توفي في ٢٢ نيسان ١٩٤٤ . للمزيد من الاطلاع ، ينظر: AmericanEncyclopedia, Inc . vol.6,1990.p.98.

٥٨-حرب فيتنام: وتسمى ايضا بالحرب الهندو- صينية ،وهي حرب بين جمهورية فيتنام الديمقراطية(شمال فيتنام)،المتحالفة مع جبهة التحرير الوطنية ضد جمهوريه فيتنام (جنوب فيتنام) ، وبرز حلفائها الولايات المتحدة الأمريكية. استمرت هذه الحرب من تشرين الثاني عام ١٩٥٥ حتى ٣٠ نيسان عام ١٩٧٥ . أرسلت الولايات المتحدة الامريكية الى فيتنام عام ١٩٦٥ قوات عسكرية غازية،حيث انتهت بفشل الغزو الأمريكي في ١٧ حزيران عام ١٩٧٥ بهزيمة القوات الامريكية واتحاد شمال فيتنام وجنوبها. للمزيد من الاطلاع ، ينظر: wiensner,louis.A.victms and survivors displaces persons and other war victims in viet-nam . Greenwood press , new york , U.S.A , 1988.p.310.

٥٩-دوايت ديفيد ايزنهاور: ولد في ١٤ تشرين الاول عام ١٨٩٠ في كنساس في الولايات المتحدة الأمريكية تخرج من الاكاديمية البحرية من (ويست بوينت). اصبح بعد الحرب العالمية القائد الاعلى للقوات المسلحة الأمريكية في عهد الرئيس هاري ترومان . خاض الانتخاباتالرئاسية عام ١٩٥٢ واصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكيةلدورتين في الفترة (١٩٥٣ - ١٩٦٢) . توفي ٢٢ شباط ١٩٦٩ . للمزيد من الاطلاع، ينظر : Navari,

Cornelia. Internationalism and the state in the twentieth century.
2000.p.316.

٦٠- المارينز : وهي قوات مشاة البحرية الأمريكية تأسست في عام ١٧٧٥، تخصصت في العمليات القتالية، وذلك من خلال مسح الاراضي البحرية الأمريكية. شعارها هو البحرية، مما يدل على اهميتها البحرية. وتعد احد الفروع الأربعة للقوات العسكرية الأمريكية. ابرز مهام التعامل وتنسيق مع سلاح البحرية الأمريكية و توصيل المعونات و الأسلحة في الازمات العالمية، و حراسه القواعد البحرية الأمريكية ، واهم مميزاتها القدرة على العمل براً وبحراً وجواً. للمزيد من الاطلاع ، ينظر: A: shining sea: Howarth, Steven. To history of the united states navy 1776-1991.p.p-49-64.

٦١- الحرب الباردة: مصطلح لوصف حالة سياسية او نوع من الصراع السياسي بين القطبين وهما الاتحاد السوفيتي و الولايات المتحدة الأمريكية اللذان كانا يهدف كل منهما للحصول على مناطق نفوذ سواء على الصعيد العسكري او السياسي، و استمرت للفترة ١٩٤٥ - ١٩٩٠ . للمزيد من الطلاع ، ينظر: محمد الطويرش . تاريخ العلاقات الدولية من كندي حتى غوربا تشوف ١٩٦١ - ١٩٩١ . ط٢، دار المرتضى ، بغداد ، العراق ، ٢٠٠٥ . ص ١٧ .

62-Aftonblad, tisdagen den 16 oktober 1973.

63- Norrköpingstidning, Östergötlanddagblad, tisdagen den 16 oktober 1973.

64- Norrköpingstidning, Östergötlanddagblad, tisdagen den 16 oktober 1973.

65-Aftonblad, tisdagen den 16 oktober 1973.

66- Norrköpingstidning, Östergötlanddagblad, tisdagen den 16 oktober 1973.

٦٧-جائزه نوبل: الأب الروحي لجائزة نوبل هو الصناعي السويدي و مخترع الديناميت الفريد نوبل ، و الذي اوصى بان تكون هذه الجائزة سنوية منذ عام ١٨٩٥ ، للمساهمات البارزة في الفيزياء و الكيمياء و الادب و الطب و الاقتصاد و السلام . للمزيد من الاطلاع ، ينظر: Baruch A. Shalev. Nobel Prizes .U.S.A .2003.p.57.

68-Aftonbladet, onsdagen den 17 oktober 1973.

69- Norrköpingstidning, Östergötlanddagblad, onsdagen den 17 oktober 1973.

70- Norrköpingstidning, Östergötlanddagblad, fredagen den 19 oktober 1973.

٧١- الكنيست : هو البرلمان الاسرائيلي ، يتكون من (١٢٠) نائبا، وعمله يدور حول التشريع ومراجعة الحكومة الاسرائيلية ، واعضاءه ينتمون الى احزاب مختلفة ، وسبب تسميته بالكنتين نسبة الى مجلس الحاخاميين الوارد في التوراة ذكره ، وينتخب الكنين رئيس الحكومة من بينهم ، وبذلك يكون نظام الحكومة الاسرائيلية نظام برلماني مكون من الاحزاب ، للمزيد من الاطلاع، ينظر: جوني منصور. معجم الاعلام والمصطلحات الصهيونية الإسرائيلية. مؤسسة الأيام ، فلسطين ، ٢٠٠٩، ص٢٨٣.

72- Norrköpingstidning, Östergötlanddagblad, onsdagen den 17 oktober 1973.

٧٣- الفاشية : ان اصل مصطلح الفاشية يعود الى عهد روما القيصرية حيث كان الرومان يحملون حزمة العصي المسماة الحزمة الرومانية رمزاً للقوة و الاتحاد ، وقد استخدم مصطلح الفاشية حديثاً من قبل موسوليني مؤسس الحركة الفاشية في عام ١٩١٩ ، واضحي هذا المصطلح يطلق على مجموعه من الأنظمة الشمولية. استمد الفاشيون عن افلاطون دعوته في كتابه (جمهورية افلاطون) الى ضرورة حكم الاقلية المختارة من الفلاسفة الذين يتمتعون بالتفوق الخلقى والعقلى . للمزيد من الاطلاع ، ينظر : هـ . أ . ل . فشر . تاريخ اوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩ - ١٩٥٠ . تعريب: احمد نجيب ووديع الضبع ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٣ . ص ٦٠٢ .

٧٤- النازية: اسم مختصر اطلق على الحزب الاشتراكي الوطني الالماني ، اشتق من المقطعين الاولين من الاسم الكامل لهذا الحزب ، و ارتبطت النازية بنظام الحكم في المانيا خلال تولى الحزب الاشتراكي الوطني الحكومة بزعامة ادولف هتلر، والتي امتدت من ٣٠ من كانون الثاني ١٩٣٣ حتى اعلان استسلام المانيا للحلفاء في السابع من مايس ١٩٤٥ . للمزيد من الاطلاع ، ينظر: احمد عطية الله . القاموس السياسي . ط٣ ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٨ . ص ١٦٠٤ .

٧٥- الصهيونية : فكرة و دعوة و حركة سياسية عنصرية ، اطلقها ثيودور هرتزل في العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، بقصد تعبئة يهودالعالم من اجل الاستيلاء على فلسطين واستعمارها لإقامه دوله يهودية في اراضيها ، و بتأييد من الدول الغربية الاستعمارية . للمزيد من الاطلاع ، ينظر : عبد الوهاب الكيالي. الموسوعة السياسية . ج ٥، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ . ص ٣٤٩ .

76- Norrköpingstidning, Östergötlanddagblad, torsdagen den 18 oktober 1973.

٧٧- اللوبي lobby : او ما يسمى بعمليات الضغط ، وهم يمثلون مجموعة من الافراد و المؤسسات التي تعمل وبشكل جدي ومستمر على توجيه السياسة الخارجية ، وهذه المجاميع لا تسعى لاستلام الحكم وانما للتأثير على الحكم . وبالنسبة لليهود يوجد بما يقارب ٣٤ منظمة يهودية سياسية في الولايات المتحدة الامريكية تكرر كامل جهودها لمصالح اليهود في ايد دولة في العالم وتحديدا في اسرائيل . عاطف ابو سيف . علاقات اسرائيل الدولية : السياقات والادوات والاختراقات و الاتفاقيات . المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية ، رام الله ، فلسطين ، ٢٠١٤ ، ص ٤١٧ .

78- Aftonbladet, lördagen den 20 oktober 1973.

٧٩- الكرملين : كلمة روسية معناها القلعة او الحصن ، تطلق على مركز العاصمة الروسية موسكو القديمة، وهو محاط بجدار ضخم طوله ميلان ونصف ، وارتفاعه ٦٥ قدم . يضم الكرملين عدة قصور كانت ملكاً للقيصر الروسي ، واليوم يعد قصر الكرملين الكبير جزءاً من مقر رئيس روسيا الاتحادية. للمزيد من الاطلاع، ينظر: لاريسا فاسيلفا . نساء الكرملين . ترجمة: احمد الخميني ، كيان للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٧ . ص ١٧ .

80- Aftonbladet, lördagen den 20 oktober 1973.

81- Aftonbladet, måndagen den 22 oktober 1973.

رأس المال الفكري ودوره

في تحقيق الميزة التنافسية

Intellectual Capital and its Role in Achieving Competitive Advantage

(Case study Bank of Palestine)

ا.م.د. فواز بدوي (إدارة أعمال)
كلية العلوم الإدارية والاقتصادية
جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

Assistant professor :Dr. Fawaz Badawi
(Business Administration)
Business Faculty
Al-Quds Open University/ Palestine

ملخص الدراسة

تناولت هذه الدراسة رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية لدى بنك فلسطين، وذلك من خلال توافر متطلبات رأس المال الفكري بمكوناته الثلاثة (البشري، الهيكلي والعلاقات) لدى البنك، ودراسة العلاقة بين توفر تلك المتطلبات وتحقيق الميزة التنافسية للبنك. وقد تكون مجتمع الدراسة من جميع العاملين في بنك فلسطين والبالغ عددهم (٦٠) موظفاً.

وأظهرت الدراسة عدة نتائج من أهمها، توافر متطلبات رأس المال الفكري لدى بنك فلسطين والتي أدت إلى امتلاك البنك رأس مال فكري متميز، وأن البنك يمتلك مستوى مرتفعاً من الميزة التنافسية، كما أوضحت الدراسة بأنه لا يوجد تفاوت كبير في دور مكونات رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية، إلا أن رأس المال البشري يسهم بشكل أكبر من المكونين الآخرين في تحقيق الميزة التنافسية في البنك. كما أظهرت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مدى تطبيق رأس المال الفكري في بنك فلسطين تعزى لمتغيرات (الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، الفئة العمرية).

ومن أهم ما أوصت به الدراسة هو ضرورة أن يتعامل البنك مع رأس المال الفكري على أنه مورد رئيسي واستراتيجي من بين الموارد المختلفة التي يمتلكها البنك، والحفاظ عليه وتطويره بشكل مستمر، والتأكيد على أهميته ودوره في نجاح الشركة وتحقيق الميزة التنافسية لها.

Abstract

This study dealt with intellectual capital and its role in achieving the competitive advantage Palestine Bank, through the availability of intellectual capital requirements with its three components (human, structural and relationships) at the Bank, and studying the relationship between the availability of these requirements and achieving the competitive advantage of the Bank. The sample size of this study composed of all 60 employees of Palestine Bank.

The study showed several results, the most important of which are the availability of intellectual capital requirements at Palestine Bank, which led to the bank owning a distinguished intellectual capital, in addition to a high level of competitive advantage. The study also showed that there is no significant difference in the role of intellectual capital components in achieving competitive advantage, however, human capital contributes more than other components to the competitive advantage of the bank. Also, there were no statistically significant differences in the application of intellectual capital in Bank of Palestine due to the variables (gender, qualification, years of experience, age group).

The most important recommendation of this study is the need for the bank to deal with intellectual capital as a major

and strategic resource among the various resources owned by the bank, maintain and develop it continuously, and emphasize its importance and role in the success of the company and achieving its competitive advantage.

مشكلة الدراسة وخلفيتها

مقدمة:

في ظل اقتصاد المعرفة أصبحت الأصول غير الملموسة تشكل الدعامة الأساسية والموارد الاستراتيجية لثروة المنظمة وازدهارها، وتسعى المنظمات المعاصرة في ظل البيئة شديدة التنافسية إلى كسب ميزة تنافسية على غيرها من المنظمات العاملة في نفس النشاط، وذلك من خلال إضافة قيمة للعميل وتحقيق التميز عن طريق استغلال الطاقة الفكرية والعقلية للأفراد. وقد أدركت الشركات العالمية في ظل تحولات البيئة التنافسية، أن العامل الانتاجي الوحيد الذي يمكن أن يوفر لها الميزة التنافسية المتواصلة هو رأس مالها الفكري. (يحضية، ٢٠٠٤) ، و يعتبر Ralph Stayer مدير شركة Johnsonville للأطعمة أول من استخدم مصطلح "رأس المال الفكري" في عام ١٩٩٠، عندما أشار إلى أن المصادر الطبيعية كانت تعد أهم مكونات الثروة و الموجودات في الشركات، ثم أصبح النقد و رأس المال في فترة تالية هما أهم الموجودات، أما الآن فقد أصبح رأس المال الفكري يعد أهم مكونات الثروة القومية و أعلى موجودات المؤسسات. وقد عرف (Stewart, 2004) رأس المال الفكري على أنها المعلومات، الملكية الفكرية و الخبرة التي توضع قيد الاستخدام من أجل خلق الثروة الرابحة، لأن اقتصاد اليوم يختلف في الأساس عن اقتصاد الأمس. كما يرى (Ulrich, 1998) أن رأس المال الفكري هو مجموعة المهارات المتوافرة في المنظمة التي تتمتع بمعرفة واسعة تجعلها قادرة على جعل المنظمة عالمية من خلال الاستجابة لمتطلبات العملاء و الفرص التي تتيحها التكنولوجيا ، وتؤدي إدارة رأس المال الفكري دورا هاما في جعل الأصول غير المادية ميزة تنافسية من خلال تدعيم الإمكانات والطاقات البشرية ومساعدتهم على اكتشاف وتدفق إمكانياتهم المحتملة وحتى يمكن لإدارة رأس المال الفكري المساهمة في تحقيق وتدعيم الميزة التنافسية للمنظمة يجب أن تقوم بإعداد برامجها المختلفة في إطار إستراتيجية منظمة من جهة ووفق متطلبات عمل المنظمة من جهة أخرى ، ويتجسد مفهوم القدرة التنافسية في مدى إمكانية المنظمة المحافظة على حصتها السوقية، وزيادتها في البيئة أو مجال

النشاط الذي تنتمي إليه. كما ويرتبط المفهوم بفاعلية المنظمة، والتي تحدد في ضوء قدرتها على إشباع احتياجات المتعاملين معها من عملاء ومستثمرين وفئات المجتمع الأخرى. وببساطة شديدة فإن المنظمة التي لا تنجح في إشباع احتياجات أو مقابلة توقعات عملائها أو العاملين بها أو المساهمين في ملكيتها، سوف لن تكون قادرة على تحقيق ميزة تنافسية على الشركات الأخرى. (السالم، ٢٠٠٩)

Stewart, Thomas, A., (1997), “Intellectual capital: the new wealth of organization”, Doubleday, New York.

أهمية الدراسة:

في ظل الاقتصاد الرقمي سادت المعرفة وأصبح الاهتمام برأس المال الفكري مطلباً لا يمكن التنازل عنه كونه الأساس في الإبداع والابتكار وهو القدرة المعرفية العالية لأي شركة واللاعب الأساس في بناء إستراتيجية التغيير والمحور الأساس في العملية الإنتاجية ومن ثم دعم الميزة التنافسية للشركة . إن رأس المال الفكري لا ينضب بل يزداد وذلك من خلال زيادة مهارات ومعلومات ومعارف العاملين في المنظمة، أي أن عمره الإنتاجي يتزايد بتزايد القدرات الإبداعية التي تعمل على زيادة الإتقان التكنولوجي والوظيفي ومن ثم زيادة الإنتاجية، مما يقود إلى خفض تكلفة الوحدة المنتجة أو الخدمة المقدمة ومن ثم تحقيق الميزة التنافسية وزيادة الحصة السوقية لها (الشعباني، العنزي، ٢٠١٣).

الأهمية العلمية ومنها:

- إلقاء الضوء على مفهوم وأهمية رأس المال الفكري، والتبصير بأبعاده، وبمتطلبات تطبيقه، ودوره كأهم دعائم تعظيم قيمة المنظمة والتي تفضي إلي الميزات التنافسية.
- توفير فرصة حقيقية للمنظمة للوقوف على الصورة الحقيقية لرأس مالها الفكري والتعرف على الإيجابيات وتعزيزها، والسلبيات ومحاولة تصويبها.
- إظهار مدى أهمية الميزة التنافسية في المنظمة في تحسين جودة الأداء.

الأهمية التطبيقية ومنها:

- مساعدة صناع القرار في المنظمة لتطوير الأداء المؤسسي وفق معايير جودة الأداء .

يحقق الفائدة للباحثين والمهتمين من خلال الموضوعات التي ستتناولها الدراسة .

أهداف الدراسة:

- التعرف على مستوى توافر متطلبات رأس المال الفكري بأبعاده الثلاثة (الهيكلية والبشري والعلاقات) .
 - التعرف على مستوى الميزة التنافسية لدى المؤسسة .
 - إبراز دور رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية .
 - لفت انتباه المنظمة لمدى أهمية رأس المال الفكري كمفهوم استراتيجي ومحاولة تأكيد دوره كأداة لتحقيق الميزة التنافسية .
- مشكلة الدراسة وأسئلتها:**

يعد رأس المال الفكري الثروة العلمية الكامنة في المؤسسة والقادرة على إحداث تغيرات جوهرية في عمل ومسار أي مؤسسة إذا ما تم الاهتمام بتنميته وتطويره، واستغلال هذه المؤسسة من معارف وخبرات ومهارات وبرامج وهياكل تنظيمية وعلاقات داخلية وتحالفات استراتيجية، تسهم في رفع مستوى جودة الأداء وتحقيق الميزة التنافسية. ومن هنا يمكن صياغة مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيسي التالي:

ما هو دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية؟

ويتفرع من التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هو المقصود برأس المال الفكري؟ وما مدى توفر متطلباته في المنظمة؟
- ما المقصود بالميزة التنافسية وما هي آليات تحقيقها؟
- كيف يمكن للمنظمة تحقيق الميزة التنافسية من خلال رأس مالها الفكري؟

فرضيات الدراسة:

١. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية على مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين تطبيق رأس المال الفكري وتحقيق الميزة التنافسية في البنك الفلسطيني.
٢. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) في تطبيق رأس المال البشري.
٣. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) في تطبيق رأس المال الهيكلي.

٤. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) في تطبيق رأس مال العلاقات.
٥. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) لمستوى الميزة التنافسية.
٦. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية على مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) في مدى تطبيق رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية في بنك فلسطين تبعا لمتغيرات (الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، الفئة العمرية).

حدود الدراسة:

- الحد المكاني : مدينتي طولكرم ونابلس.
- الحد الزمني : أجريت هذه الدراسة في العام ٢٠١٧م.
- الحد البشري : الموظفون في بنك فلسطين .
- الحد الموضوعي : رأس المال الفكري، الميزة التنافسية.

ثانيا.. الإطار النظري والدراسات السابقة

لقد كان الاعتقاد السائد إلى وقت قريب أن ثروات الأمم تتكون فقط من الأصول المادية الملموسة مثل الأراضي والمباني أو المعدات، وغيرها ولم تكن تولي أي اهتمام إلى مدى تأثير العنصر البشري على تكوين تلك الثروات، ولكن بدخول عصر التكنولوجيا والمعرفة أصبح العنصر البشري هو المؤثر الحقيقي في نجاح المؤسسات والمجتمعات، وتغيرت المفاهيم الاقتصادية التقليدية وبدأت في الظهور مفاهيم اقتصادية جديدة تعتمد على المعرفة، وأن الاهتمام بالعنصر البشري يؤدي مع الأصول الرأسمالية إلى زيادة قيمة الناتج الإجمالي للدول والمؤسسات (عبد الناصر نور وآخرون، ٢٠١٠).

إن الاتجاهات المعاصرة في الإدارة الحديثة تتجه نحو معالم موضوع جديد يهتم بالموجودات الفكرية أكثر من الموجودات المادية، لان الإضافة والتعظيم في الموجودات المادية يأتي بفعل توافر الموجودات، هذا الموضوع الجديد هو رأس المال الفكري. إن التسعينات من القرن العشرين بداية انتشاره حيث كان رأس مال الفكري (المعرفي) الشغل الشاغل لبحوث رجال الأعمال ، وحاول رجال الأعمال العثور على طريقة لقياسه.

ويعد RALPH STAYER مدير شركة JOHN SONVILLE للأطعمة أول من أطلق عبارة "رأس المال الفكري" في سنة ١٩٩٠ و إذ قال STAYER انه لوقت قريب كانت المصادر الطبيعية - الأرض و المعادن والأسماك - أهم مصدر للثروة القومية وأهم موجودات الشركات، ومن ثم أصبح رأس المال المتمثل بالنقد والموجودات كالمكائن و المصانع هو المهم، والآن فقد حل محلها القدرة العقلية لتكون رأس المال الفكري. إن رأس المال الفكري أصبح الآن أهم مصادر لتعظيم الموجودات الأخرى في المنظمات والشركات لأنه حفز لزيادة العائدات المادية وتحقيق البقاء (Stwerat, 1990).

مفهوم رأس المال الفكري

يمكن تعريف رأس المال الفكري على أنه المعرفة التي يمكن تحويلها إلى أرباح وبينما قد يتوافر رأس المال الفكري عبر بعض المنظمات، إلا أنه عند تعريفه بصورة دقيقة قد لا تصل إلى تعريف واضح ومحدد. فقد يطلق مسميات عديدة ومختلفة لرأس المال، فقد يسمى رأس المال البشري، رأس مال المستهلك، رأس المال الثقافي، رأس مال العلاقات، وغيرها من المسميات. وعلى النقيض من هذه القائمة المتناقضة من الأنواع المتغيرة لرأس المال، فإن هناك شبه إ اتفاق على مكونات وعناصر رأس المال الفكري والتي يمكن تشبيهها بمجموعة مترابطة ومجموعة من المعارف.

مكونات وعناصر رأس المال الفكري

يتكون رأس المال الفكري من عدد من المكونات غير المادية وهي:

١. الأصول البشرية: وهي مزيج من المعرفة، المهارات، الإبداع بالإضافة إلى الخبرة.
٢. الأصول الفكرية: وهي المعلومات، المذكرات المكتوبة، الإرشادات والمنشورات.
٣. الملكية الفكرية: وهي براءات الاختراع، وحقوق الطبع، والعلامات التجارية، والملكية الفردية.
٤. الأصول الهيكلية: وهي تشمل الثقافة، النماذج التنظيمية والعمليات، والإجراءات وقنوات التوزيع.
٥. رأس مال العلاقات: وهو يعكس طبيعة العلاقات التي تربط المنظمة بعملائها ومورديها ومنافسيها، أو أي طرف آخر يساعد في تطوير وتحويل الفكرة إلى منتج أو خدمة.

(حسن، ٢٠٠٥، ص ٣٦٦-٣٦١).

وصنف ستيفوارت رأس المال الفكري إلى المكونات التالية :

١. رأس المال الهيكلية: وهو قدرات المنظمة التنظيمية التي تنظم وتلبي متطلبات الزبائن وتساهم في نقل المعرفة وتعزيزها من خلال الموجودات الفكرية الهيكلية

المتتمثلة في نظم المعلومات، وبراءات الاختراع وحقوق النشر والتأليف، ومدى حماية العلامة التجارية التي تمثل شخصية المنظمة وقيمتها وهويتها، والتي ترجع بالفائدة للزبون وزيادة رضاه، وكذلك فائدة المنظمة لزيادة كفاءتها وفعاليتها.

٢. رأس المال البشري: وهو المصدر الأساس لتكوين وتشخيص الأفراد الذين يمتلكون المقدرة العقلية والمهارات والخبرات اللازمة لإيجاد الحلول العملية المناسبة لمتطلبات ورغبات الزبائن لأنهم مصدر الابتكار والتجديد في المنظمة .

٣. رأس مال العلاقات: يشير إلى العلاقات التي تربط المنظمة بزبائنها ومورديها وتحالفاتها الإستراتيجية.(ستيوارت، ٢٠٠٤)

أهمية رأس المال الفكري في المنظمات

تتبع أهمية رأس المال الفكري من أهمية موقع الفئة الحاملة له ، وهي فئة ذات تراكم معرفي وتجارب كبيرة لا تسمح للمنظمة فقط بتجاوز العراقيل والمشاكل التي تعيق نموها الطبيعي بل تتجاوز ذلك إلى إدخال التعديلات الجوهرية على كل شيء في أعمال المنظمة، وابتكار أعمال جديدة تسمح لها بالتكيف مع محيطها العام من جهة والبقاء في الريادة من جهة ثانية، وذلك من خلال قدراتها الابتكارية والتنظيمية وطاقاتها الإبداعية المتجددة في خلق القيمة وزيادة قدرتها التنافسية من خلال تجويد الأداء للمؤسسة. (السعيد، ٢٠٠٨).

ومن خلال وجهات النظر المختلفة لرأس المال الفكري تتضح أهمية تنمية إمكانيات الفرد المحتملة. فرأس المال الفكري أصبح من أهم الأصول غير المادية ، التي يمكن أن تحقق زيادة هائلة في إيرادات المنظمة . فالطاقات والإمكانيات الفكرية غير المستغلة في المنظمات ما زالت كثيرة عبر كل مجالات الأعمال في المنظمة . فعلى المنظمات الآن ، أن تتعلم كيف تدير وتنمي هذه الأصول للوصول بها إلى استخدام طاقاتها الفكرية والإبداعية القصوى . وهذا من خلال خلق محفظة لإدارة الأصول الفكرية . (حسن، ٢٠٠٥، ص٣٦٤) .

تتجلى أهمية رأس المال الفكري في كونه أصبح دعامة تطور لمنظمات الأعمال ونمائها ونجاحها، فكلما زادت معدلات المعرفة لدى الموظفين زادت قدراتهم العقلية والإبداعية، وهو ما يشكل ميزة تنافسية، بعد ما تبين تفوق العنصر غير الملموس لقيمة التكنولوجيا المتقدمة على القيم الحقيقية لموجوداتها الحسية كالأبنية و المعدات،

فالموجودات الحسية لشركة مثل مايكروسوفت جزء صغير جدا من تمويل السوق الخاص بها، و الفرق هو في رأسمالها الفكري (السلمي، ٢٠٠٥، ص ١١٢).

إدارة رأس المال الفكري

تتطلب إدارة رأس المال الفكري تغييرا جوهريا في نظرة المنظمة لقيمة العمل. ويعد رأس المال الفكري أو الملكية الفكرية أصلا من الأصول، والذي يتم تجاهله وإهماله بمجرد استخدامه الأساسي في تحقيق الهدف المرغوب، ثم تصنيفه كملكية فكرية، كت تحقيق علامة تجارية مميزة لمنتج معين. إذا كانت المنظمات ترغب في تحقيق أرباح من الأصول الفكرية التي تمتلكها فيجب عليها إدارة هذه الأصول بفعالية. فإدارة رأس المال الفكري أصبح هو الوسيلة التي من خلالها يمكن للمنظمة أن تبدأ في تعلم الكثير عن رأسمالها الفكري. ويمكن النظر إلى إدارة رأس المال الفكري على أنها استراتيجية النجاح في المستقبل، فمديرو الألفية الثالثة مطالبون بفهم كل من المكونات المادية الملموسة، وغير المادية، أو غير الملموسة لرأس المال الفكري، وبتنمية ممارسات إدارية تدعم " جسد المعرفة " ويقابل هؤلاء المديرون تحديا كبيرا لتنمية السلوكيات التي تقدر قيمة رأس المال الفكري، ثم تديره بعد ذلك على أنه أصل . ولكي تتم إدارة الأصول الفكرية بفعالية، لا بد من إدراك اختلاف قيمة هذه الأصول. فبعض الأصول تحتاج إلى تنميتها والاستثمار فيها، وبعضها يحتاج لوقف الاستثمار فيه ، أما البعض الآخر فقد لا يكون ذا قيمة على الإطلاق. كذلك لا بد من تنمية برامج إدارية تركز على رأس المال الفكري، لتجميع الإيرادات الناتجة من الوظائف الإدارية. ويؤدي الاستثمار في رأس المال الفكري وتنمية الأصول الفكرية إلى تحقيق بعض المنافع طويلة الأجل ومنها :-

- زيادة القدرات الإبداعية.
 - تحسين العلاقات بين العملاء والموردين.
 - مزيد من الخدمات والمنتجات.
 - تحسين الإنتاجية وزيادة الإيرادات.
 - تحسين اتجاهات العاملين والصورة الذهنية الخارجية.
- مفهوم الميزة التنافسية**

تسعى المنظمات المعاصرة في ظل البيئة شديدة التنافسية، إلى كسب ميزة تنافسية على غيرها من المنظمات العاملة في نفس النشاط وذلك من خلال إضافة قيمة للعميل وتحقيق التميز عن طريق استغلال إمكانياتها ومواردها المختلفة والتي يأتي في مقدمتها الموارد البشرية. وتؤدي إدارة الموارد البشرية دورا هاما في جعل العنصر البشري ميزة تنافسية من خلال مجموعة من الأنشطة والخطط والبرامج المرتبطة بالعنصر البشري في المنظمة.

ويعرف مايكل بورتر الميزة التنافسية أنها لا تختص بالدولة وإنما بالمنظمة. فالميزة التنافسية تنشأ أساساً من القيمة التي استطاعت منظمة ما أن تخلقها لربائنها بحيث يمكن أن تأخذ شكل أسعار أقل بالنسبة لأسعار المنافسين بمنافع متساوية، وبتقديم منافع منفردة في المنتج تعوض بشكل واسع الزيادة السعرية المفروضة أي أن الميزة التنافسية تنشأ بمجرد توصل المؤسسة إلى اكتشاف طرق جديدة أكثر فعالية من تلك المستعملة من قبل المنافسين. (Porter).

وتعرف الميزة التنافسية على أنها قدرة المؤسسة على صياغة وتطبيق الاستراتيجيات التي تجعلها في مركز أفضل بالنسبة للمؤسسات الأخرى والعاملة في نفس النشاط والتي تتحقق من خلال الاستغلال الأفضل للإمكانيات والموارد، بالإضافة إلى القدرات والكفاءات والمعرفة وغيرها التي تتمتع بها المؤسسة والى تمكنها من تصميم وتطبيق استراتيجياتها التنافسية (أبو بكر، ٢٠٠٦، ص ١٣-١٤).

عناصر الميزة التنافسية

يعتمد تحقيق الميزة التنافسية على مدى توافر العديد من العناصر وعلى طبيعة التفاعل والتكامل فيما بينها وهي :- (الرابعة، ٢٠٠٦، ص ٨).

- الموارد الطبيعية.
- رأس المال.
- التكنولوجيا.
- الموارد البشرية.

العوامل المؤثرة في إنشاء الميزة التنافسية

تنشأ الميزة التنافسية نتيجة لعوامل داخلية أو عوامل خارجية وهي :-

١. العوامل الخارجية:

تتمثل في تغير احتياجات العميل أو التغيرات التكنولوجية أو الاقتصادية أو القانونية، والتي قد تخلق ميزة تنافسية لبعض المؤسسات نتيجة لسرعة رد فعلهم على التغيرات، ويعتمد هذا على مرونة المنظمة وقدرتها على متابعة المتغيرات عن طريق تحليل المعلومات وتوقع التغيرات، ووجود نظام معلومات أصلاً.

٢. العوامل الداخلية :

وهي قدرة المنظمة على امتلاك موارد وبناء أو شراء قدرات لا تكون متوفرة لدى المنافسين الآخرين، ومن بينها الابتكار والإبداع اللذان لهما دور كبير في خلق ميزة تنافسية، ولا ينحصر الإبداع هنا في تطوير المنتج أو الخدمة، ولكنه يشمل الإبداع في الاستراتيجية والإبداع في أسلوب العمل أو التكنولوجيا المستخدمة أو الإبداع في خلق فائدة جديدة. (بلوناس، قدايفة، ٢٠٠٩).

أبعاد الميزة التنافسية

يرتبط تحقيق الميزة التنافسية ببعدين أساسيين هما القيمة المدركة للعميل وقدرة المنظمة على تحقيق التميز.

البعد الأول : القيمة المدركة للعميل

يمكن للمنظمات استغلال إمكانياتها المختلفة في تحسين القيمة التي يدركها العميل للسلع والخدمات التي تقدمها تلك المنظمات مما يساهم في بناء الميزة التنافسية لها، بحيث يدرك العملاء أنهم يحصلون من جراء تعاملهم مع المنظمة على قيمة أعلى من منافسيها. وتؤدي إدارة رأس المال الفكري دورا هاما في تدعيم مفهوم القيمة لدى العميل الذي يعد من الدعائم الأساسية لتحقيق الميزة التنافسية من خلال التركيز على مكوناتها التي تتمثل في رأس مال العلاقات.

البعد الثاني : التميز

يمكن تحقيق الميزة التنافسية أيضا من خلال عرض سلعة أو خدمة لا يستطيع المنافسون بسهولة تقليدها أو عمل نسخة منها. وهناك عدة مصادر للوصول إلى التميز، من أهمها الموارد المالية، والموارد المادية، والموارد البشرية، والإمكانيات التنظيمية. وتمثل الموارد البشرية والتي تتمثل أساسا برأس المال الفكري المصدر الثالث للتميز الذي يحقق للمنظمة الميزة التنافسية، فالعديد من المنظمات يعزى نجاحها أساسا إلى ما تملكه من مهارات وقدرات بشرية. (أبو بكر، ٢٠٠٦، ص ١٣-١٥)

أساليب تحقيق الميزة التنافسية

١. الكفاءة المتفوقة

إن أبسط قياس للكفاءة يتمثل في مقدار المدخلات المطلوبة لإنتاج مخرجات معينة، وكلما ارتفع معدل كفاءة عمليات المنظمة قلت المدخلات المطلوبة لإنتاج مخرجات معينة، ومن ثم تقل تكلفة الهيكل الإنتاجي للمنظمة.

٢. الجودة المتفوقة

إن تحقيق المنظمة لمستويات عالية من الجودة من منتجاتها وخدماتها سيزيد من قيمة هذه المنتجات والخدمات بالنسبة لعملائها، وسيتمكنها من فرض سعر أعلى لمنتجاتها مما يؤدي لتحقيق ميزة تنافسية للمنظمة بل ويمكنها من البقاء والاستمرار.

٣. الإبداع المتفوق

كل ما تقدم يتحقق من خلال تقديم منتج جديد أو العمل بأسلوب جديد مختلف عن المنافسين، ويعتبر التجديد أحد الأسس البنائية للميزة التنافسية الذي يسمح للمنظمة أن تتميز، وبالتالي تفرض أسعاراً عالية أو تخفض تكاليف إنتاجها.

٤. الاستجابة المتفوقة لحاجات الزبون

تستطيع المنظمة أن تحقق ميزة تنافسية من خلال قدرتها على تقديم وإنتاج سلع وخدمات تشبع احتياجات عملائها بشكل أفضل من منافسيها، وبالتالي سيصبح هناك مواعمة ما بين هذه السلع والخدمات مع المطالب الفردية أو الجماعية. ويمكن اعتبار الجودة والتجديد جوانب مكملة للاستجابة لحاجات الزبون. (هل وجونز، ٢٠٠١)

الاستراتيجيات العامة للتنافس

١. استراتيجية قيادة التكلفة: تركز هذه الاستراتيجية على إنتاج منتجات نمطية بتكلفة منخفضة جداً للوحدة مع المحافظة على مستوى مقبول من الجودة وتقديمها للمستهلكين الحساسين للسعر.
٢. استراتيجية التميز: وتهدف هذه الاستراتيجية لإنتاج سلع وخدمات متميزة على مستوى الصناعة ككل وتوجهها للمستهلكين غير الحساسين نسبياً للأسعار.

٣. استراتيجية التركيز: تهدف هذه الاستراتيجية إلى إنتاج سلع وخدمات تشبع حاجات مجموعات صغيره من المستهلكين بحيث تركز المنظمة على شريحة معينه من السوق وتحاول تلبية طلباتهم وبالتالي فان المؤسسة في هذه الحالة تهدف إلى تحقيق التميز في المنتجات أو السعر أو كليهما (Porter).

العلاقة بين رأس المال الفكري وتحقيق الميزة التنافسية

تواجه المنظمات العديد من التغيرات والتحديات، سواء في بيئة العمل الداخلية او الخارجية. وقد زادت هذه التغيرات من الضغوط المفروضة على المنظمة لإحداث التغيرات اللازمة لمواكبة هذه التحديات، بحيث أصبح لزاما على المنظمات التي ترغب في البقاء في مجال الأعمال أن تسعى جاهدة لتحقيق بعض المزايا التنافسية من خلال الاستغلال الأمثل للموارد البشرية والتي تعتبر من أهم موارد المنظمة بحيث تسعى المنظمة لجعل هذه الموارد أكثر كفاءة ومهارة وقدرة ومعرفة والتزاما. (حسن، ٢٠٠٥، ص ٣).

الدراسات السابقة

الدراسات المحلية والعربية

١. دراسة (عساف، ٢٠١٣) _ فلسطين بعنوان "استراتيجية مقترحة لإدارة الإبداع كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية في مؤسسات التعليم العالي".

هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع إدارة الإبداع كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية في مؤسسات التعليم العالي وذلك من وجهة نظر العاملين فيها، إن كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين تقدير أفراد العينة لواقع إدارة الإبداع كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية تعزى للمتغيرات (المؤهل العلمي، الجنس، سنوات الخدمة)، وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي بتطبيق استبانة موزعة على أربعة مجالات هي (الموارد وقدرات المؤسسة، الجودة والابتكار والتميز، التعليم المنظمي والتحسين المستمر، التكيف واستدامة الإبداع) على عينة مكونة من (١٥٤) من العاملين في مؤسسات التعليم العالي.

❖ أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١. هناك فروق ذات دلالة إحصائية لواقع الإبداع كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية تعزى للمؤهل العلمي والجنس وسنوات الخدمة.

❖ التوصيات التي قدمتها الدراسة:

١. قدمت الدراسة مقترحاً لوضع استراتيجية لإدارة الإبداع كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية في مؤسسات التعليم العالي.
٢. دراسة مسودة (٢٠١١) بعنوان "مدى توفر متطلبات رأس المال المعرفي (البشري ، الهيكلي ، الزبوني) لتحقيق الميزة التنافسية ومعوقات توفرها".

وتناولت هذه الدراسة مدى توفر متطلبات رأس المال المعرفي (البشري ، الهيكلي، الزبوني) لدى شركات الصناعة الدوائية الأردنية لتحقيق الميزة التنافسية، وتحديد أهم المعوقات التي تحول من بنائها، ودراسة طبيعة العلاقة بين مكونات رأس المال الفكري، وتكون مجتمع الدراسة من شركات الأدوية الصناعية المنتمية للاتحاد الأردني لمنتجي الأدوية التي تزاوّل عملها في إنتاج الأدوية، وتكونت عينة الدراسة من مديري الإدارة العليا في تلك الشركات.

❖ أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١. توفر متطلبات رأس المال الفكري في شركات الأدوية الصناعية الأردنية بنسبة ٨٠ %.
 ٢. توفر متطلبات رأس المال البشري والهيكلية و الزبوني بنسبة موافقة ٧٥ %، ٨١ %، ٨٥ % على التوالي.
- ❖ أهم التوصيات التي قدمتها الدراسة:

١. العمل على إزالة معيقات تحقيق الميزة التنافسية.
٢. الرقابة المستمرة على توفر متطلبات رأس المال المعرفي والعمل على تطوير أكبر لمهارات رأس المال البشري.
٣. دراسة (الدوري وبوسالم، ٢٠١١) _الجزائر بعنوان "رأس المال الفكري كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية المستدامة " دراسة ميدانية على شركة اتصالات الجزائر".

قامت هذه الدراسة بتحديد دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة في شركة الاتصالات الجزائرية، وحددت مكونات رأس المال الفكري بثلاثة أبعاد (البشري، الهيكلي، الزباني)، وقد استخدمت الدراسة استبانة لغرض جمع المعلومات من أفراد العينة البالغ عددهم (٣٨٣) فرداً.

❖ أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١. هناك دور رئيس لبعد رأس المال الهيكلي في تحقيق الميزة التنافسية نتيجة وجود بيئة تنظيمية في الشركة المبحوثة تشجع على الالتزام التنظيمي مما يجعلها تكسب ميزة تنافسية.
 ٢. غياب كامل للمحاور الأخرى (البشري، الزبائني) نتيجة عدم وجود كفايات برامج تدريبية وتعليمية تقدمها الشركة لموظفيها وضعف الاهتمام بالزبائن لنقص عنصر المنافسة في هذا القطاع في الجزائر.
- ❖ أهم التوصيات التي قدمتها الدراسة:

١. يجب على الشركة تقديم البرامج التدريبية والتطويرية لموظفيها لتنمية مهاراتهم ورفع كفاءتهم في العمل.
 ٢. يجب الاهتمام بمحور رأس مال العلاقات (الزبائني).
- الدراسات الأجنبية

١. دراسة (Italy (2013,Greco and others بعنوان "The sources of competitive advantage in University spin-offs"

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل العناصر التي تمتلكها الجامعة (University of casino) والتي تستطيع من خلالها تحقيق ميزة تنافسية مع نظرائها من الجامعات، وذلك من خلال تحليل بعض عناصر رأس المال الفكري التي تمتلكها الجامعة، وقد استخدمت الدراسة تحليل البيانات من خلال إجراء مجموعة من المقابلات مع ممثلين للجامعة والهيكلية الإدارية لها مثل: (الرئيس التنفيذي، أعضاء هيئة التدريس، مستفيدون من التعامل مع الجامعة).

❖ أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١. يوجد تحديد للإطار الذي يساهم في خلق ميزة تنافسية في الجامعة من خلال الاستفادة القصوى من ميزات رأس المال الفكري التي تمتلكها الجامعة.
 ٢. إن هذا الإطار ساهم بشكل فاعل في تطوير العمل داخل الجامعة وتحسين آلية التعامل مع المستفيدين من الجامعة الخارجيين والداخليين.
- ❖ أهم التوصيات التي قدمتها الدراسة:

١. قدمت الدراسة مقترحا لآلية التعامل والاستفادة من إمكانات الموارد البشرية وكيفية إدارة العلاقات مع العملاء.

٢. دراسة (Uganda-(Kamukama ,Ahiauzu and Ntayi,2011)
 بعنوان "Competitive advantage mediator of intellectual
 .capital and performance "

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تأثير تحقيق الميزة التنافسية للمنظمة في العلاقة ما بين رأس المال الفكري وتحسين الأداء المالي فيها، وطبقت هذه الدراسة على مؤسسات التمويل الصغيرة في أوغندا، وقد تم استخدام نظام (Med Graph Excel version) في تحليل النتائج.

❖ أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١. إن تحقيق الميزة التنافسية للمنظمة يجعل منها وسيطا مميزا بين رأس المال الفكري وتحسين الأداء بشكل عام.
 ٢. إن للميزة التنافسية في المنظمة أثرا مميزا في العلاقة بين رأس المال الفكري وتحسين الأداء المالي للمنظمة.
- ❖ أهم التوصيات التي قدمتها إليها الدراسة:

١. يجب على مؤسسات التمويل الحفاظ على جودة الأداء حتى تتمكن من تحقيق الميزة التنافسية.

٣. دراسة (Gannon et al.,2008) بعنوان "Managing intellectual
 capital for sustained competitive advantage in the Irish
 .tourism industry "

هدفت هذه الدراسة إلى تطوير إطار عمل خاص بشرح آلية انتفاع الشركات من عناصر رأس المال البشري والتنظيمي وعلاقته برأس المال الفكري لتوليد الميزة التنافسية المستدامة. انطلقت هذه الدراسة من خلال سؤالين رئيسيين تم استكشافهما فيما يتعلق بالمنظمات والميزة التنافسية السؤال الأول "لماذا تنافس بعض شركات السياحة بنجاح أكثر من غيرها ؟" والسؤال الثاني "ماذا تفعل الشركات لتعزيز والمحافظة على ميزتها التنافسية ؟". وفي ظل الاستراتيجية المطروحة، فإن توضيح الاختلاف والتميز في الأداء بين الشركات انتقل من العوامل الخارجية إلى العناصر الداخلية في الشركة والتي تمثل عنصر الإبداع في عصر المعرفة الحالي وأهميتها في تحقيق التميز التنافسي للمؤسسة.

❖ أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١. إن مصدر الميزة التنافسية المستدامة مرتبط بمدى الاستخدام الأمثل للموارد الفكرية الداخلية للمنظمة وذلك بالاعتماد على إدارة المعرفة وعملياتها.

❖ أهم التوصيات التي قدمتها الدراسة:

١. اعتماد مدخل الموارد كأساس لتحديد الموارد القيمة التي تمثل ميزة تنافسية للمنظمة.

التعقيب على الدراسات السابقة

الدراسات العربية

إن الدراسات العربية أدركت متأخرا مدى أهمية البحث في رأس المال الفكري ومجالات تنميته وتطويره وقياسه ومعرفة أثره في الأداء والميزة التنافسية للمنظمات، حيث بدأت الدراسات البحثية العربية بتناول مفهوم رأس المال الفكري وركزت عليه بالدراسة والتحليل خلال العقد الماضي فقط، في حين أن الدراسات الأجنبية قد بدأت مبكرا بالبحث والدراسة في هذا المصطلح بدراسته وتحليله وإدراك أهمية الاستثمار فيه، وذلك منذ بزوغه في بداية التسعينيات وحتى الآن. ولعل هذا السبب في ذلك أن الدول الغربية والباحثين الأجانب قد أدركوا مبكرا أهمية المعرفة والمعلومات في ظل العولمة وثورة المعلومات والاتصالات وأثرها على اقتصاديات دول العالم والمنظمات في فضاء لا تحده أي حدود حتى أصبح العالم يعيش في اقتصاد يعرف بالاقتصاد القائم على أساس المعرفة تعتبر المعلومة والمعرفة فيه سبب نجاح الأفراد والمنظمات بل المجتمع بكامله. وتتفق الدراسة الحالية مع ما ذهب إليه بعض الدراسات العربية من معرفة أثر رأس المال الفكري في تطوير الميزة التنافسية.

ركزت الدراسات العربية على أهمية الميزة التنافسية للمنظمات خصوصا في ظل الأسواق المفتوحة والتي زادت من حجم المنافسة التي بات يعيشها العالم بسبب التكنولوجيا المتقدمة والاتصالات، مما دفع الباحثين لتناول مفهوم الميزة التنافسية كعامل متغير والتركيز بالبحث على تأثير المعرفة وتكنولوجيا المعلومات باعتبارها من أهم متغيرات العصر الحالي، ودراسة أثرها على الميزة التنافسية للمنظمات، كما ركزت بعض الدراسات العربية على أهمية الموارد البشرية وما تمتلكه من مهارات ومعارف وقدرات واعتبرت أن العنصر البشري وما يملكه من معرفة هو عنصر

التميز للمؤسسة. وتتفق الدراسة الحالية مع هذا التوجه باعتبار المورد البشري مصدرا أساسيا للميزة التنافسية ، وتتفق الدراسة الحالية مع عدة دراسات عربية سابقة في تقسيم رأس المال الفكري إلى مكوناته الثلاثة (البشري، الهيكلي والعلاقات) ومعرفة أثرها في تطوير الميزة التنافسية للمؤسسات.

الدراسات الأجنبية

إن الدراسات الأجنبية ركزت على مفهوم رأس المال الفكري وأهميته وطرق قياسه وتنميته، كما تطرقت لأثره على تحسين الأداء والقيمة والميزة التنافسية، بمعنى أن الدراسات الأجنبية قد غطت أكثر من مجال في دراسة رأس المال الفكري.

يتضح من الدراسات السابقة أن رأس المال الفكري يحظى باهتمام واسع في البحث العلمي لدى الدول الأجنبية، ويظهر ذلك من عدد المراجع والكتب المتخصصة في رأس المال الفكري التي استعرضتها تلك الدراسات، بالإضافة إلى ذلك أن هناك مجلة متخصصة باللغة الانجليزية تنشر الأبحاث باللغة الانجليزية المتعلقة برأس المال الفكري وتحمل اسم "Journal of Intellectual capital".

انطلقت معظم الدراسات السابقة من خلال الموارد كأساس لتحقيق الميزة التنافسية وذلك باعتبار المعرفة الضمنية الكامنة في عقول الموارد البشرية هي أحد عناصر رأس المال الفكري وهي مصدر الميزة التنافسية للمنظمة، في حين ذهب أكثر من دراسة لاقتراح نماذج لإدارة رأس المال الفكري وصولا لتحقيق الميزة التنافسية.

ما تتميز به الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة

١. تتناول الدراسة الحالية مفهوم رأس المال الفكري بأبعاده الثلاثة البشري والهيكلية والعلاقات ودراسة أثرها في تحقيق الميزة التنافسية وتطبيق تلك الدراسة النظرية على بنك فلسطين في مدينتي طولكرم ونابلس.
٢. تتناول الدراسة الحالية مدخل الموارد كأساس لتحقيق الميزة التنافسية وذلك بتطبيق ذلك المدخل على رأس المال الفكري باعتباره موردا استراتيجيا للشركات ويمثل مصدرا مهما لتحقيق الميزة التنافسية.

ثالثاً.. منهجية الدراسة:

في ضوء طبيعة الدراسة والبيانات المراد الحصول عليها استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وذلك لأن المنهج الوصفي يدرس العلاقة بين المتغيرات، ويصف درجة العلاقة بين المتغيرات وصفاً كمياً، بحيث يكون هذا المنهج هو الأنسب لهذه الدراسة ويحقق أهدافها بالشكل الذي يضمن الدقة والموضوعية.

متغيرات الدراسة:

١. المتغير المستقل : رأس المال الفكري.

٢. المتغير التابع : الميزة التنافسية.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من جميع العاملين في بنك فلسطين في محافظتي طولكرم ونابلس والبالغ عددهم (٦٠) موظفاً و موظفة. وتكونت عينة الدراسة الفعلية من (40) موظفاً وموظفة من العاملين في بنك فلسطين، وقد تم اختيارهم بطريقة العينة القصدية غير الاحتمالية، والجدول (١) يبين خصائص عينة الدراسة والتكرارات والنسب المئوية حسب متغيراتها.

الجدول رقم (١) توزيع أفراد عينة الدراسة

المتغيرات	مستويات المتغير	التكرار	النسبة المئوية (%)
الجنس	ذكر	19	47.5
	انثى	21	52.5
	المجموع	40	١٠٠%
المؤهل العلمي	دبلوم فأقل	7	17.5
	بكالوريوس	22	55.0
	ماجستير فأعلى	11	27.5
	المجموع	40	١٠٠%

سنوات الخبرة	أقل من ٥ سنوات	14	35.0
	٥-١٠ سنوات	17	42.5
	أكثر من ١٠ سنة	9	22.5
	المجموع	40	%١٠٠
الفئة العمرية	من ٢٢ - ٣٥ سنة	21	52.5
	من ٣٦ - إلى ٤٥ سنة	13	32.5
	أكثر من ٤٥ سنة	6	15.0
	المجموع	40	%١٠٠

أداة الدراسة:

بعد إطلاع الباحث على الأدب النظري وعدد من الدراسات السابقة والأدوات المستخدمة فيها، قام الباحث بتطوير استبانة خاصة من أجل التعرف على مدى تطبيق رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية في بنك فلسطين، وقد تكونت الاستبانة في صورتها النهائية من جزأين: الأول تضمن بيانات ديمغرافية عن المفحوصين تمثلت بالجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، الفئة العمرية، أما الثاني فقد تكون من الفقرات التي تقيس مدى تطبيق رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية في بنك فلسطين، حيث بلغ عدد هذه الفقرات (٣١) فقرة. موزعة على أربعة مجالات رئيسية وهي: رأس المال البشري، رأس المال الهيكلي، رأس مال العلاقات، مستوى الميزة التنافسية. وقد تم صياغة بنود الأداة وطريقة التصحيح بحسب مقياس ليكرت (Likert Scale)، كما تم تصميم المقياس على أساس مقياس ليكرت خماسي الأبعاد، وقد بنيت الفقرات بالاتجاه الإيجابي وأعطيت الأوزان كما هو آت: موافق بشدة : خمس درجات، موافق : أربع درجات، محايد: ثلاث درجات، غير موافق: درجتين، غير موافق بشدة : درجة واحدة.

صدق الأداة:

استخرجت دلالات الصدق الظاهري للأداة عن طريق عرضها على مجموعة من المحكمين المتخصصين في الإدارة، بهدف التحقق من مناسبة الأداة لما أعدت من أجله، وسلامة صياغة الفقرات، وانتماء كل منها للمجال الذي وضعت فيه، وفي ضوء ملاحظات المحكمين تم اجراء التعديلات المناسبة. حيث توصل الباحث إلى الصياغة النهائية للأداة بأقسامها وبصورتها الحالية.

ثبات الأداة:

للتأكد من ثبات أداة الدراسة تم التحقق من خلال معادلة الفا كرونباخ ومعادلة جتمان ومعادلة التجزئة النصفية والجدول (٢) يبين ثبات مقياس الأداة:

جدول (٢) معاملات ثبات المقياس

مقياس الثبات	عدد العبارات	الثبات	الترتيب
معادلة الفا كرونباخ	٣١	0.79	1
معادلة جتمان	٣١	0.77	2
معادلة التجزئة النصفية	٣١	0.70	3

يتضح من الجدول رقم (٢) أن معاملات ثبات الأداة كانت مناسبة حيث بلغ معامل الثبات (٠,٧٩) حسب معادلة الفا كرونباخ (Cronbach's Alpha) وبلغ (٠,٧٠) حسب معادلة التجزئة النصفية (Split-Half) وبلغ (٠,٧٧) حسب معادلة (Guttman)، وهذا يدل على أن الاداة تتمتع بدرجة مقبولة من الثبات يمكن الاعتماد عليها في التطبيق النهائي للدراسة، وهي نسب أعلى من الحد الأدنى المقبول وهو (٦٠ %)، وبالتالي هي نسبة كافية من الناحية الإحصائية للاستمرار في إجراءات البحث، وبذلك يكون قد تم التأكد من صدق وثبات استبانة البحث، مما يجعل الباحث على ثقة بصحة الاستبانة وصلاحياتها لتحليل النتائج.

إجراءات الدراسة:

قد تم تنفيذ الدراسة وفق الخطوات الآتية:

١. مرحلة جمع البيانات الثانوية: تم جمع البيانات الثانوية من العديد من المصادر الثانوية كالكتب والمقالات والتقارير والرسائل الجامعية وغيرها، وذلك من أجل وضع الإطار النظري لهذه الدراسة، والاستعانة بها في بناء أدواتها وتوظيفها في الوصول الى نتائج الدراسة لاحقاً.
٢. مرحلة جمع البيانات الأولية: بعد أن تم الانتهاء من تصميم الاستبانة ومراجعتها والتأكد من صدقها وثباتها، تم توزيعها على أفراد عينة الدراسة، وذلك من أجل الوصول إلى حجم معلومات كافية للإجابة عن أسئلة الدراسة والوصول الى الأهداف المحددة.
٣. بعد الانتهاء من الفترة الزمنية المتفق عليها اللازمة لتعبئة الاستبانة، تم القيام بعملية جمعها، ومن ثم مراجعتها للتأكد من مدى صلاحيتها للتحليل، واستبعاد ما لم تصلح منها.
٤. مرحلة إدخال البيانات: قام الباحث بإدخال البيانات التي تم جمعها من خلال الاستبانة الى جهاز الحاسوب باستخدام الحزمة الإحصائية للدراسات الاجتماعية (spss)، ومن ثم تصنيف البيانات من أجل تجهيزها لعملية التحليل.
٥. مرحلة معالجة البيانات: تم تحليل البيانات للحصول على معلومات عن متغيرات الدراسة التابعة والمستقلة، والقيام بالتحليلات الإحصائية التي تجيب عن أسئلة الدراسة واختبار الفرضيات وذلك تحقيقاً لأهداف الدراسة.
٦. مرحلة مناقشة النتائج: قام الباحث بمناقشة النتائج التي تم الحصول عليها من خلال تحليل البيانات، وذلك من أجل توضيح النتائج التي حصل عليها الباحث والتي تخص تحليل مدى تطبيق رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية في بنك فلسطين.

المعالجة الإحصائية :

لاختبار فرضيات الدراسة تم تفرغ البيانات في الحاسوب، ثم تحليل النتائج ومعالجتها باستخدام مجموعة من الاساليب الإحصائية المناسبة باستخدام الرزمة الإحصائية للعلوم الإنسانية (SPSS) على النحو التالي:

١. المتوسطات الحسابية والنسب المئوية واختبار (ت) للعينة المستقلة (One-Sample T-Test) لفحص فرضيات الدراسة.

٢. تحليل التباين المتعدد لفحص الفرضيات المتعلقة بمتغيرات الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، الفئة العمرية.
٣. معادلة الفا كرونباخ ومعادلة جتمان ومعادلة التجزئة النصفية لقياس الثبات.
٤. اختبار كولوم جروف-سمرنوف لمعرفة نوع البيانات هل تتبع التوزيع الطبيعي أم لا (١-Sample K-S).
٥. معامل ارتباط بيرسون.

ثالثاً.. نتائج الدراسة:

اختبار التوزيع الطبيعي (اختبار كولمجروف - سمرنوف) (1-Sample K-S)

يستخدم اختبار كولمجروف - سمرنوف لمعرفة هل البيانات تتبع التوزيع الطبيعي أم لا وهو اختبار ضروري في حالة اختبار الفرضيات لأن معظم الاختبارات المعلمية تشترط أن يكون توزيع البيانات طبيعياً، ويوضح جدول رقم (٣) نتائج اختبار كولمجروف- سمرنوف لمعرفة هل البيانات تتبع التوزيع الطبيعي أم لا، وذلك لتحديد الاختبارات الإحصائية المناسبة لكل حالة (اختبارات معلمية- اختبارات لا معلمية) حيث يتبين أن قيمة مستوى المعنوية لكل من مجالات الدراسة أكبر من ٠,٠٥ ($sig. > 0.05$) وهذا يدل على أن البيانات تتبع التوزيع الطبيعي ويجب استخدام الاختبارات المعلمية :

جدول رقم (٣) اختبار التوزيع الطبيعي (1-Sample K-S)

المجال	عنوان المجال	عدد الفقرات	قيمة الاختبار Z	مستوى المعنوية
الأول	رأس المال البشري	9	٠.711	٠.61
الثاني	رأس المال الهيكلي	7	1.145	٠.84
الثالث	رأس مال العلاقات	٨	٠.811	٠.52
الرابع	مستوى الميزة التنافسية	7	1.060	٠.31

النتائج الإحصائية المتعلقة بفرضيات الدراسة:

للإجابة عن أسئلة الدراسة تم وضع الفرضيات المناسبة المرتبطة بكل سؤال من أسئلة الدراسة الفرعية، ليتم بعد ذلك اختبار هذه الفرضيات وتحليل نتائجها باستخدام برنامج الرزم الإحصائية (SPSS)، وللتحقق من صحة فرضيات الدراسة تم استخدام اختبار T للمجتمع الواحد (One Sample T test) لتحليل فقرات الاستبانه ومجالاتها، بحيث تم استخراج النسبة المئوية التقديرية لبدائل كل فقرة، وكذلك المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة "ت" المحسوبة من العينة ومستوى الدلالة المحسوب لكل فقرة، وترتيب الفقرات حسب قيمة متوسطاتها الحسابية ونسبتها المئوية، وتكون الفقرة ايجابية بمعنى أن أفراد العينة يوافقون على محتواها إذا كانت القيمة المطلقة لقيمة (t) المحسوبة أكبر من قيمة (t) الجدولية، والتي تساوي في هذه الدراسة (١,٩٨) عند درجة حرية (٢٠١١) ومستوى معنوية (٠,٠٥) (أو مستوى المعنوية أقل من ٠,٠٥ والوزن النسبي أكبر من ٦٠ %)، وتكون الفقرة سلبية بمعنى أن أفراد المجتمع لا يوافقون على محتواها إذا كانت القيمة المطلقة لقيمة (t) المحسوبة أصغر من القيمة المطلقة لقيمة (t) الجدولية، (أو مستوى المعنوية أقل من ٠,٠٥) والوزن النسبي أقل من ٦٠ % وتكون آراء المجتمع في الفقرة محايدة، إذا كان مستوى المعنوية أكبر ٠,٠٥ والوزن النسبي يساوي ٦٠ %.

نتائج الفرضية الأولى:

ونصت الفرضية الأولى على أنه: لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية على مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين تطبيق رأس المال الفكري وبين تحقيق الميزة التنافسية في بنك فلسطين. ومن أجل الإجابة عن السؤال تم استخدام معامل ارتباط بيرسون والجدول (٤) يبين ذلك:

جدول (٤) نتائج معامل ارتباط بين تطبيق رأس المال الفكري وبين تحقيق الميزة التنافسية.

تطبيق رأس المال الفكري		تحقيق الميزة التنافسية		معامل ارتباط بيرسون	مستوى الدلالة
المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	0.393*	0.01**
4.1629	0.32867	4.2214	0.44351		

*دال إحصائيا عند مستوى ($\alpha \leq 0,05$) **دال إحصائيا عند مستوى ($\alpha \leq 0,01$)

يتضح من الجدول (٤) وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية على مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين تطبيق رأس المال الفكري وبين تحقيق الميزة التنافسية ، حيث بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون بينهما (٠,٣٩٣) بينما بلغت قيمة مستوى الدلالة المحسوب من العينة (٠,٠١) وهي أقل من مستوى الدلالة المحدد للدراسة ($\alpha \leq 0,05$)، وعليه فقد تم رفض الفرضية الصفرية، وقد كانت هذه العلاقة طردية إيجابية، أي أنه وكلما ازداد تطبيق رأس المال الفكري ازداد تحقيق الميزة التنافسية.

نتائج الفرضية الثانية:

ونصت الفرضية الثانية على أنه: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) في تطبيق رأس المال البشري. من أجل اختبار الفرضية الأولى تم استخدام اختبار T للمجتمع الواحد (One Sample T test) واستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسبة المئوية التقديرية لرأس المال البشري، وكانت النتائج كما في الجدول (٥):

جدول (٥): نتائج اختبار (ت) والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والنسب المئوية لرأس المال البشري.

الترتيب	مستوى الدلالة	قيمة (ت)	النسبة المئوية التقديرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرة	التسلسل
1	*0.00	49.960	98.00	0.30382	4.9000	يتوفر لدى موظفي البنك المعرفة اللازمة لأداء مهامهم بأفضل وجه	١
3	*0.00	12.338	89.50	1.01242	4.4750	يتشارك الموظفون في المعرفة من خلال ما يقدمه الموظفون القدامى من خبرات لازمة للموظفين الجدد	٢

٣	يمتلك الموظفون في البنك خبرة عالية في مجال أعمالهم المخصصة لهم	4.7000	0.46410	94.00	29.981	*0.00	2
٤	الموظفون متحفزون وملتزمون بالمشاركة في الأفكار الجديدة للخدمات التي يقدمها البنك	4.4250	0.78078	88.50	15.593	*0.00	4
٥	لا يتكرر وقوع الموظفين في نفس الأخطاء عند أداء مهامهم	4.0750	0.97106	81.50	10.258	*0.00	5
٦	يعمل البنك على تعزيز الجهود للحفاظ على العاملين ذوي القدرات الإبداعية المميزة	4.0750	0.82858	81.50	12.022	*0.00	6
٧	يمتلك موظفو البنك المعرفة التامة والمحدثة باستمرار عن الخدمات التي يقدمها البنك	4.0250	1.04973	80.50	9.188	*0.00	8
٨	تميل الإدارة العليا إلى اللامركزي وتفويض السلطة للمستويات الأقل	3.9750	0.83166	79.50	11.217	*0.00	9

٩	يستخدم البنك قواعد بيانات متكاملة ومتاحة للوحدات والدوائر المختلفة في البنك	4.0500	٠.78283	81.00	12.523	*0.00	7
	الدرجة الكلية لرأس المال البشري	4.3000	٠.48608	86.00	23.420	*0.00	

*دال إحصائيا عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$)

يتضح من خلال الجدول (٥) أن قيمة مستوى الدلالة المحسوب من العينة كانت دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) على الفقرات (١-9)، وعلى الدرجة الكلية لرأس المال البشري حيث بلغت قيمة مستوى الدلالة المحسوب من العينة على التوالي (٠,٠٠) ويعني ذلك رفض الفرضية الصفرية على هذه الفقرات وعلى الدرجة الكلية، وقد حصلت الفقرة (١) على درجة مرتفعة جدا وعلى الترتيب الأول حيث بلغت النسبة المئوية التقديرية لاستجابات المبحوثين عليها (98%) ويعني ذلك بأنه يتوفر لدى موظفي البنك المعرفة اللازمة لأداء مهامهم بأفضل وجه، وقد حصلت الفقرة (٨) على درجة مرتفعة وعلى الترتيب الأخير حيث بلغت النسبة المئوية التقديرية لاستجابات المبحوثين عليها (٧٩,٥٠%) ويعني ذلك بأن الإدارة العليا تميل إلى الأسلوب اللامركزي وتفويض السلطة للمستويات الأقل. وبشكل عام، يتضح أن درجة الكلية لتطبيق رأس المال البشري كانت مرتفعة جدا حسب رأي المبحوثين وبمتوسط حسابي كلي (٤,٣٠٠٠) وانحراف معياري (٠,٤٨٦٠٨)، ومستوى دلالة (٠,٠٠) وبنسبة مئوية تقديرية بلغت (٨٦%). ويعني ذلك رفض الفرضية الصفرية بمعنى وجود تطبيق لرأس المال البشري في بنك فلسطين.

نتائج الفرضية الثالثة:

ونصت الفرضية الثالثة على أنه: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) في تطبيق رأس المال الهيكلي.

من اجل اختبار الفرضية الأولى تم استخدام اختبار T للمجتمع الواحد (One Sample T test) واستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسبة المئوية التقديرية لرأس المال الهيكلي، وكانت النتائج كما في الجدول (٦):

جدول (٦): نتائج اختبار (ت) والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والنسب المئوية لرأس المال الهيكلي.

الترتيب	مستوى الدلالة	قيمة (ت)	النسبة المئوية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرة	التسلسل
2	*0.00	14.877	83.50	0.71208	4.1750	يحرص البنك على التطوير المستمر للعمليات الإدارية بشكل مستمر يحقق التميز	١٠
6	*0.00	12.566	80.50	0.76753	4.0250	يسعى البنك إلى استقطاب الموارد البشرية ذات القدرات الإبداعية والمهارات التقنية	١١
1	*0.00	15.641	84.50	0.69752	4.2250	يوفر البنك الموازنة المخصصة لتدريب وتطوير مهارات وكفاءات الموظفين فيها	١٢

١٣	يتطور البنك ويعيد تنظيم نفسه بشكل مستمر بما يتناسب مع البيئة التنافسية المحيطة له	4.1250	0.64798	82.50	15.861	*0.00	4
١٤	الهيكل التنظيمي للبنك يضمن تدفق وسريان المعرفة لجميع المستويات الإدارية	4.0500	0.78283	81.00	12.523	*0.00	5
١٥	يقوم البنك بتنفيذ برامج التدريب اللازمة على استخدام التكنولوجيا الحديثة	4.1500	0.66216	83.00	15.760	*0.00	3
١٦	يشجع البنك التطور العلمي والثقافي للموظفين من خلال برامج التدريب التي تقدمها لهم	4.0250	0.86194	80.50	11.190	*0.00	7
	الدرجة الكلية لرأس المال الهيكلي	4.1107	0.44767	82.21	22.756	*0.00	

*دال إحصائي عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$)

يتضح من خلال الجدول (٦) أن قيمة مستوى الدلالة المحسوب من العينة كانت دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) على الفقرات (10-16)، وعلى الدرجة الكلية لرأس المال الهيكلي حيث بلغت قيمة مستوى الدلالة المحسوب من العينة على التوالي (0,00) ويعني ذلك رفض الفرضية الصفرية على هذه الفقرات وعلى الدرجة الكلية، وقد حصلت الفقرة (12) على درجة مرتفعة جداً وعلى الترتيب الأول حيث بلغت النسبة المئوية التقديرية لاستجابات المبحوثين عليها (84.50%) ويعني ذلك يوفر البنك الموازنة المخصصة لتدريب وتطوير مهارات وكفاءات الموظفين فيها، وقد حصلت الفقرة (16) على درجة مرتفعة جداً وعلى الترتيب الأخير حيث بلغت النسبة المئوية التقديرية لاستجابات المبحوثين عليها (80,50%) ويعني ذلك أن البنك يشجع التطور العلمي والثقافي للموظفين من خلال برامج التدريب التي يقدمها لهم وبشكل عام، يتضح أن درجة الكلية لتطبيق رأس المال الهيكلي كانت مرتفعة جداً حسب رأي المبحوثين وبمتوسط حسابي كلي (4,1107) وانحراف معياري (0,44767)، ومستوى دلالة (0,00) ونسبة مئوية تقديرية بلغت (82.21%) ويعني ذلك رفض الفرضية الصفرية بمعنى وجود تطبيق لرأس المال الهيكلي في بنك فلسطين.

نتائج الفرضية الرابعة:

ونصت الفرضية الرابعة على أنه: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) في تطبيق رأس مال العلاقات. وقد تم استخدام اختبار T للمجتمع الواحد (One Sample T test) لاختبار الفرضية، واستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسبة المئوية التقديرية لرأس مال العلاقات، وكانت النتائج كما في الجدول (٧):

جدول (٧): نتائج اختبار (ت) والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والنسب المئوية لرأس مال العلاقات.

الترتيب	مستوى الدلالة	قيمة (ت)	النسبة المئوية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرة	التسلسل
5	*0.00	9.742	81.50	1.02250	4.0750	يمنح البنك عملاءه الدائمين مزايا إضافية تميزهم عن العملاء العاديين	١٧
6	*0.00	9.410	80.50	1.02501	4.0250	يقوم البنك بعمل مسح دوري للبيئة التنافسية للتعرف على الخدمات التي يقدمها المنافسون بهدف إدخال التحسينات	١٨
3	*0.00	10.490	83.50	1.00989	4.1750	يقوم البنك بعمل دراسات استطلاعية مستمرة للتعرف على رغبات العملاء واحتياجاتهم المتنوعة	١٩
1	*0.00	11.185	86.00	1.01779	4.3000	يوفر البنك لعملائه طلب أو تفعيل أو إلغاء الخدمات الكترونيا	٢٠
4	*0.00	13.035	81.50	0.76418	4.0750	البنك قادر على التعلم وإضافة قيمة له من خلال التحالفات الإستراتيجية	٢١

٢٢	أشعر أن عملاء البنك موالون له وراضون عنه بصفة عامة	3.7750	0.73336	75.50	10.996	*0.00	8
٢٣	نسبة عالية من أعمال الشركة تعتمد على التحالفات الإستراتيجية مع مؤسسات أخرى	3.9500	0.84580	79.00	10.842	*0.00	7
٢٤	يملك البنك وحدة مخصصة لتسويق الخدمات	4.2500	0.74248	85.00	14.907	*0.00	2
الدرجة الكلية لرأس مال العلاقات		4.0781	0.55951	81.56	17.839	*0.00	

*دال إحصائيا عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$)

يتضح من خلال الجدول (٧) أن قيمة مستوى الدلالة المحسوب من العينة كانت دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) على الفقرات (١٧-٢٤)، وعلى الدرجة الكلية لدرجة رأس مال العلاقات حيث بلغت قيمة مستوى الدلالة المحسوب من العينة على التوالي (٠,٠٠) ويعني ذلك رفض الفرضية الصفرية على هذه الفقرات وعلى الدرجة الكلية، وقد حصلت الفقرة (20) على درجة مرتفعة جدا وعلى الترتيب الأول حيث بلغت النسبة المئوية التقديرية لاستجابات المبحوثين عليها (٨٦%) ويعني ذلك بأن البنك يوفر لعملائه طلب أو تفعيل أو إلغاء الخدمات الكترونيا، وقد حصلت الفقرة (٢٢) على درجة مرتفعة وعلى الترتيب الاخير حيث بلغت النسبة المئوية التقديرية لاستجابات المبحوثين عليها (٧٥,٥٠%) ويعني ذلك الموظف يشعر أن عملاء البنك موالون له وراضون عنه بصفة عامة. وبشكل عام، يتضح أن الدرجة الكلية لتطبيق رأس مال العلاقات كانت مرتفعة جدا حسب رأي المبحوثين وبمتوسط حسابي كلي (٤,٠٧٨١) وانحراف معياري (٠,٥٥٩٥١)، ومستوى دلالة (٠,٠٠) وبنسبة مئوية

تقديرية بلغت (81.56%). ويعني ذلك رفض الفرضية الصفرية بمعنى وجود تطبيق لرأس مال العلاقات في بنك فلسطين .

نتائج الفرضية الخامسة:

ونصت الفرضية الخامسة على أنه: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) لمستوى الميزة التنافسية. من اجل اختبار الفرضية الأولى تم استخدام اختبار T للمجتمع الواحد (One Sample T test) واستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسبة المئوية التقديرية لمستوى الميزة التنافسية، وكانت النتائج كما في الجدول (٨)

جدول (٨): نتائج اختبار (ت) والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والنسب المئوية لمستوى الميزة التنافسية.

الترتيب	مستوى الدلالة	قيمة (ت)	النسبة المئوية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرة	التسلسل
4	*0.00	14.214	84.50	0.76753	4.2250	يملك الموظفون المعرفة التامة للإجابة عن أسئلة العملاء	٢٥
3	*0.00	16.574	86.00	0.68687	4.3000	يسعى البنك بشكل دائم لتطبيق التقنيات الحديثة	٢٦
7	*0.00	10.902	82.00	0.92819	4.1000	يركز البنك على حاجات العملاء وتجسيدها بخدمات	٢٧
6	*0.00	12.081	83.00	0.86380	4.1500	متطورة تحاكي توقعاتهم	٢٨

٢٩	يتضمن نظام الرقابة الداخلية في البنك فحص وتقييم كفاءة العمليات	4.1750	0.71208	83.50	14.877	*0.00	5
٣٠	يسعى البنك لتبني كل الطرق والاستراتيجيات الكفيلة بتطوير كفاءة العمليات فيه	4.3000	0.93918	86.00	12.121	*0.00	2
٣١	يخصص البنك وحدة خاصة بالتواصل الفردي مع العملاء والتعرف على آرائهم واقتراحاتهم	4.3000	1.01779	86.00	11.185	*0.00	1
	الدرجة الكلية لمستوى الميزة التنافسية	4.2214	0.44351	84.43	24.548	*0.00	

*دال إحصائي عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)

يتضح من خلال الجدول (٨) أن قيمة مستوى الدلالة المحسوب من العينة كانت دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) على الفقرات (٢٥-31)، وعلى الدرجة الكلية لمستوى الميزة التنافسية حيث بلغت قيمة مستوى الدلالة المحسوب من العينة على التوالي (٠,٠٠) ويعني ذلك رفض الفرضية الصفرية على هذه الفقرات وعلى الدرجة الكلية، وقد حصلت الفقرة (31) على درجة مرتفعة جداً وعلى الترتيب الأول حيث بلغت النسبة المئوية التقديرية لاستجابات المبحوثين عليها (٨٦%) ويعني ذلك بان البنك يخصص وحدة خاصة بالتواصل الفردي مع العملاء والتعرف على آرائهم واقتراحاتهم، وقد حصلت الفقرة (٢٧) على درجة مرتفعة جداً وعلى الترتيب الأخير حيث بلغت النسبة المئوية التقديرية لاستجابات المبحوثين عليها (٨٢%) ويعني ذلك

بان البنك يركز على حاجات العملاء وتجسيدها بخدمات. وبشكل عام، يتضح أن درجة مستوى الميزة التنافسية كانت مرتفعة جدا حسب رأي المبحوثين وبمتوسط حسابي كلي (٤,٢١٤) وانحراف معياري (٠,٤٤٣٥١)، ومستوى دلالة (٠,٠٠) ونسبة مئوية تقديرية بلغت (84.43%). ويعني ذلك رفض الفرضية الصفرية بمعنى وجود الميزة التنافسية في بنك فلسطين .

نتائج الفرضية السادسة:

ونصت الفرضية السادسة على أنه : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية على مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) في مدى تطبيق رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية في بنك فلسطين تبعا لمتغيرات (الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، الفئة العمرية). ولاختبار هذه الفرضية فقد تم استخدام أسلوب تحليل التباين المتعدد Analysis of Varianle وبيين الجدول رقم (٩) نتائج تحليل التباين لمدى تطبيق رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية في بنك فلسطين بحسب متغيرات (الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، الفئة العمرية).

جدول (٩) يبين نتائج تحليل التباين لمدى تطبيق رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية في بنك فلسطين بحسب متغيرات (الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، الفئة العمرية).

مصدر التباين	مجموع الانحرافات	مربعات الحرية	متوسط مجموع مربعات الانحرافات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
	SS	DF	MS		
الجنس	0.419	1	0.419	1.126	0.17
المؤهل العلمي	0.022	2	0.011	0.137	0.87
سنوات الخبرة	0.087	2	0.043	0.530	0.59
الفئة العمرية	0.308	2	0.154	1.880	0.16

الخطأ (البواقي)	2.618	32	0.082		
الكلي	701.770	40			

يتضح من الجدول (٩) أن قيمة مستوى الدلالة المحسوب من العينة على متغيرات الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، الفئة العمرية، قد بلغت على التوالي (٠,١٧، ٠,٨٧، ٠,٥٩، ٠,١٦) وهذه القيم أكبر من قيمة مستوى الدلالة المحدد للدراسة ($\alpha \leq 0,05$) أي أننا نقبل الفرضية الصفرية على هذه المتغيرات. ويعني ذلك عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية على مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) في مدى تطبيق رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية في بنك فلسطين تبعاً لمتغيرات الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، الفئة العمرية.

رابعاً.. النتائج والتوصيات:

النتائج:

اعتماداً على الدراسة الميدانية ومناقشة تحليل البيانات ومتغيرات الدراسة، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

١. تتوفر متطلبات رأس المال الفكري لدى بنك فلسطين ويسهم توافر تلك المتطلبات في امتلاك البنك لرأس مال فكري متميز.
٢. العلاقة بين رأس المال الفكري والميزة التنافسية كانت طردية إيجابية، أي أنه كلما ازداد تطبيق رأس المال الفكري ازداد تحقيق الميزة التنافسية.
٣. تتوفر متطلبات رأس المال البشري لدى بنك فلسطين بنسبة (٨٦%)، ويسهم توافر الأبعاد المكونة له في امتلاك البنك لرأس مال بشري متميز وتحديدًا من خلال ما يمتلكه العاملون من مهارات وقدرات وخبرات عملية.
٤. تتوفر متطلبات رأس المال الهيكلي لدى بنك فلسطين بنسبة (٨٢,٢١%)، ويسهم توافر الأبعاد المكونة له في امتلاك البنك لرأس مال هيكلي متميز، وتحديدًا من خلال الجهود المخططة لتطوير وتحديث نظم المعلومات وقواعد البيانات بالبنك.
٥. تتوفر متطلبات رأس مال العلاقات لدى بنك فلسطين بنسبة (٨١,٥٦%)، ويسهم توافر الأبعاد المكونة له في امتلاك الشركة لرأس مال علاقات متميز، وتحديدًا من خلال ما يحتفظ به البنك من علاقات متميزة مع عملائه.

٦. لدى بنك فلسطين مستوى مرتفع من الميزة التنافسية بنسبة (٨٢%)، وذلك من خلال الأبعاد الأربعة المكونة لمستوى الميزة التنافسية.
٧. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مدى تطبيق رأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية في بنك فلسطين تعزى لمتغيرات (الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة ، الفئة العمرية).

التوصيات:

من خلال أدبيات الدراسة التي تم استعراضها، بالإضافة إلى الجانب العملي وما تم التوصل إليه من نتائج، لخص الباحث التوصيات التالية:

١. ضرورة التعامل مع رأس المال الفكري على أنه مورد رئيسي واستراتيجي من بين الموارد المختلفة التي يمتلكها البنك، والحفاظ عليه وتطويره بشكل مستمر، والتأكيد على أهميته ودوره في نجاح البنك وتحقيق الميزة التنافسية له، وخاصة في ظل ثورة المعلومات وانفتاح العالم بالمعلومات والمعرفة.
٢. ضرورة أن تترك الإدارة العليا مكانة ودور المعرفة في البنك، وكيف تسهم انتقال المعرفة ومشاركتها بين العاملين في تطوير وتحسين أدائهم، بما ينعكس على امتلاك البنك لرأس مال بشري متميز.
٣. ضرورة إجراء تقييم دوري للمعرفة لدى الموظفين في البنك.
٤. من الضروري بذل جهود مكثفة ومتواصلة لدعم وتعزيز الجهود والنشاطات الرامية إلى إثراء وتعزيز معرفة البنك بالعملاء والمنافسين والسوق وغيرها من العناصر والأطراف ذات العلاقة بالبنك.
٥. ضرورة أن تولي إدارة البنك أهمية أكبر فيما يتعلق بالمتابعة المستمرة للتعرف على الحاجات المتغيرة للعملاء والعمل على تلبيتها وإشباعها وسرعة الاستجابة لها.
٦. تشجيع التعاون وإقامة المزيد من التحالفات الإستراتيجية والاحتفاظ بها، ومحاولة الاستفادة من إمكانياتها وخبراتها وبما يسهم في تعزيز رأس مال العلاقات لدى الشركة.
٧. ضرورة أن يقوم البنك بدعم وتشجيع عمليات الإبداع والابتكار وذلك من خلال تجريب الأفكار والحلول الابتكارية التي يقدمها العاملون ووضعها موضع التنفيذ.

المراجع والملاحق

أولا : المراجع العربية

- أبو بكر، مصطفى محمود (٢٠٠٦م)، الموارد البشرية، مدخل لتحقيق الميزة التنافسية الإسكندرية، الدار الجامعية.
- بلوناس، عبد الله وأمينة قذايفة (٢٠٠٩م) دراسة بعنوان " دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية لمنظمات الأعمال "المؤتمر العلمي الثالث " إدارة منظمات الأعمال: التحديات العالمية المعاصرة"،كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، الأردن، رسالة ماجستير منشورة، متاح على موقع www.library.iugaza.edu.ps
- حسن، رابوية (٢٠٠٥ م)، مدخل استراتيجي لتخطيط وتنمية الموارد البشرية، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية.
- الدوري، زكريا وبوسالم، أبو بكر (٢٠١١م) " رأس المال الفكري كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية المستدامة " دراسة ميدانية على شركة اتصالات الجزائر"، بحث مقدم لمؤتمر رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية في الاقتصاديات الحديثة، الجزائر، جامعة السلف.
- ربابعة، علي محمد (٢٠٠٦م)، إدارة الموارد البشرية، تخصص نظم المعلومات الإدارية، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع.
- السالم، مؤيد سعيد (٢٠٠٩م)، كتاب أساسيات الإدارة الإستراتيجية، جامعة قطر.
- السعيد، هاني محمد (٢٠٠٨م)، "رأس المال الفكري، انطلاقة إدارية معاصرة"، القاهرة، متاح على الإنترنت على موقع "مدونة الهرم الإداري" www.alhussini.blogspot.com
- السلمي، علي(٢٠٠٥م)، إدارة الموارد البشرية، القاهرة.
- الشعباتي، صالح إبراهيم، العنزي، سعد خليل (٢٠١٣م) دراسة استطلاعية في عينة من الشركات الصناعية في محافظة نينوى بعنوان "دور المعلومات الكفوية لرأس المال الفكري في دعم الميزة التنافسية للشركات"، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد ٢٥. متاح على الإنترنت على موقع www.ecoadmin-mag.com
- عساف، محمود عبد المجيد(٢٠١٣م)، إستراتيجية مقترحة لإدارة الإبداع كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية في مؤسسات التعليم العالي.
- مسودة، سناء (٢٠١١م)، "مدى توفر متطلبات رأس المال المعرفي لتحقيق الميزة التنافسية ومعوقات توفرها - دراسة ميدانية في قطاع الصناعات الدوائية الأردنية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، العلوم الإنسانية، المجلد ٢٥ .
- نور، عبد الناصر، القشي، ظاهر، قراقيش ، جهاد(٢٠١٠م)، رأس المال الفكري: الأهمية والقياس والإفصاح، دراسة فكرية من وجهات نظر متعددة، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعية، العدد ٢٥، متاح على الإنترنت على موقع www.alqashi.com
- يحيضية، سملالي (٢٠٠٤ م)، دراسة بعنوان "التسيير الاستراتيجي لرأس المال الفكري والميزة التنافسية المستدامة للمؤسسة الاقتصادية، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر،

جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السادس. متاح على الإنترنت على موقع

www.webreview.dz

المراجع الأجنبية

- Gannon , C , Lynch ,p & Harrington , D (2008) study " Managing intellectual capital for sustained competitive advantage in the Irish tourism industry " , Waterford institute of technology (WIT) , tourism and hospitality research in Ireland conference (THRIC) ,16th_17th June2009.

- Greco, Marco, Grimald,MicheleScarabotti,laura and Schiraldi , Massimiliano Maria(2013) " The source of competitive advantage in University Spin : A case study, journals of technology management & innovation , vol 8(3).

- Kamukama , Nixon , Ahiauza , Augustine and Natyi Joseph (2011) " Competitive advantage ;mediator of intellectual capital and performance " _ journal of intellectual capital , vol 12(1).

- Ulrich,(1998), "a new manages for human resources", USA,Harvard business review.

- Stwerat, T.A (1990) , Intellectual Capital , The New Wealth of Organizations , Doubleday Currency ,New York .

- بورتر، مايكل، الإستراتيجية التنافسية "أساليب تحليل الصناعات والمنافسين"، كتاب متاح على موقع ar.wikipedia.org

- تشارلز، هل، وجاريت جونز (٢٠٠١م) إدارة الإستراتيجية: مدخل متكامل، ترجمة رفاعي، رفاعي محمد، السعودية: دار المريخ، رسالة ماجستير منشورة على موقع www.library.iugaza.edu.ps

- ستيوارت، توماس (٢٠٠٤م)، كتاب ثورة المعرفة، رأس المال الفكري ومؤسسة القرن الحادي والعشرين) متاح على موقع المنتدى العربي للموارد البشرية www.hrdiscuusion.com

المواقع على شبكة الإنترنت

❖ <http://www.webreview.dz/IMG/pdf/7-19.pdf>

تصفح بتاريخ ٢٠١٧/٤/١٠

❖ www.damascusuniversity.edu

تصفح بتاريخ ٢٠١٧/٣/٧

❖ [http://ecoadmin-mag.com/203-](http://ecoadmin-mag.com/203-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF%2095.html)

[.%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF%2095.html](http://ecoadmin-mag.com/203-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF%2095.html)

تصفح بتاريخ ٢٠١٧/٤/٩

❖ <https://hrdiscussion.com/hr95628.html>

تصفح بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٦

❖ www.library.iugaza.edu.ps

تصفح بتاريخ ٢٠١٧/٢/٤

❖ www.alqashi.com

تصفح بتاريخ ٢٠١٧/٢/٤

❖ www.alhussini.blogspot.com

تصفح بتاريخ ٢٠١٧/٢/٣

❖ <https://ar.wikipedia.org>

تصفح بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٩

أثر استخدام استراتيجية الذكاءات المتعددة في تنمية

المهارات الجغرافية لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي

The Effect of Using a Multi-Levels Intelligence Strategy In Developing The Geographical Skills For The Primary School Pupils

م.د. عبدالله فرحان عبدالله

م.د. محمد مجيد عزيز

وزارة التربية

Assist.D: Abdullah Farhan Abdullah

Assist.D: Muhammad Majed Azez

haki86@yahoo.com

ملخص البحث

يهدف البحث الحالي الى :-

أثر استخدام استراتيجية الذكاءات المتعددة في تنمية المهارات الجغرافية لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي . ولأجل تحقيق هدف البحث اختار الباحثان مدرسة الجوهري الابتدائية التابعة لقضاء الخالص لاجراء تجربة بحثهما بعد أن وضعوا فرضية للبحث ، وكانت عينة البحث مكونة من (٦٠) تلميذا توزعوا بالتساوي على المجموعة التجريبية والضابطة ، وكافأ في عدة متغيرات (تحصيل دراسي ، اختبار مهاري ، اختبار رافن للمجموعة الضابطة واستبانة ذكاءات متعددة للمجموعة التجريبية) ، وبعد صياغة الاهداف السلوكية وتحديد المهارات الجغرافية واعداد الخطط التدريسية أعد الباحثان اختبارا يقيس المهارات الجغرافية مكونا من (٦ أسئلة) و(٣٠ فقرة) ، وبعد التأكد من صحته وثباته واستعمال الوسائل الاحصائية كانت النتائج تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة ، وأوصى الباحثان بعدة توصيات ومقترحات .

Abstract

The research aims to :-

The effect of the strategy of multi-levels intelligence of the geographical skills for the primary pupils. To achieve the aim, the researchers chose Al-Jawhiry primary school / Khalis city for applying this research. After putting a hypothesis for the research, the sample of the research consists of (60) pupils, distributed equally on the empirical group and the other group. The researchers took into consideration some variables such as the study level, skill tests, Raven test for the other group and an intelligence questionnaire for the empirical group after forming the behavioural goals, specifying the skills and preparing a study plan. The researchers prepared a test to measure the geographical skills which include (60 questions) and (30 items) , after confirming of it's validity and constancy, using statistical techniques, the result were the empirical group was superior to the other group. The researchers have put some suggestions and recommendations.

مشكلة البحث

تعد الدراسات الاجتماعية ومناهجها الميدان الرئيس الذي يدرس التلميذ وعلاقته بالبيئة الطبيعية والبشرية ، كما انها احد الميادين المهمة التي تسهم في تزويد المتعلم بالمعلومات والحقائق عن بلده وطبيعة الحياة والعلاقات الاجتماعية بين افراد مجتمعه وتهدف الى اكساب المتعلمين مهارات جغرافية كمعالجة المعلومات والقدرة على تحديد البيانات ومصادرها وتحليلها وتفسيرها ، لذا فان هدف التدريس في الدراسات الاجتماعية لا يتوقف على اكسابهم قدرا كبيرا من المعلومات والحقائق والمفاهيم وحسب ، بل تنمية المهارات لديهم (قطاوي ، ٢٠٠٧ ، ص ١٩) .
ولتحقيق هدف الدراسات الاجتماعية لا بد من الالمام بالاستراتيجيات الحديثة بالتدريس وهذا ما يحتاج الى معلم متمكن من قدرته في التعليم ومركز على الجوانب العقلية والمهارية للمتعلمين ويستخدم أحدث الاستراتيجيات في التدريس ، ويرى الباحثان

ومن خلال خبرتهما في مجال التعليم ان هناك ضعفا في المام بعض المعلمين بالاستراتيجيات الحديثة وعدم الاخذ بالتوجه الحديث للتعليم في ان المتعلم هو محور العملية التعليمية ، ولكون المادة الدراسية جديدة فيها الكثير من المعلومات والمحتوى الواسع وأعدت على وفق تطوير المناهج والأخذ بناحية التطور العلمي .لذا تحتاج الى تحسين وتطوير مهارات المتعلمين الجغرافية لأنها تسهم في زيادة تحصيل التلاميذ العلمي وتنمية قدراتهم المهارية وتزويدهم بالكثير من المعلومات الجغرافية مما يسهم في تحقيق الاهداف المرغوبة منها ولكي نحقق هذه الاهداف يتطلب الاخذ بالاستراتيجيات الحديثة في التدريس ومنها الذكاءات المتعددة .

أهمية البحث

يعد الاهتمام بالتلاميذ وتطويرهم وتعليمهم امرا حيويا يفرض نفسه حتى نستطيع مواكبة التقدم العلمي المتزايد في جميع جوانب الحياة، وقد جاءت نظرية الذكاءات المتعددة استجابة للاهتمام ومراعاة للفروق الفردية وانماط التعلم المختلفة بين المتعلمين، وهي نداء الى تنويع الوسائل التعليمية واثارة تفكير المتعلمين للمشاركة الفعالة، ولأن التعليم بنظرية الذكاءات المتعددة لاينصب على مضمون التعلم وانما على طريقة تعلم المضمون وتبليغه للتلاميذ ،وبذلك يمكن استخدامها في كل المواد التعليمية . (قطاوي، ٢٠٠٧، ص٢٦٦) .

ومن الاسباب المفضلة لأهمية نظرية الذكاءات المتعددة ،مساعدة التلاميذ على فهم قدراتهم وارشادهم الى استعمال نقاط القوة لديهم من اجل التعلم ، وبناء ثقة للتلاميذ بأنفسهم ،والتمكن من المهارات الاساسية لديهم ، وهذا ما توصلت اليه دراسة (واين) حيث وجد ان استعمال النظرية يؤدي الى نمو بعض الصفات الايجابية كالمسؤولية ، وحل المهام الصفية وغيرها.(white,1988,p.3) (Green rowk,1997,p.,2). وهذه النظرية ايضا ساندتها النتائج العلمية في علم الاعصاب ،وعلم المعرفة وأمدتها بركيزة يذهب الى القول بتعدد الوظائف الذهنية وتنظيم الفكر بحسب وظائفه المختلفة . (Gardner,1989,p509) وكلما زاد الاهتمام باستراتيجيات طرائق حديثة للتدريس فإنها تلبي حاجات التلاميذ وتراعي قدراتهم العقلية ،وتركز على الجانب المهاري ليكمل بقية الجوانب العلمية ، ولكون المهارة مهمة في تحقيق الاهداف التعليمية لتحقيق جودة في التعليم باقل وقت وجهد ،ولأن المهارة أداة بيد المعلم يسعى من خلالها إلى تنمية المهارات لدى التلاميذ ومنها الجغرافية ،ولأهمية المهارات في القدرة على اداء الاعمال بسهولة وترفع مستوى اتقان الاداء وتكسب التلميذ ميلا للعلم وتجعله قادرا

على توسيع نطاق علاقاته بالآخرين ،ومسايرة التطورات العلمية. (يسوفاني ٢٠٠٥، ص٣٥)

ولأهمية ذلك استخدم الباحثان عدة مهارات جغرافية لتلائم عددا من الذكاءات المتعددة، ولأن مادة الاجتماعيات للصف السادس الابتدائي تحتوي على مهارات جغرافية عديدة لا بد من التعرف عليها لكون هذه المادة تعد النسخة الاولى لطبعها جاءت هذه الدراسة والتي لم يسبق تجربتها (على حد علم الباحثين) ، لتسهم في تحسين العملية التعليمية وقد ركز الباحثان على ان تسير الدراسة بهذا التوجه .

هدف البحث

يهدف البحث للتعرف على :-

اثر استخدام استراتيجيات الذكاءات المتعددة في تنمية المهارات الجغرافية لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي .

فرضية البحث

١- لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية التي تدرس مادة الاجتماعيات باستعمال الذكاءات المتعددة ،ومتوسط درجات المجموعة الضابطة التي تدرس المادة نفسها باستعمال الطريقة التقليدية في تنمية المهارات الجغرافية .

حدود البحث

يقتصر البحث على .

١- تلاميذ الصف السادس الابتدائي للبنين في المدارس النهارية التابعة لقضاء بعقوبة في محافظة ديالى للعام الدراسي ٢٠١٦-٢٠١٧ م .

٢- محتوى كتاب الاجتماعيات المقرر تدريسه لتلاميذ الصف السادس الابتدائي للعام الدراسي ٢٠١٦-٢٠١٧ م ، ط١.

٣- المهارات الجغرافية (مهارة الخريطة - التفكير الجغرافي - الدراسات الميدانية - طرح الاستفسارات الجغرافية - المفهوم الجغرافي - تحليل الظواهر الجغرافية) .

٤- مدرسة الجوهرى الابتدائية للبنين كون الباحثان أعضاء هيئة تعليمية فيها .

تحديد المصطلحات

اولا : الاستراتيجية : عرفها :-

١- الحيلة (٢٠٠٧) مجموعة من إجراءات التدريس المختارة من قبل المعلم والتي يخطط لاستخدامها في تنفيذ التدريس بما يحقق الاهداف المرجوة بأقصى فاعلية واتقان وفي ضوء الامكانيات المتاحة . (الحيلة، ٢٠٠٧، ص١٧٣)

٢- علي (٢٠١١) : مجموعة من القرارات التي يتخذها المعلم بشأن التحركات المتتالية التي يؤديها في اثناء تنفيذ مهمة التدريس ، بغية تحقيق اهداف تعليمية محددة سلفا .
(علي ، ٢٠١١، ص١٥٧)

ويعرفها الباحثان اجرائيا : (مجموعة من الاجراءات التي قام بها الباحثان داخل الصف بغية تحقيق الهدف التعليمي من البحث) .

ثانيا :- الذكاءات المتعددة :عرفها

١- جاردنر (٢٠٠٤) بانها القدرة على حل المشكلات ، وابتكار منتجات لها قيمتها في بيئة ثقافية واحدة أو أكثر .
(جاردنر ، ٢٠٠٤، ص٢١)

٢- عفانه والخزندار (٢٠٠٩) : هي قدرة بيونفسية كامنة لمعالجة المعلومات التي يمكن تنشيطها في بيئة ثقافية لحل المشكلات ثقافية او خلق لمنتجات لها قيمة في ثقافة ما .
(عفانه والخزندار ، ٢٠٠٩، ص٦٨)

تعريف الذكاءات المتعددة الاجرائي : هي قدرة عينة البحث على استثمار الذكاءات التسعة لتطوير مهاراتهم الجغرافية من خلال الاختبار الذي اعده الباحثان ويطبق نهاية التجربة .

ثالثا :- التنمية : وعرفها

١- شحاته وآخرون (٢٠٠٣) : رفع مستوى وأداء الطلاب في مواقف تعليمية مختلفة .
(شحاته وآخرون ، ٢٠٠٣ ، ص١٥٧)

٢- الفرطوسي (٢٠١٢) : قدرة الفرد على الانجاز العقلي والحركي بسهولة وبأقل وقت وجهد وكلفة .
(الفرطوسي ، ٢٠١٢ ، ص٢٢)

ويعرفه الباحثان اجرائيا :- النمو والتطور الذي يحصل عند تلاميذ عينة البحث (المجموعة التجريبية) بعد تعرضهم للذكاءات المتعددة مقيساً بالدرجات .

رابعا :- المهارات الجغرافية : وعرفها

١- شبلي (١٩٨٧) : الاداء العقلي او اليدوي او كلاهما والذي يصدر من المتعلم يطلب منه اداء مهارة يظهر فيها اللون الجغرافي . (شبلي ، ١٩٨٧، ص١١)

٢- الجمعية الامريكية للجغرافيين (AAG,2001) : الاداءات التي تمد الفرد بالأدوات والفنيات الضرورية للتفكير الجغرافي . (AAG,2001,p2)

ويعرفها الباحثان اجرائيا :- قدرة تلاميذ عينة البحث على استعمال المعلومات الجغرافية والتي تحتويها المادة المشمولة بتجربة البحث مقيسا بالدرجات التي يحصلون عليها بعد استجابتهم لاختبار المهارات الجغرافية الذي أعده الباحثان ويطبق نهاية تجربة البحث .

الفصل الثاني

أطار نظري ، دراسات سابقة

نظرية الذكاءات المتعددة :-

وهي من النظريات الحديثة التي تناولت مفهوم الذكاء المتعدد ، وتدعى بنظرية الذكاء المتعدد ، ويعد هيو جاردنر مؤسس هذه النظرية ، ولد في مدينة سكرينتن في ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٣ م ، وانظم الى جامعة هارفارد عام ١٩٦١ ، وفي عام ١٩٧٩ م طلبت مؤسسة (فان لير) في نفس الجامعة من جاردنر ومجموعة من المتخصصين بإنجاز بحث علمي يستهدف تقييم المعارف العلمية والقدرات الذهنية لدى الافراد ، واطهار مدى تفعيلها في مواقف الحياة . (Huff man ,1996,p.277)

وقد اثمرت بحوث جاردنر التي انجزها عن نظرية سميت بنظرية الذكاءات المتعددة والتي نشرها في عام ١٩٨٣ م في كتابه (اطر العقل) والتي احدثت ثورة على المعتقدات السائدة عن الذكاء وفق النظريات التقليدية ، والتي كانت تفيد بمبدأين رئيسيين هما :

- ١- المعرفة الانسانية احادية .
 - ٢- يمكن وصف الفرد على انه لديه ذكاء واحد يمكن قياسه . (ماسون ، ٢٠٠٦، ص١٧)
- وطرح جاردنر في بداية طرحه للنظرية سبعة ذكاءات هي (اللغوي ، المنطقي الرياضي ، البصري ، الحركي ، الایقاعي ، اليبينشخصي ، الضمنشخصي) ، ثم اضاف عام ١٩٩٩ م ذكاء ثامنا هو الذكاء الطبيعي وبعدها أضاف الذكاء التاسع (الوجودي)، وقد اسست هذه النظرية العديد من طرق واستراتيجيات التدريس القائمة ، ومن الافتراضات الجديدة التي طرحها والتي يجب مراعاتها في العملية التعليمية الاسس التالية :-

- ١- يمتلك كل شخص الذكاءات الثمانية ولكنه يتميز في واحدة او اكثر منها .
 - ٢- تعمل الذكاءات سويا بصورة متناغمة ، ولكنها منفردة لكل شخص .
 - ٣- هناك طرق كثيرة لتكون ذكيا ضمن ذكاء من الذكاءات .
 - ٤- يمكن تنمية كل ذكاء الى مستوى مناسب ، اذا تيسر التشجيع والاثراء والتوجيه .
- (عبيدات والسמיד ، ٢٠٠٧ ، ص٢٥١) ، (عبد الحليم واخرون ، ٢٠٠٩ ، ص٥٥٤)

الاهمية التربوية لنظرية الذكاءات المتعددة

يرى جاردنر ان نظريته ليست نظرية تربوية فقط ، بل يمكن ان تساعد في تحقيق الاهداف التربوية بشكل فعال . (العتوم واخرون ، ٢٠٠٨ ، ص١٤٣) ويشير جاردنر الى الاتجاهات الحديثة في تطبيق الذكاءات المتعددة وهي :-

١- ان استعمال النظرية اسهم في زيادة التحصيل الدراسي للتلاميذ .
٢- ان استعمال النظرية في التعليم اسهم في زيادة دافعية التلاميذ وميولهم نحو المادة الدراسية .

٣- ان استعمال النظرية في مجال الفروق الفردية قلل الفجوة بين مستوياتهم المختلفة ، من خلال استخدام استراتيجيات متنوعة . (الشرقاوي ، ٢٠٠٧ ، ص٢٧٥) ، (الشيخ ، ٢٠٠٨ ، ص٤٦)

وان أعظم تأثير لظهور النظرية ساعد على تجديد وتغيير في الممارسات التربوية ، حيث قامت عدة مدارس بتنظيم انشطتها التعليمية على اساس هذه النظرية ، وقد اجمل الباحثان اهم الفوائد التربوية والمتمثلة :-

١- التعليم من اجل الفهم هو من شعار (نتعلم لنفكر ونفهم) .
٢- مراعاة لميول وقدرات واهتمامات التلاميذ مما يجعل تعليمهم اكثر فعالية .
٣- ازدياد مشاركة المجتمع والاهل في العملية التعليمية .
٤- رفع اداء المعلمين لاستعمالهم استراتيجيات تعليم مختلفة تتوافق مع الفروق الفردية للتلاميذ .

٥- تحسين العملية التعليمية – التعليمية ، وجعل التعليم اكثر حيوية .
٦- توفر لنا سببا للتفاوت ، لان الذكاء المتعدد الواجه والمتنوع يمكن ان نتوقعه لأعداد غير قليلة من التلاميذ . (ابراهيم ، ٢٠١١ ، ص٥٦)

أنواع الذكاءات المتعددة

أن كل شخص سوي يملك الى حد ما أحد هذه الذكاءات ، ويختلف التلاميذ فيما بينهم في الطريقة التي يوظف بها كل واحد منهم كفاءته لتحديد نمط التعلم او الصيغة الملائمة للوصول الى تحقيق الاهداف المتوخاة .

واذا كان جاردنر قد حدد سبعة من الذكاءات بشكل عام فإنه قد أضاف اليها نمطا آخر ليمثل بذلك ثامن هذه الذكاءات واطلق عليه الذكاء الطبيعي ، وفي عام ١٩٩٩م أضاف ذكاء تاسعا اطلق عليه الذكاء الوجودي وهذه الذكاءات هي :

١- **الذكاء اللغوي** : ويتطلب ويتضمن حساسية للغة اي جميع القدرات اللغوية منظومة ومكتوبة والقدرة على تعلم اللغة واستخدامها وتحقيق الاهداف المعنية .

٢- **الذكاء المنطقي (الحسابي):** ويتطلب ويتضمن القدرة على تحليل المشكلات منطقيا او حل العمليات الرياضية وبحث المسائل العلمية .

٣- **الذكاء المكاني (البصري):** يوصف بانه ذكاء الصورة ، والقدرة على أدراك العالم البصري بدقة ،اي أمكانية أدراك أنماط الفضاء الخارجي الواسع وكذلك نمط المساحات والمناطق الاكثر تحديدا وتناولها .(حسين ،٢٠٠٦، ص٩٨) (موزلي واخرون ،٢٠٠٨، ص٢٣٤)

٤- **الذكاء الجسمي الحركي:** هو الخبرة في استخدام الفرد لجسمه للتعبير عن الافكار والمشاعر ، وحل المشكلات وتشكيل المنتجات .

٥- **الذكاء الموسيقي:** وهو القدرة على التعرف على النغمات والالحان ، ويستلزم مهارات في اداء الانماط الموسيقية وتأليفها وتدوقها والتوفيق فيما بينها .

٦- **الذكاء الشخصي او الذاتي:** ويقوم على التأمل الدقيق للقدرات الانسانية وخصائصها ومعرفتها ويتضمن الوعي بالمعرفة وادراك العالم الداخلي للنفس ، والتركيز على الافكار الداخلية ، والوعي بالدوافع ، والثقة العالية بالنفس ، وابداء افكار وراء قوية اثناء مناقشة قضية جدلية .

٧- **الذكاء البينشخصي:** (الاجتماعي) وهو الذكاء التفاعلي او التواصلية ، وهو القدرة على فهم الآخرين وملاحظة اهدافهم ، دافعيتهم نواياهم والعمل الفعال معهم ، ولديه مهارات في حل المشكلات بين التلاميذ ، والقيام بدور الوسيط ، ويظهر بشكل واضح لدى المعلمين ، والمرشدين التربويين ، والاطباء والسياسيين ، ورجال الدين .

٨- **الذكاء الطبيعي:** يتجلى في القدرة على التعرف على تصنيف النباتات والحيوانات والاشياء المرتبطة بالطبيعة ،مثل الحيوانات ،الزهور ،علم الفلك ، الصحارى ، المحيطات والانهار .

٩- **الذكاء الوجودي:** هو الحساسية تجاه العمق في الاسئلة المرتبطة بالوجود الانساني، مثل معنى الحياة ،ولماذا نحن هنا على الارض ؟ وينظر الى هذا الذكاء من منظور الفلسفة .(حسين ، ٢٠٠٨، ص٢٢٨- ٢٤٨) (عفانه والخزندار، ٢٠٠٩، ص٧٣-٧٤) ، (أبراهيم ، ٢٠١١، ص٦٣-٦٤).

المهارات الجغرافية

لقد حظيت المهارات الجغرافية وزاد الاهتمام بها والتركيز عليها لما لها من دور في اكساب التلاميذ مواكبة للتطور الحاصل في ميدان المعرفة وفي مختلف الجوانب العلمية ومنها الجانب المهاري، ولأن المهارات الجغرافية تمثل جسرا لاغنى عنه لأن

المعرفة والسلوك وان عدم الاهتمام بها يولد ضعفا في اكتساب التلاميذ لمجالات المعرفة المختلفة. (العنبي، ٢٠١٤، ص ٩)

وقد احتلت مكانة مهمة لدى الكثير من الباحثين والمهتمين بالجغرافية من حيث الدراسة والتطبيق والعمل على تنمية هذه المهارات واكسابها للمتعلمين لأنها تعد بعدا مهما من المهارات الحياتية التي يحتاجها ويستخدمها التلميذ في اتخاذ بعض القرارات الشخصية خلال الحياة اليومية ، ولأنها تمكن التلميذ من ان يصبح ماهرا وذا معرفة جغرافية في معالجة القضايا والظواهر الجغرافية وتنمية بعض الاتجاهات المرغوبة لديه كحب الاستطلاع والبحث عن الحقيقة وغيرها. (رشيد، ٢٠١٢، ص ٥٣)

ولأهمية المهارات الجغرافية في التدريس فقد أهتم بها كثير من الجامعات العالمية المشهورة والتي تؤكد دورها لما لها من علاقة بطلابها لإكسابهم مهارات عديدة ومن هذه الجامعات جامعة أكسفورد البريطانية التي ركزت على مجموعة من المفاهيم الجغرافية وقدمت عام ١٩٧٥ مشروعا جغرافيا نال اهتمام المهتمين بالجغرافية، وجامعة بنسلفانيا الأمريكية التي اصدر فيها قسم التربية عام ١٩٧٧ قائمة بالمهارات التعليمية لبرامج اعداد مدرسي الجغرافية صنف الى أربعة مجالات (شخصية، إدراكية، مهارات، اتجاهات). وجامعة مينيسوتا الأمريكية التي وضعت برنامجا لاعداد مدرسي الجغرافية قائما على المهارات وكذلك جامعة لندن التي اهتمت ايضا بوضع برامج لأعداد كوادرها على أساس المهارات الجغرافية .

(الخاقاني، ٢٠٠٦، ص ٤٤-٤٥)

أنواع المهارات الجغرافية

قسم عدد من الباحثين والمهتمين بالجغرافية المهارات الى عدة اصناف منها .
حددها (كلارك) ووجه على معلم الجغرافية اتقانها وهي .

- ١- قراءة وتفسير الخارطة .
 - ٢- ملاحظة وتسجيل الظواهر الجغرافية (الطبيعية والبشرية)
 - ٣- قراءة الموارد الطبيعية .
 - ٤- اعداد الخرائط المناسبة .
 - ٥- وصف المنطقة المدروسة .
- اما (الامين) فقد حدد المهارات الجغرافية بـ
- ١- تسمية مهارات الطلبة العقلية والمتصلة بالتفكير الناقد .
 - ٢- تنمية مهارات قراءة وكتابة الاشكال البيانية . (العنبي، ٢٠١٤، ص ٤٥)
 - وقسم (سعادة) مهارات الدراسات الاجتماعية الى قسمين رئيسيين هما :-

- ١- المهارات التي تشترك فيها الدراسات الاجتماعية مع غيرها من ميادين المعرفة الاخرى مثل مهارة القراءة ومهارة استخدام المراجع المختلفة .
- ٢- المهارات التي تعد من مسؤولية الدراسات الاجتماعية وتتمثل في :-
 - أ- مهارات الاستقصاء .
 - ب- مهارات حل المشكلات والتفكير الناقد .
 - ج- مهارات التقويم .
 - د- مهارات الخرائط ونماذج الكرة الارضية . (المسعودي ، ٢٠٠٢ ، ص ٦٠)
- وتقسم المهارات المتصلة بالدراسات الاجتماعية الى ثلاث فئات هي :-
 - ١- المهارات العقلية :- تشمل مهارات البحث والتفكير الناقد وحل المشكلات واستخدام الخرائط
 - ٢- المهارات الاجتماعية :- تشمل تفاعل الاعضاء فيما بينهم وتعاونهم في الاعمال الجماعية .
 - ٣- المهارات الحركية :- تشمل الكفاءة في الانشطة اليدوية كالبناء والرسم والكتابة .
- وتحدد أهم مهارات استخدام الخرائط في الجغرافية بما يأتي :-
 - ١- مهارة اختيار وعرض الخريطة .
 - ٢- مهارة فهم الخريطة (قراءتها ، تحليلها ، استنتاجها) .
 - ٣- مهارة استخدام الخريطة في التقويم .
 - ٤- مهارة صيانة الخريطة . (يوسفاني ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٢-٣٣)
- ويذكر اركسون أن اللجنة الاستشارية المكلفة بتحديد المهارات المتعلقة بالجغرافية والعلوم الاجتماعية اتفقت على مهارات :
 - ١- قراءة وتفسير الخرائط والكرات الارضية .
 - ٢- الاشكال والرسوم البيانية والجدول الزمنية .
 - ٣- تعيين واختيار وتنظيم المعلومات من الكتب والمعاجم وغيرها .
 - ٤- فهم وادراك المصطلحات المتعلقة بالعلوم الاجتماعية . (المسعودي ، ٢٠٠٢ ، ص ٦٢)
- الصعوبات التي تواجه تدريس مادة الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية
- هناك العديد من الصعوبات التي تواجه معلمي الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية ويمكن حصرها كالآتي :-
 - ١- استخدام الرموز التي تصف الظواهر الجغرافية في الخرائط قد تكون لها دلالة ضعيفة مع واقع هذه الظواهر .

- ٢- كثرة المساقط المستخدمة في رسم الخرائط ماتؤدي الى تشويه في رسم الخريطة ، ولان اغلب المساقط مسطحة لا تنسجم مع شكل الارض الكروي ..
 - ٣- ضعف معلمي الاجتماعيات في اثارة التلاميذ نحو المهارات الجغرافية وذلك لعدم امتلاكهم القدرة الكافية على تدريسها . (الخاقاني ، ٢٠٠٦ ، ص٤٢)
 - ٤- استبدال المنهج دون التدريب عليه من قبل ذوي الاختصاص .
- الدراسات السابقة**

١- دراسة الأهدل (٢٠٠٦) .

أجريت الدراسة في السعودية بمدينة جدة والهدف منها التعرف على (فاعلية أنشطة وأساليب التدريس القائمة على الذكاءات المتعددة في تحسين تحصيل الجغرافية وبقاء اثر التعلم لدى طالبات الصف الاول الثانوي بمحافظة جدة) .

اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج التجريبي وقد قامت الباحثة بأعداد دليل المعلم في استخدام أنشطة واساليب التدريس القائمة على الذكاءات المتعددة ، تكونت عينة الدراسة من (٧٢) طالبة . موزعة الى مجموعتين تجريبية وضابطة واستخدمت اداة ماكثري لمسح الذكاءات المتعددة بعد تعديله بما يناسب مجتمع وعينة البحث ولتحقيق هدف الدراسة اعدت الباحثة اختبار تحصيل تم تحكيمة وتعديله وبعد تطبيق التجربة اثبتت الدراسة فاعلية أنشطة واساليب التدريس القائمة على نظرية الذكاءات المتعددة وتفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة . (مجلة أم القرى ، ٢٠٠٦ ، ص٥٢)

٢- دراسة رشيد (٢٠٠٥)

أجريت الدراسة في بغداد والهدف منها التعرف على (الذكاء المتعدد وعلاقته بالأسلوب المعرفي في تحمل – عدم تحمل الغموض لدى طلبة جامعة بغداد) .

اعتمد الباحث المنهج التجريبي في دراسته وكانت عينة بحثه تتكون من (٤٥٠) طالبا وطالبة وسحبت العينة عشوائيا من كليات جامعة بغداد وقسمت العينة بواقع (٢٢٥) طالبا وطالبة للفرع الانساني و(٢٤٥) طالبا وطالبة للفرع العلمي .

وأعد الباحث أداتين ، الاولى لقياس الذكاء المتعدد والثانية لقياس الاسلوب المعد في تحمل الغموض ، وأستعمل الباحث وسائل احصائية مثل معامل ارتباط بيرسون ومعادلة سبيرمان براون ومعادلة الفكرونباخ والاختبار التائي (T-test) ، واطهرت النتائج في وجود فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث في انواع الذكاء (الاجتماعي – المنطقي –الجسمي – الشخصي) ولصالح الذكور ، وعدم وجود فروق دالة احصائيا في الانواع الاخرى .(رشيد ، ٢٠٠٥، ص١٦- ١٤٨)

الفصل الثالث

اجراءات البحث

أولا :- التصميم التجريبي .

يعتبر التصميم التجريبي موقفا اصطناعيا لاختبار صحة الفروض، ويتم من خلاله دراسة اثر المتغير المستقل على المتغير التابع بغية التأكد من صحة المعلومات والتوصل الى تعميم يحكم سلوك المتغير التابع .(سماره والعدلي ،٢٠٠٨، ص٥٨)، ولتحقيق ذلك اعتمد الباحثان تصميم المجموعتين التجريبية والضابطة ذات الضبط الجزئي والشكل الآتي يوضح ذلك .

المجموعة	الاختبار القبلي	المتغير المستقل	المتغير التابع	نوع الاختبار
المجموعة التجريبية	اختبار المهارات الجغرافية	الذكاءات المتعددة	تنمية المهارات الجغرافية	اختبار تنمية المهارات الجغرافية
المجموعة الضابطة				

ثانيا:- مجتمع البحث وعينته

يتطلب اعداد البحث الحالي اختيار مدرسة من بين المدارس الابتدائية التابعة للمديرية العامة لتربية ديالى ، ومن بين مدارس البنين التابعة لقضاء بعقوبة ، ولا يقل فيها عدد شعب الصف السادس الابتدائي عن شعبتين ، فقد اختار الباحثان قسديا مدرسة الجوهري الابتدائية للبنين لما أبدته ادارة المدرسة من تسهيلات وتعاون في اعداد البحث ولديها وسائل تعليمية تسهم في انجاز البحث واختيرت شعبة - أ- لتمثل المجموعة التجريبية وشعبة - ب - لتمثل المجموعة الضابطة ، وبلغت عينة التلاميذ (٦٠) تلميذا بواقع (٣٠) تلميذا لكل مجموعة .

ثالثا :- تكافؤ مجموعتي البحث

عمد الباحثان قبل البدء بالتجربة على تكافؤ تلاميذ مجموعتي البحث التجريبية والضابطة في عدة متغيرات حرصاً على سلامة ودقة نتائج التجربة والمتغيرات هي (العمر الزمني محسوبا بالأشهر، درجات مادة الاجتماعيات للعام الدراسي السابق ٢٠١٥ - ٢٠١٦ ، التحصيل الدراسي للوالدين، اختبار تنمية المهارات الجغرافية، اختبار رافن للمجموعة الضابطة واستبانة الذكاءات المتعددة للمجموعة التجريبية) .

رابعاً :- ضبط المتغيرات الدخيلة

من اجل الحفاظ على دقة النتائج للتجربة عمل الباحثان على ضبط المتغيرات الدخيلة غير التجريبية قدر المستطاع لكي نحصل على نتائج دقيقة وأهم هذه المتغيرات (الحوادث المصاحبة اثناء تطبيق التجربة ، الترك والانقطاع لأفراد عينة البحث ، النضج البيولوجي لأفراد عينة البحث ، اختيار افراد العينة) .

خامساً:- مستلزمات البحث

يتطلب اعداد البحث توضيح مستلزماته التي تعد من الاساسيات في عمل اي بحث ويمكن توضيحها كالآتي :-

١- تحديد المادة العلمية .

يتطلب قبل البدء بالتجربة تحديد المادة العلمية اعتمادا على مفردات الكتاب المدرسي للصف السادس الابتدائي المقرر تدريسه للعام الدراسي ٢٠١٦ - ٢٠١٧ م والذي تضمن الفصل الدراسي الأول من بداية الكتاب المنهجي إلى صفحة ٦٨ .

٢- تحديد المهارات الجغرافية

يتطلب البحث تحديد المهارات الجغرافية التي توجد في المنهاج المدرسي لمادة الاجتماعيات للصف السادس الابتدائي ، وقد عمد الباحثان على تحديد المهارات الجغرافية بعد الرجوع الى الدراسات والادبيات التي تناولت المهارات الجغرافية وتم تحديدها ب ست مهارات وهي (مهارة الخريطة ، مهارة التفكير الجغرافي ،مهارة المفهوم الجغرافي ، مهارة الدراسات الميدانية ، مهارة طرح الاستفسارات الجغرافية ، مهارة تحليل الظواهر الطبيعية) . وتم عرضها على مجموعة من المختصين بالجغرافية وطرائق تدريس الجغرافية للتأكد من تحديدها وصياغتها ونالت القبول .

٣- صياغة الاهداف السلوكية

يقصد بالأهداف السلوكية بانها عبارة عن جملة اخبارية تصف وصفا مفصلا ما اذا كان بوسع المتعلم ان يظهره بعد تعلمه لمفهوم او مبدأ او حقيقة تدرس في فترة زمنية قصيرة ومحددة داخل الصف الدراسي . (الحيلة ، ٢٠٠٧، ص٧٤) . لذا أعد الباحثان مجموعة من الاهداف السلوكية وتم عرضها على الخبراء والمختصين للتأكد من سلامة صياغتها وبلغ عددها (٦٠) هدفا .

٤- اعداد الخطط التدريسية

يعد اعداد الخطط ضرورة مهنية وتربوية لكل معلم ، وهي من اهم واجبات ومسؤوليات المعلم اليومية وتعطي تصورا لما سيقوم به داخل الصف من اجراءات

وانشطة يمكن ان تحقق الاهداف التعليمية وتعطي التلاميذ احساسا بالإنجاز وتزيد دافعيتهم ورغبتهم في التعلم .(قطاوي ،٢٠٠٧، ص٤٤٥) .

وقد اعد الباحثان مجموعة من الخطط اليومية للمجموعتين وعرضها على المختصين في الجغرافية وطرائق التدريس لأبداء آرائهم وبذلك اصبحت جاهزة للتطبيق .

سادسا :- اداة البحث (اختبار المهارات الجغرافية)

لتحقيق هدف البحث ولعدم وجود اختبار جاهز ولصعوبة ملاحظة المهارات الجغرافية لدى التلاميذ ، اعد الباحثان اختبار اكتساب المهارات الجغرافية معتمدا على المهارات الجغرافية التي تم تحديدها وقائمة الاهداف السلوكية ، واتبع الباحثان في بناء فقرات الاختبار (الاختبار من متعدد) الذي يُعد احد انواع الاختبارات الموضوعية على وفق الخطوات التالية :-

١- تحديد ابعاد الاختبار وصياغتها

يتحدد نوع الاختبار المراد استعماله في القياس بنوعية الشيء المراد قياسه . (سلامه ، ٢٠٠١، ص١٤٧).

ونظراً لما يحتويه البحث من مهارات متنوعة يراد قياسها فقد رأى الباحثان التنوع في اسئلة الاختبار بما يتلاءم مع تنوع المهارات وعلى هذا الاساس فقد تكون الاختبار من (٦) اسئلة مكون من (٣٠) فقرة ولكل مهارة سؤال يقيسها وتكون مناسبة لمستوى التلاميذ وموجودة ضمن المنهاج الدراسي لهم.

٢- تعليمات الاختبار

أ- تعليمات الاجابة : تم وضع تعليمات خاصة بالإجابة وتضمن الهدف من الاختبار مع كتابة الاسم والشعبة وعدم ترك اية فقرة والسؤال عن الفكرة غير الواضحة لدى التلاميذ .

٣- صدق الاختبار

للحصول على مواصفات الاختبار الجيد الذي اعداه الباحثان عرض الاختبار على مجموعة من المختصين في العلوم التربوية والجغرافية وطرائق التدريس لإبداء آرائهم وملاحظاتهم في صلاحية فقرات الاختبار ، وبعد الحصول على الملاحظات تم تعديل جزء منها لتكون قابلة للتنفيذ .

٤- تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية

للتأكد من وضوح فقرات الاختبار ومستوى الصعوبة وقوة التميز وفعالية البدائل الخاطئة والزمن المستغرق في الاجابة عن الاختبار ، طبق الاختبار على عينة

استطلاعية مماثلة للعيينة الاساسية وبعد تصحيح الاجابات تبين ان الفقرات واضحة وان الوقت المستغرق للاجابة هو (٤٠) دقيقة .

٥- تحليل فقرات الاختبار

لمعرفة قياس كل فقرة من فقرات الاختبار والتعرف على مستوى الصعوبة وقوة التمييز وفعالية البدائل الخاطئة ، تم تحليل فقرات الاختبار احصائيا وكما يلي :-
١- مستوى صعوبة الفقرات .

بعد حساب مستوى الصعوبة لفقرات الاختبار وجد انها تتراوح بين (٠,٣٦) و (٠,٧٠) مما يدل على انها معاملات مقبولة ويرى (بلوم) ان الاختبار يعد جيدا وصالحا للتطبيق اذا كان معامل صعوبة فقراته تتباين بين (٠,٢٠) و (٠,٨٠) .

(الزوبعي، ١٩٨٨، ص٧٧)

ب- القوة التمييزية للفقرات

بعد حساب مستوى القوة التمييزية للفقرات وجدت انها تتراوح بين (٠,٣٤) و (٠,٦٦)، وتعد الفقرات جيدة اذا كانت قوة تمييزها (٠,٣٠) فما فوق.

(الظاهر، ١٩٩٩، ص١٣٢)

ج- فعالية البدائل الخاطئة

بعد تحليل استجابات العينة الاستطلاعية واستعمال معادلة فعالية البدائل الخاطئة اتضحتم قيمتها السالبة التي تتراوح بين (- ٠,٣٨) و (- ٠,٤٤) مما يدل على فعالية هذه البدائل .

٦- ثبات الاختبار

للحصول على ثبات الاختبار اختار الباحثان طريقة التجزئة النصفية لحساب الاختبار فتم تقسيم الاختبار الى قسمين يضم القسم الاول درجات الفقرات الزوجية والقسم الثاني درجات الفقرات الفردية واستعمل معامل ارتباط بيرسون ثم صحح بمعامل سبيرمان ليبلغ معامل الثبات (٠,٨٤) وهو معامل ثبات جيد .

٧- تطبيق التجربة :-

١. طبق البحث في الفصل الدراسي الأول الذي بدأ يوم ٢٠١٦/١٠/٩ لينتهي يوم ٢٠١٧/١/٢

٢. درّس أحد الباحثين مجموعتي البحث بنفسه .

٣. طبق اختبار تنمية المهارات الجغرافية يوم ٢٠١٧/١/١٥ .

٨- الوسائل الاحصائية

استعمل الباحثان عدة وسائل احصائية منها اختبار (T – test) ومعامل الصعوبة وقوة التمييز وفعالية البدائل الخاطئة ومعامل ارتباط بيرسون ومعادلة سبيرمان براون.

الفصل الرابع

نتائج البحث

للتحقق من فرضية البحث وبعد تحليل البيانات واستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ظهر تفوق المجموعة التجريبية التي اعتمدت على استراتيجيات الذكاءات المتعددة على المجموعة الضابطة والتي اعتمدت على الطريقة التقليدية وجاءت هذه النتيجة مطابقة مع عدد من الدراسات السابقة ومنها دراسة (الاهل ٢٠٠٦) والجدول التالي يوضح ذلك :

المتوسط الحسابي والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لدرجات التلاميذ في اختبار تنمية المهارات الجغرافية

المجموعة	عدد التلاميذ	المتوسط الحسابي	درجة الحرية	ت المحسوبة	ت الجدولية	مستوى الدلالة
التجريبية	٣٠	٢٤،٧٥	٥٨	٣،٨٤	٢	دالة
الضابطة	٣٠	٢٠،٣٩				

ويرى الباحثان ان سبب هذه النتيجة يرجع الى :-

- ١- ان استخدام استراتيجيات الذكاءات المتعددة يكشف لدى المعلم كل ما لدى تلاميذه من قدرات ومواهب ونقاط القوة وتنميتها ونقاط الضعف وتلافيها بقدر الامكان .
- ٢- ان اختيار الاستراتيجيات المناسبة في التعلم من قبل المعلم هو فن بحد ذاته ومهارة يمكن التدريب عليها ومنها استراتيجيات الذكاءات المتعددة التي جعلت التعلم اسرع وافضل .
- ٣- ان نظرية (جاردنر) للذكاءات المتعددة تساعد في تخطيط الاستراتيجيات التعليمية المناسبة والعمل على ايجاد بيئة صفية فاعلة .
- ٤- ان استخدام استراتيجيات الذكاءات المتعددة اسهم بشكل فعال في تنمية المهارات الجغرافية الموجودة في الكتاب المدرسي لدى التلاميذ .
- ٥- ان تنمية المهارات الجغرافية لدى للتلاميذ يزيد من قدرتهم على التعلم والاحتفاظ بالمعلومة لفترة طويلة من الزمن .

الاستنتاجات :-

- في ضوء نتيجة البحث الحالي استنتج الباحثان ما يأتي :-
- ١- ان استراتيجيات الذكاءات المتعددة تفتح الباب امام الباحثين والمعلمين لاستخدام استراتيجيات تدريس متنوعة داخل الصف .
 - ٢- ان استخدام استراتيجيات الذكاءات المتعددة يؤدي إلى تشويق التلاميذ وزيادة دافعياتهم نحو المادة الدراسية .
 - ٣- ان التدريس على وفق استراتيجيات الذكاءات المتعددة اكثر فاعلية من الطريقة التقليدية في تنمية المهارات الجغرافية .

التوصيات :-

- في ضوء النتائج والاستنتاجات التي توصل اليها الباحثان يوصيان بما يأتي :-
- ١- يمكن تطبيق استعمال استراتيجيات الذكاءات المتعددة في مختلف مناهج الدراسة .
 - ٢- ضرورة تنويع المهارات الجغرافية في المقررات الدراسية للمرحلة الابتدائية وزيادة الأنشطة فيها .
 - ٣- توجيه المشرفين الاختصاص بضرورة الاهتمام بالمهارات الجغرافية وتفعيلها في الموقف الصفّي .

المقترحات :-

- استكمالاً للبحث الحالي يقترح الباحثان اجراء الدراسات الآتية :-
- ١- بناء برنامج على وفق استراتيجيات الذكاءات المتعددة لمعلمي مادة الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية .
 - ٢- دراسة مماثلة للدراسة الحالية لمراحل ومناهج دراسية مختلفة .
 - ٣- استخدام استراتيجيات الذكاءات المتعددة مع متغيرات أخرى كالتفكير الناقد وتنمية مهارات ما وراء المعرفة وغيرها .

المصادر

- ١- ابراهيم ، نبيل رفيق محمد (٢٠١١) ، الذكاء المتعدد ، ط١ ، دار صفاء للنشر ، عمان ، الاردن .
- ٢- جاردنر ، هوارد (٢٠٠٤) ، أطر العقل نظرية الذكاءات المتعددة ، ترجمة محمد بلال الجيوسي ، مكتبة العربي لدول الخليج ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- ٣- حسين ، محمد عبد الهادي (٢٠٠٦) ، نظرية الذكاءات المتعددة ونموذج كمية المواهب ، ط١ ، دار الافق للنشر ، القاهرة .

- ٤- حسين محمد عبد الهادي (٢٠٠٨) ، الذكاءات المتعددة ، انواع العقول البشرية ، ط١ ، دار العلوم للنشر ، القاهرة .
- ٥- الحيلة ، محمد محمود (٢٠٠٧) ، مهارات التدريس الصفي ، ط٢ ، دار المسيرة للنشر ، عمان ، الاردن .
- ٦- الخاقاني ، محمد عبيد عبيس (٢٠٠٦) ، تقويم المهارات الجغرافية لدى معلمي المرحلة الابتدائية واقتراح برنامج تدريبي لتنميتها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الاساسية ، جامعة بابل .
- ٧- رشيد ، وجدان نعمان (٢٠١٢) ، فاعلية برنامج تعليمي باستعمال نظم المعلومات الجغرافية في تنمية بعض المهارات الجغرافية عند طلبة كلية التربية الاساسية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ابن رشد .
- ٨- رشيد ، فارس هارون (٢٠٠٥) ، الذكاء المتعدد وعلاقته بالاسلوب المعرفي في تحمل - عدم تحمل الغموض لدى طلبة الجامعة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد كلية الاداب .
- ٩- الزوبعي ، عبد الجليل محمود ، احمد العنام (١٩٨٨) ، منهاج البحث في التربية ، ط١ ، مطبعة جامعة بغداد .
- ١٠- سلامه ، عبد الحافظ محمد (٢٠٠١) ، تصميم التدريس ، ط١ ، دار المسيرة للنشر ، عمان ، اردن.
- ١١- سمارة ، نواف احمد ، عبد السلام موسى العديلي (٢٠٠٨) ، مفاهيم ومصطلحات في العلوم التربوية ، ط١ ، دار المسيرة للنشر ، عمان ، الاردن .
- ١٢- شبلي ، احمد ابراهيم (١٩٨٧) ، أثر استخدام طريقة الاستقصاء على تنمية بعض المهارات الجغرافية لدى تلاميذ المرحلة الاعدائية ، مجلة كلية التربية ، العدد ١١ ، جامعة عين شمس ، القاهرة .
- ١٣- شحاته ، حسن ، وآخرون (٢٠٠٣) : معجم المصطلحات التربوية ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر.
- ١٤- الشرقاوي ، انور محمد (٢٠٠٧) ، الاستراتيجيات المعرفية والقدرات العقلية ، ط١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .
- ١٥- الشيخ ، سليمان الخضري (٢٠٠٨) ، سيكولوجية الفروق الفردية في الذكاء ، ط١ ، دار المسيرة للنشر ، عمان ، الاردن .
- ١٦- الظاهر محمد زكريا ، وآخرون (١٩٩٩) ، مبادئ القياس والتقويم في التربية ، ط١ ، دار الثقافة للنشر ، عمان ، الاردن .
- ١٧- عبد الحليم ، احمد المهدي ، وآخرون (٢٠٠٩) ، المنهج المعاصر أسسه - بناؤه - تنظيماته - تطويره ، ط٢ ، دار المسيرة للنشر ، عمان .
- ١٨- العتوم ، عدنان يوسف ، وآخرون (٢٠٠٨) ، علم النفس التربوي النظرية والتطبيق ، دار المسيرة ، ط٢ ، عمان ، الاردن .
- ١٩- عفانه ، عزو اسماعيل ، والخزندار ، نائلة نجيب (٢٠٠٩) ، التدريس الصفي بالذكاءات المتعددة ، ط٢ ، دار المسيرة للنشر عمان ، الاردن .

- ٢٠- علي ، محمد السيد (٢٠١١) ، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس ، ط١ ، دار المسيرة للنشر ، عمان ، الاردن .
- ٢١- عبيدات ، ذوقان ، وابو السميد ، سهيلة (٢٠٠٧) ، استراتيجيات التدريس في القرن الحادي والعشرين ط١ ، دار الفكر ، عمان .
- ٢٢- العنبيكي ، عبدالله فرحان (٢٠١٤) ، فاعلية برنامج تعليمي على وفق المدخل المنظومي في التحصيل وتنمية المهارات الجغرافية لدى طلاب الصف الخامس الادبي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ،كلية التربية للعلوم الانسانية ، ابن رشد .
- ٢٣- الفرطوسي ، محمد هاشم (٢٠١٢) ، اثر التدريس بالمدخل المنظومي في اكتساب المفاهيم الجغرافية وتنمية مهارات التفكير المنظومي عند طلاب الصف الاول المتوسط ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ابن رشد .
- ٢٤- قطاوي ، محمد ابراهيم (٢٠٠٧) ، طرائق تدريس الدراسات الاجتماعية ، ط١ ، دار الفكر والنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن .
- ٢٥- ماسون ،ديفيد (٢٠٠٦) تكامل الذكاءات المتعددة واساليب التعلم ، ط١، دار الوفاء الاسكندرية .
- ٢٦- مجلة جامعة ام القرى للعلوم التربوية (٢٠٠٦) المجلد الاول ، العدد الاول .
- ٢٧- المسعودي ، محمد حميد مهدي (٢٠٠٢) ، تقويم اداء مدرسي الجغرافية في المرحلة المتوسطة في ضوء المهارات الجغرافية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية المعلمين ، جامعة بابل .
- ٢٨- موزلي ، ديفيد وآخرون (٢٠٠٨) ، اطر التفكير ونظرياته ، ترجمة جابر عبد الحميد جابر ، ط١، دار المسيرة ، عمان ، الاردن .
- ٢٩- يوسفاني ، داليا فاروق عبد الكريم (٢٠٠٥) ، اثر استخدام خرائط المفاهيم في اكتساب تلميذات الصف الخامس الابتدائي لبعض المهارات الجغرافية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية الاساسية ، جامعة الموصل .
1. Assoocation of American Gographers (2007) : Geography skills , Washington DC , AAG publication .
- 2- Gardner, H ; (1989) Multiple Intelligence to school education implication of Inetheory of multiple intelligence , New York , Basic Books.
- 3- Green rowk ,Jan : (1997) Muliple Intelligences, Educational leader ship, vol (16) No .(4)
4. Huffman ; (1996) Psychology in Action Intelligence and Intelligence Testing . New York , Macmillan.
- 5- white, John ; (1988) Do Itowardcardner multiple Intellignces Add up ; London ; in statute of Education , university of London.

الملاحق

خطة درس للمجموعة التجريبية

الصف والشعبة : السادس أ المادة : الاجتماعيات

اليوم والتاريخ : الموضوع : محافظة دهوك

أولاً : الأهداف السلوكية : جعل التلميذ قادراً على أن :

١. يوضح مفهوم الموقع الجغرافي (لفظي) .
 ٢. يميز بين الجبال والتلال (لفظي - منطقي) .
 ٣. يرسم مخططاً لحدود محافظة دهوك على السبورة (بصري - مكاني) .
 ٤. يعطي تعريفاً مناسباً لنهر دجلة بصورة صحيحة (لفظي) .
 ٥. يعطي أمثلة لجبال تقع في محافظة دهوك (طبيعي - لفظي) .
 ٦. يعرض صوراً لمحافظة دهوك (تأملّي - ضمنشخصي) .
 ٧. يصف جمال الطبيعة في دهوك من خلال رحلة ميدانية (بيئي - طبيعي) .
 ٨. يعدد مصادر المياه في محافظة دهوك (طبيعي) .
 ٩. يصنف ضمن أي الأقاليم المناخية يقع مناخ محافظة دهوك (لغوي - تصنيفي) .
- ثانياً : الوسائل التعليمية : لتقريب المادة الى أذهان التلاميذ أعتمد :
- (السبورة - الأقلام الملونة لتدوين الملخص السبوري - خريطة العراق الادارية)
- ثالثاً : خطوات سير الدرس :

(٥ دقائق)

أ. التمهيد

لتهيئة أذهان التلاميذ للدرس أتكلم عن الظواهر الطبيعية والبشرية التي توجد في كل محافظة من بلدنا ولكي نستطيع التعرف عليها بصورة موسعة لا بد أن نقسمها لكي تسهل علينا دراستها فنبدأ بمحافظة دهوك ، وأوجه بعض الاسئلة منها :

١. هل محافظة دهوك لها حدود دولية ؟

٢. هل تضاريسها متشابهة أم مختلفة ؟

٣. ما هي مصادر المياه فيها ؟

(٣٠ دقيقة)

ب. العرض

درسنا اليوم محافظة دهوك وسنتناول المحاور الآتية (الموقع الجغرافي - التضاريس - المناخ - الموارد المائية - النشاط الاقتصادي) ، واستعمل في التدريس استراتيجيات الذكاءات المتعددة مع الاسئلة القصيرة لتحقيق المهارات الجغرافية ونبدأ بالسؤال :

المعلم : ماذا نقصد بمفهوم الموقع الجغرافي (لفظي) (تتحقق فيه مهارة المفهوم الجغرافي) .

- تلميذ : هو المكان الذي تقع فيه حدود المحافظة على الخريطة .
- المعلم : أحسنت ، (نشاط عملي) وما هي حدود محافظة دهوك (منطقي - حركي - بصري) .
- تلميذ : من جهة الشمال تركيا ومن الجنوب والغرب نينوى ومن الشرق أربيل.
- المعلم : جيد ، ويسأل بعد أن يعرض خريطة العراق الإدارية (مهارة الخريطة) ماذا تشاهد (منطقي - لفظي) .
- تلميذ : أشاهد أن حدودها الشرقية والشمالية جبال بينما البقية هضاب وسهول .
- المعلم : أحسنت ، وهذا يقودنا إلى سؤال : هل تضاريس دهوك متشابهة (لفظي - اجتماعي) (تفكير جغرافي) .
- تلميذ : مختلفة لوجود الجبال والسهول والهضاب فيها أيضاً .
- المعلم : جيد ، هل يوجد في دهوك جبال أم صحراء (بينشخصي - اجتماعي) .
- تلميذ : فيها جبال كجبل بخير باكرمان كاره .
- المعلم : أحسنت (نشاط عملي) ميز بين الجبال والتلال من خلال الصورتين (تأملي - ضمنشخصي) .



- وأدون الفرق بينهما على السبورة (منطقي - لفظي) ثم أسأل :
- بعد عرض الصورتين أذكر ما شاهدته في الصورة وما هي استفساراتك ؟
- (استفسارات جغرافية)
- تلميذ : شاهدت أن جبال دهوك عالية وفيها سهول بين الجبال .
- المعلم : جيد ، وهل نستطيع أن نستخدمها لرياضة تسلق الجبال ؟
- تلميذ : نعم ، ولكننا نحتاج الى جهد رياضي واستنشاق هواء أكثر (تحليل الظواهر الطبيعية) .

- المعلم : جيد ، وهل ذهبتم يوماً لزيارة جبال دهوك ؟
 تلميذ : نعم .
- المعلم : صف لنا ما شاهدته (طبيعي - بيئي) (دراسة ميدانية) ، وبعد توضيح الاجابة
 أسأل :
- المعلم : جيد وهل فيها سهول ؟
 تلميذ : نعم سهل السندي وسهل العمادية (طبيعي) .
- المعلم : وما هو المناخ السائد في محافظة دهوك ؟
 تلميذ : تقع ضمن مناخ البحر المتوسط والمتمثل شتاء بارد ممطر وصيف معتدل
 وأمطار كثيرة.
- المعلم : بارك الله فيك ، وهل لمناخ دهوك أثر على الموارد المائية ؟
 تلميذ : نعم فتعددت الأمطار والمياه السطحية والعيون والينابيع . (طبيعي - لفظي) .
- المعلم : جيد ، وماذا نقصد بالمياه السطحية ؟
 تلميذ : مياه نهر دجلة ورافد الخابور .
- المعلم : جيد ، ويعرض الخريطة ويسأل : من يؤشر لنا نهر دجلة (نشاط عملي)
 (حركي-جسمي)
- وبعدها يسأل : من يعطي لنا تعريفا لنهر دجلة ؟
 تلميذ : أحد أنهار العراق يدخل بلدنا عن مدينة فيشخابور وله خمسة روافد تغذيه .
- المعلم : جيد ، وما هي أهم المحاصيل الزراعية ، وهل يوجد في دهوك صناعات ؟
 وبعد تلقي الاجابة من التلاميذ والتوضيح لهم على الخريطة والسبورة ينتقل المعلم الى
 التقويم .
- رابعا : التقويم (٥ دقائق)
- بعد الانتهاء من الدرس والتأكد من تحقيق الأهداف السلوكية ، أوجه بعض الاسئلة
 الآتية :
١. كيف تميز بين التلال والجبال ؟
 ٢. ماذا نقصد بالموقع الجغرافي ؟
 - خامساً : الواجب البيتي : من صفحة (١٤) إلى صفحة (١٥) .

برنامج مقترح لتنمية المهارات الجغرافية لدى معلمي مادة الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية

A Proposed to Develop The Skills in Geography For The Teachers of Social Studies in Primary Schools

م.د. عبدالله فرحان عبدالله
وزارة التربية

Assist.D: Abdullah Farhan Abdullah
haki86@yahoo.com

ملخص البحث

يهدف البحث الى اعداد برنامج مقترح لتنمية المهارات الجغرافية لمعلمي الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية ، ولأجل تحقيق هدف البحث اختار الباحث المدارس النهارية التابعة لقضاء بعقوبة لتكون عينة البحث حيث بلغت عينة الدراسة (٤٠) مدرسة و (٥٢) معلما ومعلمة واعتمد الملاحظة لتكون اداة لبحثه وأعد قائمة بالمهارات الجغرافية اللازمة لهذا الغرض مكونة من (١٢) مجالا رئيسيا و(٦١) مهارة فرعية بعد التأكد من صدق استمارة الملاحظة وثباتها واستعمال الوسائل الاحصائية ، وكانت النتائج امتلاك معلمي الاجتماعيات لمهارة الخرائط وانموذج الكرة الأرضية فاق المعيار المتبنى في حين كانت بقية المهارات العشر دون المعيار المتبنى .

Abstract

This research aims to prepare a proposal to develop the skills in geography for the teachers of social studies in primary schools. To achieve the aim of the present research, the researcher chose day school classes which belong to (Baquba city). The sample of the research is (40) schools and (52) primary teacher (male , female). The researcher relied on observation as a tool of the research and prepared a list of geographical skills that are necessary for this purpose of (12) main domains and (61) minor skills after confirming of the functionally statistical and the use of statistical means. The results showed that the teachers of social studies have the skills of map drawing and the sample of the globe which exceeded the criteria adopted while the other skills. remained under the level of criteria.

الفصل الأول

مشكلة البحث

تركزت جهود التربية نتيجة التطورات الحديثة في مجال التربية على المتعلم وأصبح محور العملية التعليمية ، ولكي يؤدي دوره لا بد أن يكون متزوداً بالمعلومات والافكار الصحيحة عن تفاعل الانسان مع بيئته الطبيعية والاجتماعية والحصول على هذه المعلومات من المادة الدراسية التي يدرسها ، ولأن الجغرافية إحدى هذه المواد فإنها تساهم بتزويد المتعلمين بالمعلومات والمعارف الجغرافية لتنمي لديهم القدرة على الملاحظة ومساعدتهم على اكتشاف وتحليل الظواهر الجغرافية واكتسابهم للمهارات الجغرافية العديدة .

(الأسدي والمسعودي ، ٢٠١٤ ، ص٢٥)

وبما أن المهارات من أساسيات الدراسات الاجتماعية فهي يصعب فصلها عن كافة الجوانب التربوية لأنها ذات ارتباط وثيق بالحياة اليومية ، ولكي تؤدي هذه المهارات

لا بد من وجود معلم ماهر للدراسات الاجتماعية متمكن وملم وله دور بارز في اتقانها بعد أن تكون لديه وضوح في اهداف تدريسيها ، ولديه القدرة على اتاحة الفرصة للمتعلمين للتدرب على ملاحظتها ووضع البيانات الجغرافية مثلا في مواقعها الصحيحة والدقيقة على الخرائط بأنواعها والقدرة على التحليل والتصنيف والترابط بين الاشياء .

وقد شخّص الباحث ومن خلال خبرته في مجال التعليم (كون الباحث أحد معلمي الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية) إن الواقع التعليمي يشهد تدنيا ملحوظا في تحقيق الاهداف التعليمية المتعلقة بالجانب المهاري ، كما أكدت دراسة (الخاقاني ، ٢٠٠٦) على وجود ضعف في أداء المهارات الجغرافية لدى معلمي المرحلة الابتدائية ، كما أكد هذا التشخيص نتائج الاستبيان الذي اعده الباحث وقدمه لعينة من معلمي الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية في الاجابة عن المهارات الجغرافية التي تستعملها أثناء تدريسيك مادة الاجتماعيات ، وتبين أن معلمي الاجتماعيات يعانون من مشكلة تحديد المهارات الجغرافية فكان واعزا لنا للقيام ببناء برنامج يساهم في تنمية المهارات الجغرافية لمواكبة التطور في مجالات المعرفة للسير بالاتجاه الصحيح لبلوغ الاهداف المنشودة حيث أن الهدف من بناء البرنامج هو تحسين أداء المتعلمين وتنمية مهاراتهم الجغرافية.

أهمية البحث

تعد الدراسات الاجتماعية من أكثر المواد الدراسية التي تسهم في تحقيق النمو الشامل المتكامل في جميع جوانب شخصية المتعلم العقلية والنفسية والحركية والاجتماعية ، ليكون انساناً صالحاً مؤمناً بالله تعالى ، واعياً منتجاً ومفكراً ومبدعاً ومتجدداً ومؤمناً بالتغيير في عالم متجدد ومتسلح بالعلم والمعرفة، ونظراً لأهمية الدراسات الاجتماعية، فإن تعليمها وتعلمها يتطلب معلماً فاعلاً ومبدعاً يمتلك مجموعة من الكفايات اللازمة للنجاح في تحقيق تلك الأهداف ، ويمتلك رؤية تعبر عن المستقبل وطموحاته وتركز على جودة التعليم للوصول بالمتعلمين الى أعلى مستوى من التحصيل والتفوق ، الامر الذي يتطلب إعداده في جميع الجوانب التربوية والثقافية والاكاديمية .

(قطاوي ، ٢٠٠٧ ، ص ١١)

ولكي نحصل على معلم منتج ومتطور لا بد أن يحصل على إعداد وافي ليتمكن من الحصول على المعارف والمفاهيم والمهارات والاتجاهات لتساعده في توجيه سلوك التعلم لديه وتمكنه من أداء عمله داخل وخارج الصف ليساهم في اكتساب المتعلمين الكفايات وتوظيفها في رفع مستوى فاعلية التعلم لما لها من أثر إيجابي على الأداء المهني للمتعلم وتعد معايير للحكم على العملية التعليمية .

(الزيادات وقطاوي ، ٢٠١٠ ، ص ٩٠)

ولا بد لمعلم الاجتماعيات أن يمتلك مهارات متعددة تساعده على أداء عمله بأقل وقت وجهد ، لأن المهارة تمثل جسراً لا غنى عنه بين المعرفة والسلوك ومنها المهارات الجغرافية التي تساهم في اكساب المتعلمين عدداً من المهارات وتطويرها لممارسة العمل في مجالات مختلفة ، ولأهميتها فقد ركز عليها عدد من الباحثين والمختصين بها ، كما أولت العديد من الجامعات العالمية اهتماماً كبيراً بها في إعداد جيل المستقبل وقدرتهم على أداء المهارات الجغرافية وتنميتها .

(العنكي ، ٢٠١٤ ، ص ٨)

ولكي نسعى لتنمية المهارات الجغرافية لدى المتعلمين لا بد أن يتطلب هذا العمل بناء برنامج مقترح لتنمية المهارات الجغرافية لتحسين أداء معلمي الاجتماعيات .

فالبرنامج يوفر الوقت والجهد ويساعد في النمو المهني للمعلم لما له من اجراءات تتمثل بالأنشطة والوسائل التعليمية واساليب التقويم التي تساهم جميعها في تنمية المهارات الجغرافية لدى المعلمين وتحسن من ادائهم لتلك المهارات وجاءت هذه الدراسة لتلبي الاهداف المرغوبة منها لتحسين العملية التعليمية في بلدنا لذلك ركز الباحث على ان تسير هذه الدراسة بهذا التوجه .

هدف البحث :

يهدف البحث الحالي الى :-

اعداد برنامج مقترح لتنمية المهارات الجغرافية لمعلمي المرحلة الابتدائية في مادة الاجتماعيات

حدود البحث :

يتحدد البحث بما يأتي

١- المدارس الابتدائية النهارية التابعة للمديرية العامة لتربية ديالى (قضاء بعقوبة).

٢- الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي ٢٠١٦-٢٠١٧ م.

٣- معلمي مادة الاجتماعيات ضمن المديرية العامة لتربية ديالى .(قضاء بعقوبة)

تحديد المصطلحات :

أولاً : البرنامج

١- عرفه هندام وجابر : (عبارة عن مواد وموضوعات لها محتوى ولها تنظيم ولكل من المحتوى والتنظيم معايير الخاصة) . (العنكي ، ١٩٩٥ ، ص٣٣)

٢- الزند (٢٠٠٤) " بأنه مجموعة من الإجراءات الكفيلة بتخطيط الموقف التعليمي ضمن سقف زمني محدد وخطوات محسوبة قابلة للقياس تهدف إلى تحقيق نتائج ذات أبعاد موضوعية واسعة" . (الزند ، ٢٠٠٤ ، ص٣٨)

التعريف الإجرائي للباحث :- التخطيط المنظم والمحدد للمحتوى الذي يتضمنه البرنامج المقترح لتحقيق نتائج إيجابية نحو تعلم أفضل .

ثانياً:- التنمية : عرفها :

١. حافظ (١٩٨٦) " بث روح جديدة تنتشر فيها الفرد والمجتمع من الركود الذي يعانيه وتدفعه إلى الحركة والنشاط والإيجابية حتى يكشف عن قدراته " .

(حافظ ، ١٩٨٦ ، ص٥٠)

٢. العنبي (٢٠١٤) " الزيادة في المستوى المهاري للطلاب بعد تعرضهم لموقف تعليمي ما ".
(العنبي ، ٢٠١٤ ، ص١٣)

التعريف الإجرائي للباحث : تحسين أداء عينة البحث بعد تعرضهم للبرنامج المقترح .

ثالثاً :- المهارات الجغرافية: عرفها :

١. المجلس القومي لتعليم الجغرافية (NCGE 2000) : العمليات التي يقوم بها الفرد لاكتساب وتنظيم واستعمال المعلومات الجغرافية بهدف تحسين التعامل مع الظواهر الطبيعية والبشرية الموجودة على سطح الارض . (NCGE , 2000 , p1)

٢. الجمعية الامريكية للجغرافيين (AAG . 2007) : الاجراءات التي تمتد الفرد بالأدوات والفنيات الضرورية للتفكير الجغرافي . (AAG , 2001 , p2)

التعريف الإجرائي للباحث :

" قدرة عينة البحث على استعمال المهارات الجغرافية المحددة ضمن البرنامج المقترح بدقة " .

الفصل الثاني

إطار نظري - دراسات سابقة

أولاً : الاطار النظري

إعداد المعلم

إن نجاح التعليم يتوقف على عوامل مختلفة ومتنوعة منها وجود معلم كفء ذو كفايات تعليمية وسمات شخصية متميزة يستطيع بها اكساب طلبته الخبرات المتنوعة ، ويعمل على تهذيب شخصياتهم ، وتوسيع مفاهيمهم ومداركهم ، وينمي أساليب تفكيرهم ، ورغم الجهود والنفقات التي تبذل في إعداد المعلم وتدريبه ، إلا أن هذه الجهود دون المستوى الذي عليه متطلبات الحياة العصرية ، في بناء الشخصية الإنسانية في جوانبها المتعددة ، وممارسة القيادة والبحث والارشاد والتوجيه وهذا كله يتطلب إعدادا علميا ومهنيا وثقافيا وشخصيا ليوكب التغير والتطور الأمثل في مجال

العلم والتكنولوجيا ليزيد من أهمية دور المعلم في تربية الأجيال تربية تتناسب مع متغيرات هذا العصر. (الحيلة ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٧-٢٨)

برنامج إعداد المعلم

من أجل أن يقوم المعلم بما هو مطلوب منه على الوجه الامثل فإن هناك اتفاقا على المعالم الرئيسية لإعداده وتشمل :-

١. الإعداد العلمي الاكاديمي التخصصي :-

يشمل المواد الاساسية العلمية التخصصية والمواد المساندة لها ، والتي ينبغي أن يدرسها المعلم ضمن تخصصه العلمي ، فالهدف العام من الاعداد الأكاديمي هو جعل المعلم يفهم أساسيات ومفاهيم المادة الدراسية التي سيختص بها مستقبلاً ليحصل على معلومات كافية تؤهله للتمكن من هذا التخصص ولهذا التخصص جوانب وفائدة إيجابية يستطيع المعلم أن يحصل عليها كتنقته بنفسه وعلمه وثقة طلابه به كمعلم كفء يستطيع أن يقدم الفائدة لطلابه ليساهم في زيادة نموهم العلمي والقدرة على التفكير السليم وربط المادة المتخصص بها بجوانب الحياة الأخرى .

٢. الاعداد المهني :-

تشمل الدراسات التربوية والنفسية النظرية والعملية التي تمكن معلم المستقبل من تنظيم المواقف والخبرات التعليمية وتسهيل عملية التدريس ومواجهة المواقف التعليمية المختلفة ، وهذا الاعداد يكسب المعلم المعرفة الصحيحة والمهارة العالية في التدريب وطرائقه وأساليبه ليحقق الأهداف المنشودة ، بينما يتضمن الجانب العملي في الاعداد والتدريب الميداني الذي يضع المعلم في مواجهة الواقع التعليمي .

٣. الاعداد الثقافي :-

يشمل دراسات تزود المعلم بمعارف وإدراكات في جوانب مختلفة فالاعداد في الثقافة العامة تتمثل في معرفة وإدراك وفهم جوانب علمية واجتماعية ودينية وتربوية ونفسية وصحية واقتصادية ومشكلات محلية وعالمية ، بينما الثقافة التخصصية تكون في معرفة وإدراك وفهم الجوانب المتصلة بالمادة التخصصية التي تختص بها .

٤. الاعداد الشخصي :-

تتمثل بتهيئة معلم المستقبل لاكتساب سمات شخصية وسلوك متميز واتجاهات وقيم واهتمامات مرغوب بها كالنشاط والصوت الواضح واللياقة البدنية والإيمان والعقيدة الراسخة والتحلي بالأخلاق والآداب الحسنة واحترام شخصية وآراء الآخرين والعدل والموضوعية عند اصدار الأحكام والود والتعاون وغيرها من الصفات .

٥. الاعداد التكنولوجي :-

يشمل تمكن المعلم من امتلاك مهارات التكنولوجيا المتقدمة والتعامل معها والقدرة على توظيف الحاسوب والانترنت في المجالات التعليمية المختلفة .

(قطاوي ، ٢٠٠٧ ، ص٥٧٥-٥٧٦)

المعلم مدير للعملية التعليمية

وضع العالم ديفيس ١٩٨١ دورا للمعلم كمدير للعملية التدريبية الصفية وهناك أربع عمليات يمارسها هذا المعلم وهي :-

١. المعلم مخطط لعملية التعليم :

يتضمن إعداد وصياغة الاهداف السلوكية ومعد لمهارات التخطيط والصياغة وفن قدرات الطلبة واستعداداتهم والمرحلة النهائية التي يمرون بها والقدرة على تخطيط مواقف تثير تفكيرهم وإبداعهم وتدفع إلى ممارسة سلوك حب الاستطلاع .

٢. المعلم منظم للخبرات والبيئة التدريبية المناسبة :-

وتتضمن تنظيم الخبرات التعليمية والمواقف والأحداث التدريبية وتنظيم الظروف البيئية للتعلم ، وتنظيم أدوار الطلبة وتفاعلاتهم مع المواقف ، وتنظيم استخدام التقنيات والوسائل وأوقات استخدامها لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة .

٣. المعلم قائد للأنشطة والممارسات التعليمية :-

يساهم في استثارة دافعية الطلبة للتعلم والمشاركة في المواقف التعليمية ويثير حماسهم في بناء وتخطيط الأنشطة الصفية ، ويجعل التعلم للطلبة تلقائيا إيجابيا، ويعمل على دفع الطلبة لتحمل مسؤوليات تعلمهم والاستقلال عن البيئة في قراراتهم في مقابل

سيطرة البيئة على ممارسة الطلبة والتحكم فيها ، ومساعدة الطلبة على استغلال قدراتهم في تحقيق التعلم والالتزان وتحقيق الابداع والشعور بالإنجاز والتفوق .

٤. المعلم ضابط للإجراءات التعليمية :-

تتطلب إدارة التعلم الصفي وتنفيذه التمتع بقدرة الضبط لتحقيق أهداف الدرس، والضبط عملية مخططة ومحددة بمعايير حكم المعلم ورضاه عن خطوات سيره وتحقق قبول أداء الطلبة كنتاج تعليمي .

٥. المعلم متعلماً :-

يبحث المعلم الجيد عن طرائق ليتعلم أكثر ويحسن من مهارات تدريسه ، ويمكن أن تكمن في التحديات التي يواجهها من المعلمين في الصف ليتعرف على نقاط الضعف والقوة لديه ومحاولة التخلص من التردد والعمل على زيادة معلوماته ليكون قائدا داخل الصف .
(قطامي وآخرون ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٢-٣٦)

أهم المبادئ في برامج إعداد المعلم

١. إعداد إطار أو نموذج نظري للإعداد له جذوره التجريبية لتوجيه النشاط والممارسات التدريبية في البرنامج .

٢. وضوح وتحديد الاهداف الاجرائية لبرنامج الاعداد .

٣. توجيه برنامج اعداد المعلمين نحو الكفايات التعليمية .

٤. أن يحقق البرنامج التطابق أو التوافق ما بين الافكار والنظريات المتعلقة بعملية التدريس .

٥. الاعداد ومبدأ التربية المستمرة انسجاماً مع الاتجاه العالمي المعاصر .

٦. تلبية الحاجات المهنية للمتدربين .

٧. استثمار برنامج الاعداد لنتائج البحوث والدراسات العلمية .

٨. استثمار تكنولوجيا التربية الحديثة في عملية إعداد البرنامج .

٩. مواكبة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في إعداد البرنامج .

١٠. تعزيز التعلم في عملية الاعداد بما يتفق وقدرات واستعدادات كل معلم .
 ١١. ارتباط عملية اعداد المعلمين بمفهوم التربية المجتمعية والتعرف على حاجات المجتمع الذي يعيش فيه لتقوية الروابط بين البيت والمدرسة والمجتمع .
- (قطاوي ، ٢٠٠٨ ، ص٥٧٦-٥٧٨)

المهارات الجغرافية

المهارة : نمط معقد من النشاط الهادف يتطلب أدائه معالجة وتنسيق معلومات وتدريبات سبق تعلمها ، وتزداد أهميتها في معظم ميادين المعرفة ، فالمهارات تجعلنا نحصل على تعلم فعال نوظف مهارات جمع المعلومات وتفسيرها وتحليلها لتحقيق تعلم أفضل ، وتترابط المهارة وتتكافل مع بقية مجالات التعلم كالقيم والاتجاهات والمعرفة ، فعند تحليلنا للمهارة نجد أنها تتكون من المكونات المعرفية والعقلية والوجدانية والأداء .

(مرعي والحيلة ، ٢٠٠٥ ، ص٢١٥)

ولا بد أن يمتلك المتعلم المهارات الجغرافية ويساهم في إكساب طلابه لها مستقبلاً ليزيد من تفكيرهم وتعديل سلوكهم ، ولأهميتها فقد ركز عليها عدد من الباحثين الجغرافيين والتربويين في كتبهم وبحوثهم .

وتقسم المهارات المتصلة بالدراسات الاجتماعية إلى ثلاث فئات :

١. مهارة عقلية : تشمل البحث والتفكير الناقد وحل المشكلات واستخدام الخرائط .
 ٢. مهارات اجتماعية : تشمل تفاعل الاعضاء فيما بينهم وتعاونهم في الاعمال والانشطة .
 ٣. مهارات حركية : تشمل الكفاءة في الرسم والتلوين والكتابة .
- أما أهم مهارات استخدام الخرائط في الجغرافية هي :

١. مهارة اختيار الخريطة .
٢. مهارة عرض الخريطة .
٣. مهارة فهم الخريطة ، وتتضمن :

- أ. مهارة قراءة الخريطة .
- ب. مهارة تحليل الخريطة .
- ج. مهارة الاستنتاج من الخريطة .
٤. مهارة استخدام الخريطة في التقويم .
٥. مهارة صيانة الخريطة .

(يوسفاني ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٢-٣٣)

وقد حدد (كلارك) المهارات الجغرافية التي يجب على معلم الجغرافية ان يتقنها :

١. قراءة وتفسير الخريطة .
٢. قراءة الموارد الطبيعية .
٣. ملاحظة وتسجيل الظواهر الجغرافية (بشرية - طبيعية). ٦. صياغة الفرضيات الجغرافية
- أما كاربنتر فقد صاغها ب :

١. معرفة الجهات الأصلية. ٥. فهم رموز الخريطة وتحليلها ومعرفة محتواها.
٢. قراءة خطوط الطول ودوائر العرض . ٦. فهم مساقط الخرائط .
٣. استخدام مقياس الخريطة في تفسيرها. ٧. استخدام مفتاح الخريطة وقراءته وفهمه.
٤. استخدام الخرائط وتفسيرها . ٨. ملاحظة الظواهر الطبيعية والبشرية بعمق.
- (المسعودي ، ٢٠٠٢ ، ص ٦٤-٦٥)

ثانياً : دراسات سابقة :-

١. دراسة (فرحان ، ٢٠٠٤)

الموسومة (برنامج مقترح لتنمية بعض القيم لمنهج التاريخ العربي الاسلامي لطالبات الصف الأول في معهد إعداد المعلمات)

هدفت الدراسة إلى :

بناء برنامج مقترح لتنمية بعض القيم الشائعة بمنهج التاريخ العربي الاسلامي لطالبات الصف الأول في معهد إعداد المعلمات .

وتضمنت الدراسة اختيار معهد إعداد المعلمات البياع شعبتين (ب) مثلت المجموعة التجريبية وشعبة (ج) المجموعة الضابطة وعدد الطالبات (٤٠) طالبة لكل شعبة .

وكانت إجراءات الدراسة على مرحلتين :

أولاً :- الترتيبات الأولية للبطاقة وتشمل :

الهدف من الدراسة ، التمهيد للدرس ، طرائق وأساليب التدريس ، الوسائل التعليمية ، أساليب التقويم .

ثانياً :- التنفيذ الفعلي للبرنامج ، وتضمن :

تنظيم محتوى البرنامج - طرائق التدريس واستراتيجياته - التنوع في الوسائل التعليمية - طبيعة البرنامج وخطواته - أهداف البرنامج - التقويم المستمر في البرنامج - مدة التطبيق خمسة عشر يوماً - استخدام وسائل إحصائية كالاختبار التائي لعينتين مستقلتين - معادلة سكوت والصعوبة والسهولة ومعادلة الفا - كرونباخ .

وكانت النتائج قد أسفرت عن تفوق المجموعة التجريبية التي درست بالبرنامج على المجموعة الضابطة .
(فرحان ، ٢٠٠٤ ، ص ٥٩-٨٦)

٢. دراسة (الخاقاني ، ٢٠٠٦)

الموسومة (تقويم المهارات الجغرافية لدى معلمي المرحلة الابتدائية واقتراح برنامج تدريبي لتنميتها)

هدفت الدراسة إلى :

١. تقويم المهارات الجغرافية لدى معلمي المرحلة الابتدائية .

٢. اقتراح برنامج تدريبي لتنميتها .

تكونت عينة الدراسة من (٩٠) معلما ومعلمة موزعين على (٥٢) مدرسة .

وتم إعداد قائمة مهارات تكونت من (٦٤) مهارة فرعية في (١٢) مجالا ، واعتمد في بنائها على نتائج الدراسة الاستطلاعية المكونة من (٢٧) معلما ومعلمة موزعين على (١٦) مدرسة ، وعرضها على المحكمين للتأكد من صدقها ، واستخدام وسائل

إحصائية مربع كاي ، مقياس ليكرت لقياس الأوزان ، النسبة المئوية ، معامل ارتباط بيرسون .

نتائج الدراسة أسفرت عن ممارسة معلمي الجغرافية للمهارات الجغرافية كانت جيدة، أعلى معدل في مجالات استمارة الملاحظة كانت بالمهارات المتصلة بالأنشطة الصفية واللا صفية . (الخاقاني ، ٢٠٠٦ ، ح- ر)

الفصل الثالث :

منهجية البحث واجراءاته

أولاً : مجتمع البحث وعينته

بلغ عدد المدارس الابتدائية النهارية التابعة للمديرية العامة لتربية ديالى قسم تربية بعقوبة (٤٥) مدرسة بواقع (١٧) مدرسة للبنين و (١٨) مدرسة للبنات و(١٠) مدارس مختلطة وبلغ عدد معلمي ومعلمات مادة الاجتماعيات في المدارس الابتدائية الذين يقومون بتدريس المادة (٦٢) معلماً ومعلمة بواقع (٢٧) معلماً و (٣٥) معلمة ، وقد اختار الباحث وبالسحب العشوائي (٤٠) مدرسة كعينة اساسية لأداة بحثه و(٥٢) معلماً ومعلمة بعد ان اعتمد على جميع المدارس المسحوبة عشوائياً بغض النظر عن عددهم في كل مدرسة ليمثلوا عينة البحث .

ثانياً : تصميم اداة البحث

لكل بحث طبيعته واهدافه وهما يحددان الاداة المناسبة ، وهذا يتطلب من الباحث الالمام بأداة البحث وكيفية تصميمها واعدادها . (الخاقاني ، ٢٠٠٦ ، ص٨٨)

ولكون البحث الحالي يرمي الى بناء برنامج مقترح لتنمية المهارات الجغرافية لدى معلم مادة الاجتماعيات فإن اسلوب الملاحظة هو افضل اداة لتحقيق هذا الغرض ويعد اسلوب الملاحظة ذا مزايا عديدة لأنه يوفر معلومات لا يمكن توفرها بطريقة غيرها ويمكن استخدامها في مواقف مختلفة وتوفر قدرة تنبؤية عالية ومعلومات عن السلوك الملاحظ في أوضاع طبيعية . (الحيلة ، ٢٠٠٧ ، ص٣٥٩)

ولعدم وجود قائمة جاهزة بالمهارات الجغرافية فقد اعد الباحث قائمة بالمهارات الجغرافية اللازمة بهذا الغرض واتبع الاجراءات الاتية :-

١- الدراسة الاستطلاعية

للحصول على المهارات الجغرافية التي يمتلكها معلمو مادة الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية فقد تم توجيه استبانة مفتوحة لأفراد العينة الاستطلاعية تتضمن سؤالاً عن المهارات الجغرافية، وقد حرص الباحث أن يلتقي بأفراد عينة البحث لتوضيح الاستفسارات لديهم حول مضمون الاستبانة وطلب الباحث من أفراد العينة عدم ذكر أسمائهم لغرض إعطائهم الحرية التامة في الاجابة لتساعد هذه المعلومات الباحث لاعداد أداة بحثه .

٢- الاطلاع على نتائج دراسات وبحوث سابقة أجريت في هذا الميدان منها دراسة الشمري (٢٠٠٢) ودراسة الخاقاني (٢٠٠٦) ودراسة يوسفاني (٢٠٠٥) ودراسة المسعودي (٢٠٠٢) ودراسة الناييف (١٩٨٩) ودراسة سلمان (١٩٩٤) ودراسة المقدم (١٩٩٤) ودراسة العنبيكي (٢٠١٤) .

٣- مراجعة عدد من الأدبيات التي تناولت موضوع المهارات الجغرافية .

٤- أهداف تدريس مادة الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية .

٥- كتب الاجتماعيات المقررة للمرحلة الابتدائية من أجل معرفة ما تحتويه من مهارات جغرافية يتم الرجوع اليها .

٦- الخبرة الشخصية للباحث فلهذه خبرة شخصية في مجال تدريس مادة الاجتماعيات في المدارس الابتدائية لمدة اثني عشرة سنة استفاد الباحث منها في تحديد المهارات الجغرافية وتنظيمها ومن ثم توزيعها على المجالات .

وقد توصل الباحث الى عدد من المهارات الجغرافية وتم صياغتها في استمارة ملاحظة ملحق (١) والتي تضمنت (٦١) مهارة فرعية موزعة على (١٢) مجالاً رئيساً.

ثالثاً :- استمارة الملاحظة :

تعد الملاحظة عملية يقوم بها الباحث معتمداً على إدراكه وحواسه في جمع المعلومات عن ظاهرة ينوي دراستها ، كما أنها تعد الخطوة الأولى لتمهيد الطريق الاساسي للتجريب أو بناء برنامج تدريبي أو اختبار علمي للحصول على معلومات عن طبيعة الدراسة . (قطامي وآخرون ، ٢٠٠٨ ، ص ٧٨٨-٧٨٩)

ولكونها أكثر دقة وتزود الباحث بصورة حقيقية عن نشاط المعلم داخل الصف ، لذا اعتمد الباحث الملاحظة المباشرة لتحقيق هدف بحثه ، واعتمد مقياس ليكرت (Likert) أساساً للقياس ، وأعطيت الاختيارات الخمسة أوزان مختلفة حسب اهميتها وتضمن خمس بدائل أمام كل فقرة يختار الباحث أحدها عند ملاحظة المعلم أو المعلمة وهي جيد جداً (٥درجات) ، جيد (٤درجات) ، متوسط (٣درجات) ، دون الوسط (درجتان) ، ضعيف (درجة واحدة) ، والمعلم الذي يحصل على (٥درجات) يعد متمكناً من المهارة الجغرافية .

صدق استمارة الملاحظة

للتحقق من صلاحية المهارات الجغرافية المتضمنة في استمارة الملاحظة ولسلامة صياغتها ، فقد عرضت على مجموعة من المختصين في الجغرافية وطرائق تدريسها والعلوم التربوية والنفسية ، لإبداء آرائهم وملاحظاتهم ، وبعد الحصول على اجاباتهم والأخذ بملاحظاتهم ، فقد نالت موافقة الجميع ، وبذلك أصبحت استمارة الملاحظة جاهزة للتطبيق .

ثبات استمارة الملاحظة

للحصول على نتائج موثوق بها فقد استعمل الباحث طريقة الاتفاق بين الباحث وملاحظ ثان ، فقد استعان الباحث بأحد زملائه ليكون ملاحظاً آخر ، ودربه على استخدام استمارة الملاحظة ، وقد تمت ملاحظة (٨) من معلمي ومعلمات مادة الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية ، وبعد حساب معامل الثبات بين الباحث والملاحظ الثاني باستعمال معامل ارتباط بيرسون ظهر معامل الثبات (٨٦) وهو معامل ثبات جيد .

تطبيق الاداة :

بعد التأكد من صدق استمارة الملاحظة وثباتها ، فقد طبقت على أفراد عينة البحث يوم ٢٠١٧/٢/٢٠ وانتهت يوم ٢٠١٧/٤/٢٢ .

رابعاً :- الوسائل الاحصائية :

استعمل الباحث معامل ارتباط بيرسون ومعادلة الوسط المرجح والوزن المئوي ومربع كاي .

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

للتعرف على ما يملكه معلمو مادة الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية من مهارات جغرافية يتضح من الجدول ادناه ان قيمة الوسط المرجح العام بلغ (٢.٤٨) والوزن المئوي بلغ (٤٩.٦٨) والجدول التالي يبين ذلك .

جدول ()

الوسط المرجح والوزن المئوي لكل مهارة في استمارة الملاحظة مرتبة تنازليا

ت	المهارة	الوسط المرجح	الوزن المئوي
١	الخرائط	٣,٢	٦٤
٢	أنموذج الكرة الارضية	٣,١	٦٢
٣	الاتجاهات الجغرافية	٢,٩٣	٥٨,٦
٤	طرح الاستفسارات الجغرافية	٢,٩١	٥٨,٢
٥	الانشطة الصفية واللا صفية	٢,٨٨	٥٧,٦
٦	التقنيات والوسائل التعليمية	٢,٨٦	٥٧,٢
٧	والمختبرات	٢,٧٥	٥٥

٣٨,٨	١,٩٤	المفاهيم الجغرافية	٨
٣٧,٤	١,٨٧	مقياس الرسم	٩
٣٦,٤	١,٨٢	الجداول الرسوم البيانية	١٠
٣٦	١,٨٠	الدراسة الميدانية	١١
٣٥	١,٧٥	تحليل الظواهر الجغرافية الطبيعية التفكير الجغرافي	١٢
٤٩,٦٨	٢,٤٨	المتوسط العام	

ويتضح من الجدول اعلاه ان امتلاك معلمي الاجتماعيات للمهارات الجغرافية كان ضعيفا موازنة بالمعيار المتبنى وهو الحصول على وسط مرجح (٣) فأكثر ووزن مئوي (٦٠) فأكثر وقد تعزى هذه النتيجة للأسباب التالية :

- ١- ضعف التأهيل التربوي .
 - ٢- قلة خبراتهم بتلك المهارات .
 - ٣- عدم اشتراكهم في دورات تدريبية .
 - ٤- عدم وجود تلك المهارات في استمارة التقويم لدى المشرفين .
- ويلاحظ من الجدول أعلاه أن امتلاك معلمي الاجتماعيات لمهارة الخرائط وأنموذج الكرة الارضية قد فاق المعيار المتبنى ، حيث بلغ الوسط المرجح (٣,٢) و (٣,١) ، والوزن المئوي (٦٤) و (٦٢) على التوالي ، أما بقية المهارات العشرة الاخرى فكان دون المعيار المتبنى .

وفيما يأتي توضيح الوسط المرجح والوزن المئوي لكل مهارة من المهارات الجغرافية على حدة وهي :-

١- مهارة الخرائط :

تبين أن معلمي الاجتماعيات متمكنون في مهارة الخرائط ذات التسلسل (١، ٢، ٥، ٦) حيث بلغ الوسط المرجح (٣)، (٣، ١)، (٣، ٢)، (٣، ١) والوزن المئوي (٦٠)، (٦٢)، (٦٤)، (٦٢) ويرى الباحث أن هذه القدرة لديهم في هذه المهارات يرجع سببها إلى وعيهم بأهمية الخرائط في توضيح وترسيخ المعلومة الجغرافية في أذهان التلاميذ ، في حين كان امتلاكهم لبقية المهارات رقم (٣، ٤، ٧) ضعيفاً ويرجع السبب في ذلك الى قلة إدراكهم بأهمية الخرائط في توضيح المعلومة الجغرافية وقلة خبراتهم في ذلك .

٢- مهارة أنموذج الكرة الأرضية :

تراوحت قيم الاوساط المرجحة لامتلاك معلمي الاجتماعيات للمهارات ذات التسلسل (١-٤) بين (٣، ٣) و (٣)، أما أوزانها المئوية فتراوحت بين (٦٦) و (٦٠) وقد يكون السبب في ذلك إدراكهم أهمية هذه المهارات نتيجة تدريبهم عليها وتراكم خبراتهم .

أما بخصوص مهارة رقم (٥، ٦) فقد بلغ الوسط المرجح (٢، ٩٠)، (٢، ٨٥)، والوزن المئوي (٨٥)، (٥٧)، وهذا يعني أن امتلاكهم لهذه المهارة دون المستوى المطلوب ويمكن أن يعزى ذلك الى قلة خبراتهم .

٣- مهارة الاتجاهات الجغرافية :

فيما يتعلق بقيم الأوساط المرجحة لامتلاك معلمي الاجتماعيات للمهارات ذات التسلسل (١، ٢، ٣، ٤) فقد تراوحت بين (٣، ٤) و (٣)، والأوزان المئوية بين (٦٨) و (٦٠) وهذا يعني أن المعلمين يمتلكون هذه المهارات بمستويات متفاوتة .

أما مهارة رقم (٥) فكان الوسط المرجح (١، ٩٢) والوزن المئوي (٣٨، ٤)، وهذا يعني أن امتلاكهم لهذه المهارة ضعيف ويرجع السبب في ذلك إلى عدم التدريب على هذه المهارة في إعدادهم التربوي .

٤- مهارة طرح الاستفسارات الجغرافية :

بلغ الوسط المرجح لمهارة رقم (٣، ٤) فكان (١، ٩٠)، (١، ٨٨) والوزن المئوي (٣٨)، (٣٧، ٦) وهذا يعني أن امتلاكهم لهاتين المهارتين ضعيف ويعزو الباحث ذلك

إلى عدم اهتمام البعض بإثارة دافعية التلاميذ وانتباههم نحو الدرس واعتبار أن التهيئة تعطى في بداية الدرس فقط .

أما مهارة رقم (١، ٢، ٥) فقد تراوح الوسط المرجح فيها بين (٣، ٤) و (٣، ٢) والوزن المئوي بين (٦٨) و (٦٤) ، ويتضح أن امتلاكهم لهذه المهارات متفاوت لإدراكهم بأهمية هذه المهارات في جذب انتباه التلاميذ للدرس ومعرفة الفروق الفردية لديهم .

٥- مهارة الانشطة الصفية والملا صفية :

كانت قيم الاوساط المرجحة لمهارة رقم (١، ٣) حيث بلغت (٣، ٦) و (٣، ٣) والوزن المئوي (٧٢) ، (٦٦) ، وهذا يعني أن امتلاكهم لهذه المهارات فاق المستوى المطلوب بسبب إدراك البعض بأهمية الانشطة في زيادة المستوى العلمي واستغلال أوقات الفراغ بالنسبة للتلاميذ .

أما مهارة رقم (٢، ٤) فكان الوسط المرجح فيها (٢، ٣٢) ، (٢، ٣) والوزن المئوي (٤٦، ٤٦) ، ويعود سبب ذلك إلى ضعف إدراك البعض أن الصور وكتابة التقارير لها علاقة بالموضوع الدراسي وتزيد من اتقان التلاميذ للمعلومة الجغرافية .

٦- مهارة التقنيات والوسائل والمختبرات :

تبين أن قيم الاوساط المرجحة لامتلاك معلمي الاجتماعيات لجميع مهارات التقنيات والوسائل والمختبرات تراوحت بين (٢، ٩٠) و (٢، ٨٢) ، أما أوزانها المئوية فقد تراوحت بين (٥٨) و (٥٦، ٤) ، ويمكن أن يكون السبب في ذلك إلى عدم امتلاك المدارس للأجهزة والتقنيات الحديثة وإن وجدت فلا يوجد مكان مخصص لها مما يؤدي إلى اتلافها وعدم الاعتناء بها أو لعدم التدريب عليها مما يصعب استعمالها من قبل معلم المادة .

٧- مهارة المفاهيم الجغرافية :

بلغ الوسط المرجح لمهارة رقم (١، ٢) فكان (٢، ٨١) ، (٢، ٦٥) والوزن المئوي (٥٦، ٢) ، (٥٣) ويرى الباحث أن امتلاكهم لهذه المهارة كان ضعيفاً ، ويمكن أن يكون السبب في عدم إدراك البعض لأهمية هذه المهارة في ترسيخ المفهوم في أذهان التلاميذ وعدم نسيانه بسهولة .

أما بخصوص مهارة رقم (٣، ٤) فقد بلغ الوسط المرجح (٢، ٨٨) ، (٢، ٦٦) والوزن المئوي (٥٧، ٦) ، (٥٣، ٢) ويمكن أن يرجع سبب ذلك إلى قلة توافر المصادر في مكتبة المدرسة وقلة خبرائهم في هذا المجال .

٨- مهارة مقياس الرسم :

تبين للباحث أن قيم الاوساط المرجحة لمهارة رقم (٣، ١) كان (٢، ٥٧) ، (٢، ٤٦) والوزن المئوي بلغ (٥١، ٤) ، (٤٩، ٢) وهذا يعني ان امتلاكهم لهاتين المهارتين بنسب مختلفة ، أما مهارة رقم (٢، ٤) ، (٥) فقد تراوح الوسط المرجح بين (١، ٦٢) و (١، ٤١) والوزن المئوي بين (٣٢، ٤) و (٢٨، ٢) وتعزى هذه النتيجة إلى طبيعة إعدادهم وعدم التدريب على هذه المهارة .

٩- مهارة الجداول والرسوم البيانية :

فيما يخص مهارة رقم (٣، ٢) فقد بلغ الوسط المرجح (٢، ٢٥) ، (٢، ١٢) والوزن المئوي (٤٥) ، (٤٢، ٤) ، ويرى الباحث أن هذه النتيجة سببها عدم امتلاك البعض لأهمية هذه المهارة في زيادة البيانات الجغرافية لدى التلاميذ وعدم تدريبهم عليها وجعلها للاطلاع فقط .

أما بخصوص مهارة رقم (١، ٤) ، (٥) فقد تراوح الوسط المرجح بين (٣، ٢) و (٣) والوزن المئوي بين (٦٤) و (٦٠) وهذا يعني أن امتلاكهم لهذه المهارات موجود ولكن بنسب مختلفة مما يدل على إدراك البعض بأهمية الجداول في ترسيخ المعلومة لدى التلاميذ .

١٠- مهارة الدراسة الميدانية :

تراوحت الأوساط المرجحة لامتلاك معلمي الاجتماعيات لمهارات ذات التسلسل (٢، ٤ ، ٦، ٥) بين (٢، ٧٦) و (٢، ٣١) والوزن المئوي بين (٥٥، ٢) و (٤٦، ٢) ، وهذا يعني ان امتلاكهم لهذه المهارات ضعيف ويمكن أن تكون النتيجة بسبب قلة خبراتهم وعدم تدريبهم على مثل هذه المهارات ولقلة امكانياتهم المادية وعدم توفر ظروف مناسبة للذهاب للأماكن موضع الدراسة .

أما مهارة رقم (١، ٣) فكان الوسط المرجح فيها (١، ٩٢) ، (١، ٨٧) والوزن المئوي (٣٨، ٤) ، (٣٧، ٤) وهذا يعني أن النتيجة كانت دون المستوى المطلوب .

١١- مهارة تحليل الظواهر الجغرافية الطبيعية :

كانت قيم الوسط المرجح لمهارة رقم (١، ٢) هي (١، ٤٠) ، (١، ٤٨) والوزن المئوي (٢٨) ، (٢٩، ٦) ويرجع سبب ذلك الى عدم ادراكهم بهذه المهارة في زيادة إدراك التلاميذ للمادة العلمية وعدم توجيه التلاميذ للتفكير ومهارة حب الاستطلاع .

أما بخصوص مهارة رقم (٣، ٤) فكان الوسط المرجح فيها (٢، ١١) ، (٢، ٢١) والوزن المئوي (٤٢، ٢) ، (٤٤، ٢) فكانت النتيجة كما يراها الباحث بنسب مختلفة ويمكن أن يكون السبب لإدراك البعض بأهمية المحافظة على البيئة ومعرفة الظواهر التي تؤثر فيها .

١٢- مهارة التفكير الجغرافي :

إن قيم الوسط المرجح لمهارة رقم (١، ٢، ٤) كان متراوحاً بين (٢، ٤٠) و (٢، ١٥) والوزن المئوي بين (٤٨) و (٤٣) أي أن امتلاكهم لهذه المهارات كان متفاوتاً

اما بخصوص مهارة رقم (٣، ٥، ٦) فقد تراوح الوسط المرجح بين (١، ٥٠) و (١، ٢٥) والوزن المئوي بين (٣٠) و (٢٥) ويمكن ان يرجع سبب ذلك الى ضعف خبراتهم وقلة ممارستهم لهذه المهارات وعدم اهتمامهم بها .

الفصل الخامس

إعداد البرنامج المقترح

تشكل عملية اعداد البرنامج المقترح أهم مراحل العملية التعليمية لأنها تتضمن مجموعة من العمليات والعناصر المتداخلة التي تعمل على تحقيق الأهداف من عملية التدريب ، ولكي يحقق البرنامج النجاح لا بد أن يكون واقعياً وموضوعياً ويهدف إلى الربط بين أهدافه والبيئة التعليمية وأن يأخذ بالمستجدات التربوية والتغيير التكنولوجي الحاصل في جميع ميادين المعرفة ، بحيث يجعل المتدربين مساهمين للتطور والتغيير وإضافة الجديد إلى معلوماتهم وخبراتهم .

(الزويلف ، ٢٠١٠ ، ص٥٣)

ويمكن توضيح ذلك بما يأتي :

١- مرحلة بناء البرنامج المقترح

يعد البرنامج إحدى التوجهات المعاصرة لتحقيق تعليم أفضل من خلال ضرورة جعل التعليم مخططاً ومصمماً وفق أسس علمية صحيحة تقوم على احتياجات المتعلمين وقدراتهم واستعداداتهم للتعلم ، وأن الهدف الرئيس من بناء البرامج هو تحسين الأداء المطلوب ، وتطبيق أكثر لطرائق التدريس الملائمة للحصول على تغيير في السلوك .

(العنكي ، ٢٠١٤ ، ص١٦)

ومر بناء البرنامج المقترح بعدة مراحل هي :

أولاً :- مرحلة التخطيط

ويمكن القول أن التخطيط لبناء البرنامج هو تصور مسبق ومحدد ومكتوب بشكل منظم لما سيقوم به المعلم في عملية تعليم وتعلم المتدربين خلال فترة زمنية محددة ، ويتضمن إدراك وتحديد المعلم لإطار مادته التعليمية وأهدافها العامة والخاصة وأبعادها ومجالاتها ومصادرها ووسائلها وأدواتها وطرائق واستراتيجيات تعلمها ، وما تحتاجه من أنشطة متنوعة وكيفية تقويمها وما يتم اكتسابه للمتدربين من معرفة ومهارات وقيم واتجاهات وتحديد الزمن اللازم لتعلم وتعليم كل وحدة أو حصة دراسية.

(قطاوي ، ٢٠٠٧ ، ص٤٢٩)

وتضمنت هذه المرحلة :

١. الاطلاع على الادبيات والدراسات السابقة الخاصة بالبرامج المقترحة للاستفادة منها في تحديد خطوات اعداد البرامج ومعرفة ما تحتويه من مراحل ، وكذلك لتلافي الوقوع في الأخطاء .

٢. هدف البرنامج المقترح :

أ. الهدف العام

تعد الأهداف العامة الخطوة الأولى التي يقوم بها مصممو البرامج التدريبية لمعرفة الامكانيات التي بوسع المتعلم أن يظهرها بعد تعلمه وحدة تعليمية أو منهجاً دراسياً في

فترة زمنية محددة لا تقل عن اسبوعين ولا تزيد عن سنة ، وتساعد معرفة الاهداف على اختيار المحتوى التعليمي وتنظيمه وترتيبه وفق استعداد المتعلم وقدراته وخلفيته الاكاديمية وكذلك معرفة الطرائق التدريسية المناسبة ووسائل التقويم المختلفة.

(قطامي وآخرون ، ٢٠٠٨ ، ص٤٣٢)

ويهدف البرنامج المقترح الى تنمية المهارات الجغرافية الضعيفة لدى معلمي مادة الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية .

وقد حدد الباحث هدفاً عاماً تمثل في تطوير المهارات الجغرافية لدى معلمي مادة الاجتماعيات في المرحلة الابتدائية، ثم اشتق منه أهدافاً فرعية بلغ عددها (٢١) هدفاً.

ب. الاهداف السلوكية

يسعى البرنامج المقترح الى تحقيق عدد من الأهداف السلوكية الملائمة لقدرات واهتمامات المتعلمين وتم عرضها على مجموعة من المختصين في الجغرافية وطرائق تدريسها والقياس والتقويم وبذلك اصبحت جاهزة للتنفيذ ويبلغ عددها (٤٠) هدفاً سلوكياً .

٣. محتوى البرنامج

يعد المحتوى من العناصر المهمة التي يستند اليها بناء البرنامج ، وذلك بسبب الصعوبة التي تكمن في اختيار مفرداته من حيث طبيعتها ومدى تناسبها لتحقيق الأهداف المطلوبة منها ، وكذلك اختلاف في قدرات المتدربين وإمكاناتهم وحاجاتهم . (العنكي ، ١٩٩٥ ، ص١٢٠)

وقد حدد الباحث محتوى البرنامج في ضوء الاهداف الواردة في البرنامج وعلى النحو الآتي :-

جدول رقم (١)

محتوى البرنامج المقترح من الموضوعات والمفردات وعدد الجلسات التدريبية

ت	محتوى البرنامج		عدد الجلسات		
	الموضوعات	المفردات	النظري	العملي	المجموع
١	الخرائط	تعريفها- أهميتها- أنواعها- مفتاح الخريطة- رسم الخريطة بطرق مختلفة- التمييز بين أنواع الخرائط- تصغير وتكبير الخرائط- قراءة الرموز الممثلة للظواهر الجغرافية- تفسير التوزيعات الجغرافية للظواهر الطبيعية.	٢	٤	٦
٢	مقياس الرسم	تعريفه- أنواعه- أهميته- تحويل مقياس الرسم من نوع لآخر- تحديده على الخريطة- كيفية حساب المساحة على الخريطة وعلى الأرض.	٢	٢	٤
٣	الاتجاهات الجغرافية	تحديد الاتجاهات الجغرافية الأساسية والثانوية- استخدام البوصلة في تحديد الاتجاه الجغرافي- استخدام ظل العصا لمعرفة الاتجاه الجغرافي- معرفة اتجاه الرياح التي تهب على العراق والوطن العربي- كيفية معرفة الاتجاه الجغرافي ليلاً ونهاراً.	٢	٣	٥
٤	المفاهيم الجغرافية	تعريفه- طرق الحصول عليه- تحديده- كيفية استنتاجه من المحتوى.	٢	١	٣

٥	الدراسة الميدانية الجغرافية	تعريفها- التخطيط لها- جمع الصور والعينات لموضوع الدراسة الميدانية- صعوبات ومخاطر جمع الصور والعينات- تفسير البيانات- تحديد أدوات الدراسة الميدانية- كيفية كتابة تقرير ملخص عن الدراسة- عرض النتائج ومدى تحقيق الاهداف المقررة من الدراسة.	٢	٢	٤
٦	طرح الاستفسارات الجغرافية	أهميتها- كيفية طرح الاستفسار الجغرافي- تعريف الاستفسار الجغرافي- حدوده- اسبابه.	٢	١	٣
٧	أنموذج الكرة الأرضية	أهمية وتوزيع دوائر العرض وخطوط الطول- تحديد نسبة اليابس والماء على سطح الكرة الأرضية- المقارنة بين مساحات القارات- معرفة كيفية دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس- ظاهرة الخسوف والكسوف.	١	٢	٣
٨	تحليل الظواهر الجغرافية الطبيعية	تعريفها- تحديد طبقات الغلاف الغازي- التعرف على العلاقات المكانية بين الظواهر- المشاكل التي تواجه الظواهر الطبيعية في العراق مثلاً- التمييز بين الظواهر من حيث تأثيرها على البيئة- التعرف على الظواهر الطبيعية التي تؤثر على نشاط الانسان كالاحتباس الحراري.	٢	١	٣

٩	التفكير الجغرافي	تعريف الجغرافية-أهدافها-ربط الظواهر الجغرافية مع بعضها- ربطها بالشواهد القرآنية-تحليل وتفسير الظواهر الجغرافية- إدراك العلاقة بين السبب والنتيجة-تتبع الظاهرة الجغرافية مكانياً وزمانياً.	٢	٢	٤
١٠	الأنشطة الصفية واللاصفية	أهميتها-أنواعها-السفرات المدرسية-أهمية الواجب البيتي- فوائد الأنشطة.	١	١	٢
١١	الجدول والرسوم البيانية	أهميتها-فوائدها-كيفية عمل جداول ورسوم بيانية-قراءة وفهم مدلول الرسم البياني- استخدامها للمقارنة بين الظواهر الجغرافية.	٢	٢	٤
١٢	التقنيات والوسائل التعليمية والمختبرات	التقاط صور للظواهر الجغرافية لدعم المادة-أنواع الوسائل والتقنيات-كيفية عمل وسيلة تعليمية-صيانة المختبر الجغرافي-أهمية وتعريف الوسيلة التعليمية-فوائد استخدام الوسيلة التعليمية-أسس مراعاة اختيار الوسيلة والتقنية التعليمية.	٢	٢	٤

٤. تحديد استراتيجيات التدريس :

إن استراتيجية التدريس تضم العمليات والإجراءات والإمكانات التي يستطيع المعلم أن يوفرها من أجل إتاحة الفرصة لخبرات معينة يمر بها المتعلمون لتحقيق الاهداف المرغوبة لتلائم خصائص وقدرات المتعلمين .

(الاسدي والمسعودي ، ٢٠١٤ ، ص٢٣)

وفي ضوء ذلك يمكن أن تستخدم اثناء تنفيذ البرنامج المقترح مجموعة من الاستراتيجيات المتنوعة بحسب طبيعة المادة الدراسية ومناسبة لقدرات واهتمامات المتعلمين ومنها :-

١. استراتيجية التعلم النشط .
٢. استراتيجية طرح الاسئلة .
٣. استراتيجية التعلم التعاوني .
٤. استراتيجية العصف الذهني .
٥. استراتيجية الذكاءات المتعددة .
٥. تحديد السلوك المدخلي :

ويشير إلى ما سبق للمتعلم أن تعلمه وإلى قدراته العقلية وتطوره ودافعيته ومعرفة مدى امتلاكه للمهارات الضرورية لتحديد نقطة البدء بالتدريس بشكل ناجح .

(الحيلة ، ١٩٩٩ ، ص١٤٦)

ويمكن تحديد السلوك المدخلي للمتعلم من خلال :-

أ. امتلاكهم الكفاية في تدريس المهارات الجغرافية .

يقصد بالكفاية بأنها مجموعة من المهارات والسلوك والمعرفة التي يمتلكها المعلم في تحديد معايير أداء مهمة أو مهنة ما . (الزيادات وقطاوي ، ٢٠١٠ ، ص٢٨١)

ولمعرفة مدى امتلاك معلمي الاجتماعيات للمهارات الجغرافية والكفاية في تدريسها ، فقد حاول الباحث التعرف عليها من خلال إعداد استبيان استطلاعي وزع لمعلمي مادة الاجتماعيات ، وتضمن الاستبيان سؤالين الأول : ما هي المهارات التي تستخدمها في تدريس مادة الاجتماعيات ، الثاني : ما هي المشكلات التي تواجهك أثناء تدريسك لمادة الاجتماعيات ، بعد أن قدم في الاستبيان تعريف للمهارات الجغرافية وتحديد عدد من المهارات الجغرافية .

وبعد جمع استجابات العينة الاستطلاعية وتفريقها واستخدام النسبة المئوية تبين ان امتلاكهم الكفاية في تدريس المهارات الجغرافية كان ضعيفا وعدم كفايتهم في تحديد المهارات مما يتطلب تدريبهم عليها .

ب. خصائص المتعلمين :

إن معرفة خصائص المتعلمين مهمة جداً لأنها تساعد في تخطيط وتصميم البرامج التعليمية ويتحدد دورها في اختيار المحتوى التعليمي وتحديد الأهداف السلوكية وطريقة معالجة الموضوعات والأنشطة وتساعد في اختيار الاستراتيجية والوسيلة التعليمية المناسبة .
(قطامي وآخرون ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٣٥)

والفئة المستهدفة حددت خصائصها تبعاً لتقارب المستوى الاجتماعي والاقتصادي لهم لأنهم في بيئة واحدة ، ولم يتعرضوا إلى برنامج تدريبي سابق ، وتقارب في الخبرة والمستوى المعرفي .

٦. تحديد مستلزمات البحث :

أ. اختيار الوسيلة التعليمية :

ويمكن توظيف أكثر من وسيلة تعليمية ، وحسب متطلبات الموقف التعليمي :-

- ١- العينات
- ٢- أنموذج الكرة الأرضية
- ٣- الصور بأنواعها
- ٤- الخرائط بأنواعها
- ٥- الاطالس
- ٦- العروض التوضيحية
- ٧- الاشكال والجداول والرسوم البيانية
- ٨- السبورة
- ٩- الأفلام التعليمية
- ١٠- التلفزيون والفيديو
- ١١- جهاز عرض (الداتا شو)
- ١٢- رحلات - متاحف - معارض
- ١٣- المختبرات - الحاسوب - الانترنت
- ١٤- نشرات جدارية - رسوم .

ب- تحديد الأنشطة التعليمية :

تعد من الوسائل المهمة للتعبير عن قدرات ومواهب المتعلمين وتساهم في تحقيق التوازن والاجسام وتزيد من ثقة المتعلم بنفسه ، وتساعد في استكمال ما يعجز عنه المنهاج المدرسي من إتمامه ، وكذلك تسهم في حل المشكلات التي تواجه التعليم التقليدي ، فهي أسلوب ونظام متكامل في التعليم فرضته حركة العصر ومطالب المجتمع . (قطاوي ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٩٥)

ويمكن تحديد مجموعة من الأنشطة التعليمية والتي يمكن أن تساعد المتعلمين على تحقيق الاهداف المطلوبة وهي :-

- ١- رحلات وزيارات ميدانية إلى المواقع الجغرافية في بلدنا وتثبيت ما شاهدته في تقرير أو في تسجيل فيديو لتنمية المهارات الجغرافية لدى المتعلمين .
- ٢- عمل ندوات ومحاضرات حول حماية البيئة من التلوث لاكتساب المتعلم قيمة واتجاهات وأنماط سلوك مرغوبا فيها للتكيف مع البيئة الاجتماعية .
- ٣- إقامة مسابقات ثقافية بين المتعلمين في مواضيع الاجتماعية لتوسيع مداركهم وتزويد من وعيهم وتنمي المعلومات والمعارف والخبرات لديهم .
- ٤- إقامة أنشطة فنية كمعرض للرسم يتعلق بالدراسات الاجتماعية لإبراز المواهب الفنية والميول لدى المتعلمين .
- ٥- توجيه المتعلمين للأنشطة العلمية التي تنمي روح البحث لديهم وتدريبهم على أسلوب التفكير العلمي ، كما تعينهم على الابتكار لمواجهة التطوير العلمي .
- ٦- جمع الصور والرسوم المتعلقة بموضوعات الاجتماعية .
- ٧- عمل خرائط جغرافية متنوعة وخرائط زمنية لتوضيح عملية التتابع الزمني للمواضيع .
- ٨- القراءة الإضافية للمصادر الثانوية والبحث عن معلومات تساعد في الالمام بالمواضيع الاجتماعية من جميع الجوانب .

٩- مشاهدة أفلام تعليمية أو برامج تلفزيونية أو فيديو من الانترنت ويمكن تسجيلها وإعادة عرضها للمتعلمين تخص المواضيع الاجتماعية .

١٠- زيارة ميدانية لمعلمين يشهد لهم بكفاءتهم في التدريب .

ج- تحديد أساليب التقويم في البرنامج

يعتبر التقويم عملية منهجية منظمة ومخططة ، تتضمن إصدار الأحكام على السلوك أو الفكر أو الوجدان أو الواقع المقيس ، وذلك بعد موازنة المواصفات والحقائق لذلك السلوك أو الواقع الذي تم التوصل إليه عن طريق القياس مع معيار جرى تحديده بدقة ووضوح. (الحيلة ، ١٩٩٩ ، ص٤٠٢)

ولكي نحصل على تقويم صحيح لأداء المتدربين لا بد من اتباع الاساليب التقويمية الآتية :-

١. الاختبارات الشفهية اليومية مثل حلقات المناقشة .
٢. الملاحظة المباشرة لأداء المتدربين من خلال التطبيق العملي للمهارة .
٣. بطاقة الملاحظة والاجابة عليها لتحديد أداء المتدرب .
٤. الاطلاع على رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه لمعرفة كيفية بناء برنامج تدريبي .
٥. التقويم الذاتي للمتدربين أنفسهم من خلال التغذية الراجعة أثناء البرنامج .
٦. عمل نشاطات تعليمية للبرنامج كصنع وسيلة تعليمية وجمع عينات من البيئة وكتابة تقارير .
٧. توجيه المتدرب لتطوير المستوى العلمي والمهاري وترك الجمود .
٨. متابعة المتدربين في الميدان العملي (مدارسهم) بعد انتهاء البرنامج من قبل المشرفين والمدراء .

٩. تزويده بمعلومات عن البرنامج نظري وعملي عن طريق أقراص فيديو، وللحصول على انتظام في الدوام للمتدربين دون انقطاع ولتحقيق أهداف البرنامج لا بد من وجود إجراءات يمكن اتباعها من قبل القائمين على الدورة ومنها :-

- أ. اعطاء تفرغ تام للمتدربين ليكون دواما رسميا ومتابعة الحضور والغياب .
- ب. قطع جزء من الراتب الشهري للمتدرب اذا غاب في ذلك اليوم .
- ج. متابعة الدورة من قبل المسؤولين والمشرفين لزيادة الحماس والجدية بالعمل للمتدربين .
- د. يؤشر المتدرب الغائب وإعلام المشرفين من أجل تقييمه السنوي .
- هـ. المتدرب الذي لديه غياب يعد راسباً في الدورة وتعاد عليه مرة أخرى .
- و. إرسال نسخة من نتائج الدورة للمسؤولين والمشرفين وإدارات المدارس لاتخاذ ما يلزم من إجراءات .

المدة الزمنية التي يستغرقها تنفيذ البرنامج .

المدة المقترحة لتنفيذ البرنامج (١٥) يوما بواقع ثلاث جلسات في كل يوم ، مدة الجلسة الواحدة ساعة ونصف .

أما الموعد المقترح لتنفيذ البرنامج يفضل أما في العطلة الربيعية ، أو في العطلة الصيفية .

التكلفة المادية للبرنامج المقترح

يؤخذ بنظر الاعتبار التكلفة المادية المتيسرة لدى الجهة المسؤولة عن تنفيذ البرنامج مع تقديم مخصصات نقل للمشاركين ، ومنح المتميزين من المتدربين مكافآت مادية تشجيعية ، وتقديم كتاب شكر للمشاركين طيلة تنفيذ البرنامج مع تفرغ كامل للمتدرب إذا أقيم خلال العام الدراسي.

الجهة المستفيدة من البرنامج :

مديرية الإعداد والتدريب التابعة للمديرية العامة لتربية ديالى .

مكان البرنامج :

المكان المناسب لتنفيذ البرنامج مديرية الاعداد والتدريب أو القاعات الخاصة بالمديريات والاقسام التابعة لمديرية تربية ديالى .

القائمون بالتدريب على تنفيذ البرنامج :

يفضل أن يكون من :

١. حملة الشهادات العليا في تخصص (الجغرافية ، التاريخ ، طرائق تدريس الجغرافية والتاريخ ، القياس والتقويم ، التقنيات التربوية) .

٢. من لديهم خبرة في التخصصات أعلاه من المعلمين والمدرسين والمشرفين .

صدق البرنامج :

بعد الانتهاء من بناء البرنامج المقترح لتنمية المهارات الجغرافية لدى معلمي مادة الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية ، حرص الباحث على التأكد من صدقه بعرضه على مجموعة من الخبراء والمختصين في مجال الجغرافية وطرائق تدريسها والمناهج للحصول على آرائهم حول عدة جوانب أهمها :-

- القدرة على تحقيق أهداف البحث وملاءمته للفئة المستهدفة وعدد الجلسات والساعات التدريبية والاستراتيجيات والطرائق المستخدمة ، إضافة إلى ملاءمة الأنشطة والوسائل التعليمية وأساليب التقويم ، وإتاحة الفرصة للمختصين لإضافة أو تعديل الفقرات ، وقد نال هذا البرنامج استحسان الجميع .

الاستنتاجات

من خلال النتائج التي توصل اليها الباحث استنتج ما يأتي :-

١. إن أداء معلمي مادة الاجتماعيات للمهارات الجغرافية المحددة في الدراسة كان دون المستوى المطلوب رغم وجود تباين في الأداء .

٢. هناك مهارات جغرافية مارسها معلمو الاجتماعيات بشكل جيد مما يتطلب تعزيز وإدامة لهذه المهارة .

٣. اتضح للباحث أن هناك مهارات جغرافية لم تمارس أصلاً من قبل معلمي الاجتماعيات ، مما يولد خللاً في العملية التعليمية تتطلب الحصول على برنامج تدريبي لسد هذا الخلل .

٤. البرنامج المقترح يساهم في إثراء المتدربين بالمعلومات القيمة التي تفيدهم في عملهم وتزيد من ثقتهم بنفسهم وقدرتهم على توصيل المعرفة المنتظمة لتلاميذهم .

٥. ان تطبيق مثل هذه البرامج على الكوادر التعليمية يساعدهم في مواكبة التطور وتقدم المجتمع .

التوصيات

في ضوء النتائج التي توصل إليها الباحث يوصي بما يأتي :-

١. ضرورة تطبيق البرنامج المقترح الحالي لمعرفة مدى فاعليته في تنمية المهارات الجغرافية لدى معلمي مادة الاجتماعيات للمرحلة الابتدائية .

٢. يمكن اعتماد المهارات الجغرافية التي حددها الباحث كأحد أساليب التقويم لمعلمي الاجتماعيات من قبل المشرفين الاختصاص .

٣. اعداد دليل لمعلمي الاجتماعيات يتضمن المهارات الجغرافية التي وضعها الباحث في دراسته للاستفادة في تقويم وتطوير أداءهم .

٤. التأكيد على المجال المهاري عند وضع المناهج لتمكين معلمي الاجتماعيات من الاهتمام به وزيادة فاعليته في التعليم .

المقترحات

بعد الانتهاء من البحث اتضح للباحث وجود مشكلات تحتاج الى دراسة ويمكن تقديم مقترحات لهذه المشاكل وهي :-

١. تطبيق البرنامج المقترح لمواد ومراحل دراسية أخرى .

٢. إجراء دراسة لتقويم أداء الطالب / المعلم الجامعي في أقسام الجغرافية لكليات التربية الاساسية في ضوء المهارات الجغرافية وبناء برنامج لتنميته .

٣. تقويم أداء مدرسي الجغرافية في ضوء المهارات الجغرافية .

المصادر

١. الاسدي ، سعيد جاسم ، محمد حميد المسعودي (٢٠١٤) ، استراتيجيات وطرائق تدريس حديثة في الجغرافية ، ط١ ، دار صفاء للنشر ، عمان ، الاردن .
٢. حافظ ، محمد علي (١٩٨٦) ، التخطيط للتربية والتعليم ، ط٢ ، المؤسسة المصرية للتأليف ، القاهرة .
٣. الحيلة ، محمد محمود (١٩٩٩) ، التصميم التعليمي نظرية وممارسة ، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
٤. (٢٠٠٧) ، مهارات التدريس الصفي ، ط٢ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
٥. الخاقاني ، محمد عبيد عبيس ، (٢٠٠٦) ، تقويم المهارات الجغرافية لدى معلمي المرحلة الابتدائية واقتراح برنامج تدريبي لتنميتها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الاساسية ، جامعة بابل .
٦. الزويلف ، بان عبدالحسين أحمد (٢٠١٠) ، برنامج مقترح لتنمية مهارة الاستجواب لمدرسات معهد اعداد المعلمات واثره في تحصيل الطالبات ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد .
٧. الزند ، وليد خضر (٢٠٠٤) ، التصاميم التعليمية ، ط١ ، سلسلة إصدارات أكاديمية التربية الخاصة ، الرياض ، السعودية .
٨. الزيادات ، ماهر مفلح ، محمد ابراهيم قطاوي (٢٠١٠) ، الدراسات الاجتماعية طبيعتها وطرائق تعليمها وتعلمها ، ط١ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن .
٩. سلمان ، سامي سوسه (١٩٩٤) ، المهارات اللازمة لاستخدام الخرائط في التدريس لدى مدرسي الجغرافية في المرحلة الثانوية وتقويمها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد .
١٠. الشمري ، حسام نجم الدين (٢٠٠٢) ، تقويم المهارات الجغرافية لدى طلاب الخامس الأدبي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية المعلمين ، جامعة ديالى .
١١. العنبيكي ، عبدالرزاق عبدالله (١٩٩٥) ، تقويم أداء مدرسي التاريخ للمرحلة الثانوية في ضوء المهارات التدريسية وبناء برنامج لتنميته ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد .

١٢. العنبيكي ، عبدالله فرحان عبدالله (٢٠١٤) ، فاعلية برنامج تعليمي على وفق المدخل المنظومي في التحصيل وتنمية المهارات الجغرافية لدى طلاب الصف الخامس الأدبي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد .

١٣. فرحان ، سحر سعيد صالح (٢٠٠٤) ، برنامج مقترح لتنمية بعض القيم لمنهج التاريخ العربي الاسلامي لطالبات الصف الاول في معهد اعداد المعلمات ، جامعة بغداد ، اطروحة دكتوراه غير منشورة .

١٤. قطامي ، يوسف ، وآخرون (٢٠٠٨) ، تصميم التدريس ، ط٣ ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

١٥. قطاوي ، محمد ابراهيم (٢٠٠٧) ، طرق تدريس الدراسات الاجتماعية ، ط١ ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن .

١٦. مرعي ، توفيق أحمد ، محمد محمود الحيلة (٢٠٠٥) ، طرائق التدريس العامة ، ط٢ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

١٧. المسعودي ، محمد حميد مهدي (٢٠٠٢) ، تقويم أداء مدرسي الجغرافية في المرحلة المتوسطة في ضوء المهارات الجغرافية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية المعلمين ، جامعة بابل .

١٨. المقدم ، نبيلة اسماعيل محمد (١٩٩٤) ، المهارات الجغرافية التي يكتسبها الطلبة في المرحلة الاعدادية من وجهة نظر المدرسين والموجهين في أمانة صنعاء ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد .

١٩. الناييف ، عزيز كاظم (١٩٨٩) ، المهارات الجغرافية التي يكتسبها الطلبة في المرحلة المتوسطة من وجهة نظر المدرسين والمدرسات ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد .

٢٠. يوسفاني ، داليا فاروق عبدالكريم (٢٠٠٥) ، أثر استخدام خرائط المفاهيم في اكتساب تلميذات الصف الخامس الابتدائي لبعض المهارات الجغرافية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل .

21. Association of American Gographers (2001) : Geography skills. Washington Dc,AAAG publication .

22. National council for Geographic Education (2000) : Geography skills (online) 18 pages , Avaition at : <http://>

ملحق

ت	ملحق مجالات وفقرات استمارة الملاحظة	جيد جداً	جيد	متوسط	دون الوسط	ضعيف
	اولاً : مجال المهارات المتصلة بالخرائط					
١-	التمكن من قراءة مفتاح الخريطة واتقان مدلولاته .					
٢-	القدرة على قراءة الرموز الممثلة للظواهر الجغرافية على الخريطة .					
٣-	القدرة على تكبير وتصغير الخرائط بطريقة المربعات .					
٤-	القدرة على استخدام الالوان لتمثيل الظواهر الجغرافية على الخريطة .					
٥-	التمكن من رسم الخريطة بطرق مختلفة .					
٦-	توضيح العلاقات بين الظواهر الجغرافية المتضمنة في الخريطة .					
٧-	القدرة على ادراك العلاقة بين الوان الخريطة ومظاهر السطح .					
	ثانياً : مجال المهارات المتصلة بمقياس الرسم					
١-	القدرة على التمييز بين انواع مقياس الرسم .					
٢-	القدرة على تحويل مقياس الرسم من نوع لآخر .					
٣-	التمكن من قراءة مقياس الرسم للخريطة .					
٤-	القدرة على معرفة المسافة بين محافظة واخرى من خلال قراءة مقياس الرسم .					

٥-	القدرة على ادراك العلاقة بين مقياس الرسم ومساحة الخريطة .				
	ثالثاً : مجال المهارات المتصلة بالاتجاهات الجغرافية				
١-	القدرة على تحديد الاتجاهات الجغرافية الاصلية للظواهر الجغرافية على الخريطة.				
٢-	القدرة على تحديد اتجاه انحدار سطح العراق مثلاً على الخريطة .				
٣-	التمكن من تحديد اتجاه الشمال على الخريطة .				
٤-	القدرة على تحديد الاتجاهات الجغرافية الفرعية على الخريطة .				
٥-	التمكن من استخدام البوصلة وظل العصا لتحديد الاتجاه الجغرافي .				
	رابعاً : مجال المهارات المتصلة بالمفاهيم الجغرافية .				
١-	القدرة على تحديد المفاهيم الجغرافية الخاصة بالظواهر الجغرافية المختلفة .				
٢-	القدرة على استنتاج معنى للمفهوم الجغرافي من السياق .				
٣-	القدرة على فهم المرادفات للمفهوم الجغرافي .				
٤-	التمكن من ايجاد تعاريف اخرى للمفهوم الجغرافي. من مصادر عديده .				
	خامساً : مجال المهارات المتصلة بالدراسة الميدانية الجغرافية				

١- القدرة على تعريف الدراسة الميدانية .					
٢- القدرة على تحديد اهداف الدراسة الميدانية.					
٣- التمكن من جمع الصور والعينات المرتبطة بالظاهرة المراد دراستها .					
٤- القدرة على التخطيط للدراسة الميدانية .					
٥- القدرة على تحديد الادوات اللازمة للقيام بالدراسة الميدانية .					
٦- التمكن من عرض النتائج وتقويمها .					
سادساً : مجال المهارات المتصلة بطرح الاستفسارات الجغرافية					
١- القدرة على طرح الاستفسارات الجغرافية لظاهرة جغرافية ما .					
٢- التمكن من طرح استفسارات جغرافية على المشكلات الجغرافية المرتبطة بالبيئة.					
٣- القدرة على طرح استفسار جغرافي عن التغيير المناخي للأرض .					
٤- القدرة على تخمين الاجابات المتوقعة للاستفسارات الجغرافية .					
٥- القدرة على اقتراح حلول مبدئية للاستفسارات الجغرافية .					
سابعاً : مجال المهارات المتصلة بأنموذج الكرة الارضية					

١- القدرة على فهم شكل الارض من خلال دراسة الكرة الارضية .					
٢- التمكن من تحديد خطوط الطول ودوائر العرض على الكرة الارضية .					
٣- التمكن من تحديد اليابس والماء والعلاقة بينهما على الكرة الارضية .					
٤- القدرة على تفسير تعاقب الليل والنهار والفصول الاربعة .					
٥- القدرة على تفسير الظواهر الكونية التي لها علاقة بالأرض .					
٦- التمكن من توضيح الاتجاهات الاصلية والفرعية على الكرة الارضية .					
ثامناً : مجال المهارات المتصلة بتحليل الظواهر الجغرافية الطبيعية					
١- القدرة على استنتاج العلاقات المكانية للظواهر الجغرافية الطبيعية .					
٢- التمكن من تحديد التوزيع المكاني للظواهر الطبيعية في العراق .					
٣- القدرة على تمييز الظواهر الجغرافية من حيث تأثيرها على البيئة .					
٤- معرفة الظواهر الطبيعية التي لها اثر على نشاط الانسان .					
تاسعاً : مجال المهارات المتصلة بالتفكير الجغرافي					
١- القدرة على مشاهدة الظواهر الجغرافية ومحاولة تفسيرها .					
٢- التمكن من ربط الظواهر الجغرافية بالشواهد القرآنية .					

٣-	القدرة على تكوين صور ذهنية للظواهر الجغرافية .				
٤-	القدرة على معرفة الاثر الذي تحدثه الظاهرة الجغرافية .				
٥-	القدرة على تشجيع التلاميذ على الملاحظة وابداء الرأي لتنمية التفكير الناقد .				
٦-	القدرة على تحليل وجود الظاهرة الجغرافية في مكان دون آخر .				
	عاشراً : مجال المهارات المتصلة بالأنشطة الصفية واللاصفية :				
١-	القدرة على استثمار جهود التلاميذ لعمل خرائط جغرافية مختلفة .				
٢-	القدرة على تشجيع التلاميذ كتابة تقارير عن الاماكن التي شاهدوها .				
٣-	القدرة على بث التعاون لدى التلاميذ لجمع صور عن الظواهر الجغرافية المختلفة .				
٤-	التمكن من توجيه التلاميذ لمتابعة الظواهر الجغرافية تلفزيونياً وتسجيلها .				
	أحد عشر : مجال المهارات المتصلة بالجداول والرسوم البيانية .				
١-	التمكن من قراءة الجداول والرسوم البيانية بدقة .				
٢-	القدرة على استخدام الجداول والرسوم البيانية لتوضيح الظاهرة الجغرافية .				
٣-	القدرة على إنشاء جداول ورسوم بيانية خاصة بالظواهر الجغرافية .				
٤-	القدرة على المقارنة بين الظواهر الجغرافية المتمثلة في الرسوم البيانية .				

٥-	القدرة على التوصل الى استنتاجات وتعميمات بشأن الظاهرة الجغرافية المتمثلة في الرسوم البيانية .				
	اثنا عشر : المهارات المتصلة بالتقنيات والوسائل التعليمية والمختبرات .				
١-	التمكن من اختبار تقنيات ووسائل حديثة مناسبة لمحتوى الدرس .				
٢-	القدرة على صيانة الأجهزة والوسائل الحديثة للمختبر الجغرافي .				
٣-	القدرة على تشجيع التلاميذ على المحافظة على الأجهزة الحديثة وعدم اتلافها .				
٤-	القدرة على تدريب التلاميذ على استخدام الوسائل والأجهزة الحديثة أثناء الدرس .				

10- *The political reality of the nation through the jurisprudence of priorities: obedience of the ruler as a model*

Dr. Al - Salem Al - Mukhtar Al - Haj, Lecturer in the

11- *Features of the habits and traditions of the Arabs before Islam*

Lecturer: Hasanain Abdulrazzaq Hasan Hadi

12- *The professional journalist and new sources of news (Study in the services and mechanisms of content verification Twitter model)*

P. Mohamed Bergane

PhD student : Kheira KHEDIM

13- *The October 1973 war in the Swedish press*

M. Dr. Qassem Mahdi Hamza Al Moussawi

14- *Intellectual Capital and its Role in Achieving Competitive Advantage (Case study Bank of Palestine)*

Assist.prof.Dr. Fawaz Badawi

15- *The Effect of Using a Multi-Levels Intelligence Strategy In Developing The Geographical Skills For The Primary School Pupils*

Assist.D: Abdullah Farhan Abdullah

Assist.D: Muhammad Majed Azez

16- *A Proposed to Develop The Skills in Geography For The Teachers of Social Studies in Primary Schools*

Assist.D: Abdullah Farhan Abdullah

Content

Research

- 1- *Humanism In the poetry of Nazek Almlaaka*
Dr. Maraj Ahmed Maraj Al Nadawi
- 2- *The Linguistic Policies and Their Impact on Human Development*
Athab muteir AL-Khazali
- 3- *The use of smooth and subtle language in the anthology poem al jadawil by iliya abu Madhi*
Dr. Hanik Mahlia tussikah
- 4- *The beauty of exaggeration mixed with simile, metonymy and allegory in Nodhi definition*
Dr. Abdollah Rasool nejad
Abd Alrahman Saeedian Tabar
- 5- *Western critism and it's impact contemporary on Arabic critisim, Ghali Shokri as a model*
Assist. teacher: emad basheer al-gero
- 6- *The landing sequences of Holy Koran Verses and their effect on Koran Explanation*
Assist. Prof.Dr.Ihsan Taha yaseen
- 7- *Philosophy of religion between reality and metaphor*
Assist. Prof. Dr. Ehsan Ali Al-Haidari
- 8- *The separation between atheism and faith*
Dr: Hala Kadhm Saloomi Ghobash
- 9- *Islamic hell fire in Dante's hell descriptive Comparative study, in divine comedy of Dante*
Assist. teacher: emad basheer al-gero

الاطروحة **Al-utroha**

Refereed Journal

www.alutroha.com

Published on House Al-utroha for publication of scientific



Humanities; Social Science



Humanities; Social Science

- *The use of smooth and subtle language in the anthology poem al jadawil by iliya abu Madhi*
- *The Linguistic Policies and Their Impact on Human Development*
- *The landing sequences of Holy Koran Verses and their effect on Koran Explanation*
- *Philosophy of religion between reality and metaphor*
- *The political reality of the nation through the jurisprudence of priorities: obedience of the ruler as a model*
- *The October 1973 war in the Swedish press*
- *Intellectual Capital and its Role in Achieving Competitive Advantage (Case study Bank of Palestine)*
- *A Proposed to Develop The Skills in Geography For The Teachers of Social Studies in Primary Schools*